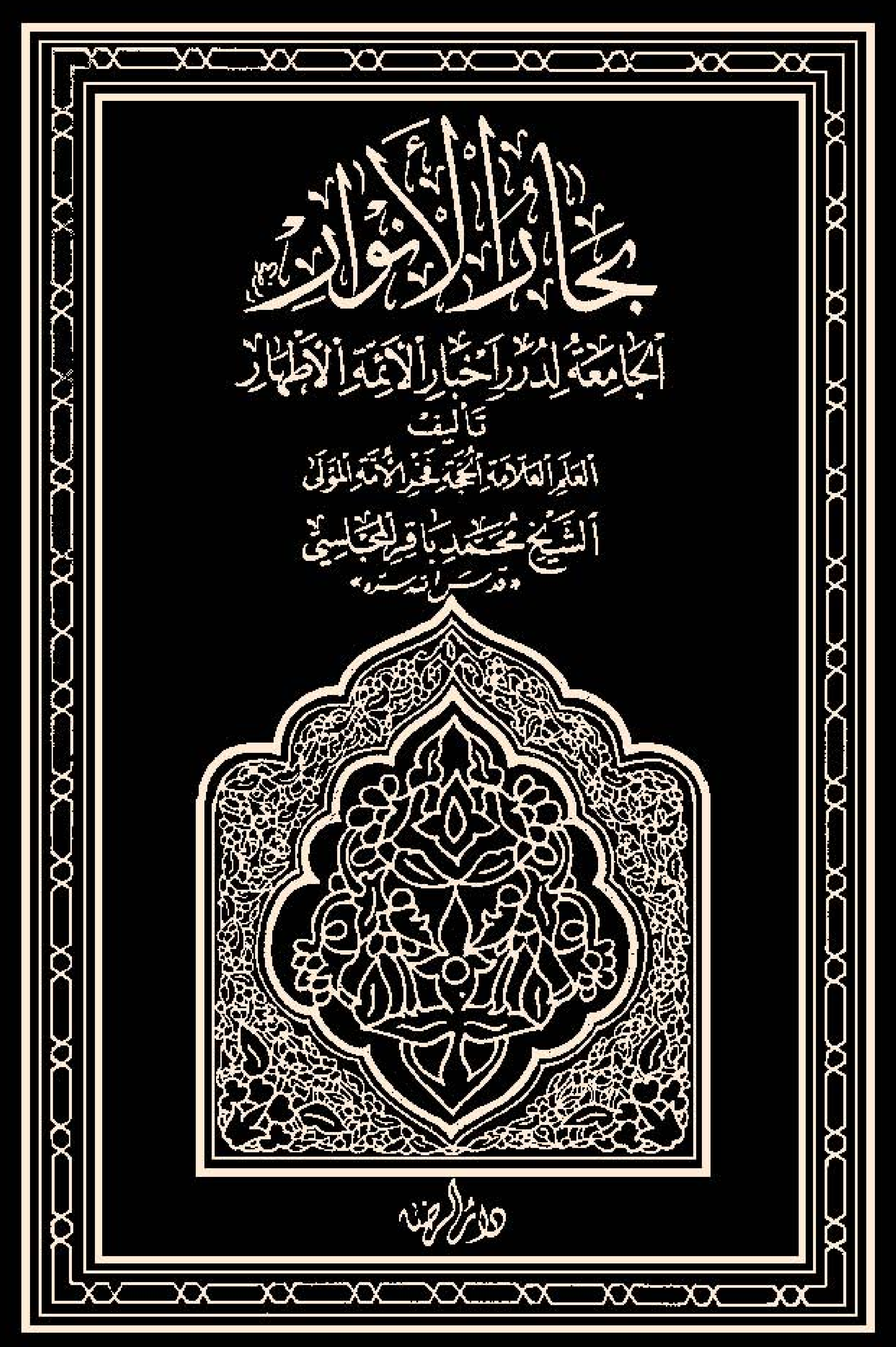


علي صراط الحق

بسم الله الرحمن الرحيم

بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار

تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي

« قدس الله سره »

الجزء الرابع والثلاثون

الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م



طهران - ايران - ص.ب: ١١٣١ / ١٥٨١٥ هاتف: ٦٧٢٦٠٦ - ٦٧٤٠٦٥
تلكس: PPOA - AR ٢٢٣٠٣٤ فكس: ٩٠٩٨٣٩

الفهــرس

[الباب الحادي والثلاثون]

باب

سائر ما جرى من الفتن من غارات أصحاب معاوية على أعماله عليه السلام وتثاقل أصحابه عن نصره وفرار بعضهم عنه إلى معاوية وشكايته عليه السلام عنهم وبعض النوادر

٩٠١ـ قال عبد الحميد بن أبي الحديد: إنّ قوماً بصنعاء كانوا من شيعة عثمان، يعظمون قتله، لم يكن لهم نظام ولا رأس، فبايعوا لعلّي عليه السلام على ما في أنفسهم، وعامل علّي عليه السلام على صنعاء يومئذٍ عبيدالله بن العباس، وعامله على الجَنَد سعيد بن نمران. فلمّا آختلف الناس على علّي بالعراق، وقتل محمّد بن أبي بكر بمصر، وكثرت غارات أهل الشام، تكلّموا ودعوا إلى الطلب بدم عثمان، ومنعوا الصّدقات، وأظهروا الخلاف. فكتب عبيدالله وسعيد ذلك إلى أمير المؤمنين، فلمّا وصل كتابهما ساء عليّاً عليه السلام وأغضبه وكتب إليهما:

من عبدالله علّي أمير المؤمنين إلى عبيدالله بن العبّاس وسعيد بن

٩٠١ـ رواه آبن أبي الحديد في شرح المختار: (٢٥) من نهج البلاغة من شرحه: ج١، ص ٢٧٩، ط الحديثة ببيروت، وفي ط الحديثة بمصر: ج٢، ص ١.

نمران: سلام الله عليكما، فإنّي أحمد إليكما الله الذي لا إله إلاّ هو.

أمّا بعد: فإنّه أتاني كتابكما تذكران فيه خروج هذه الخارجة، وتعظّمان من شأنها صغيراً، وتكثـران من عددهـا قليلاً، وقد علمت أنّ [نخـب. خ] افئدتكما، وصغر أنفسكما، وَتَبابَ رأيكما، وسوء تدبيركما، هو الذي أفسد عليكما من لم يكن عليكما فاسداً، وجرّأ عليكما من كان عن لقائكما جباناً، فإذا قدم رسولي عليكما، فامضيا إلى القوم حتّى تقرءا عليهم كتابي إليهم، وتدعواهم إلى حظّهم وتقوى ربّهم، فإن أجابوا حمدنا الله وقبلناهم، وإن حاربوا آستعنا بالله عليهم ونابذناهم على سواء، إن الله لا يحبّ الخائنين.

فكتب عليه السلام إليهم:

من عبدالله عليّ أمير المؤمنين، إلى من شاقّ وغدر من أهل الجَنَد وصنعاء:

أما بعد: فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو، الذي لايعقّب له حكم، ولا يردّ له قضاء، ولا يردّ بأسه عن القوم المجرمين. [أمّا بعد: فقـد. خ] بلغني تَحَزُّبكُم وشقاقكم وإعراضكم عن دينكم، بعد الطاعة وإعطاء البيعة والألفة، فسألت أهـل الـدين الخالص، والورع الصّادق، واللبّ الراجح، عن بدء مخرجكم، وما نويتم به وما أحمشكم له[1]، فحُدّثت عن ذلك بما لم أَرَ لكم في شيء منـه عذراً مبيناً، ولا مقالاً جميلاً، ولا حجّة ظاهرة، فإذا أتاكم رسولي فتفرّقوا وآنصرفوا إلى رحالكم أعفُ عنكم، واتقوا الله وآرجعوا إلى الطاعة، وأصفحُ عن جاهلكم، وأحفظ عن قاصيكم، وأقوم فيكم بالقسط، وأعمل فيكم بحكم الكتـاب. فإن لم تفعلوا، فاستعدوا لقدوم جيش جمّ الفرسان، عظيم الأركان، يقصد لمن طغىٰ وعصىٰ فتُطحنوا كطحن الرّحىٰ فمن أحسن فلنفسه،

---

(١) كذا في أصلي، وفي طبع بيروت من شرح المختار: (٢٥) من نهج البلاغة من ج١، ص ٢٨٠ لابن أبي الحديد: «عن بدء تحرّككم...».

ومن أساء فعليها ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾. وإلّا فلا يحمد حامد إلّا ربه، ولا يلم لائم إلّا نفسه، والسّلام عليكم ورحمة اللّه.

ووجّه الكتاب مع رجل من هَمْدان؛ فقدم عليهم الكتاب فلم يجيبوه إلى خير[1]، فرجع فأخبره عليه السلام.

وكتبت تلك العصابة إلى معاوية يخبرونه بما جرى، وبطاعتهم [له]. فلما قدم كتابهم، دعا معاوية بسر بن أرطاة العامري ـ ويقال: ابن أبي أرطاة ـ وكان قاسي القلب، فظّاً، سفّاكاً للدماء، لا رأفة عنده ولا رحمة، وأمره أن يأخذ طريق الحجاز والمدينة ومكّة حتى ينتهي إلى اليمن، وقال له: لا تنزل على بلد أهله على طاعة علّي، إلّا بسطت عليهم لسانك، حتّى يروا أنّهم لا نجاء لهم وأنّك محيط بهم، ثم اكفف عنهم، وادعهم إلى البيعة لي، فمن أبى فاقتله، واقتل شيعة علّي حيث كانوا.

وفي رواية أخرى، بعث بسراً في ثلاثة آلاف وقال: سر حتّى تمرّ بالمدينة، فاطرد الناس، وأخف من مررت به، وانهب أموال كلّ من أصبت له مالاً ممّن لم يكن في طاعتنا، فإذا دخلت المدينة فأرهم انّك تريد أنفسهم، وأخبرهم أنّه لا براءة لهم عندك ولا عذر، حتى إذا ظنّوا أنّك موقع بهم، فاكفف عنهم. ثم سر حتّى تدخل مكّة، ولا تعرض فيها لأحد، وأرهب النّاس عنك فيما بين مكّة والمدينة، واجعلها شردات، حتى تأتي صنعاء والجَنَد، فإنّ لنا بهما شيعة، وقد جاءني كتابهم.

---

(١) وبعده في شرح المختار: (٢٥) من نهج البلاغة من شرح ابن أبي الحديد: ج١، ص ٢٨١ ما نصّه:

فقال لهم [الهَمْداني]: إني تركت أمير المؤمنين يريد أن يوجّه يزيد بن قيس الأرحبي في جيش كثيف، فلم يمنعه إلّا انتظار جوابكم. فقالوا: نحن سامعون مطيعون؛ إن عزل عنّا هذين الرجلين: عبيداللّه وسعيداً.

فسار بسر حتى أتى المدينة، وصعد المنبر وهدّدهم وأوعدهم، وبعد الشفاعة أخذ منهم البيعة لمعاوية، وجعل عليها أبا هريرة، وأحرق دوراً كثيرة.

وخرج إلى مكة، فلمّا قرب منها هرب قثم بن العبّاس عامل عليّ عليه السلام عليها، ودخلها بسر فشتم أهل مكة وأنّبهم، ثم خرج عنها واستعمل عليها شيبة بن عثمان، وأخذ فيها سليمان وداود ابني عبيدالله بن العبّاس فذبحهما، وقتل فيما بين مكة والمدينة رجالاً وأخذ أموالاً.

ثم خرج من مكّة وكان يسير ويفسد في البلاد، حتى أتى صنعاء، وهرب منها عبيدالله وسعيد، فدخلها وقتل فيها ناساً كثيراً، وكان هكذا يفسد في البلاد.

فندب عليّ عليه السلام أصحابه لبعث سرّية في أثر بسر فتثاقلوا، وأجابه جارية بن قدامة، فبعثه في ألفين، فشخص إلى البصرة، ثم أخذ طريق الحجاز حتى قدم يمن، وسأل عن بسر فقيل: أخذ على بلاد بني تميم، فقال: أخذ في ديار قوم يمنعون أنفهسم.

وبلغ بسراً مسير جارية فانحدر إلى اليمامة، وأغذّ جارية السّير، ما يلتفت إلى مدينة مرّ بها، ولا أهل حصن، ولا يعرج على شيء؛ إلّا أن يرمل بعض أصحابه من الزاد، فيأمر أصحابه بمواساته. أو يسقط بعير رجل، أو تحفى دابّته، فيأمر أصحابه بأن يعقبوه، حتى انتهى إلى أرض اليمن، فهربت شيعة عثمان، حتى لحقوا بالجبال، وأتبعهم شيعة عليّ عليه السلام، وتداعت عليهم من كلّ جانب، وأصابوامنهم.

ومر [جارية] نحو بسر، وبسر يفرّ من جهة إلى جهة، حتى أخرجه من أعمال عليّ عليه السلام كلّها. فلمّا فعل ذلك به، أقام جارية بحرس نحواً من شهر، حتى استراح وأراح أصحابه.

ووثب الناس ببسر في طريقه لما انصرف من بين يدي جارية، لسوء

سيرته وفظاظته وظلمه وغشمه. وأصاب بنو تميم ثقلاً من ثقله في بلادهم.

فلمّا رجع بسر إلى معاوية قال: أحمد الله يا أمير المؤمنين، أنّي سرت في هذا الجيش أقتل عدوّك ذاهباً وجائياً، لم ينكب رجل منهم نكبة. فقال معاوية: الله فعل ذلك لا أنت. وكان الذي قتل بسر في وجهه ذلك، ثلاثين ألفاً، وحرّق قوماً بالنار.

قال: ودعا عليّ عليه السلام على بسر فقال: اللّهمّ إنّ بسراً باع دينه بالدّنيا، وانتهك محارمك، وكانت طاعة مخلوق فاجر، آثر عنده من طاعتك، اللّهمّ فلا تمته حتى تسلبه عقله، ولا توجب له رحمتك، ولا ساعة من النهار. اللّهمّ العن بسراً وعمراً ومعاوية، ولْيحلّ عليهم غضبك، ولْتنزل بهم نقمتك، ولْيصبهم بأسك ورجزك الذي لا تردّه عن القوم المجرمين.

فلم يلبث بسر بعد ذلك إلاّ يسيراً، حتى وسوس وذهب عقله. وكان يهذي بالسّيف ويقول: اعطوني سيفاً أقتل به. لا يزال يردّد ذلك حتّى اتّخذ له سيفاً من خشب، وكانوا يدنون منه المرفقة، فلا يزال يضربها حتى يغشى عليه، فلبث كذلك إلى أن مات.

بيـان:

[قال ابن الأثير] في [مادّة «نخب من»] النهاية: فيه «بئس العون على الدّين قلب نخيب، وبطن رغيب».

النخيب: الجبان الّذي لا فؤاد له.

وقيل: الفاسد العقل.

قوله عليه السلام: «لا يعقب له حكم» تضمين لقوله تعالى: ﴿لا معقّب لحكمه﴾.

وقال البيضاوي: أي لا رادّ له. وحقيقته الذي يعقب الشيء بالإبطال.

ومنه قيل لصاحب الحقّ: معقّب؛ لأنّه يقفو غريمه للاقتضاء. انتهى.

وأحمشت الرجل: أغضبته.

قوله عليه السلام «وأحفظ عن قاصيكم»؛ أي أذبّ وأدفع عن حريم مَن بَعُدَ وغاب.

قال في القاموس: المحافظة: الذّب عن المحارم. والحفيظة: الحميّة والغضب. وقال: قصى عنه: بَعُدَ، فهو قصيّ وقاص.

«والشّردات» لم يذكر في اللغة هذا الجمع والشرد: التفريق. وفي بعض النسخ: «سروات» [وهو] جمع سراة. [وهو] الطريق، أي وسطه. كناية عن جعلها خراباً خالية عن أهلها. وقال في القاموس : الجند بالتحريك: بلد باليمن. وقال: أرملوا، أي: نفد زادهم. وقال: الحفا: رقّة القدم. والخفّ والحافر. حفي يحفى حفّاً فهو حف وحاف. وقال: أعقب زيد عمراً: ركبا بالنوبة. وقال: تداعى العدو: أقبل.

أقول : وذكر الثقفي في كتاب الغارات مفصّل القصص التي أوردناها مجملة.(١)

وروي عن الوليد بن هشام، قال: خرج بسر من مكّة، واستعمل عليها شيبة بن عثمان، ثم مضى يريد اليمن، فلمّا جاوز مكّة رجع قُثَم بن العبّاس إلى مكّة فغلب عليها.

وكان بسر إذا قرب من منزل، تقدم رجل من أصحابه حتّى يأتي أهل الماء فيسلّم فيقول: ما تقولون في هذا المقتول بالأمس عثمان؟ فإن قالوا: قتل

---

(١) رواها الثقفي رحمه الله في الحديث: (٢٤٠) وما بعده من تلخيص كتاب الغارات: ج١، ص ٥٨٠.

والحديث التالي رواه تحت الرقم: (٢٥٩) ص ٦٢٠.

مظلوماً. لم يعرض لهم. وإن قالوا كان مستوجباً للقتل. قال: ضعوا السلاح فيهم. فلم يزل على ذلك حتّى دخل صنعاء. فهرب منه عبيدالله بن العبّاس، وكان والياً لعلّي عليه السلام عليها، وآستخلف عمر بن أراكة فأخذه بسر، فضرب عنقه. وأخذ آبني عبيدالله فذبحهما على درج صنعاء، وذبح في آثارهما مائة شيخ من أبناء فارس. وذلك؛ إنّ الغلامين كانا في منزل أمّ النعمان بنت بزرج، آمرأة من الأبناء.

وبإسناده عن الكلبي ولوط بن يحيى، أنّ آبن قيس قدم على علّي عليه السلام فأخبره بخروج بسر، فندب [علّي عليه السلام] الناس فتثاقلوا عنه، فقال:

أتريدون أن أخرج بنفسي في كتيبة تتبع كتيبة في الفيافي والجبال؟ ذهب والله منكم أولوا النُهىٰ والفضل، الذين كانوا يُدعون فيجيبون، ويُؤمرون فيُطيعون، لقد هممت أن أخرج عنكم، فلا أطلب بنصركم ما آختلف الجديدان.

فقام جارية بن قدامة فقال: أنا أكفيكهم يا أمير المؤمنين. فقال [له أمير المؤمنين عليه السلام] أنت لعمري لميمون النقيبة، حسن النيّة، صالح العشيرة. وندب معه ألفين، وقال بعضهم: ألفاً وأمره أن يأتي بالبصرة ويضمّ إليه مثلهم.

فشخص جارية، وخرج معه [علّي عليه السلام] يشيّعه، فلمّا ودّعه قال:

آتق الله الذي إليه تصير، ولا تحتقر مسلماً ولا معاهداً، ولا تغصبنّ مالاً ولا ولداً ولا دابّةً، وإن حفيت وترجّلت، وصلّ الصّلاة لوقتها.

فقدم جارية البصرة، وضمّ إليه مثل الذي معه، ثم أخذ طريق الحجاز حتّى قدم اليمن. ولم يغصب أحداً، ولم يقتل أحداً إلّا قوماً ارتدّوا باليمن، فقتلهم وحرّقهم، وسأل عن طريق بسر، فقالوا: أخذ على بلاد بني تميم، فقال: أخذ في ديار قوم يمنعون أنفسهم. فانصرف جارية فأقام بحرس.

قال إبراهيم: ومن حديث الكوفيّين عن نمير بن وعلة عن أبي الودّاك قال: قدم زرارة بن قيس فخبّر عليّاً عليه السلام بالقدمة التي خرج فيها بسر، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أمّا بعد، أيّها الناس ! إنّ أوّل فرقتكم، وبدء نقصكم، ذهاب أولي النُّهى وأهل الرأي منكم، الذين كانوا يلقون فيُصدّقون، ويقولون فيعدلون، ويُدعون فيجيبون. وأنا والله قد دعوتكم عوداً وبدءاً وسرّاً وجهاراً وفي اللّيل والنهار، والغدّو والآصال، فما يزيدكم دعائي إلّا فراراً وإدباراً. أما تنفعكم العِظَة والدعاء إلى الهدى والحكمة؟! وإنّي لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم، ولكني والله لا أصلحكم بفساد نفسي، ولكن أمهلوني قليلاً، فكأنّكم والله بامرئ قد جاءكم، يحرمكم ويعذّبكم، فيعذّبه الله كما يعذّبكم.

إنّ من ذلّ المسلمين وهلاك الدين، أنّ ابن أبي سفيان يدعو الأراذل والأشرار فيجاب، وأدعوكم وأنتم الأفضلون الأخيار، وتدافعون، ما هذا بفعل المتّقين[1].

إن بسر بن أبي أرطاة وجّه إلى الحجاز، وما بسر لعنه الله؟! لينتدب إليه منكم عصابة حتّى تردّوه عن سننه، فإنّما خرج في ستمائة أو يزيدون.

قال: فأسكت القوم مليّاً لا ينطقون.

فقال: ما لكم مخرسون لا تكلّمون؟.

فذكر عن الحارث بن حصيرة، عن مسافر بن عفيف، قال: قام أبو بردة ابن عوف الأزدي، فقال: إن سرت ياأمير المؤمنين، سرنا معك!! فقال: اللّهم مالكم

(١) وقريباً منه جدّاً رواه أيضاً البلاذري في الحديث (٤٩٨) من ترجمة أمير المؤمنين من أنساب الأشراف: ج٢، ص ٤٥٨ ط١. ورواه أيضاً الشيخ المفيد رحمه الله، في الفصل (٤٠) مما اختار من كلام أمير المؤمنين في كتاب الإرشاد، ص ١٤٥، ط النجف.

ما سددتم لمقال الرشد [أ] في مثل هذا ينبغي لي أن أخرج؟! إنّما يخرج في مثل هذا، رجل ممّن ترضون من فرسانكم وشجعانكم، ولا ينبغي لي أن أدع الجند والمصر وبيت المال وجباية الأرض والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق الناس، ثم أخرج في كتيبة أتبع أخرى في فلوات وشغف الجبال، هذا والله الرأي السوء. والله لولا رجائي الشهادة عند لقائهم، لو قد حم لي لقاؤهم، لَقَرَّبْتُ ركابي، ثم لشخصت عنكم، فلا أطلبكم ما اختلف جَنُوْبٌ وشمال، فوالله إنّ فراقكم لراحة للنفس والبدن[1].

فقام إليه جارية بن قدامة السعدي رحمه الله، فقال: يا أمير المؤمنين، لا أعدمنا الله نفسك، ولا أرانا فراقك، أنا لهؤلاء القوم، فسرّحني إليهم.

قال: فتجهّز فإنّك ما علمت ميمون النقيبة.

وقام إليه وهب بن مسعود الخثعمي فقال: أنا أنتدب إليهم يا أمير المؤمنين، قال: فانتدب بارك الله فيك.

فنزل [عليه السلام عن المنبر] ودعا جارية فأمره أن يسير إلى البصرة. فخرج منها في ألفين، وندب مع الخثعمي من الكوفة ألفين [و] قال لهما: اخرجا في طلب بسر حتى تلحقاه، [و] أينما لحقتماه فناجزاه، فإذا التقيتما، فجارية على الناس. فخرجا في طلب بسر، والتقيا بأرض الحجاز، فذهبا في طلب بسر.

وعن الحارث بن حصيرة، عن عبدالرحمن بن عبيد قال: لّما بلغ عليّاً عليه السلام دخول بسر الحجاز، وقتله ابني عبيدالله بن العبّاس، وقتل عبدالله بن عبدالمدان ومالك بن عبدالله، بعثني بكتاب في إثر جارية بن قدامة، قبل أن يبلغه أنّ بسراً ظهر على صنعاء وأخرج عبيدالله منها وابن نمران، فخرجت بالكتاب حتى لحقت بجارية ففضّه فإذا فيه:

---

(١) ورواه الشريف الرضي رحمه الله، مع زيادة جيّدة في المختار (١١٩) من نهج البلاغة.

أمّا بعد، فإنّي بعثتك في وجهك الذي وجّهت له، وقد أوصيتك بتقوى اللّه، وتقوى ربّنا جماع كلّ خير، ورأس كلّ أمر، وتركت أن أسمّي لك الأشياء بأعيانها، وإنّي أفسّرها حتى تعرفها، سر على بركة اللّه، حتى تلقى عدوّك، ولا تَحْتَقِرْ من خلق اللّه أحداً، ولا تسخرنّ بعيراً ولا حماراً، وإن ترجّلت وحبست، ولا تستأثرنّ على أهل المياه بمياههم، ولا تشربنّ من مياههم إلّا بطيب أنفسهم، ولا تسبي مسلماً ولا مسلمة، ولا تظلم معاهداً ولا معاهدة، وصلّ الصلاة لوقتها، واذكر اللّه بالليل والنهار، واحملوا راجلكم، وتأسوا على ذات أيديكم وأغذ السير حتى تلحق بعدوّك فتجليهم عن بلاد اليمن وتردهم صاغرين ان شاء اللّه،والسّلام عليك ورحمة اللّه وبركاته[1].

وعن فضيل بن خديج قال: كان وائل بن حجر عند عليّ عليه السلام بالكوفة، وكان يرى رأي عثمان، فاستأذن عليّاً عليه السلام ليذهب إلى بلاده، ثم يرجع إليه عن قريب، فخرج إلى بلاد قومه: وكان عظيم الشأن فيهم، وكان الناس بها أحزاباً، فشيعة ترى رأي عثمان، وأخرى ترى رأي عليّ عليه السلام. فكان وائل هناك، حتّى دخل بسر صنعاء، فكتب إليه:

أمّابعد، فإن شيعة عثمان ببلادنا شطر أهلها، فاقدم علينا فإنّه ليس بحضرموت رجل يردّك عنها: فأقبل إليها بسر بمن معه حتى دخلها، فزعم أنّ وائلًا استقبل بسراً، فأعطاه عشرة آلاف، وأنّه كلّمه في حضرموت . فقال له: ما تريد؟ قال: أريد أن أقتل ربع حضرموت. قال: إن كنت تريد ذلك فاقتل عبداللّه بن ثوابة؛ لرجل فهيم، كان من المقاولة العظام. وكان له عدواً، في رأيه مخالفاً. فجاءه بسر حتّى أحاط بحصنه، وكان بناءً معجباً لم ير في ذلك الزمان

---

(١) وقريباً منه جدّاً رواه اليعقوبي في أواخر سيرة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخه: ج٢، ص ١٧٥، وفي ط ج٢، ص ١٨٧. وفيه: «ولا تشتمنّ مسلماً ولا مسلمة..».
وفي الغارات: ولا تسبّ.

مثله، فدعاه إليه فنزل، وكان للقتل آمناً، فلمّا نزل، قال: اضربوا عُنقه. قال له: أتريد قتلي؟ قال: نعم. قال فدعني أتوضّأ وأصلّي ركعتين. قال: افعل ما أحببت. فاغتسل وتوضّأ، ولبس ثياباً بيضاء، وصلّى ركعتين، ثم قال: اللّهم إنّك عالم بأمري. فقدّم فضرب عنقه وأخذ ماله.

وبلغ عليّاً عليه السلام، مظاهرة وائل بن حجر شيعة عثمان، على شيعته، ومكاتَبَته بسراً، فحبس ولديه عنده.

وعن عبدالرحمن بن عبيد، أن جارية أغذّ السير في طلب بسر، ما يلتفت إلى مدينة مرّ بها، ولا أهل حصن، حتى انتهى إلى بلاد اليمن، فهربت شيعة عثمان فلحقوا بالجبال، واتبعه عند ذلك شيعة عليّ وتداعت عليهم من كلّ جانب وأصابوا منهم.

وخرج جارية في أثر القوم، وترك المدائن أن يدخلها، ومضى نحو بسر. فمضى بسر من حضرموت حين بلغه أنّ الجيش [قد] أقبل وأخذ طريقاً على الجوف، وترك الطريق الذي أقبل منه. وبلغ ذلك جارية فاتّبعه حتّى أخرجه من اليمن كلّها، وواقعه في أرض الحجاز، فلمّا فعل ذلك به، أقام بحرس نحواً من شهر، حتى استراح وأراح أصحابه، وسأل عن بسر فقيل إنّه بمكّة فسار نحوه.

ووثب الناس ببسر حين انصرف؛ لسوء سيرته، واجتنبه الناس بمياه الطريق، وفرّ الناس عنه لغشمه وظلمه.

وأقبل جارية حتى دخل مكّة، وخرج بسر منها يمضي قبل اليمامة، فقام جارية على منبر مكة، وقال:

بايعتم معاوية؟ قالوا: أكرهنا. قال: أخاف أن يكونوا من الذين قال اللّه فيهم: ﴿وإذا لقو الذين آمنوا قالوا: آمنا وإذا خلو إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنما نحن مستهزئون﴾ قوموا فبايعوا. قالوا: لمن نبايع رحمك اللّه، وقد هلك أمير المؤمنين عليه السلام، ولا ندري ما صنع الناس بعد؟ قال: وما عسى

أن يصنعوا، إلّا أن يبايعوا للحسن بن عليّ، قوموا فبايعوا. ثم اجتمعت عليه شيعة عليّ فبايعوا.

وخرج منها ودخل المدينة، وقد اصطلحوا على أبي هريرة يصلّي بالناس، فلمّا بلغهم مجيء جارية، توارى أبو هريرة.

فجاء جارية وصعد المنبر، وحمد اللّه وأثنى عليه، وذكر رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله فصلّى عليه، ثم قال:

أيّها الناس! إن عليّاً عليه السلام يوم ولد ويوم توفّاه اللّه، ويوم يبعث حيّاً، كان عبداً من عباد اللّه الصالحين، عاش بقدر، ومات بأجل. فلا يهنأ الشامتون، هلك سيّد المسلمين، وأفضل المهاجرين، وابن عمّ النبيّ صلّى اللّه عليه وآله. أما والذي لا إله إلّا هو، لو أعلم الشامت منكم، لتقرّبت إلى اللّه عزّ وجلّ بسفك دمه، وتعجيله إلى النار، قوموا فبايعوا الحسن بن عليّ. فقام الناس فبايعوا. وأقام يومه ذلك، ثم غدا منها منصرفاً إلى الكوفة، وغدا أبو هريرة يصلّي بالناس، ورجع بسر فأخذ على طريق السماوة حتى أتى الشام.

قال: وأقبل جارية، حتى دخل على الحسن بن عليّ عليه السلام، فضرب على يده فبايعه وعزّاه. وقال: ما يجلسك؟ سر يرحمك اللّه إلى عدوّك قبل أن يسار إليك.

فقال: لو كان الناس كلّهم مثلك، سرت بهم.

وعن القاسم بن الوليد، أنّ عبيداللّه بن العبّاس، وسعيد بن نمران، قدما على عليّ عليه السلام، وكان عبيداللّه عامله على صنعاء، وسعيد عامله على الجَنَد، خرجا هاربين من بسر، وأصاب [بُسْر] ابني عبيداللّه، لم يدركا الحنث، فقتلهما.

قال: وكان أمير المؤمنين يجلس كلّ يوم في موضع من المسجد الأعظم، يسبّح به بعد الغداة إلى طلوع الشمس، فلمّا طلعت، نهض إلى المنبر، فضرب

بإصبعيه على راحته وهو يقول: ما هي إلّا الكوفة أقبضها وأبسطها [ثـمّ أنشد]:

لعمـرُ أبيك الخـير ياعمـرو أنّني على وضـر من ذا الإنـاء قليل

ومن حديث بعضهم: إنّه قال: إن لم تكوني إلّا أنت تهبّ أعاصيرك، فقبّحك اللّه.

ثم قال: أيّها الناس! ألا إنّ بسراً قد أطلع اليمن وهذا عبيداللّه بن العبـاس، وسعيد بن نمران، قدما عليّ هاربين، ولا أرى هؤلاء إلّا ظاهرين عليكم؛ لاجتماعهم على باطلهم، وتفـرّقكم عن حقّكم، وطاعتهم لإمامهم، ومعصيتكم لإمامكم، وأداءهم الأمانة إلى صاحبهم، وخيانتكم إيّاي، ولّيت فلاناً فخـان وغدر، واحتمل فيء المسلمين إلى مكّة، وولّيت فلاناً فخان وغدر، وفعل مثلها، فصرت لا أئتمنكم على علاقة سوط.

وإن ندبتكم إلى السيرّ إلى عدوكم في الصّيف، قلتم أمهلنا ينسلخ الحرّ عنا، وإن ندبتكم في الشتاء، قلتم أمهلنا ينسلخ القرّ عنّا.

اللّهم إنّي قد مللتهم وملّوني، وسئمتهم وسئموني، فأبدلني بهم من هو خير لي منهم، وأبدلهم بي من هو شرّ لهم مني. اللّهم أمث قلوبهم ميث الملح في الماء[1].

وعن عبداللّه بن الحارث بن سليمان عن أبيه قال: قال عليّ عليه السلام:

لاأرى هؤلاء القوم إلّا ظاهرين عليكم بتفرّقكم عن حقّكم، واجتماعهم على باطلهم، فإذا كان عليكم إمام يعدل في الرعيّة، ويقسم بالسويّة، فاسمعوا له وأطيعوا؛ فإنّ الناس لا يصلحهم إلّا إمام برّ أو فاجر. فإن كان برّاً فللراعي والرعيّة، وإن كان فاجراً عبدالمؤمن ربّه فيها، وعمل فيها الفاجر إلى أجله.

---

(١) وقريباً منه جدّاً، رواه الشريف الرضيّ رحمه اللّه في المختار: (٢٤) من كتاب نهج البلاغة.

[ألا] وإنّكم ستعرضون بعدي على سبّي والبراءة منّي، فمن سبّني فهو في حلّ من سبّي، ولا يتبرأ مني، فإنّ ديني الإسلام[١].

وعن أبي عبدالرحمان السّلمي، أنّ الناس تلاقوا وتلاوموا، ومشت الشيعة بعضها إلى بعض، ولقي أشراف الناس بعضهم بعضاً، فدخلوا على عليّ عليه السلام، فقالوا: يا أمير المؤمنين، اختر منّا رجلاً، ثم ابعث معه إلى هذا الرجل جنداً، حتى يكفيك أمره، ومرنا بأمرك فيها سوى ذلك، فإنّك لن ترى منّا شيئاً تكرهه ما صحبتنا. قال: فإنّي قد بعثت رجلاً إلى هذاالرجل، لايرجع أبداًحتى يقتل أحدهما صاحبه، أو ينفيه، ولكن استقيموا لي فيما آمركم به، وأدعوكم إليه من غزو الشام وأهله.

فقام إليه سعيدُ بن قيس الهمداني، فقال: يا أمير المؤمنين، والله لو أمرتنا بالمسير إلى قسطنطينية، رومية، مشاة، حفاة، على غير عطاء ولا قوة، ما خالفتك أنا ولا رجل من قومي. قال: فصدقتم جزاكم الله خيراً.

ثم قام زياد بن حفصة، ووعلة بن مخدوع [و] قالا: نحن شيعتك يا أمير المؤمنين، التي لا تعصيك، ولا تخالفك. فقال: أجل أنتم كذلك. فتجهّزوا إلى غزو الشام.

فقال الناس : سمعاً وطاعةً.

فدعا [أمير المؤمنين] معقل بن قيس الرياحي، وسرّحه في حشر الناس من السواد الى الكوفة، [فخرج معقل لانفاذ أمره عليه السلام، وامتثل ما أمره

---

(١) وقريباً منه رواه البلاذري، مسنداً في الحديث: (٧٧) من ترجمة أمير المؤمنين من أنساب الأشراف: ج١، ص ٢١٩، و في ط١، ج٢ ص١١٩.

ورواه أيضاً السيّد الرضيّ رحمه الله في المختار: (٥٥) من كتاب نهج البلاغة.

وللحديث مصادر أُخر يجدها الباحث في المختار: (٣٦٥) وما بعده من كتاب نهج السعادة: ج٢ ص ٦٩٥ وما يليها.

به، ثم كرّ راجعاً إلى الكوفة، ولم يصل إليها] حتى أصيب أمير المؤمنين عليه السلام[1].

قال: ورُوي أنّه اجتمع ذات يوم بسر وعبيد الله بن العبّاس عند معاوية، فقال ابن عباس لمعاوية: أنت أمرت هذا القاطع البعيد الرحم، القليل الرَّحْم بقتل ابني؟ فقال معاوية: ما أمرته ولا هويت. فغضب بسر، ورمى بسيفه وقال: قلّدتني هذا السّيف، وقلت اخبط به الناس، حتى إذا بلغت من ذلك، قلت: ما هويت، ولا أمرت. فقال معاوية: خذ سيفك، إنّك لعاجز حين تلقي سيفك بين يدي رجل من بني عبد مناف، [و] قد قتلت ابنيه. فقال ابن عباس: أراني كنت قاتله بها؟ فقال ابن لعبيد الله: ما كنّا نقتل بها إلّا يزيد وعبدالله ابني معاوية، فضحك معاوية وقال: ماذنب يزيد وعبدالله؟

بيـــان:

قال الجوهري: النقيبة: النفس. يقال: فلان ميمون النقيبة، إذا كان مبارك النفس. [و] قال ابن السّكيت: إذا كان ميمون الأمر، ينجح فيما حاول ويظفر. وقال ثعلب: إذا كان ميمون المشورة. انتهى.

وراغ الثعلب روغاً: ذهب يُمنةً ويسرةً في سرعة وخديعة.

وسخّره تسخيراً: كلّفه عملاً بلا أجرة وكذلك تسخره.

والإغذاذ في السير: الإسراع.

وتداعت الحيطان للخراب، أي: تهادمت.

٩٠٢ ـ وقال ابن أبي الحديد: كتب عقيل بن أبي طالب إلى أخيه عليّ

---

(١) الحديث رواه البلاذري بسياق أجود مما هنا في الحديث: (٥١٠) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من أنساب الأشراف: ج١، ص ٤٣٤، وفي ط١: ج٢ ص ٤٧٧.

٩٠٢ـ رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٢٩) من نهج البلاغة: ج١، ص ٣٥٨، ط الحديث:

عليه السلام، حين بلغه خذلان أهل الكوفة وتقاعدهم به:

لعبد اللّه علـيّ أمير المؤمنين، من عقيل بن أبي طالب: سلام اللّه عليك، فإنّي أحمد إليك اللّه الذي لا إله إلّا هو:

أمّا بعد، فإنّ اللّه جارك من كلّ سوء، وعاصمك من كلّ مكروه، وعلى كلّ حال. إنّي خرجت إلى مكّة معتمراً، فلقيت عبداللّه بن سعد بن أبي سرح، في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء، فعرفت المنكر في وجوههم. فقلت: إلى أين يا أبنـاء الشانئين، أبمعاوية تلحقون؟ عداوةً واللّه منكم قديماً، غير مستنكر، تريدون بها إطفاء نور اللّه، وتبديل أمره. فأسمعني القوم، وأسمعتهم.

فلمّا قدمت مكّة، سمعت أهلها يتحدّثون: أنّ الضحاك بن قيس، أغار على الحيرة، فاحتمل من أموالها ما شاء، ثم انكفأ راجعاً سالماً. فَأُفٍّ لِحياةٍ[1] في دهر جرأ عليك الضحّاك، وما الضحّاك؟! فقعٌ بقرقر، وقد توهّمت حيث بلغني ذلك، أنّ شيعتك وأنصارك خذلوك، فاكتب إليّ يا ابن أمّي برأيك، فإن كنت الموت تريد، تحمّلت إليك ببني أخيك وولد أبيك، فعشنا معك ما عشت، ومتنا معك إذا متّ، فواللّه ما أحبّ أن أبقى في الدنيا بعدك فواقاً، وأقسم بالأعزّ الأجلّ، أنّ عيشاً نعيشه بعدك في الحياة، لغير هنيء ولامريء ولا نجيع والسّلام عليك ورحمة اللّه وبركاته.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام:

بيروت، وفي ط الحديث بمصر: ج٢، ص ١١٨.

وهذا هو الحديث (١٥٧) من كتاب الغارات ص ٤٢٨.

وللكتاب وجوابه مصادر كثيرة، يجد الطالب كثيراً منها في ذيل المختار: (١٥٩) من باب الكتاب من نهج السعادة: ج٥، ص ٣٠٦ ط١.

(١) هذا الصواب المذكور في غير واحد من المصادر.

وكان في أصل المصنف كما فسّره: «فإنّ الحياة في دهر...».

بسم اللّه الرحمن الرحيم

من عبداللّه عليّ أمير المؤمنين، إلى عقيل بن أبي طالب، سلام عليك، فإنّي أحمد إليك اللّه الذي لا إله إلاّ هو:

أمّا بعد، كلأنا اللّه وإيّاك كلاءة من يخشاه بالغيب، إنّه حميد مجيد. قد وصل إليّ كتابك مع عبدالرحمن بن عبيد الأزدي، تذكر فيه أنّك لقيت عبداللّه ابن [سعد بن] أبي سرح، مقبلاً من «قديد» في نحو من أربعين فارساً من أبناء الطلقاء، متوجّهين إلى جهة الغرب، وإن ابن أبي سرح، طال ما كاد اللّه ورسوله وكتابه، وصدّ عن سبيله وبغاها عوجاً، فدع ابن أبي سرح، ودع عنك قريشاً وخلّهم وتركاضهم في الضلال وتجوالهم في الشقاق.

ألا وإنّ العرب قد اجتمعت على حرب أخيك اليوم، اجتماعها على حرب النبيّ صلّى اللّه عليه وآله قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقّه، وجحدوا فضله وبادئوه العداوة، ونَصَبوا له الحرب، وجهدوا عليه كلّ الجهد، وجرّوا إليه جيش الأحزاب. اللهم فاجز قريشاً عنّي الجوازي؛ فقد قطعت رحمي، وتظاهرت عليّ، ودفعتني عن حقّي، وسلبتني سلطان ابن أمّي، وسلّمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول، وسابقتي في الإسلام، إلاّ أن يدّعي مدّع ما لا أعرفه، ولا أظنّ اللّه يعرفه، والحمد للّه على كل حال.

وأمّا ما ذكرت من غارة الضحّاك على أهل الحيرة، فهو أقلّ وأذلّ من أن يلّم بها، أو يدنو منها، ولكنّه قد كان أقبل في جريدة خيل، فأخذ على السماوة، حتى مر بواقصة وشراف والقطقطانة، فما والى ذلك الصّقع[1]، فوجّهت إليه جنداً كثيفاً من المسلمين، فلمّا بلغه ذلك فرّ هارباً، فأتبعوه، فلحقوه ببعض الطريق، وقد أمعن، وكان ذلك حين طفلت الشمس للإياب، فتناوش القتال قليلاً كلا ولا، فلم يصبر لوقع المشرفية، وولّى هارباً، وقتل من أصحابه بضعة

---

(١) لعلّ هذا هو الصواب، وفي أصلي: «إلى الصقع».

عشر رجلاً، بعدما أخذ منه بالمخنق، فلأياً بلأيٍ ما نجا.

وأمّا ما سألتني أن أكتب إليك برأيي فيما أنا فيه: فإنّ رأيي جهاد المحلّين حتى ألقىٰ اللّه، لا يزيدني كثرة الناس معي عزّة، ولا تفرّقهم عنّي وحشة؛ لأنّي محق، واللّه مع المحقّ. وواللّه ما أكره الموت على الحقّ، وما الخير كلّه إلّا بعد الموت، لمن كان محقّاً.

وأمّا ما عرضت به مسيرك إليّ ببنيك وبني أبيك، فلا حاجة لي في ذلك، فأقم راشداً محموداً، فواللّه ما أحبّ أن تهلكوا معي إن هلكت، ولا تحسبنّ ابن أمّك ـ وإن أسلمه الناس ـ متخشعاً، ولا متضرّعاً، إنّه لكما قال أخو بني سليم:

فإن تسألينى كيف أنت فإنّني صبور على ريب الزّمان صليب
يعزّ عليّ أن ترى بي كآبة فيشمت عادٍ أو يساء حبيب

٩٠٣ ـ أقول: روى السيّد رضي اللّه عنه في النهج، بعض هذا الكتاب هكذا:

فسرحت إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين، فلمّا بلغه ذلك، شمّر هارباً، ونكص نادماً. فلحقوه ببعض الطريق، وقد طفّلت الشمس للإياب، فاقتتلوا شيئاً كلا ولا، فما كَانَ إلّا كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ، حَتّى نَجا جَرِيضاً، بَعْدَمَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمُخَنّقِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غيرَ الرَّمَقِ، فَلأياً بِلأيٍ ما نَجَا.

فَدَعْ عنكَ قُرَيْشاً وَتَرْكَاضَهُمْ في الضَّلَالِ، وَتَجْوَالهم في الشّقَاقِ، وجماحهم في التّيهِ، فَإنّهُمْ قَدْ أجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي، كَإجْمَاعِهِمْ عَلَىٰ حَرْبِ رَسُولِ اللّه صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَآله قَبْلي. فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنّي الجوازي فَقَدْ قَطعوا رَحمي، وَسَلَبُوني سُلْطَانَ ابْنِ أُمّي.

وَأمّا مَا سَألْت عَنْهُ مِنْ رَأيِي في القِتَالِ، فَإنّ رَأيِي قِتال الـمُحلّين حَتّى

٩٠٣ـ رواه الشريف الرضيّ رحمه اللّه في المختار: (٣٦) من الباب الثاني من نهج البلاغة.

أَلْقَى اللّه، لاَ يَزِيدُني كَثْـرةُ النَّـاسِ حَوْلي عِزَّةً، وَلاَ تَفَـرُّقُهم عَنّي وَحْشَةً، وَلاَ تَحْسَبَنَّ ٱبْنَ أبيك ـ ولو أسلمه الناس ـ مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً، وَلاَ مُقِراً لِلضَّيْمِ وَاهِناً، وَلاَ سَلِسَ الزِّمَامِ لِلقَائِدِ وَلاَ وَطِئَ الظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ الْـمُقْتَعِدِ، وَلٰكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سَلِيم، ثُـمَّ ذَكَرَ البَيْتَيْنِ.

بيــان :

قوله: «فقع بقرقر» لعلّه خبر «إنّ»[١]. وقوله «وما الضحّاك» معترضة.

وقال الجوهري: الفَقْعُ: ضرب من الكماة. وكذلك الفقع بالكسر. ويشبّه به الرّجل الذليل فيقال: هُوَ فَقْعُ قَرْقَرٍ؛ لأنَّ الدّوابّ تنجله بأرجلها. قال النابغة يهجو النعمان بن المنذر.

حدّثـوني بني الـشـقـيقـة ما يمـنـع فقعـاً بقـرقـر أن يزولا

وقال: القرقر: القاع الأملس. والفواق بالفتح والضم: ما بين الحلبتين من الـوقت. والـتركـاض والتجـوال بفتح التاء فيهما: مبالغتان في الركض والجولان. والركض: تحريك الرجل، وركضت الفرس برجلي: حثثته ليعدو ، ثم كثر حتى قيل: ركض الفرس إذا عدا. والواو فيهما يشبه أن يكون بمعنى مع، ويحتمل العاطفة.

واستعـار لفظ الجماح، باعتبار كثرة خلافهم للحقّ، وحركاتهم في تيه الجهل، والخروج عن طريق العدل، من قولهم: جمح الفرس إذا اعتزّ راكبه وغلبه. ويحتمل أن يكون من جمح، بمعنى أسرع كما ذكره الجوهري.

وقـولـه عليه السلام: «فجزت قريشاً عني الجوازي»، الجوازي: جمع جازية، أي: جزت قريشاً عني بما صنعت كلّ خصلة من نكبة، أو شدّة، أو

---

(١) بناءً على ما كان في أصل المصنّف أعلى اللّه مقامه، والظاهر أنه من سهو الكاتب أو الراوي والصواب الموافق لمصادر وثيقة: «فأفّ لحياة...».

مصيبة، أي: جعل اللّه هذه الدّواهي كلّها، جزاء قريش بما صنعت.

وقال ابن أبي الحديد: «سلطان ابن امّي»: يعني به الخلافة، وابن أمّه، هو رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، لأنّهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن عمران بن مخزوم، امّ عبداللّه وأبي طالب، ولم يقل سلطان ابن أبي، لأنّ غير أبي طالب من الأعمام، تشركه في النسبة إلى عبدالمطلب.

وقال الراوندي: يعني نفسه؛ لأنه ابن امّ نفسه، ولا يخفى مافيه.

وقيل: لأنّ فاطمة بنت أسد كانت تربّي رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله حين كفله أبو طالب، فهي كالأمّ له.

ويحتمل أن يكون المراد «سلطان أخي»: مجازاً ومبالغة في تأكّد الأخوّة التي جرت بينه وبين النّبي صلّى اللّه عليه وآله، وإشارة إلى حديث المنزلة، وقوله تعالى حكايةً عن هارون: ﴿يا ابن امّ إنّ القوم استضعفوني﴾ وقد مرّ بعض ما يؤيّد هذا الوجه.

وواقصة: موضع بطريق الكوفة، واسم مواضع أخرى. وشراف كقطام: موضع وماء لبني أسد أو جبل عال. وكغراب: ماء. والقطاقط والقطقط والقطقطانة بضمّها موضع الأصرة بالكوفة، كانت سجن النعمان بن المنذر.

[قوله عليه السلام:] «فما والى ذلك» أي: قاربه. ويقال: أمعن الفرس، أي: تباعد في عَدْوه. وقال الجوهري: تطفيل الشّمس: ميلها للغروب. والطفل بالتحريك: بعد العصر إذا طفلت الشمس للغروب. والإياب: الرجوع، أي: الرجوع إلى ما كانت عليه في اللّيلة التي قبلها. وقال الجوهري: آبت الشمس لغة في غابت. وتفسير الراوندي بالزوال بعيد.

وقال الجوهري: المناوشة: في القتال، وذلك إذا تدانى الفريقان. والتناوش: التناول.

قوله عليه السلام: «شيئاً كلا ولا»: قال ابن أبي الحديد: أي: شيئاً قليلاً كلا شيء. وموضع «كلا ولا». نصب؛ لأنّه صفة «شيئاً»، وهي كلمة يقال لما يستقصر جداً. والمعروف عند أهل اللغة «كلا وذا»، قال ابن هاني المغربي:

وأسرع في العين من لحظة وأقصر في السمع من لا وذا

وفي شعر الكميت:

كلا وكذا [تغميضة ثم هجتُمُ لدى حين أن كانوا إلى النوم أفقرا]

وقد رويت في نهج البلاغة كذلك، إلّا أن في أكثر النسخ «كلا ولا»، ومن الناس من يرويها «كلا ولات»، وهي حرف أُجري مجرى «ليس»، ولا يجيء إلّا مع حين، إلّا أن يحذف في شعر. ومن الرواة من يرويها «كلا ولأي». ولأي. فعل معناه: أبطأ.

وقال ابن ميثم: قوله عليه السلام «كلا ولا»، تشبيه بالقليل السّريع الفناء، وذلك لأنّ «لا ولا» لفظان قصيران قليلان في المسموع، واستشهد بقول ابن هاني.

أقول : ويحتمل أن يكون المعنى شيئاً كلا شيء، وليس بلا شيء، أو يكون العطف للتأكيد. والموقف هنا مصدر.

والمشرفية بالفتح: سيوف نسبت إلى مشارف، وهي قرى من أرض العرب.

وفي النهاية: الجَرَضُ بالتحريك: أن تبلغ الروح الحلق. والإنسان جريض. وفي الصّحاح: الجَرَضُ بالتّحريك: الرّيق يغصّ به، يقال: جرض بريقه: ابتلع ريقه على همّ وحزن بالجهد. والجريض: الغصّة. ومات فلان جريضاً أي مغموماً.

وقال: خنقه وأخنقه وخنّقه، وموضعه من العنق، مُخَنَّق. يقال: بلغ منه المخنّق، وأخذت بمخنّقه وخناقه أي: حلقه.

خناقهم

وقال ابن ميثم: «لأياً» مصدر، والعامل محذوف. وما مصدرية في موضع الفاعل، والتقدير: فلأى لأياً نجاؤه، أي: عسر وأبطأ. وقوله: «بلأي» أي: مقروناً بلأي، أي: شدّة بعد شدّة.

وقال الكيدري: «ما» زايدة. وتقدير الكلام فنجا لأياً، أي: صاحب لأي، أي: في حال كونه صاحب جهد ومشقّة متلبّسة بمثلها، أي: نجا في حال تضاعف الشدائد.

وقال الراوندي: نصب «لأياً» على الظرف. وتفيد ما الزائدة في الكلام إبهاماً، أي: بعد شدّة وإبطاء ونجا.

قوله عليه السلام: «قتال المحلّين» أي: البغاة. قال الجوهري : أحلّ، أي: خرج إلى الحلّ، أو من ميثاق كان عليه، ومنه قول زهير:

[جَعَلْنَا القنان عن يَمين وَحَزْنَهُ] وكم بالقنان من محلّ ومحرم

وقال: أسلمه، أي: خذله.

قوله عليه السلام: «ولا مقرّاً للضّيم» أي: راضياً بالظلم، صابراً عليه. والسلس: السهل، اللين المنقاد. «ولا وطئ الظهر» أي: متهيّاً للركوب. ومقتعد البعير: راكبه. والصّليب: الشديد.

٩٠٤ـ **أقول** : روى ابن أبي الحديد من كتاب الغارات لابراهيم بن محمّد الثقفي، كما رأيته في أصل كتابه، روى بإسناده عن جندب الأزدي، عن أبيه قال: أوّل غارة كانت بالعراق، ' ة الضّحّاك بن قيس، بعد الحكمين، وقبل قتال النهروان؛ وذلك أنّ معاوية لـمّا بلغه أنّ عليّاً عليه السلام بعد واقعة

٩٠٤ـ رواه إبراهيم الثقفي رحمه‌الله في الحديث: (١٥٢) وما بعده من كتاب الغارات: ج١، ص ٤١٦ وما يليها من ط١.

ورواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه على المختار: (٢٩) من نهج البلاغة: ج١، ص ٣٥٤، الطبعة الحديثة ببيروت.

الحكمين، تحمّل إليه مقبلاً هاله ذلك، فخرج من دمشق معسكراً، وبعث إلى كور الشام، فصاح بها [فيها «خ ل»]: انّ عليّاً قد سار إليكم. وكتب إليهم نسخة واحدة، فقرئت على الناس؛ أمّا بعد، فإنّا كنّا كتبنا بيننا وبين عليّ كتاباً، وشرطنا فيه شروطاً، وحكمنا رجلين يحكمان علينا وعليه بحكم الكتاب، لا يعدوانه، وجعلنا عهد الله وميثاقه على من نكث العهد، ولم يمض الحكم، وإنّ حكمي الذي كنت حكّمته أثبتني، وإنّ حكمه خلعه، وقد أقبل إليكم ظالماً، «ومن نكث فإنّما ينكث على نفسه» تجهّزوا للحرب، بأحسن الجهاز، وأعدّوا آلة القتال، وأقبلوا خفافاً وثقالاً وكسالاً ونشاطاً، يسّرنا الله وإيّاكم لصالح الأعمال.

فاجتمع إليه ناس من كلّ كورة، وأرادوا المسير إلى صفّين، فاستشارهم فاختلفوا في ذلك، فمكثوا يجيلون الرأي يومين أو ثلاثة، حتى قدمت عليهم عيونهم، أنّ عليّاً عليه السلام اختلف عليه أصحابه، ففارقته منه فرقة أنكرت أمر الحكومة، وأنّه قد رجع عنكم إليهم، فكبّر الناس سروراً لانصرافه عنهم، وما ألقي من الخلاف بينهم.

فلم يزل معاوية معسكراً في مكانه، حتّى جاء الخبر أنّ علياً عليه السلام، قد قتل أولئك الخوارج، وأنّه أراد بعد قتلهم أن يقبل إليه بالناس، وأنّهم استنظروه ودافعوه، فسرّ بذلك هو ومن قبله من الناس.

وعن عبدالرحمن بن مسعدة قال: جاءنا كتاب عمارة بن عقبة بن أبي معيط من الكوفة، ونحن معسكرون مع معاوية نتخوّف أن يفرغ عليّ من خارجته، ثم يقبل إلينا، وكان في كتابه: أمّا بعد فإنّ عليّاً خرج عليه علية أصحابه ونسّاكهم، فخرج إليهم فقتلهم، وقد فسد عليه جنده وأهل مصره، ووقعت بينهم العداوة وتفرّقوا أشدّ الفرقة، فأحببت إعلامك. والسّلام.

قال فقرأه [معاوية] على أخيه وعلى أبي الأعور، ثم نظر إلى أخيه الوليد بن عقبة. وقال: لقد رضي أخوك أن يكون لنا عيناً. قال: فضحك الوليد وقال:

إنّ في ذلك أيضاً لنفعاً.

فعند ذلك دعا معاوية الضحّاك بن قيس الفهري، وقال له: سر حتى تمرّ بناحية الكوفة، وترتفع عنها ما آستطعت، فمن وجدته من الأعراب في طاعة عليّ، فأغر عليه، وإن وجدت له مسلحة أو خيلاً فاغر عليها، وإذا أصبحت في بلدة، فأمس في أخرى، ولا تقيمنّ لخيل بلغك عنها أنّها قد سرّحت إليك لتلقاها فتقاتلها. فسرحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف.

فأقبل الضّحاك لنهب الأموال، وقتل من لقي من الأعراب، حتّى مرّ بالثعلبيّة فأغار على الحاجّ، فأخذ أمتعتهم، ثم أقبل فلقي عمرو بن عُمَيس بن مسعود الذهلي ـ وهو آبن أخي عبدالله بن مسعود ـ فقتله في طريق الحاجّ، عند القطقطانة، وقتل معه ناساً من أصحابه.

فصعد أمير المؤمنين عليه السلام المنبر وقال:

يا أهل الكوفة! اخرجوا إلى [العبد] الصالح عمرو بن عُمَيْس وإلى جيوش لكم قد أصيب منهم طرف، أخرجوا فقاتلوا عدوّكم، وامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين.

فردّوا عليه ردّاً ضعيفاً ورأى منهم عجزاً وفشلاً فقال:

والله لوددت أنّ لي بكل مائة منكم رجلاًمنهم، ويحكم آخرجوا معي، ثم فرّوا عنّي ما بدا لكم، فوالله ما أكره لقاء ربّي على نيّتي وبصيرتي، وفي ذلك روح لي عظيم، وفرج من مناجاتكم ومعاناتكم ومقاساتكم ومداراتكم، مثل ما تدارى البكار العمدة، والثياب المتهترّة، كلّما خيطت من جانب، تهتّكت على صاحبها من جانب أخر.

ثم نزل، فخرج يمشي حتّى بلغ الغريّين، ثم دعا حجر بن عدي الكندي فعقد له رايةً على أربعة آلاف، فخرج حجر حتى مرّ بالسماوة وهي

أرض كلب، فلقي بها امرأ القيس بن عدي بن أوس الكلبي، وهم أصهار الحسين بن عليّ عليه السلام، فكانوا أدلّاءه في الطريق، وعلى المياه، فلم يزل مغذّاً في اثر الضحّاك، حتّى لقيه بناحية تدمر فواقعه؛ فاقتتلوا ساعة، فقتل من أصحاب الضحّاك تسعة عشر رجلاً، وقتل من أصحاب حجر رجلان، وحجز الليل بينهم، فمضى الضحّاك، فلما أصبحوا لم يجدوا له ولأصحابه أثراً، فكتب عقيل هذا الكتاب إليه عليه السلام في إثر هذه الواقعة.

٩٠٥ ـ وقال ابن أبي الحديد أيضاً: ذكر صاحب كتاب الغارات، أن النعمان بن بشير قدم هو وأبو هريرة على عليّ عليه السلام من عند معاوية، بعد أبي مسلم الخولاني، يسألانه أن يدفع قتلة عثمان إلى معاوية، ليقيدهم بعثمان. وإنما أراد أن يشهدا له عليه أهل الشام بذلك، وأن يظهرا عذره، فلمّا أتياه عليه السلام، وأدّيا الرسالة، قال عليه السلام للنعمان: حدّثني عنك أأنت أهدى من قومك سبيلاً؟ يعني الانصار. قال: لا. قال: فكلّ قومك قد اتّبعني، إلّا شذاذ منهم ثلاثة أو أربعة، فتكون أنت من الشّذّاذ؟ فقال النعمان: أصلحك الله، إنّما جئت لأكون معك، وقد طمعت أن يجري الله تعالى بينكما صلحاً، فإذا كان غير ذلك رأيك، فإنّي ملازمك.

فأقام النعمان، ولحق أبو هريرة بالشام. وفر النعمان بعد أشهر منه عليه السلام إلى الشام، فأخذه في الطريق مالك بن كعب الأرحبي، وكان عامل عليّ عليه السلام بعين التمر، فتضرّع واستشفع [له قرظة عند مالك بن كعب] حتى خلّى سبيله، وقدم على معاوية وخبّر بما لقي ولم يزل معه.

فلمّا غزى الضحّاك بن قيس أرض العراق، بعث معاوية النعمان مع

٩٠٥ـ رواه إبراهيم الثقفي رحمه الله في الحديث: (١٦٣) من كتاب الغارات ص ٤٤٥ ط١.
ورواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه على المختار: (٣٩) من كتاب نهج البلاغة: ج١، ص ٤٨٤، ط الحديثة ببيروت، وفي ط الحديثة بمصر: ج٢، ص ٣٠٣.

ألفي رجل وأوصاه أن يتجنّب المدن والجماعات، وأن لايغير على مسلحة، وأن يعجلّ الرجوع، فأقبل النعمان حتّى دنا من عين التّمر وبها مالك، ومع مالك ألف رجل، وقد أذن لهم فرجعوا إلى الكوفة فلم يبق معه إلاّ مائة أو نحوها، فكتب مالك إلى عليّ عليه السلام، فصعد عليه السلام المنبر، فحمد اللّه وأثنى عليه ثم قال: يا أهل الكوفة! المنسر من مناسر أهل الشام، إذا أظلّ عليكم انجحرتم في بيوتكم وأغلقتم أبوابكم، انجاز الضّبّة في جُحْرِها، والضبع في وجارها، الذليل واللّه من نصرتموه، ومن رمى بكم رمى بأفوق ناصل، أفّ لكم، لقد لقيت منكم ترحاً!! ويحكم يوماً أناجيكم، ويوماً أناديكم، فلا أحرار عند النداء[1]، ولا إخوان صدق عند اللقاء، أنا واللّه منيت بكم، صمّ لا تسمعون، بكم لا تعقلون، عمي لا تبصرون!! فالحمد للّه رب العالمين، ويحكم أخرجوا هداكم اللّه إلى مالك بن كعب أخيكم، فإنّ النّعمان بن بَشِيْر قد نزل به في جمع من أهل الشام ليس بالكثير، فانهضوا إلى إخوانكم لعلّ اللّه يقطع بكم من الكافرين طَرَفاً.

ثم نزل.

فلم يخرجوا، فأرسل إلى وجوههم وكبرائهم، فأمرهم أن ينهضوا ويحثّوا الناس على المسير، فلم يصنعوا شيئاً. واجتمع منهم نفر يسير نحو ثلاثمائة أو دونها فقام عليه السلام فقال:

إلا إنّي منيت بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت، لا أباً لكم، ما تنتظرون بنصركم ربكم؟ أما دين يجمعكم؟ ولا حميّة تحمشكم؟ أقوم فيكم مستصرخاً، وأناديكم متغوّثاً، فلا تسمعون لي قولاً، ولا تطيعون لي أمراً، حتى تكشف الأمور عن عواقب المساءة، فما يدرك بكم ثار، ولا يبلغ بكم مرام!!

---

(١) هذا هو الصواب الموافق لغير واحد من المصادر، وفي ط الكمباني من البحار: «فلا أجاب عند النداء...».

دعوتكم إلى نصر إخوانكم فجرجرتم جرجرة الجمل الأسر، وتثاقلتم تثاقل النضو الأدبر، ثم خرج إليّ منكم جنيد متذائب كأنّما يساقون إلى الموت وهم ينظرون.

ثم نزل فدخل منزله.

فقام عدي بن حاتم فقال: هذا واللّه الخذلان، ما على هذا بايعنا أمير المؤمنين عليه السلام. [ثم دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين] إنّ معي من طي ألف رجل لا يعصوني، فإن شئت أن أسير بهم سرت. قال: ما كنت لأعرّض قبيلة واحدة من قبائل العرب للناس، ولكن اُخرج إلى النخيلة وعسكر بهم. فخرج [عدي] فعسكر وفرض عليّ عليه السلام لكلّ رجل منهم سبعمائة. فاجتمع إليه ألف فارس ، عدا طيّا أصحاب عدي. وورد عليه عليه السلام الخبر بهزيمة النعمان ونصرة مالك.

وروى عبداللّه بن جوزة الأزدي قال: كنت مع مالك بن كعب حين نزل بنا النعمان، وهو في ألفين وما نحن إلّا مائة؛ فقال لنا: قاتلوهم في القرية واجعلوا الجدر في ظهوركم، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، واعلموا أنّ اللّه تعالى ينصر العشرة على المائة، والمائة على الألف، والقليل على الكثير. ثم قال: إنّ أقرب من هاهنا إلينا من شيعة أميرالمؤمنين قرظة بن كعب، ومخنف بن سليم، فاركض إليهما فأعلمهما حالنا،وقل لهما فلينصرانا.

فمررت بقرظة فاستصرخته، فقال: إنّما أنا صاحب خراج، وليس عندي من أغيثه به!! فمضيت إلى مخنف، فسرّح معي عبد الرحمن بن مخنف في خمسين رجلًا، وقاتل مالك وأصحابه، النعمان وأصحابه إلى العصر، فأتيناه وقد كسر هو وأصحابه جفون سيوفهم، واستقبلوا الموت. فلو أبطأنا منهم هلكوا، فما هو إلّا أن رآنا أهل الشام وقد أقبلنا عليهم، أخذوا ينكصون عنهم ويرتفعون، ورآنا مالك وأصحابه، فشدّوا عليهم حتى دفعوهم عن القرية، فاستعرضناهم فصرعنا

منهم رجالاً ثلاثة، فظنّ القوم أنّ لنا مدداً، وحال الليل بيننا وبينهم، فانصرفوا إلى أرضهم.

وكتب مالك إلى عليّ عليه السلام: أمّا بعد، فإنّه نزل بنا النعمان بن بشير في جمع من أهل الشام كالظاهر علينا، وكان عظم أصحابي متفرّقين، وكنّا للذي كان منهم آمنين، فخرجنا إليهم رجالاً مصلتين، فقاتلناهم حتى المساء، واستصرخنا مخنف بن سليم، فبعث إلينا رجالاً من شيعة أمير المؤمنين وولده، فنعم الفتى، ونعم الأنصار كانوا، فحملنا على عدوّنا وشددنا عليهم، فأنزل الله علينا نَصْرَه، وهزم عدوّه، وأعزّ جنده، والحمد للّه رب العالمين، والسلام على أمير المؤمنين، ورحمة الله وبركاته.

وعن أبي الطُّفَيل قال، قال: عليّ عليه السلام: ياأهل الكوفة دخلت إليكم وليس لي سوط إلّا الدرة، فرفعتموني إلى السوط، ثم رفعتموني إلى الحجارة، أو قال: الحديد، ألبسكم الله شيعاً، وأذاق بعضكم بأس بعض، فمن فاز بكم فقد فاز بالقدح الأخيب.

وعن أبي صالح الحنفي قال: رأيت عليّاً عليه السلام يخطب، وقد وضع المصحف على رأسه، حتّى رأيت الورق يتقعقع على رأسه قال، فقال: اللّهم قد منعوني ما فيه، فأعطني ما فيه، اللّهم قد أبغضتهم وأبغضوني، ومللتهم وملّوني وحملوني على غير خلقي وطبيعتي وأخلاق لم تكن تعرف لي.
اللّهم فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شرّاً منّي. اللّهمّ أمث قلوبهم ميث الملح في الماء.

وعن سعد بن إبراهيم عن ابن أبي رافع قال: رأيت عليّاً عليه السلام قد ازدحموا عليه حتّى أدموا رجله، فقال: اللّهم قد كرهتهم وكرهوني، فأرحني منهم، وأرحهم مني.

وروى محمّد بن فرات الجرمي، عن زيد بن عليّ عليه السلام قال:

قال علي عليه السلام في هذه الخطبة:

أيّها النّاس! إنّي دعوتكم إلى الحق فتولّيتم عنّي وضربتكم بالدرّة فأعييتموني. أما إنّه سيليكم بعدي ولاة لايرضون منكم بذلك حتى يعذّبونكم بالسياط والحديد، فأمّا أنا فلا أعذبكم بها، إنّه من عذّب الناس في الدّنيا عذّبه اللّه في الآخرة، وآية ذلك أن يأتيكم صاحب اليمن حتى يحلّ بين أظهركم، فيأخذ العمّال وعمّال العمّال رجل يقال له: يوسف بن عمر، ويقوم عند ذلك رجل منّا أهل البيت فانصروه، فانه داع إلى الحق.

قال: فكان الناس يتحدّثون أنّ ذلك الرجل هو زيد [عليه السلام][1].

بيـــان :

أحمشته: أي أغضبته. والمستصرخ: المستنصر. والمتغوّث: القائل: واغوثاه. والثار: الدّم والطلب به، وقاتل حميمك. ذكره الفيروزآبادي.

والجرجرة: صوت يردّده البعير في حنجرته، وأكثر ما يكون ذلك عند الإعياء والتّعب. والسَرَرْ: داء يأخذ البعير في سرّته، يقال منه: جمل أسرّ. والنضو: البعير المهزول. والأدبر: الذي به دبر وهي القروح في ظهره. والجنيد: تصغير الجند.

وقال السّيّد الرضيّ رضي اللّه عنه: «متذائب»:أي مضطرب، من قولهم: تذاءبت الريح أي: اضطرب هبوبها، ومنه سمّي الذئب لاضطراب مشيه.

أقـول : أورد السّيّد في النهج قوله عليه السلام: «ألا إني منيت ـ إلى قوله ـ وهم ينظرون»[2].

---

(١) رواه الثقفي رحمه اللّه في الحديث (١٦٥) من كتاب الغارات ص ٤٥٨، ورواه عنه ابن أبي الحديد في آخر المختار: (٣٩) من نهج البلاغة.

(٢) رواه السّيّد الرضي رحمه اللّه في المختار: (٣٩) من نهج البلاغة وأوّله: «مُنيت بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت...».

٩٠٦ ـ وقال ٱبن أبي الحديد نقلاً من كتاب الغارات، لإبراهيم بن محمد الثقفي ـ ووجدته في أصل كتابه أيضاً ـ روى بإسناده عن عمرو بن محصن: أنّ معاوية لّما أصاب محمّد بن أبي بكر بمصر، بعث عبد اللّه بن عامر الحضرمي إلى أهل البصرة ليدعوهم إلى نفسه، وإلى الطلب بدم عثمان، فلمّا أتاهم وقرأ عليهم كتاب معاوية ٱختلفوا، فبعضهم ردّوا، وأكثرهم قبلوا وأطاعوا. وكان الأمير يومئذٍ بالبصرة، زياد بن عبيد، قد ٱستخلفه عبداللّه بن العباس، وذهب إلى عليّ عليه السلام يعزّيه عن محمد بن أبي بكر، فلمّا رأى زياد إقبال الناس على ٱبن الحضرمي، ٱستجار من الأزد ونزل فيهم، وكتب إلى ٱبن عباس وأخبره بما جرى؛ فرفع ٱبن عباس ذلك إلى عليّ عليه السلام، وشاع في الناس بالكوفة ما كان من ذلك، واختلف أصحابه عليه السلام فيمن يبعثه إليهم حميّة فقال عليه السلام:

تناهوا أيّها الناس، وليردعكم الإسلام ووقاره عن التباغي والتهاوي، ولتجتمع كلمتكم، وألزموا دين اللّه الذي لا يقبل من أحد غيره، وكلمة الاخلاص التي هي قوام الدين، وحجّة اللّه على الكافرين، وٱذكروا إذ كنتم قليلاً مشركين متباغضين متفرقين فألّف بينكم بالإسلام، فكثرتم واجتمعتم وتحاببتم، فلا تتفرقوا بعد إذ ٱجتمعتم، ولا تباغضوا بعد إذ تحاببتم، وإذا رأيتم الناس وبينهم النايرة وقد تداعوا إلى العشائر والقبائل فاقصدوا لهامهم ووجوههم بسيوفكم، حتّى يفزعوا إلى اللّه وكتابه وسنّة نبيّه، فأمّا تلك الحمية فإنها من خطوات الشياطين فانتهوا عنها لا أباً لكم تفلحوا وتنجحوا.

٩٠٦ـ القصّة رواها الثقفي رحمه اللّه في الحديث: (١٤٤) وتواليه من كتاب الغارات: ج٢، ص ٣٧٣.

ورواها عنه ابن أبي الحديد في شرحه على المختار: (٥٥) من نهج البلاغة: ج١، ص ٧٦٢ ط الحديث ببيروت، وفي ط مصر: ج٤، ص ٤٥.

وما رواه المصنّف عنها هاهنا هو تلخيص ما فيها وليس نصّ القصّة.

ثم قال آبن أبي الحديد: وروى الواقدي أنّ عليّاً عليه السلام آستنفر بني تميم أيّاماً، لينهض منهم إلى البصرة من يكفيه أمر آبن الحضرمي، ويردّ عادية بني تميم الذين أجاروه بها، فلم يجبه أحد فخطبهم وقال:

ليس من العجب أن ينصرني الأزد ويخذلني مضر. وأعجب من ذلك تقاعد تميم الكوفة بي، وخلاف تميم البصرة عليّ، وأن استنجد بطائفة منهم ما يشخص إليّ أحد منها فيدعوهم إلى الرشاد، فإن أجابت وإلاّ فالمنابذة والحرب. فكأنّي أخاطب صمّاً بكماً لا يفقهون حواراً، ولا يجيبون نداءاً، كلّ ذلك جُبناً عن البأس وحبّاً للحياة.

[و] لقد كنّا[1] مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم، نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليمًا، ومضياً على اللقم، وصبراً على مضض الألم، وجدّاً في جهاد العدوّ.

وَلَقَـدْ كان الرجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيّهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرّةً لنا من عدوّنا ومرّةً لعدّونا منّا. فلمّا رأى اللّه صدقنا، أنزل بعدوّنا الكبت، وأنزل علينا النصر، حتى آستقر الإسلام ملقياً جرانه، ومتبوئاً أوطانه. ولعمري لو كنّا نأتي ما أتيتم، ما قام للدين عمود، ولا اخضّر للايمان عود. وأيم اللّه لتحتلبّنها دماً، ولتتبعنّها ندماً.

قال: فقام إليه أعين بن ضبيعة المجاشعي، فقال: أنا إن شاء اللّه أكفيك يا أمير المؤمنين هذا الخطب، فأتكفّل لك بقتل ابن الحضرميّ، أو إخراجه عن البصرة.

فأمره بالتهيّؤ للشخوص، فشخص حتى قدم البصرة.

رجعنا إلى رواية الثقفي، قال إبراهيم: فلمّا قدمها دخل على زياد وهو

---

(١) من قوله عليه السلام: «ولقد كنّا ـ إلى قوله ـ ولتتبعنّها ندماً» رواه السّيد الرضيّ رحمه اللّه في المختار: (٥٥) من كتاب نهج البلاغة.

بالأهـواز مقيم، فرحّب به وأجلسه إلى جانبه، فأخبره بما قال له عليّ عليه السلام، وإنّه ليكلّمه إذ جاءه كتاب من عليّ فيه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

من عبداللّه أمير المؤمنين، عليّ إلى زياد بن عبيد: سلام عليك، أما بعد، فإنّي قد بعثت أعين بن ضبيعة ليفرّق قومه عن آبن الحضرميّ، فارقب ما يكون منه، فإن فعل وبلغ من ذلك ما يظنّ به، وكان في ذلك تفريق تلك الأوباش، فهو ما نحبّ، وإن ترامت الأمور بالقوم إلى الشقاق والعصيان، فانهد بمن أطاعك إلى من عصاك فجاهدهم، فإن ظفرت فهو ما ظننت، وإلّا فطاولهم وماطلهم، فكأنّ كتائب المسلمين قد أظلّت عليك، فقتل اللّه الظالمين المفسدين، ونصر المؤمنين المحقّين والسلام[١].

فلما قرأه زياد، أقرأه أعين بن ضبيعة فقال له: إنّي لأرجو أن تكفي هذا الأمر إن شاء اللّه.

ثم خرج من عنده فأتى رحله، فجمع إليه رجالاً من قومه، فحمد اللّه وأثنى عليه ثم قال: يا قوم على ماذا تقتلون أنفسكم، وتهريقون دماءكم على الباطل مع السّفهاء والأشرار؟ وإنّي واللّه ما جئتكم حتّى عبّأت إليكم الجنود، فإن تنيبوا إلى الحقّ نقبل منكم، ونكفّ عنكم، وإن أبيتم فهو واللّه آستيصالكم وبواركم.

فقالوا: بل نسمع ونطيع فقال: انهضوا اليوم على بركة اللّه، فنهض بهم على جماعة آبن الحضرمي، فخرجوا إليه فصافّوه، وواقفهم عامّة يومه يناشدهم اللّه ويقـول: يا قوم لاتنكثـوا بيعتكم، ولا تخالفـوا إمامكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً، فقـد رأيتم وجرّبتم كيف صنع اللّه بكم عند نكثكم بيعتكم وخلافكم. فكفّوا عنه، وهم في ذلك يشتمونه.

---

(١) قريباً منه رواه السيّد الرضيّ رفع اللّه مقامه في المختار: (٤) من الباب الثاني من نهج البلاغة.

فانصرف عنهم وهو منهم منتصف فلمّا آوى إلى رحله، تبعه عشرة نفر يظنّ الناس أنّهم خوارج،فَضَربوه بأسيافهم وهو على فراشه، لا يظنّ أن الذي كان يكون، فخرج يشتدّ عرياناً فلحقوه في الطريق فقتلوه.

فكتب زياد إلى عليّ عليه السلام ما وقع. وكتب: إنّي أرى أن تبعث إليهم جارية بن قدامة، فإنّه نافذ البصيرة، ومطاع العشيرة، شديد على عدوّ أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا قرأ عليه السلام الكتاب، دعا جارية فقال: يا ٱبن قدامة تمنع الأزد عن عاملي وبيت مالي وتشاقّني مضر وتنابذني، وبنا ٱبتدأها ٱللّه بالكرامة، وعرّفها الهدى، وتدعو إلى المعشر الذين حادّوا اللّه ورسوله وأرادوا إطفاء نور اللّه سبحانه حتى علت كلمته عليهم وأهلك الكافرين.

فروى إبراهيم بإسناده عن كعب بن قعين قال: خرجت مع جارية من الكوفة في خمسين رجلاً من بني تميم، وما كان فيهم يماني غيري، وكنت شديد التشيع، فقلت لجارية: إن شئت كنت معك، وإن شئت ملت إلى قومي. فقال: بل سر معي، فواللّه لوددت أنّ الطير والبهائم تنصرني عليهم فضلاً عن الإنس.

فلمّا دخلنا البصرة، بدء بزياد فرحّب به وأجلسه إلى جانبه، وناجاه ساعة وساءله ثم خرج فقام في الأزد فقال: جزاكم اللّه من حيّ خيراً، ثم قرأ عليهم وعلى غيرهم كتاب أمير المؤمنين فإذا فيه:

من عبداللّه أمير المؤمنين، إلى من قرئ عليه كتابي هذا من ساكني البصرة من المؤمنين والمسلمين: سلام عليكم، أمّا بعد، فإنّ اللّه حليم ذو أناة لا يعجل بالعقوبة قبل البيّنة، ولا يأخذ المذنب عند أوّل وهلة، ولكنّه يقبل التوبة، ويستديم الأناة، ويرضى بالإنابة، ليكون أعظم للحجّة، وأبلغ في المعذرة.

وقد كان من شقاق جلّكم أيّهاالناس، ما استحققتم أن تعاقبوا عليه، فعفوت عن مجرمكم، ورفعت السّيف عن مدبركم وقبلت من مقبلكم، وأخذت

بيعتكم، فإن تفوا ببيعتي وتقبلوا نصيحتي وتستقيموا على طاعتي، أعمل فيكم بالكتاب وقصد الحقّ، وأقيم فيكم سبيل الهدى؛ فواللّه ما أعلَم أنّ والياً بعد محمد صلّى اللّه عليه وآله أعلم بذلك مني، ولا أَعْمَلَ. أقول قولي هذا صادقاً غير ذامّ لمن مضى، ولا منتقصاً لأعمالهم.

وإن خطت بكم الأهواء المردية، وسفه الرأي الجائر إلى منابذتي تُريدون خلافي، فها أنا ذا قَرَّبْتُ جيادي، ورحلت ركابي. وأيم اللّه لئن ألجأتموني إلى المسير إليكم، لأوقعنّ بكم وقعة لا يكون يوم الجمل عندها إلّا كلعقة لاعق، وإنّي لظانّ إن شاء اللّه أن لا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً.

وقد قدّمت هذا الكتاب حجّة عليكم، وليس أكتب إليكم من بعده كتاباً إن أنتم ٱسْتَغْشَشْتُم نصيحتي، ونابذتم رسولي، حتى أكون أنا الشاخص نحوكم إن شاء اللّه والسّلام.

فلما قرئ الكتاب على الناس، قام صبرة بن شيمان فقال: سمعنا وأطعنا ونحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب، ولمن سالم سلم. إن كفيت يا جارية قومك بقومك فذاك، وإن أحببت أن ننصرك نصرناك.

وقام وجوه الناس فتكلموا بمثل ذلك، فلم يأذن [جارية] لأحد أن يسير معه ومضى نحو بني تميم وكلّمهم فلم يجيبوه، وخرج منهم أوباش فناوشوه بعد أن شتموه، فأرسل إلى زياد والأزد يستصرخهم [و] يأمرهم أن يسيروا إليه فسارت الأزد بزياد.

وخرج إليهم ٱبن الحضرمي فاقتتلوا ساعة، وٱقتتل شريك بن الأعور الحارثي، وكان من شيعة علّي عليه السلام وصديقاً لجارية [فقال له: ألا أقاتل معك عدوّك؟ فقال: بلى. فقاتلهم.] فما لبث بنو تميم أن هزموهم وَاضْطَرُّوهُمْ إلى دار سنبل السعدي، فحصروا ٱبن الحضرمي فيها، وأحاط جارية وزياد بالدار وقال جارية: عليّ بالنّار. فقالت الأزد: لسنا من الحريق في شيء، وهم قومك

وأنت أعلم. فحرّق جارية الدار عليهم، فهلك آبن الحضرمي في سبعين رجلاً أحدهم عبدالرحمن بن عثمان القرشي. وسارت الأزد بزياد حتى أوطأوا قصر الامارة ومعه بيت المال، وقالت له: هل بقي علينا من جوارك شيء. قال: لا. فانصرفوا عنه.

وكتب زياد إلى أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا بعد، فإنّ جارية بن قدامة العبد الصالح قدم من عندك فناهض جمع آبن الحضرمي بمن نصره، وأعانه من الأزد ففضّه واضطرّه إلى دار من دور البصرة في عدد كثير من أصحابه فلم يخرج حتى حكم الله بينهما، فقتل آبن الحضرمي واصحابه، منهم من أحرق، ومنهم من ألقي عليه جدار، ومنهم من هدم عليه البيت من أعلاه، ومنهم من قتل بالسيف، وسلم منهم نفر ثابوا وتابوا فصفح عنهم وبعداً لمن عصى وغوى، والسّلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فلمّا وصل الكتاب قرأه عليه السلام على الناس فسرّ بذلك وسرّ أصحابه وأثنى على جارية وعلى الأزد وذمّ البصرة فقال: إنها أوّل القرى خراباً، إما غرقاً وإمّا حرقاً، حتى يبقى مسجدها كجؤجؤة سفينة[1].

٩٠٧ ـ نهـج: ومن كلام له عليه السلام لمّا هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية، وكان قد آبتاع سَبْيَ بني ناجية من عامل أمير المؤمنين وأعتقهم فلمّا طالبه بالمال خاس به وهرب إلى الشام: قبّح الله مصقلة، فعل فعل السادة وفرّ فرار العبيد، فما أنطق مادحه حتى أسكته، ولا صدّق واصفه حتى

---

(١) وهذا الذيل قد تقدّم عن مصادر أخر.

والحديث رواه الثقفي رحمه الله تحت الرقم: (١٤٩) وما بعده من كتاب الغارات ج١، ص ٤٠٢ـ٤١٠ ط١.

٩٠٧ـ رواه السّيّد الرضيّ رفع الله مقامه في المختار: (٤٤) من كتاب نهج البلاغة.

وللكلام مصادر أخر يجد الباحث بعضها في ذيل المختار: (٢٩٩) من كتاب نهج السعادة: ج٢ ص ٤٨٧ ط١.

بكته، ولو أقام لأخذنا ميسوره وانتظرنا له وفوره.

بيــــان:

أقول قد مضى هذا الكلام ومضت قصته في أبواب أحوال الخوارج. وقال الشرّاح: بنو ناجية ينسبون أنفسهم إلى قريش، وقريش تدفعهم عنه وينسبونهم إلى ناجية، وهي أمّهم، وقد عدّوا من المبغضين لعليّ عليه السلام.

واختلف[١] الرواية في سببهم، ففي بعضها أنّه لمّا انقضى أمر الجمل دخل أهل البصرة في الطاعة غَيْرَ بني ناجية، فبعث إليهم عليّ عليه السلام رجلاً من الصحابة في خيل ليقاتلهم، فأتاهم وقال لهم: ما لكم عسكرتم وقد دخل في الطاعة غيركم؟ فافترقوا ثلاث فرق:

فرقة قالوا: كنّا نصارى فأسلمنا ونبايع، فأمرهم فاعتزلوا.

وفرقة قالوا: كنّا نصارى فلم نسلم وخرجنا مع القوم الذين كانوا خرجوا، قهرونا فأخرجونا كرهاً فخرجنا معهم فهزموا، فنحن ندخل فيما دخل الناس فيه، ونعطيكم الجزية كما أعطيناهم. فقال: اعتزلوا، فاعتزلوا.

وفرقة قالوا: كنّا نصارى فأسلمنا ولم يعجبنا الإسلام فرجعنا فنعطيكم الجزية كالنصارى. فقال لهم: توبوا وارجعوا إلى الإسلام. فأبوا، فقاتل مقاتلهم وسبى ذراريهم، فقدم بهم على أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي بعضها: أن الأمير من قبل عليّ عليه السلام كان معقل بن قيس، ولمّا انقضى أمر الحرب لم يقتل من المرتدّين من بني ناجية إلّا رجلاً واحداً ورجع الباقون إلى الإسلام، واسترقّ من النصارى منهم الذين ساعدوا في الحرب وشهروا السيف على جيش الإمام، ثم أقبل بالأسارى حتّى مر على مصقلة بن هبيرة الشيباني، وهو عامل لعليّ عليه السلام على أردشير خرّة، وهم خمسمائة

(١) هكذا في الأصل، والصحيح: واختلفت.

إنسـان، فبكت إليه النسـاء والصبيان، وتصايح الرجال وسألوا أن يشتريهم ويعتقهم، فابتـاعهم بخمسمائة ألف درهم. فأرسل إليه أمير المؤمنين أبا حرّة الحنفي ليأخذ منه المال، فأدّى إليه مائتي ألف درهم وعجز عن الباقي فهرب إلى معاوية. فقيل له عليه السلام: أردد الأسارى في الرقّ. فقال: ليس ذلك في القضاء بحقّ، قد عتقوا إذ أعتقهم الذي آشتراهم، وصار ما لي ديناً عليه.

أقـول : فعلى الرواية الأولى كانوا من المرتدّين عن الإسلام ولا يجوز سبي ذراريهم عندنا وعند الجمهور أيضاً، إلاّ أنّ أبا حنيفة قال بجواز آسترقاق المرأة المرتدّة إذا لحقت بدار الحرب.

وأيضـاً ما فيها من أنّه قدم بالأسارى إلى عليّ عليه السلام، يخالف المشهور من آشتراء مصقلة عن عرض الطريق وقد قال بعض الأصحاب: بجواز سبي البغاة، إلاّ أنّ الظاهر أنّه مع إظهار الكفر والارتداد لا يبقى حكم البغي. والصحيح ما في الرواية الثانية من أنّ الأسارى كانت من النصارى.

[قوله:] «وخاس به»: أي: غدر وخاف. وخاس بالوعد: أي: أخلف. «وقبّحـه اللّه»: أي: نحّاه عن الخير. والسادة: جمع السيّد ويطلق على الرّب والمالك والشريف والفاضل والكريم والحليم ومتحمّل الأذى من قومه والرئيس والمقدم. قوله عليه السلام: «حتى أسكته» قيل: كلمة «حتى» تحتمل أن تكون بمعنى اللاّم، أي: أنّه لم ينطق مادحه ليقصد إسكاته بهربه، فإنّ إسكاته لو قصد لا يتصوّر إلاّ بعد إنطاقه، وهـو لـم يتمم فعله الذي يطلب به إنطاق مادحه، فكيف يقصد إسكاتـه بهربـه؟ ويحتمـل أن يكـون المـراد أنّـه لسـرعـة إتبـاعه الفضيلة بالرذيلة، كأنّه جمع بين غايتين متنافيتين.

والتبكيت: التقريع والتعنيف والتوبيخ واستقبال الرجل بما يكره.

والميسور: ما تيسّر. وقيل هو مصدر على مفعول. وقيل: الغنى والسعة. والوفور بالضم مصدر وفر المال، ككرم ووعد، أي: تمّ وزاد. وفي بعض النسخ:

«موفوره» وهو الشيء التامّ، أي ٱنتظرنا حصول الموفور في يده. والغرض دفع عذره في الهرب وهو توهّم التشديد عليه.

٩٠٨ـ نهــج: ومن خطبة له عليه السلام:

اللّهمّ أيّما عبدٍ من عبادكَ سَمِعَ مقَالَتنا العادلة غير الجائرة، والمصلحة في الدين والدّنيا غير المفسدة، فأبى بعد سمعه لها إلاّ النّكوص عن نصرتك، والإبـطاء عن إعزاز دينك، فإنّا نستشهدك عليه يا أكبر الشاهدين شهادة، ونستشهـد عليه جميع من أسكنته أرضك وسمواتك، ثم أنت بَعْدُ، المغني عن نصره والآخذ له بذنبه.

بيــان :

قال ٱبن ميثم: هذا الفصل من خطبة كان يستنهض عليه السلام بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام، قاله بعد تقاعد أكثرهم عن معاوية.

و «مـا» في «أيّما» زائـدة مؤكّـدة. وفي وصف المقـالـة بالعادلة توسّع. والنكوص: الرجوع قهقرى. «فإنّا نستشهدك»: أي: نسألك أن تشهد عليه. «ثم أنت بعدُ» أي بعد تلك الشهادة عليه.

٩٠٩ـ نهــج: من كلام له عليه السلام يحثّ فيه أصحابه على الجهاد:

واللّه مستأديكم شكره، ومورّثكم أمره، وممهلكم في مضمار ممدود لتتنازعوا سبقه. فشدّوا عُقَدَ المآزر، وٱطووا فُضُول الخواصر؛ لا تجتمع عزيمة ووليمة! ما أنقض النّوم لعزائم اليوم، وأمحى الظُّلَم لتذاكير الهمم.

توضيــح

الإستيداء: طلب الأداء. والأمر هو الملك والغلبة، كما قال تعالى: ﴿وعد اللّه الذين آمنوا منكم وعملوا الصّالحات ليستخلفنّهم في الأرض﴾ الآية.

٩٠٨ـرواه السّيّد الرضي رحمه اللّه في المختار: (٢١٠) من كتاب نهج البلاغة.

٩٠٩ـرواه الشريف الرضيّ رحمه اللّه في المختار الأخير من باب خطب نهج البلاغة.

والمضمار: مدّة تضمير الفرس وموضعه. وفسّر بالميدان أيضاً. والمراد مدّة التّكليف والحياة أو دار الدّنيا. والسَّبق بالفتح كما في النسخ: المصدر. وبالتحريك: ما يتراهن عليه. والضّمير راجع إليه سُبْحَانَهُ كالسّوابق، أو إلى المضمار.

والعقد: جمع العقدة بالضمّ، وهي موضع العقد. قال ابن أبي الحديد: أي: شمّروا عن ساق الاجتهاد. ويقال لمن يوصى بالجدّ والتّشمير: اُشدد عقدة إزارك. لأنّه إذا شدّها كان أبعد من العثار وأسرع للمشي.

وقوله: «واُطووا فضول الخواصر»: نهي عن كثرة الأكل، لأنّ الكثير الأكل لا يطوي فضول خواصره، والقليل الأكل يأكل في بعضها ويطوي بعضها. إنتهى.

وقيل: من شرع في أمر بجدّ واجتهاد يطوي ما فضل من إزراره، ويلتف بقدميه في خاصرته، ويجعله محكماً فيها. فهذه أيضاً كناية عن الجدّ والاجتهاد.

وقال الكيدري: وجدت في نسخة صحيحة «اُطروا فضول الخواصر». والطر: الشقّ والقطع، أي: اقطعوا من ثيابكم ما فضل ويزاد على بدنكم. وهو كناية عن المبالغة في التشمير عن ساق الجد. إنتهى.

والوليمة: طعام العرس أو كلّ طعام صنع لدعوة، والمعنى: إنّ العزيمة الجازمة تنافي الاشتغال بالملاذ، ولا تنال المطالب الجليلة إلّا بركوب المشاقّ.

«وما أنقض النوم لعزائم اليوم»: كثيراً ما يعزم الانسان في النهار على المسير والإرتحال في اللّيلة المستقبلة لتقريب المنزل، فإذا جاء اللّيل نام واستراح وشقّ عليه القيام، أي: ففاته ما عزم عليه من السير، أو المراد فوت ما عزم عليه من مهمات الأمور في يومه بنوم الليلة التي قبله.

«والتذاكير»: جمع التذكار بالفتح، وهو الذكر والحفظ للشيء. والمعنى ما

أكثر ما يهمّ الإنسان ويعزم على السير باللّيل، فإذا أدركته ظلمة الليل، نام ومال إلى الرّاحة ونسي ما عزم عليه، فانمحى واضمحلّ ما همّه.

٩١٠ ـ ٩١١ ـ **كتاب الغارات** لإبراهيم الثقفي عن محمّد بن اسماعيل، عن نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن نمير بن وعلة، عن أبي الودّاك: أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام لمّا فرغ من حرب الخوارج، قام في الناس بنهروان خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثمّ قال:

أمّا بعد، فإنّ الله قد أحسن بكم وأحسن نصركم، فتوجّهوا من فوركم هذا إلى عدوّكم من أهل الشام.

فقاموا إليه فقالوا: يا أمير المؤمنين نفدَتْ نبالنا، وكلّت سيوفنا، ونصلت أسنّة رماحنا، وعاد أكثرها قصداً، ارجع بنا إلى مصرنا نستعدّ بأحسن عدّتنا، ولعلّ أمير المؤمنين يزيد في عدّتنا عدّة من هلك منّا، فإنّه أقوى لنا على عدّونا. وكان الّذي ولي كلام الناس يومئذٍ الأشعث بن قيس.

وعن إبراهيم بن العبّاس عن ابن المبارك البجلي [عن بكر بن عيسى] عن الأعمش عن المنهال بن عمرو [عن قيس بن السكن أنه] قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول ونحن بمسكن: يا معشر المهاجرين «ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدّوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين» [٢١/ المائدة: ٥] فبكوا [فتلكّأوا «خ ل»] وقالوا: البرد شديد. وكان غزاتهم في البرد. فقال: إنّ القوم يجدون البرد كما تجدون. قال: فلم يفعلوا وأبوا، فلمّا رأى ذلك منهم قال: أفّ لكم، إنّها سُنّة جرت عليكم.

٩١٠ـ رواه الثقفي رحمه الله في الحديث (٦ ـ ٢٠) من كتاب الغارات: ج١.

وكثيراً منها رواه ابن أبي الحديد ـ نقلاً عن نصر بن مزاحم ـ في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: ج١، ص ١٧٩، وفي ط الحديثة ببيروت: ج١، ص ٤١٠، وفي ط مصر: ج٢ ص ١٩٣.

وسمعت أصحابنا عن أبي عوانة عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السّكن قال: قال عليّ عليه السلام: «يا قوم آدخلوا الأرض المقدّسة التي كتب اللّه لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين» فاعتلّوا عليه فقال: أفّ لكم، إنّها سنّة جرت.

وعن إبراهيم بن العباس عن آبن المبارك عن بكر بن عيسى عن عمر آبن عمير الهجري عن طارق بن شهاب: أنّ علياً عليه السلام آنصرف من حرب النهروان، حتّى إذا كان في بعض الطّريق نادى في الناس فاجتمعوا، فحمد اللّه وأثنى عليه ورغّبهم في الجهاد ودعاهم إلى المسير إلى الشام من وجهه ذلك، فأبوا وشكوا البرد والجراحات، وكان أهل النهروان قد أكثروا الجراحات في الناس.

فقال: إنّ عدوّكم يألمون كما تألمون، ويجدون البرد كما تجدون!! فأعيوه وأبوا، فلمّا رأى كراهيتهم، رجع إلى الكوفة وأقام بها أيّاماً وتفرّق عنه ناس كثير من أصحابه، فمنهم من أقام يرى رأي الخوارج، ومنهم من أقام شاكّاً في أمرهم.

وعن محمد بن إسماعيل عن نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد عن نمير آبن وعلة عن أبي الودّاك قال: لّما أكره عليّ الناس على المسير إلى الشام أقبل بهم حتّى نزل النخيلة، وأمر الناس أن ينزلوا معسكرهم، ويوطّنوا على الجهاد أنفسهم، وأن يقلّوا زيارة أبنائهم ونسائهم حتّى يسيروا إلى عدوّهم.

وبهذا الاسناد عن أبي الودّاك: أنّ الناس [أ] قامُوْا بالنخيلة مع عليّ عليه السلام أيّاماً، ثم أخذوا يتسلّلون ويدخلون المصر. فنزل وما معه من الناس إلاّ رجال من وجوههم قليل، وترك المعسكر خالياً، فلا من دخل الكوفة خرج إليه، ولا من أقام معه صبر!! فلمّا رأى ذلك دخل الكوفة في آستنفاره الناس[١].

---

(١) قوله (في استنفاره الناس) هو عنوان لما يتلوه في الأصل من الأحاديث.

وعن محمد بن إسماعيل عن نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد عن نمير العبسي قال: مرّ عليّ عليه السلام على الشغار من همدان فاستقبله قوم فقالوا: أقتلت المسلمين بغير جرم، وداهنت في أمر اللّه، وطلبت الملك، وحكّمت الرجال في دين اللّه؟ لا حكم إلاّ للّه. فقال عليه السلام: حكم اللّه في رقابكم، ما يحبس أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم، إنّي ميّت أو مقتول، بل قتلاً، ثمّ جاء حتّى دخل القصر.

وعن إبراهيم بن قادم عن شريك عن شعيب بن غرقدة عن المستظل ابن حصين قال، قال عليّ عليه السلام: يا أهل الكوفة، واللّه لَتَجدن ولتقاتلن على طاعته، أو لَيَسُوسَنَّكُمْ قوم أنتم أقرب إلى الحقّ منهم فليعذّبنّكم وليعذّبنّهم اللّه.

وعن محمّد بن إسماعيل عن يزيد بن معدل[1] عن ابن وعلة عن أبي الوَدّاك قال: لمّا تفرّق الناس عن عليّ بالنخيلة ودخل الكوفة، جعل يستفزهم على جهاد أهل الشام حتى بطلت الحرب تلك السنة.

وعن زيد بن وهب أنّ عليّاً عليه السلام قال للناس وهو أوّل كلام له بعد النهروان وأمور الخوارج التي كانت فقال:

يا أيّها الناس! استعدّوا إلى عدّو في جهادهم القربة من اللّه، وطلب الوسيلة إليه، حيارى عن الحقّ لا يبصرونه، وموزعين بالكبر والجور، لا يعدلون به، جفاة عن الكتاب، نكب عن الدين، يعمهون في الطغيان، ويتسكّعون في غمرة الضّلال، فأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل، وتوكّلوا على اللّه وكفى باللّه وكيلاً، وكفى باللّه نصيراً.

قال: فلم ينفروا ولم ينتشروا، فتركهم أيّاماً حتى أيس من أن يفعلوا،

(١) كذا في أصلي، وفي الغارات: زيد بن معد النمري.

ودعا رؤوسهم ووجوههم فسألهم عن رأيهم وما الذي يثبّطهم، فمنهم المعتلّ ومنهم المنكر وأقلّهم النشيط، فقام فيهم ثانيةً فقال:

عباد اللّه! ما لكم إن أمرتكم أن تنفروا اثّاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ثواباً؟ وبالذلّ والهوان من العزّ خلفاً؟ وكلّما ناديتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنّكم من الموت في سكرة، يُرتَجّ عليكم [حَواري] فتبكون[1]، فكأنّ قلوبكم مألوسة فأنتم لاتعقلون، وكأن أبصاركم كمه فأنتم لاتبصرون، لله أنتم! ما أنتم إلّا اسود الشرى في الدّعة، وثعالب روّاغة حين تدعون، ما أنتم بركن يُصال به ولا زوافر عزٍّ يعتصم إليها.

لعمر اللّه لبئس حشاش نار الحرب أنتم. إنّكم تكادون ولا تكيدون، وتنتقص أطرافكم ولا تتحاشون، ولا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون. إنّ أخا الحرب اليقظان، أودى من غفل، ويأتي الذلّ من وادع، غلب المتخاذلون والمغلوب مقهور ومسلوب.

أمّا بعد، فإنّ لي عليكم حقاً ولكم عليّ حق، فأمّا حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصح لي في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم.

واما حقّكم[2] عليّ فالنصيحة لكم ما صحبتكم، والتوفير عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كي تعلموا، فإنّ يرد اللّه بكم خيراً تنزعوا عما أكره، وترجعوا إلى ما أحبّ تنالوا ما تحبّون وتدركوا ما تأملون.

وعن الفضل بن دكين عن أبي عاصم الثقفي عن أبي عون الثقفي قال: جاءت أمرأة من بني عميس [عبس «خ»] وعليّ عليه السلام على المنبر فقالت:

(١) كذا في الأصل المطبوع عدا ما وضعناه بين المعقوفين. وفي المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: «يُرْتَجُ عَليكم حَواري فَتَعْمَهُونَ». وفي الأصل المطبوع: فتبكمون.

(٢) هذا هو الظاهر من السياق، وفي أصلي: «وإنّ حقّكم عليّ...».

يا أمير المؤمنين ثلاث بَلْبلن القلوب [عليك] قال: وما هنّ؟ قالت: رضاؤك بالقضية، وأخذك بالدنيّة، وجزعك عند البليّة. قال: ويحك إنما أنت امرأة، انطلقي فاجلسي على ذيلك. قالت: لا والله ما من جلوس إلاّ في ظلال السيوف.

وبإسناده عن بكر بن عيسى: أنّ علياً عليه السلام كان يخطب الناس ويحضّهم على المسير إلى معاوية وأهل الشام، فجعلوا يتفرّقون عنه، ويتثاقلون عليه ويعتلّون بالبرد مرّةً وبالحرّ أخرى.

وبإسناده عن [قيس بن] أبي حازم قال: سمعت علياً عليه السلام يقول:

يا معشر المسلمين، يا أبناء المهاجرين! أنفروا إلى أئمة الكفر وبقيّة الأحزاب وأولياء الشّيطان، أنفروا إلى من يقاتل على دم حمّال الخطايا!!!

فوالّذي فلق الحبّة وبرء النسمة، إنّه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئاً.

قال إبراهيم: وحدّثنا بهذا الكلام من قول أمير المؤمنين عليه السلام غير واحد من العلماء.

وعن إسماعيل بن أبان الأزدي عن عمرو بن شمر عن جابر عن رفيع عن فرقد البجلي قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: ألا ترون يا معاشر أهل الكوفة؟ والله لقد ضربتكم بالدّرّة التي أعظ بها السّفهاء فما أراكم تنتهون، ولقد ضربتكم بالسّياط التي أقيم بها الحدود فما أراكم ترعوون، فما بقي إلاّ سيفي، وإنّي لأعلم الذي يقوّمكم بإذن الله، ولكنّي لا أحبّ أن آتي تلك منكم.

والعجب منكم ومن أهل الشام، إن أميرهم يعصي الله وهم يطيعونه، وإن أميركم يطيع الله وأنتم تعصونه!

إن قلت لكم: أنفروا إلى عدوّكم [في أيّام الحرّ، قلتم هذه حمارة القيظ[١].
وإذا أمرتكم بالسّير إليهم في الشتاء] قلتم القرّ يمنعنا. أفترون عدوّكم لا يجدون القرّ كما تجدونه؟ ولكنكم أشبهتم قوماً قال لهم رسول الله صلّى الله عليه وآله: أنفروا في سبيل الله فقال كبراؤهم: لا تنفروا في الحرّ. فقال الله لنبيّه: ﴿قل نار جهنم أشدّ حرّاً لو كانوا يفقهون﴾ [٨١/ التوبة: ٩].

والله لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدنيا بحذافيرها على الكافر ما أحبّني؛ وذلك أنّه قضى فانقضى على لسان النبي الأمّي: «انّه لا يبغضك مؤمن ولا يحبّك كافر» وقد خاب من حمل ظلماً وافترى[٢].

يا معاشر أهل الكوفة، والله لتصبرنّ على قتال عدوّكم، أو ليسلّطن الله عليكم قوماً أنتم أولى بالحق منهم، فليعذّبنّكم وليعذّبنّهم الله بأيديكم أو بما شاء من عنده. أفمن قتلةٍ بالسيف تحيدون إلى موتة على الفراش؟ فاشهدوا أني سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله [يقول:] «موتة على الفراش أشدّ من ضربة ألف سيف أخبرني به جبرائيل» فهذا جبرائيل يخبر رسول الله صلّى الله عليه وآله بما تسمعون.

وعن محرز بن هشام عن جَرِيْر بن عبد الحميد عن مغيرة الضبّي قال: كان أشراف أهل الكوفة غاشّين لعلّي، وكان هواهم مع معاوية؛ وذلك انّ عليّاً عليه السلام كان لا يعطي أحداً من الفيء أكثر من حقّه، وكان معاوية جعل الشرف في العطاء ألفي درهم.

وعن عبدالرّحمان بن جندب عن أبيه: أنّ أهل دومة الجندل من كلب لم

---

(١) ما بين المعقوفين أخذناه من المختار: (٢٧) من نهج البلاغة.
(٢) ورواه أيضاً السيّد الرضيّ في المختار: (٤٣) من الباب الثالث من نهج البلاغة.
وانظر المختار: (٣٧٧) من نهج السعادة: ج٢.

يكونوا في طاعة عليّ عليه السلام ولا معاوية، وقالوا: نكون على حالنا حتى يجتمع الناس على إمام. قال: فذكرهم معاوية مرّةً فبعث إليهم مسلم بن عقبة فسألهم الصدقة وحاصرهم، فبلغ ذلك عليّاً عليه السلام فَبَعَثَ إلى مالك بن كعب فقال: استعمل على «عين التّمر» رجلاً وأقبل إليّ . فولاّها عبدالرحمان بن عبدالله الأرحبي وأقبل إلى علـيّ عليه السلام فسرّحه في ألف فارس، فما شعر مسلم بن عقبـة إلاّ ومالك بن كعب إلى جنبه نازلاً، فتواقفا قليلاً ثم اقتتلوا يومهم ذلك إلى الليل، حتى إذا كان من الغد صلّى مسلم بأصحابه ثم انصرف، وقـام مالك ابن كعب إلى دومة الجندل يدعوهم إلى الصلح عشراً فلم يفعلوا، فرجع إلى علـيّ عليه السلام[1].

وبإسناده عن أبي الكنود عن سفيان بن عوف الغامدي قال: دعاني معاوية فقال: إنّي باعثك في جيش كثيف فالزم لي جانب الفرات حتى تمرّ بهيت فتقطعها، فإن وجدت بها جنداً فاغر عليهم، وإلاّ فامض حتّى تغير على الأنبار، فإن لم تجد بها جنداً فامض حتّى تغير على المدائن، ثم أقبل إليّ واتّق أن تقرب الكوفة، واعلم أنّك إنْ أغرت على أهل الأنبار وأهل المدائن، فكأنّك أغرت على الكوفة، إنّ هذه الغارات يا سفيان على أهل العراق ترهب قلوبهم، وتجرّئ كلّ من كان له فينا هوىً منهم، ويرى فراقهم، وتدعو إلينا كلّ من كان يخاف الدوائر، وخرّب كلّ ما مررت به، واقتل كلّ من لقيت ممّن ليس هو على رأيك، وحرب[2] الأموال فإنّه شبيه بالقتل وهو أوجع للقلوب.

---

(١) وهذا رواه أيضاً البلاذري في الحديث: (٥٠٥) من ترجمة أمير المؤمنين: أنساب الأشراف: ج٢ ص ٤٦٧ ط١.

ورواه الثقفي مع التوالي في الحديث: (١٦٧) وتواليه من كتاب الغارات: ج١، ص ٤٥٩ ـ ٥١٢ ط١.

والتوالي رواه ابن أبي الحديد نقلاً عن كتاب الغارات في شرحه على المختار: (٢٧) من نهج البلاغة: ج١، ص ٣٣٥.

(٢) هذا هو الصواب، يقال: «حرب زيد عمراً حرباً» ـ على زنة نصر ـ: سلبه ماله وتركه بلا شيء.

قال: فخرجت من عنده وعسكرت، وقام معاوية وندب النّاس إلى ذلك، فما مرّت بي ثلاثـة حتّى خرجت في ستّـة آلاف، ثم لزمت شاطئ الفـرات فأسرعت السّير حتّى مررت بهيت، فبلغهم أني قد غشيتهم فقطعوا الفرات، فمررت بها وما بها عريب[1]. كأنّها لم تحلل قطّ فوطئتها حتّى مررت بصندوداء، فتنافروا فلم ألق بها أحداً. فمضيت حتّى أفتتح الأنبار وقد أنذروا بي، فخرج إليّ صاحب المسلحة فوقف لي، فلم أقدم عليه حتّى أخذت غلماناً من أهل القرية فقلت لهم: خبّروني كم بالأنبار من أصحاب عليّ؟ قالوا: عدّة رجال المسلحة خمسمائة، ولكنّهم قد تبدّدوا ورجعوا إلى الكوفة ولا ندري الذي يكون فيها قد يكون مائتي رجل. قال: فنزلت فكتبت أصحابي كتائب، ثم أخذت أبعثهم إليه كتيبـة بعـد كتيبة، فيقاتلونهم والله ويصبرون لهم ويطاردونهم في الأزقّة! فلمّا رأيت ذلك أنزلت إليهم نحواً من مائتين ثم أتبعتهم الخيل، فلمّا مشت إليهم الرجال وحملت عليهم الخيل فلم يكن إلاّ قليلاً حتّى تفرّقوا وقتل صاحبهم في رجال من أصحابه، فأتيناه في نيف وثلاثين رجلاً فحملنا ما كان في الأنبار من أموال أهلها ثم انصرفت، فوالله ماغـزوت غزوة أسلم ولاأقـرّ للعيون ولا أسرّ للنفوس منها، وبلغني والله أنّها أفزعت الناس. فلمّا أتيت معاوية فحدّثته الحديث على وجهه قال: كنت والله عند ظنّي بك. قال: فوالله ما لبثنا إلاّ يسيراً حتّى رأيت رجال أهل العراق يأتون على الإبل هراباً من قبل عليّ عليه السلام.

وعن جندب بن عفيف قال: والله إنّي لفي جند الأنبار مع أشرس بن حسان البكري، إذ صبّحنا سفيان في كتائب تلمع الأبصار منها، فهالونا والله، وعلمنـا إذ رأيناهم أنّه ليس لنا بهم طاقة ولا يد، فخرج إليهم صاحبنا وقد تفرّقنا، فلم يلقهم نصفنا ولم يكن لنا بهم طاقة. وأيم الله لقد قاتلناهم ثم إنّهم

فعمرو حريب. وفي أصلي: «وخرّب الأموال». وفي الغارات: وأحرب.

(١) يقال: ما بالدار معرب أو عريب أي ما فيها أحد.

والله هزمونا، فنزل صاحبنا وهو يتلو ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً﴾ [٢٣/ الأحزاب: ٣٣] ثم قال لنا: من كان لا يريد لقاء الله ولا يطيب نفساً بالموت فليخرج عن القرية ما دمنا نقاتلهم فإنّ قتالنا إيّاهم شاغل لهم عن طلب هارب، ومن أراد ما عند الله فما عند الله خير للأبرار.

ثم نزل في ثلاثين رجلاً قال: فهممت والله بالنزول معه ثم إنّ نفسي أبت واستقدم هو وأصحابي فقاتلوا حتى قتلوا رحمهم الله، فلمّا قتلوا أقبلنا منهزمين.

وبإسناده عن محمد بن مخنف: أنّ سفيان بن عوف لّما أغار على الأنبار قدم علجٌ من أهلها على عليّ عليه السلام فأخبره الخبر فصعد المنبر فقال:

أيّها الناس! إنّ أخاكم البكري قد أصيب بالأنبار، وهو مغترّ لا يظنّ ما كان فاختار ما عند الله على الدنيا، فانتدبوا إليهم حتّى تلا قوهم، فإن أصبتم منهم طرفاً أنكلتموهم عن العراق أبداً ما بقوا.

ثم سكت عنهم رجاء أن يجيبوه أو يتكلّموا أو يتكلّم متكلّم منهم بخير، فلمّا رأى صمتهم على ما في أنفسهم، خرج يمشي راجلاً حتى أتى النخيلة، [والناس يمشون خلفه حتى أحاط به قوم من الأشراف] فقالوا: إرجع يا أمير المؤمنين نحن نكفيك. فقال: ما تكفونني ولا تكفون أنفسكم. فلم يزالوا به حتّى صرفوه إلى منزله فرجع وهو واجم كئيب.

ودعا سعيد بن مسلم الهمداني فبعثه من النخيلة في ثمانية آلاف وقال: إتبع هذا الجيش حتى تخرجهم من أرض العراق. فخرج على شاطئ الفرات في طلبه حتى إذا بلغ عانات، سرّح سعيد أمامه هانىء بن الخطاب الهمْداني فَٱتَّبَعَ آثارهم حتّى بلغ أداني أرض قنسّرين وقد فاتوه ثم انصرف.

قال فلبث عليّ عليه السلام ترى فيه الكآبة والحزن حتّى قدم سعيد، فكتب كتاباً وكان في تلك الأيام عليلاً، فلم يطق القيام في الناس بكلّ ما أراد

من القول، فجلس بباب السّدّة التي تصل إلى المسجد ومعه الحسن والحسين وعبد اللّه بن جعفر، فدعا سعيداً مولاه فدفع الكتاب إليه، فأمره أن يقرأه على الناس، فقام سعيد حيث يسمع عليّ عليه السلام قراءته، وما يردّ عليه الناس، ثم قرأ الكتاب:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

من عبداللّه عليّ أمير المؤمنين، إلى من قرئ عليه كتابي من المسلمين: سلام عليكم.

أمّا بعد، فالحمد للّه ربّ العالمين وسلام على المرسلين، ولا شريك للّه الأحد القيّوم، وصلوات اللّه على محمّد والسّلام عليه في العالمين.

أمّا بعد، فإنّي قد عاتبتكم في رشدكم حتّى سئمت، وراجعتموني بالهزء من قولكم حتّى برمت هُزءاً من القول لا يعاد به، وخطلاً لا يعزّ أهله، ولو وجدت بدّاً من خطابكم والعتاب إليكم ما فعلت. وهذا كتابي يقرأ عليكم فردّوا خيراً وافعلوه، وما أظنّ أن تفعلوا واللّه المستعان.

أيّها الناس! إنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة... إلى آخر ما مرّ وسيأتي بروايات مختلفة.

ثم قال: فقام إليه رجل من الأزد يقال له: حبيب بن عفيف آخذاً بيد ابن أخ [له] يقال له: عبدالرحمن بن عبداللّه بن عفيف، فأقبل يمشي حتّى استقبل أمير المؤمنين عليه السلام بباب السّدّة، ثم جثا على ركبتيه وقال: يا أمير المؤمنين، ها أنا ذا لا أملك إلّا نفسي وأخي فمرنا بأمرك، فواللّه لننفذن له ولو حال دون ذلك شوك الهراس وجمر الغضا حتى تنفذ أمرك أو نموت دونه! فدعا لهما بخير وقال لهما: أين تبلغان بارك اللّه عليكما ممّا نريد.

ثم أمر الحارث الأعور فنادى في الناس أين من يشري نفسه لربّه، ويبيع دنياه[ا] بآخرته، أصبحوا غداً بالرّحبة إن شاء اللّه، ولا يحضرنا إلّا صادق النيّة في

المسير معنا والجهاد لعدوّنا. فأصبح بالرّحبة نحو من ثلثمائة، فلمّا عرضهم قال: لو كانوا ألفاً كان لي فيهم رأي.

قال: وأتاه قوم يعتذرون وتخلّف آخرون، فقال: وجاء المعذّرون وتخلّف المكذّبون.

قال: ومكث عليه السلام أياماً بادياً حزنه، شديد الكآبة، ثم إنّه نادى في الناس فاجتمعوا، فقام خطيباً فحمد اللّه وأثنى عليه ثم قال:
أمّا بعد، أيها الناس فواللّه لأهل مصركم في الأمصار، أكثر من الأنصار في العرب.

وساق الحديث إلى آخر ما سيأتي برواية ابن الشيخ في مجالسه عن ربيعة بن ناجد [في أواخر هذا الباب].

وعن أبي مسلم قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: لولا بقيّة المسلمين هلكتم[1].

وعن اسماعيل بن رجاء الزبيدي: أنّ علياً عليه السلام خطبهم بعد هذا الكلام فقال بعد أن حمد اللّه وأثنى عليه:

أيّها الناس المجتمعة أبدانهم المتفرقة أهواؤهم، ما عزّ من دعاكم ولا استراح من قاساكم. كلامكم يوهن الصمّ الصّلاب، وفعلكم يطمع فيكم عدوّكم. إن قلت لكم: سيروا إليهم في الحر. قلتم: أمهلنا ينسلخ عنّا الحرّ. وإن قلت لكم: سيروا إليهم في الشتاء. قلتم: حتّى ينسلخ عنّا البرد. فعل ذي الدّين المطول، من فاز بكم فاز بالسّهم الأخيب أصبحت لا أصدّق قولكم، ولا أطمع في نصركم، فرّق اللّه بيني وبينكم أيّ دار بعد داركم تمنعون؟! ومع أي إمام بعدي تقاتلون؟! أما إنّكم ستلقون بعدي أثرةً تتخذها عليكم الضّلال سنّة، فقر

(١) رواه في الحديث: (١٧٤) وما بعده من كتاب الغارات: ج٢، ص ٤٨٥ـ٤٩٢ ط١.

يدخل في بيوتكم، وسيف قاطعٌ، وتتمنون عند ذلك أنّكم رأيتموني وقاتلتم معي وقتلتم دوني وكأن قد.

وعن بكر بن عيسى: أنّهم لما أغاروا بالسواد، قام عليّ عليه السلام فخطب إليهم فقال:

أيّها الناس ما هذا؟! فوالله إن كان ليدفع عن القرية بالسبعة نفر من المؤمنين تكون فيها.

وعن ثعلبة بن يزيد الحماني أنّه قال: بينما أنا في السوق إذ سمعت منادياً ينادي الصّلاة جامعة، فجئت أهرول والناس يهرعون، فدخلت الرحبة فإذا عليّ عليه السلام على منبر من طين مجصّص وهو غضبان، قد بلغه أنّ ناساً قد أغاروا بالسّواد، فسمعته يقول: أما وربّ السماء والأرض ثم ربّ السماء والأرض، إنّه لعهد النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّ الأمّة ستغدر بي.

وعن المسيّب بن نجبة الفزاري أنه قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: إنّي قد خشيت أن يدال هؤلاء القوم عليكم بطاعتهم إمامهم ومعصيتكم إمامكم، وبأدائهم الأمانة وخيانتكم، وبصلاحهم في أرضهم وفسادكم في أرضكم، وباجتماعهم على باطلهم وتفرّقكم عن حقّكم حتّى تطول دولتهم وحتّى لا يدعو الله محرّماً إلّا استحلّوه، حتّى لا يبقى بيت وبر ولا بيت مَدَرٍ إلّا دخله جورهم وظلمهم حتّى يقوم الباكيان، باكٍ يبكي لدينه وباكٍ يبكي لدنياه، وحتى لا يكون منكم إلّا نافعاً لهم أو غير ضارّ بهم وحتّى يكون نصرة أحدكم منهم كنصرة العبد من سيّده إذا شهد أطاعه وإذا غاب سبّه، فإن أتاكم الله بالعافية فاقبلوا وإن أبتلاكم فاصبروا فإنّ العاقبة للمتّقين[1].

---

(١) وهذا هو الحديث: (١٧٨) من كتاب الغارات: ج٢، ص ٤٨٩. وقريباً منه جدّاً رواه الطبراني في الحديث: (٣٦) من ترجمة الإمام الحسين من المعجم الكبير: ج١/ الورق ١٢٥.

ورواه بسنده عنه ابن عساكر في الحديث: (١٨٦) من ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من

وعن يحيى بن صالح عن أصحابه: أنّ عليّاً عليه السلام ندب الناس عندما أغاروا على نواحي السّواد، فانتدب لذلك شرطة الخميس، فبعث إليهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ثمّ وجّههم فساروا حتّى وردوا تخوم الشام، وكتب عليّ عليه السلام إلى معاوية:

إنّك زعمت أنّ الذي دعاك إلى ما فعلت الطّلب بدم عثمان، فما أبعد قولك من فعلك. ويحك، وما ذنب أهل الذمّة في قتل ابن عفّان؟! وبأيّ شيء تستحل أخذ فيء المسلمين؟! فانزع ولا تفعل واحذر عاقبة البغي والجور. وإنّما مثلي ومثلك كما قال بلعاء لدريد بن الصمة:

مهلاً دريد عن التّسرع إنّني ماضي الجنان بمن تسرّع مُولع
مهلاً دريد عن السّفاهة إنّني ماضٍ على رغم العداة سُمَيْدع
مهلاً دريد لا تكن لا قيتني يوماً دريد فكلّ هذا يصنع
وإذا أهانك معشر أكرمهم فتكون حيث ترى الهوان وتسمع

فأجابه معاوية: أمّا بعد، فإنّ اللّه أدخلني في أمر عزلك عنه نائياً عن الحق، فنلت منه أفضل أملي، فأنا الخليفة المجموع عليه ولم تصب مَثَلي ومَثَلك، إنّما مثلي ومثلك كما قال بلقاء حين صولح على دم أخيه ثم نكث فعنّفه قومه فأنشأ يقول:

ألا آذنتنا من تدلّلها ملس وقالت: أما بيني وبينك من بلس
وقالت: ألا تسعى فتدرك ما مضى وما أهلك الحانون والقدح الضرس[1]
أتأمرني سعد وليث وجندع[2] ولست براض بالدنيئة والوكس

تاريخ دمشق ج١٣، ص ١٤٦، ط١.

(١) في الغارات: العانون. وهو جمع عاني: الأسير. والقدح: التأكل في الشجر والأسنان وغيرها. والضرس: اشتداد الزمان.

(٢) وفي الأصل: وحذج.

يقولون:خذ وكساً[٣] وصالح عشيرةً ... فما تأمرني بالهموم إذا أمسي

قال جندب بن عبد الله الوائلي: كان عليّ عليه السلام يقول: أما إنّكم ستلقون بعدي ثلاثاً: ذلّاً شاملاً، وسيفاً قاتلاً، وأثرةً يتّخذها الظالمون عليكم سنّةً، فستذكروني عند تلك الحالات فتمنّون لو رأيتموني ونصرتموني وأهرقتم دماءكم دون دمي فلا يبعد الله إلّا من ظلم.

وكان جندب بعد ذلك إذا رأى شيئاً مما يكرهه قال: لا يبعد الله إلّا من ظلم.

وعن عمرو بن قعين[١] قال: دعا معاوية يزيد بن شجرة الرّهاوي فقال: إنّي مسرّ إليك سرّاً فلا تطلعنّ على سرّي أحداً حتى تخرج من أهل الشام كلّها، إنّي باعثك إلى أهل الله وإلى حرم الله وأهلي وعشيرتي وبيضتي التي انفلقت عنّي، وفيها جلّ من قتل عثمان وسفك دمه، فسِرْ على بركة الله حتى تنزل مكة فإنّك الآن تلاقي الناس هناك بالموسم، فادع الناس إلى طاعتنا واتّباعنا فإن أجابوك فاكفف عنهم واقبل منهم، وإن أدبروا عنك فنابذهم وناجزهم ولا تقاتلهم حتّى تبلغهم أني قد أمرتك أن تبلغ عنّي، فإنّهم الأصل والعشيرة وإنّي لاستبقائهم محبّ ولاستيصالهم كاره ثمّ صلّ بالناس وتولّ أمر الموسم.

فقال له يزيد: إنّك وجّهتني إلى قوم الله ومجمع الصالحين، فإن رضيت أن أسير إليهم وأعمل فيهم برأيي وبما أرجو أن يجمعك الله وإيّاهم به سرت إليهم، وإن كان لا يرضيك عنّي إلّا الغشم وتجريد السّيف وإخافة البريء وردّ العذرة فلست بصاحب ما هناك، فاطلب لهذا الأمر غيري.

---

(١) الوكس: النقصان والخسّة. وفي الغارات: «عقلاً». والعقل الدية. وفيها أيضاً: يأمروني.

(٢) رواه الثقفي رحمه الله في كتاب الغارات بعنوان: غارة يزيد بن شجرة الرهاوي، وفيه: عن جابر بن عمرو بن قعين.

فقال له: سر راشداً فقد رضيت برأيك وبسيرتك، وكان رجلاً ناسكاً يتألّه وكان عثمانياً وكان ممن شهد مع معاوية صفّين.

فخرج [ابن شجرة] من دمشق مسرعاً وقال: اللّهمّ إن كنت قضيت أن يكون بين هذا الجيش الذي وجّهت، وبين أهل حرمك الذي وجّهت إليه قتال فاكفنيه، فإنّي لست أعظّم قتال من شرك في قتل عثمان خليفتك المظلوم ولا قتال من خذله ولكني أعظّم القتال في حرمك الذي حرمت.

فخرج يسير وقدّم أمامه الحارث بن نمير، فأقبلوا حتّى مرّوا بوادي القرى ثم أخذوا على الجحفة ثمّ مضوا حتّى قدموا مكّة في عشر ذي الحجّة.

وعن عبّاس بن [سهل بن] سعد الأنصاريّ قال: لّما سمع قثم بن العباس بدُنُوهم منه قبل أن يفصلوا من الجحفة وكان عاملاً لعليّ عليه السلام على مكّة، فقام في أهل مكّة وذلك في سنة تسع وثلاثين، فحمد اللّه وأثنى عليه ودعاهم إلى الجهاد وقال:

بيّنوا لي ما في أنفسكم ولا تغرّوني. فسكت القوم مليّاً فقال: قد بيّنتم لي ما في أنفسكم. فذهب لينزل فقام شيبة بن عثمان فقال: رحمك اللّه أيّها الأمير لا يقبح فينا أمرك ونحن على طاعتنا وبيعتنا وأنت أميرنا وابن عمّ خليفتنا فإن تدعنا نجبك فيها أطقنا ونقدر عليه.

فقرّب [قثم] دوابّة وحمل متاعه وأراد التنحّي من مكّة، فأتاه أبو سعيد الخدري وقال: ما أردت؟ قال: قد حدث هذا الأمر الذي بلغك وليس معي جند أمتنع به، فرأيت أن أعتزل عن مكّة فإن يأتني جند أقاتل بهم، وإلّا كنت قد تنحيّت بدمي. قال له: إنّي لم أخرج من المدينة حتّى قدم علينا حاجّ أهل العراق وتجّارهم يخبرون أنّ الناس بالكوفة قد ندبوا إليك مع معقل بن قيس الرياحي. قال: هيهات هيهات يا أبا سعيد إلى ذلك ما يعيش أولادنا. فقال له أبو سعيد: رحمك اللّه فما عذرك عند ابن عمك، وما عذرك عند العرب انهزمت قبل أن تطعن وتضرب؟! فقال: يا أبا سعيد إنّك لا تهزم عدوك ولا تمنع حريمك

بالمواعيد والأماني إقرأ كتاب صاحبي فقرأه أبو سعيد فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى قثم بن العبّاس: سلام عليك. أمّا بعد، فإنّ عيني بالمغرب كتب إليّ يخبرني أنّه قد وجّه إلى الموسم ناس من العرب، من العمي القلوب، الصّمّ الأسماع، الكمه الأبصار، الذين يلبسون الحقّ بالباطل، ويطيعون المخلوقين في معصية الخالق، ويحلبون الدنيا بالدين، ويتمنّون على الله جوار الأبرار، وإنّه لا يفوز بالخير إلّا عامله، ولا يجزي بالسّيء إلّا فاعله

وقد وجهت إليكم جمعاً من المسلمين ذوي بسالة ونجدة مع الحسيب الصليب الورع التقيّ معقل بن قيس الرّياحي، وقد أمرته باتباعهم وقصّ آثارهم حتى ينفيهم من أرض الحجاز. فقم على ما في يديك مما إليك مقام الصليب الحازم المانع سلطانه الناصح للأمة، ولا يبلغني عنك وهن ولا خور وما تعتذر منه، ووطّن نفسك على الصبر في البأساء والضراء، ولا تكوننّ فشلاً ولا طائشاً ولا رعديداً والسلام.

فلما قرأ أبو سعيد الكتاب قال قثم: ما ينفعني من هذا الكتاب وقد سمعت بأن قد سبقت خيلهم خيله؟ وهل يأتي جيشه حتّى ينقضي أمر الموسم كلّه؟

فقال له أبو سعيد: إنّك إن أجهدت نفسك في مناصحة إمامك خرجت من اللائمة، وقضيت الذي عليك من الحقّ، فإنّ القوم قد قدموا وأنت في الحرم، والحرم حرم الله.

فأقام قثم وجاء يزيد بن شجرة حتّى دخل مكّة، ثم أمر منادياً فنادى في الناس ألا إنّ النّاس كلّهم آمنون، إلّا من عرض لنا في عملنا وسُلطاننا وذلك قبل التروية بيوم.

فلمّا كان ذلك مشت قريش والأنصار ومن شهد الموسم من الصّحابة وصلحاء الناس فيما بينهما وسألتهما أن يصطلحا، فكلاهما سرّه ذلك الصلح، فأما قثم فإنه لم يثق بأهل مكة ولا رأى أنّهم يناصحونه، وأما يزيد فكان رجلاً متنسّكاً وكان يكره أن يكون منه في الحرم شرّ.

وعن عمرو بن محصن قال: قام يزيد بن شجرة فحمد اللّه وأثنى عليه ثم قال: أمّابعد يا أهل الحرم ومن حضره فإنّي وجّهت إليكم لأُصلّي بكم وأجمع وآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر فقد رأيت والي هذه البلدة كره الصّلاة معنا ونحن للصّلاة معه كارهون فإن شاء اعتزلنا الصّلاة بالناس واعتزلها وتركنا أهل مكّة يختارون لأنفسهم من أحبّوا حتّى يصلّي بهم فإن أبى فأنا آبى وآبى والذي لا إله غيره لو شئت لصليت بالنّاس وأخذته حتى أرده إلى الشام وما معه من يمنعه ولكن واللّه ما أحبّ أن أستحلّ حرمة هذا البلد الحرام.

قال: ثمّ إنّ يزيد بن شجرة أتى أبا سعيد الخدري فقال: رحمك اللّه الق هذا الرجل فقل له لا أب لغيرك اعتزل الصّلاة بالناس وأعتزلها ودع أهل مكّة يختاروا لأنفسهم فواللّه لو أشاء لبعتك وإيّاهم ولكن واللّه ما يحملني على ما تسمع إلا رضوان اللّه واحترام الحرم فإنّ ذلك أقرب للتقوى وخير في العاقبة. قال له أبو سعيد: ما رأيت من أهل المغرب أصوب مقالاً ولا أحسن رأياً منك.

فانطلق أبو سعيد إلى قثم فقال: ألا ترى ما أحسن ما صنع اللّه لك وذكر له ذلك فاعتزلا الصلاة واختار الناس شيبة بن عثمان فصلّى بهم.

فلمّا قضى الناس حجّهم رجع يزيد إلى الشام، وأقبلت خيل علّي عليه السلام فأخبروا بعود أهل الشام، فتبعوهم وعليهم معقل بن قيس فأدركوهم وقد رحلوا عن وادي القرى، فظفروا بنفر منهم وأخذوهم أسارى وأخذوا ما معهم ورجعوا إلى أمير المؤمنين، ففادى بهم أسارى كانت له عند معاوية[1].

---

(١) وقصّة يزيد بن شجرة ذكرها أيضاً البلاذري ـ ولكن أوجز مما هنا ـ في الحديث: (٥٠٢) من

وقال إبراهيم: قال أمير المؤمنين عليه السلام لأهل الكوفة:

ما أرى هؤلاء القوم ـ يعني أهل الشام ـ إلاّ ظاهرين عليكم. قالوا: تعلم بماذا يا أمير المؤمنين؟ قال: أرى أمورهم قد علت، وأرى نيرانكم قد خبت، وأراهم جادّين وأراكم وانين، وأراهم مجتمعين وأراكم متفرّقين، وأراهم لصاحبهم طائعين وأراكم لي عاصين.

وأيم اللّه لئن ظهروا عليكم لتجدنّهم أرباب سوء من بعدي، كأنّي أنظر إليهم قد شاركوكم في بلادكم وحملوا إلى بلادهم فيئكم.

وكأنّي أنظر إليكم يكشّ بعضكم على بعض كشيش الضّباب، لا تمنعون حقّاً ولا تمنعون للّه حرمة، وكأنّي أنظر إليهم يقتلون قرّاءكم. وكأنّي بهم يحرمونكم ويحجبونكم ويدنون أهل الشام دونكم، فإذا رأيتم الحرمان والأثرة ووقع السّيف، تندّمتم وتحزّنتم على تفريطكم في جهادكم، وتذكّرتم ما فيه من الحفظ حين لا ينفعكم التذكار.

وعن عبدالرحمن بن أبي بكر قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: ما لقي أحد من الناس ما لقيت. ثمّ بكى.

توضيـــح: في النهاية: فيه «كأن في جوفي شوكة الهراس» هو شجر أو بقل ذو شوك. وفي القاموس: الهراس كسحاب: شجر شائك ثمره كالنبق. انتهى.

[قوله عليه السلام:] «وكأن قد» هذا من قبيل الإكتفاء أي: وكأن قد وقع هذا الأمر عن قريب. والسّميدع بالفتح: السّيد الموطوء الأكتاف. ذكره الجوهري. وقال: ضرست السهم إذا أعجمته. والوكس: النقص قوله: «إلى ذلك

ترجمة أمير المؤمنين من كتاب أنساب الأشراف: ج١، ص ٤٢٤ من المخطوطة، وفي ط١: ج٢، ص ٤٦١.

ما يعيش أولادنا» هذا استبطاء للجيش أي: يأتي المدد بعد أن قتلنا وأولادنا.

٩٣١ ـ نهـج: أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة، فتحه الله تعالى لخاصّة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنّته الوثيقة. فمن تركه ألبسه الله لباس الذلّ، وشمله البلاء، وديّث بالصّغار والقماء، وضرب على قلبه بالإسداد، وأديل الحقّ منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النّصف.

ألا وإنّي قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسرّاً وإعلاناً، وقلت لكم: اُغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم قطّ في عُقْر دارهم إلّا ذلوا. فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنّت عليكم الغارات، وملكت عليكم الأوطان. هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار، وقد قتل حسان بن حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحها.

ولقد بلغني أنّ الرّجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها، ما تمتنع منه إلّا بالاسترجاع والإسترحام، ثمّ انصرفوا وافرين، ما نال رجلاً منهم كلم، ولا أريق لهم دم. فلو أنّ امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً، ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديراً.

فيا عجباً عجباً، والله يميت القلب، ويجلب الهمّ، من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرّقكم عن حقّكم فقبحاً لكم وتَرحاً حين صرتم غرضاً يرمى، يغار عليكم ولاتغيرون، وتُغزَون ولاتغزون، ويعصى الله فيكم وترضون. فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيّام الحرّ، قلتم: هذه حمارّة القيظ أمهلنا يسبّخ عنّا الحرّ. وإذا أمرتكم بالسّير إليهم في الشتاء قلتم: هذه صَبارّة القرّ أمهلنا ينسلخ عنّا البرد. كلّ هذا فرار من الحرّ والقرّ، فإذا كنتم من الحرّ والبرد تفرّون، فأنتم والله من

٩٣١ـ رواه السيد الرضيّ رحمه الله في المختار: (٢٧) من كتاب نهج البلاغة.

السّيف أقر.

يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال، وعقول ربّات الحجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة. واللّه جرّت ندماً وأعقبت ذمّاً.

قاتلكم اللّه. لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرّعتموني نغب التهمام أنفاساً، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان، حتّى قالت قريش: إن ٱبن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب.

للّه أبوهم، وهل أحد منهم أشدّ لها مراساً، وأقدم فيها مقاماً مني؟! ولقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، فها أنا ذا قد ذرّفت على السّتين، ولكنّه لا رأي لمن لا يطاع.

٩٣٢ ـ كـا: أحمد بن محمّد بن سعيد عن جعفر بن عبداللّه العلوي وأحمد بن محمد الكوفي عن عليّ بن العبّاس عن إسماعيل بن إسحاق، جميعاً عن فرج بن قرّة عن مسعدة بن صدقة عن ٱبن أبي ليلى عن أبي عبدالرحمن السلمي عنه عليه السلام مثله.

بيـــان:

قال ٱبن ميثم وغيره: هذه الخطبة مشهورة، ذكرها أبو العبّاس المبرد وغيره[١]. والسّبب المشهور لها، أنّه ورد عليه علج من الأنبار فأخبره أن سفيان بن عوف الغامدي قد ورد في خيل معاوية إلى الأنبار، وقتل عامله حسّان بن حسّان البكري، فصعد عليه السلام المنبر وخطب الناس وقال:

إنّ أخاكم البكري قد أصيب بالأنبار فانتدبوا إليهم حتّى تلاقوهم،

٩٣٢ـ رواه ثقة الإسلام الكليني رفع اللّه مقامه في الحديث (٦) من الباب (١) من كتاب الجهاد في الكافي ج٥ ص٤.

(١) ذكرها المبرّد في أوائل كتاب الكامل ص ١٩. ولها مصادر أخر، مسندة في المختار: (٣١٢) من نهج السعادة: ج٢ ص ٥٤٠.

فإن أصبتم منهم طرفاً أنكلتموهم عن العراق أبداً ما بقوا. ثم سكت رجاء أن يجيبوه بشيء، فلمّا رأى صمتهم نزل وخرج يمشي راجلاً حتى أتى النخيلة والناس يمشون خلفه، حتى أحاط به قوم من أشرافهم وقالوا: ترجع يا أمير المؤمنين ونحن نكفيك.

فقال: ما تكفوني ولا تكفون أنفسكم. فلم يزالوا به حتّى ردّوه إلى منزله.

فبعث سعيد بن قيس الهمداني في ثمانية آلاف في طلب سفيان، فخرج حتى انتهى إلى أداني أرض قِنّسْرين ورجع.

وكان عليه السلام في ذلك الوقت عليلاً لا يقوى على القيام في الناس بما يريده من القول، فجلس بباب السدّة التي تصل إلى المسجد ومعه الحسن والحسين عليهما السلام وعبدالله بن جعفر، ودعا سعيداً مولاه فدفع إليه كتاباً كتب فيه هذه الخطبة، وأمره أن يقرأه على الناس بحيث يسمع ويسمعونه.

وفي رواية المبّرد أنّه لما انتهى إليه ورود خيل معاوية الأنبار وقتل حسّان، خرج مغضباً يجرّ رداءه حتى أتى النخيلة ومعه الناس ورقا رباوة من الأرض، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي صلّى الله عليه وآله ثم ذكر الخطبة.

ولنرجع إلى الشرح والبيان:

قوله عليه السلام: «باب من أبواب الجنّة» روي عن النبّي صلّى الله عليه وآله أنّه قال: للجنّة باب يقال له باب المجاهدين، يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلّدون بسيوفهم والجمع في الموقف والملائكة ترحّب بهم.

وفي الكافي: «لخاصّة أوليائه، وسوّغهم كرامة منه لهم، ونعمة ذخرها، والجهاد لباس التقوى» فقوله عليه السلام: «نعمة» عطف على «باب» أو على «كرامة».

قوله عليه السلام: «وهو لباس التقوى» أي: به يتّقى في الدّنيا من غلبة

الأعادي، وفي الآخرة من النار، أو هو يدفع المضارّ عن التقوى ويحرسها، أو عن أهلها بحذف المضاف، وكونه تأويلاً لقوله تعالى: ﴿ولباس التقوى﴾ يحتاج إلى تكلّف ما. «ودرع اللّه» أي: درع جعلها اللّه لحفظ عباده. والمراد: درع الحديد وهي مؤنثة وقد تذكّر. و «الحصينة»: الواقية. والجنّة بالضم. كلّ ما وقاك واستترت به. والوثيقة المحكمة.

«فمن تركه» في الكافي: «رغبة عنه» أي: كراهة له بغير علّة.

[قوله عليه السلام:] «لباس الذلّ» الإضافة للبيان.

قوله عليه السلام: «وشمله البلاء»: ربما يقرأ بالتاء وهي كساء يغطى به، والفعل أظهر كما هو المضبوط.

قولـه عليه السلام: «وديّث بالصّغار» أي: ذلّل كما مرّ والصغّار: الذلّ والضّيم. والقماء ممدوداً الذّلّ والصّغار. ورواه الراوندي مقصوراً وهو غير معروف. وفي الكافي: «القماءة».

قولـه عليه السلام: «وضرب على قلبه بالإسداد» قال الفيروزآبادي: وضربت عليه بالسّداد: سدّت عليه الطرق، وعميت عليه مذاهبه. وفي بعض النسخ «بالإسهاب». يقال: أسهب الرجل على البناء للمفعول إذا ذهب عقله من أذى يلحقه.

«وأديل الحقّ منه» أي يغلب الحقّ عليه فيُصيبه الوبال لترك الحق كقوله [عليه السلام] في الصحيفة [السجّادية]: «أدل لنا ولا تدل منا». والإدالة: الغلبة. والباء في قوله بتضييع الجهاد للسّببية.

وقال في [مادة خسف من] النهاية في حديث علّي عليه السلام: «من ترك الجهاد ألبسه اللّه الذلّ وسيم الخسف» الخسف: النقصان والهوان وأصله أن تحبس الدّابّة على غير علف، ثم استعير موضع الهوان. وسيم: كلّف وألزم.

«ومنع النصف» أي: لا يتمكن من الانتصاف والانتقام.

وعقر الشيء: أصله ووسطه. وتواكل القوم: اتّكل بعضهم بعضاً وترك الأمر إليه.

وتخاذلوا، أي: خذل بعضهم بعضاً.

[قوله عليه السلام:]

«وشنّت» أي: فرّقت. قال ابن أبي الحديد: ما كان من ذلك متفرّقاً نحو إرسال الماء على الوجه دفعة بعد دفعة فهو بالشين المعجمة، وما كان إرسالاً غير متفرّق فبالسّين المهملة.

وكلمة «على» في «ملكت عليكم» تفيد الاستعلاء بالقهر والغلبة، أي: أخذوا الأوطان منكم بالقهر.

«وأخو غامد» هو سفيان بن عوف الغامدي.

«والأنبار» بلد قديم من بلاد العراق.

وحسّان: من أصحابه عليه السلام كان والياً عليه.

والمسالح: جمع المسلحة وهي الحدود التي يرتب فيها ذوو الأسلحة لدفع العدوّ كالثغر.

والحجل بكسر الحاء وفتحها: الخلخال. والقلب بالضم: السوار المصمت. والرعاث: جمع رعثة بفتح الراء وسكون العين وفتحها وهي القرط. والرعاث أيضاً: ضرب من الحلي والخرز.

والإسترجاع قول: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون وقيل: ترديد الصوت في البكاء. والاسترحام: مناشدة الرحم، أي قول: أنشدك اللّه والرحم. وقيل: طلب الرحم وهو بعيد.

قوله عليه السلام: «وافرين» أي تامّين، يقال: وفر الشيء أي تمّ. ووفّرت الشيء: أي: أتممته. وفي رواية المبرّد «موفورين» بمعناه. والكلم: الجراحة.

قوله عليه السلام: «فيا عجباً» أصله يا عجبي، أي: احضر هذا أوانك. «وعجباً» منصوب بالمصدريّة، أي: أيّها الناس، تعجبّوا منهم عجباً. والقسم معترض بين الصفة والموصوف. و«الترح» محركة ضدّ الفرح. «وحمارة القيظ» بتشديد الرّاء: شدّة حرّه وربّما خفّفت للّضرورة في الشعر. «وصبارة الشتاء» بتشديد الرّاء: شدّة برده.

وفي القاموس : تسبّخ الحرّ: فتر وسكن كسبخ تسبيخاً. والحلوم: جمع الحلم بالكسر وهو الإناءة والعقل.

و «ربات الحجال»: النساء، أي صواحبها أو اللاتي ربين فيها.

وفي بعض النسخ بنصب «الحلوم والعقول» ففي الكلام تقدير، أي: يا ذوي حلوم الأطفال، وذوي عقول النساء. وفي بعضها بضمها أي: حلومكم حلوم الأطفال، وعقولكم عقول النساء.

قوله عليه السلام: «معرفة» يمكن أن يكون فعله محذوفاً، أي: عرفتكم معرفة. «أعقب ذمّاً» أي: ذمي أياكم أو أياها. وفي بعض النسخ «سدماً» وهو بالتحريك الهم أو مع ندم أو غيظ. و «مقاتلة اللّه» كناية عن اللعن والابعاد. و «القيح»: الصديد بلا دم.

قوله عليه السلام: «وشحنتم» أي ملأتم. و «النغب»: جمع نغبة وهي الجرعة. و «التهمام» بفتح التاء: الهمّ. «أنفاساً» أي جرعة جرعة.

قوله عليه السلام: «للّه أبوهم» كلمة مدح، ولعلّها استعملت هنا للتعجب. و «المراس» بالكسر: العلاج. والضمائر الثلاثة للحرب وهي مؤنّثة وقد

تذكر.

قوله عليه السلام: «ذرّفت» بتشديد الراء أي: زدت.

[٩٣٣ـ نهـج:و] من خطبة له عليه السلام:

أيّها الناس! المجتمعة أبدانهم، المختلفة اهواؤهم كلامكم يوهي الصمّ الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء. تقولون في المجالس: كيت و كيت، فإذا جاء القتال قلتم: حيدي حياد.

ما عزّت دعوة من دعاكم، ولا آستراح قلب من قاساكم. أعاليل بأضاليل دفاع ذي الدّين المطول. لا يمنع الظيم الذليل، ولا يدرك الحق إلّا بالجدّ.

أي دار بعد داركم تمنعون! ومع أي إمام بعدي تقاتلون! المغرور والله من غررتموه ومن فاز بكم [فقد] فاز [ـ والله ـ] بالسّهم الأخيب، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل.

أصبحت ـ والله ـ لا أصدّق قولكم، ولا أطمع في نصركم، ولا أوعد العدوّ بكم.

ما بالكم؟ ما دواؤكم؟ ما طبّكم؟ القوم رجال أمثالكم. أقولاً بغير علم؟ وغفلةً من غير ورع؟ وطمعاً في غير حقّ!

٩٣٤ ـ شـا: [و] من كلامه عليه السلام في استبطاء من قعد عن نصرته:

أيّها الناس المجتمعة أبدانهم [وساق الخطبة الشريفة] إلى قوله وفعلكم

٩٣٣ـرواه السيّد الرضيّ رفع الله مقامه في المختار: (٢٩) من كتاب نهج البلاغة.

٩٣٤ـرواه الشيخ المفيد رفع الله مقامه في الفصل (٤١) مما اختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب الإرشاد، ص ١٤٦.

يُطمع فيكم عدوّكم المرتاب».

[ثمّ ساقها] إلى قوله: «سألتموني التأخير دفاع ذي الدين».

[ثم ساق الكلام] إلى قوله: «أطمع في نصرتكم فرّق اللّه بيني وبينكم، وأبدلني بكم من هو خير لي منكم.

واللّه لوددت أنّ لي بكلّ عشرة منكم رجلاً من بني فراس بن غنم، صرف الدينار بالدرهم.

بيــان :

قال الشرّاح لّما سمع معاوية اختلاف النّاس على عليّ عليه السلام، وتفرقّهم عنه، وقتله من قتل من الخوارج، بعث الضّحاك بن قيس في أربعة آلاف وأوعـز إليه بالنّهب والغـارة، فأقبل [الضّحاك] يقتل وينهب حتّى مرّ بالثّعلبية وأغار على الحاجّ، فأخذ أمتعتهم، وقتل عمرو بن عُميس بن مسعود صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، وقتل معه ناساً من أصحابه، فلمّا بلغ ذلـك عليّاً عليه السلام، آستصرخ أصحابه وآستشارهم إلى لقاء العدوّ، فتلكّأوا ورأى منهم فشلاً، فخطبهم بهذه الخطبة.

والوهي: الضّعف. و وهي الحجر والسّقاء ـ كوقي ـ: أي: آنشقّ. وأوهاه: شقّه. والصمّ والصلاب من أوصاف الحجارة. والصخْرة الصّمّاء: التي ليس فيها صدع ولا خرق. و «كيت وكيت» كناية عن القول.

قوله عليه السلام: «حيدي حياد» قال آبن أبي الحديد: هي كلمة يقولها الهارب الفارّ، وهي نظير قولهم: فيحي فياح أي آتّسعي.

وقال آبن ميثم: حياد: اسم للغارة، والمعنى: إعدلي عنّا أيّتها الحرب.

ويحتمل أن يكون حياد من أسماء الأفعال كنزال فيكون قد أمر بالتّنحّي مرّتين بلفظين مختلفين.

أقول :قسم السّيّد الرّضي رحمه اللّه صيغة «فعال» المبنّي إلى أربعة أقسام، وعدّ منها ما كانت صفةً للمؤنّث غير لازمة للنداء، وعدّ من هذا القسم «حياد وفياح» وقال: [معنى] حيدي حياد: أي ارجعي يا راجعة. وجعل حذف حرف النّداء عن «حياد» وأمثالها دليلاً على أنّها أعلام للأجناس، وحينئذ لا يكون «حياد» اسماً للغارة ولا بمعنى الأمر، وهي وأمثالها مبنيّة على الكسر.

والعزّة: الغلبة والشدّة وفي الإسناد إلى الدّعوة توسّع.

[قوله عليه السلام:] «ولا استراح»: أي ما وجد الراحة. و «قاساه»: كابده. والباء في قوله عليه السلام: «بأضاليل» متعلّقة بـ «أعاليل»: أي يتعلّلون بالأضاليل الّتي لا جدوى لها.

وقال ابن ميثم رحمه اللّه: «أعاليل واضاليل»: جمع أعلال وأضلال، وهما جمع علّة اسم ما يتعلّل به من مرض وغيره. وضلّة: اسم الضّلال وهو خبر مبتدأ محذوف، أي: إذا دعوتكم إلى القتال تعلّلتم، وهي أعاليل باطلة ضلّة عن سبيل اللّه.

قوله عليه السّلام: «دفاع» قال ابن ميثم: يحتمل أن يكون تشبيهاً لدفاعهم بدفاع ذي الدين المطول، فيكون منصوباً بحذف الجار.

ويحتمل أن يكون استعارةً لدفاعهم ليكون مرفوعاً.

و «المطول»: كثير المطال، وهو تطويل الوعد وتسويفه. و «الضيم»: الظلم.

قوله عليه السلام: «أيّ دار بعد داركم» أي: دار الإسلام أ والعراق، أي: إذا أخرجكم العدوّ عن دياركم ومساكنكم فعن أيّ دار أو في أيّ دار تمنعونهم؟

وفي بعض النسخ: «تمتّعون» على التفعّل بحذف إحدى التائين، أي: بأيّ دار تنتفعون.

[قوله عليه السلام:] «المغرور»: أي: الكامل الغرور. أوليس المغرور إلّا من غرّرتموه. والتّعبير عن الإبتلاء بهم بالفوز على التهكّم.

وقال ابن ميثم: و «الأخيب»: أشدّ خيبةً وهي الحرمان. و «السهم الأخيب»: التّي لا غنم لها في الميسر، كالثلاثة المسماة بالأوغاد، أو التي فيها غرم، كالتّي لم تخرج حتّى استوفيت أجزاء الجزور فحصل لصاحبها غرم وخيبة. ويكون إطلاق الفوز على حصولها مجازاً من باب إطلاق أحد الضدّين على الآخر.

و «الأفوق»: السهم المكسور الفوق وهو موضع الوتر منه. و«الناصل»: الذي لا نصل فيه. والايعاد والوعيد في الشّر غالباً كالوعد والعدة في الخير. وعدم الإيعاد إمّا لعدم الطمع في نصرهم، أو لعدم خوف العدوّ منهم. والبال: الحال والشأن.

قوله عليه السلام: «ما طبّكم»: أي ما علاجكم. وقيل: أي: ما عادتكم. قوله عليه السّلام: «أقولاً بغير علم»: نصب المصادر بالأفعال المقدّرة وقولهم بغير علم [هو] قولهم: «إنّا نفعل بالخصوم كذا وكذا» مع أنّه لم يكن في قلوبهم إرادة الحرب، أو دعواهم الإيمان والطاعة مع عدم الإطاعة، فكأنّهم لا يذعنون بما يقولون.

وفي بعض النسخ: «[أقولاً] بغير عمل» وهو أظهر. و «غفلةً»: أي عمّا يصلحكم. «من غير ورع» يحجزكم عن محارم اللّه وينبّهكم عن الغفلة.

وفي بعض النسخ: «وعفّة من غير ورع، وطمعاً في غير حقّ» [و] لعلّه عليه السّلام كان علم أنّ سبب تسويف بعضهم، [هو] طمعهم في أن يعطيهم زيادةً على ما يستحقّونه كما فعل معاوية والخلفاء قبله.

٩٣٥ـ نهـج: [و] من خطبة له عليه السلام في آستنفار النّاس إلى أهل الشّام: أفٍّ لكم! لقد سئمت عتابكم. أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً وبالذّلّ من العزّ خلفاً! إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم دارت أعينكم؛ كأنّكم من الموت في غمرة، ومن الذهول في سكرة. يُرتج عليكم حواري فتعمهون؛ فكأنّ قلوبكم مألوسة، فأنتم لا تعقلون. ما أنتم لي بثقة سجيس اللّيالي، وما أنتم بركن يمال بكم ولا زوافر عزٍّ يفتقر إليكم. ما أنتم إلاّ كإبل ضلّ رعاتها، فكلّما جمعت من جانب آنتشرت من آخر.

لبئس ـ لعمـرو اللّه ـ سعـر نار الحرب أنتم! تكادون ولا تكيدون، وتنتقص أطرافكم فلا تمتعضون. لا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون [لاهون «خ»] غلب واللّه المتخاذلون.

وأيم اللّه، إنّي لأظنّ بكم أن لو حمس الـوغـا، واستحـرّ الموت، قد آنفرجتم عن آبن أبي طالب آنفراج الرأس من الجسد.

واللّه إن آمرءً يمكّن عدوّه من نفسه، يعرق لحمه، ويهشم عظمه، ويفري جلده، لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمّت عليه جوانح صدره، أنت فكن ذاك إن شئت، فأمّا أنا فواللّه دون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفيّة يطير منه فراش الهام، وتطيح السّواعد والأقدام، ويفعل اللّه بعد ذلك ما يشاء.

أيّها النّاس! إنّ لي عليكم حقاً، ولكم عليّ حقّ.

فأمّا حقّكم [عليّ] فالنّصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا [تعلموا «خ»].

وأمّـا حقّي عليكم، فالـوفـاء بالبيعـة، والنّصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم.

٩٣٥ـ رواه السّيّد الرضيّ رحمه اللّه في المختار: (٣٤) من نهج البلاغة.

بيــان :

رُوي أنّه عليه السلام خطب بهذه الخطبة بعد فراغه من أمر الخوارج، بالنهروان فحمد اللّه وأثنى عليه وقال:

أمّا بعد فإنّ اللّه تعالى قد أحسن نصركم، فتوجّهوا من فوركم هذا إلى عدوّكم من أهل الشام.

فقالوا له: قد نفدت نبالنا، وكلّت سيوفنا، ارجع بنا إلى مصرنا لنصلح عُدّتنا، ولعلّ أمير المؤمنين يزيد في عددنا مثل من هلك منّا لنستعين به.

فأجـابهم: ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة الّتي كتب اللّه لكم ولا ترتدّوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين﴾ [٢١/ المائدة: ٥]. فتلكّأوا عليه وقالوا: إنّ البرد شديد. فقال [لهم]: إنّهم يجدون البرد كما تجدون، ثمّ تلا قوله تعالى ﴿قالوا: يا موسى إنّ فيها قوماً جبّارين وإنّا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون﴾ [٢٢/ المائدة: ٥].

فقـام ناس منهم وآعتذروا بكثرة آلجراح في آلناس، وطلبوا [منه] أن يرجع بهم إلى الكوفة أيّاماً ثمّ يخرج [بهم].

فرجع بهم غير راضٍ [بما اقترحوا] وأنزلهم النخيلة، وأمرهم أن يلزموا معسكرهم، ويقلّوا زيارة أهلهم، فلم يقبلوا ودخلوا الكوفة حتّى لم يبق معه إلّا قليل، فلما رأى ذلك دخل الكوفة فخطب النّاس فقال:

أيّهـا الناس! آستعدوا لقتال عدوّ في جهادهم القربة إلى اللّه، ودرك الوسيلة عنده، قوم حيارى عن الحقّ لا يبصرونه، موزعين بالجور والظّلم لا يعـدلـون به، و جُفاةٌ عن الكتاب، نكب عن الدّين، يعمهون في الطّغيان، ويتسكّعون في غمرة الضّلالة، فأعدّوا لهم ما آستطعتم من قوّة ومن رباط الخيل،

وتوكّلوا على اللّه وكفى باللّه وكيلاً. فتركهم أيّاماً ثمّ خطبهم بهذه الخطبة.[١]

و «أفّ» بالضمّ والتّشديد والتّنوين: كلمة تضجّر وتكرّه، ولغاتها أربعون[٢]، منها: كسر الفاء كما في بعض النّسخ.

و [قوله عليه السلام:] «عوضاً» و «خلفاً» نصبهما على التّميز. ودوران أعينهم: إمّا للخوف من العدوّ، أو للحيرة والتّردّد بين مخالفته عليه السلام والإقدام على الحرب، وفي كليهما خطر عندهم.

والغمرة: الشّدّة. وغمرات الموت: سكراته الّتي يغمر فيها العقل. والسكر ـ بالفتح ـ: ضدّ الصّحو، والاسم بالضّمّ. وسكرة الموت: شدّته وغشيته. وفي الكلام إشارة إلى قوله تعالى: ﴿[فإذا جاء الخوف رأيتهم] ينظرون إليك تدور أعينهم كالّذي يُغشى عليه من الموت﴾.

«يرتج عليكم حواري»: أي يغلق عليكم محاورتي ومخاطبتي. والألس: الجنون واختلاط العقل، يقال: ألس فهو مألوس.

[و] «سجيس اللّيالي»: كلمة يقال للأبد، تقول: لا أفعله سجيس الليالي، أي: أبداً. [و] «يمال بكم»: أي يستند إليكم ويمال بكم إلى العدوّ، أو الباء بمعنى إلى.

وزوافر الرجل: أنصاره وعشيرته. وزفرت الحمل: حملته. و [لفظة] «زوافر» في أكثر النسخ بالجرّ عطفاً على المجرور. وفي بعضها بالنّصب عطفاً على الظّرف.

---

(١) جميع ما ذكره المصنّف هاهنا تقدّم بأسانيد في الحديث: (٧٥٦) وما بعده في ص ٦٧٨ من ط الكمباني.

(٢) وتفصيلها في حرف الفاء من القاموس وتاج العروس.

وهذه الأقوال كلّها ذكرها كمال الدين البحراني في شرحه على المختار: (٣٤) من كتاب نهج البلاغة: ج٢، ص ٨٠ ط بيروت.

والإبل: آسم للجمع. [و] «ضلّ رُعاتها»: أي ضاع وفقد من يعلم حالها والحيلة في جمعها، أو لم يهتد من يرعاها إلى طريق جمعها.

«لبئس لعمرو اللّه»: اللّام جواب القسم، والتكرير للتأكيد، والعمرو ـ بالفتح ـ : العمر وهو قسم ببقاء اللّه. والسعر آسم جمع لساعر، وإسعار النّار وسعرها: إيقادها.

والإمتعاض : الغضب. و «أيم» مخفّف أيمن. وهو جمع يمين، أي أيم اللّه قسمي. و «حمس» ـ كفرح ـ: أشتدّ. و «الوغا» الأصوات والجلبة، ومنه قيل للحرب وغا. و «استحرّ الموت»: أي اشتدّ وكثر.

[قوله عليه السلام:] «قد انفرجتم»: أي تفرّقتم. وآنفراج الرأس مَثَل لشدّة التّفرّق.

قيل: أوّل من تكلم به اكثم بن صيفي في وصيّة له [لبنيه قال:] يا بنّي لا تنفرجوا عند الشدائد آنفراج آلرأس فإنّكم بعد ذلك لا تجتمعون على عزّ.

وفي معناه أقوال:

الأوّل: قال آبن دريد: معناه أنّ الرأس إذا آنفرج عند البدن لا يعود إليه.

الثاني: قال آلمفضل: الرأس آسم رجل تنسب إليه قرية من قرى الشّام يقال لها: بيت الرأس، وفيها تباع الخمر، وهذا الرجل قد آنفرج عن قومه ومكانه فلم يعد فضرب به المثل.

الثالث: قال بعضهم: معناه أنّ الرأس إذا آنفرج بعض عظامه عن بعض، كان بعيداً عن الإلتئام والعود إلى الصحّة.

الرابع: قيل معناه: آنفرجتم عنّي رأساً. ورُدّ بأنّ «رأساً» لا يعرّف.

الخامس : قيل: المعنى آنفراج رأس من أدنى رأسه إلى غيره ثمّ حرف رأسه عنه.

السادس : قيل: آلرأس آلرجل العزيز؛ لأنّ الأعزّاء لا يبالون بمفارقة أحد.

السابع: معناه آنفراج المرأة عن رأس ولدها حالة الوضع، فإنّه في غاية الشّدة [و] نحوه قوله عليه السّلام: في موضع آخر: «آنفراج المرأة عن قُبُلها». وبعده واضح.

وعرق اللّحم ـ كنصر ـ: أكله ولم يبق منه على العظم شيئاً. وهشم العظم ـ كضرب ـ : كسره. وفريت الشيء: قطعته. و «الجوانح»: الأضلاع التّي تحت التّرائب، وهي ممّا يلي الصدر كالضلوع ممّا يلي الظّهر. «وما ضمّت عليه»: هو القلب. والمذكورات كنايات عن النهب والأسر والإستئصال وأنواع الضررّ.

قوله عليه السلام: «فكن ذاك إن شئت» قال آبن أبي الحديد: خاطب من يمكّن عدوّه من نفسه خطاباً عاماً، لكن الرّواية وردت بأنّه عليه السّلام خاطب بذلك الأشعث بن قيس، فإنّه قال لعلّي عليه السلام حين [كان] يلوم الناس على تقاعدهم [عنه] ـ: «هلاّ فعلت فعل آبن عفّان!». فقال: «إنّ فعل آبن عفّان مخزاة على من لا دين له ولا وثيقة معه، إنّ آمرءً مكن عدوّه من نفسه، يهشم عظمه، ويفري جلده لضعيف رأيه، مأفون عقله، فكن ذاك إن أحببت. فأمّا أنا فدون أن أعطي ذاك ضرب بالمشرفيّة» إلى آخر الفصل. انتهى.

أقــول : سيأتي تمام القول برواية المفيد.

[قوله عليه السلام:] «فأمّا أنا فواللّه»: الظاهر أنّ خبر «أنا» الجملة التي خبرها «دون»، والمبتدأ [هو قوله:] «ضرب». و [قوله:] «ذلك» إشارة إلى تمكين العدوّ، أو فعل ما فعله عثمان.

والمشرفيّة بفتح الميم والراء: سيوف منسوبة إلى مشارف اليمن. وفراش الهام: العظام الرقيقة تلي القحف. وطاح يطيح أي: سقط. وأوزعه بالشّيء: أغراه. وسكع ـ كمنع وفرح ـ: مشى مشياً متعسفاً لا يدري أين يأخذ من بلاد اللّه وتحيّر كتسكّع.

[قوله عليه السلام:] «كيلا تجهلوا»: أي [كي لا] تبقوا على الجهالة.

٩٣٦ ـ ٩٣٧ ـ نهـج: ومن كلام له عليه السّلام في ذمّ أصحابه:

كم أداريكم كما تداري البكار العمدة، والثّياب المتداعية، كلّما حيصت من جانب، تهتّكت من أخرى. أكلّما أظلّ عليكم منسر من مناسر أهل الشّام، أغلق كلّ رجل منكم بابه، وانجحر انجحار الضّبة في جحرها، والضّبع في وجارها، الذّليل واللّه من نصرتموه، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل.

إنكم واللّه لكثير في الباحات، قليل تحت الرّايات. وإنّي لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم، ولكنّي لاأرى إصلاحكم بإفساد نفسي، أضرع اللّه خدودكم، وأتعس جدودكم، لاتعرفون الحقّ كمعرفتكم الباطل، ولا تبطلون الباطل كإبطالكم الحقّ.

وقال عليه السلام في سُحْرَة اليوم الذي ضُرِب فيه: ملكتني عيني وأنا جالس، فسنح لي رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله فقلت: يا رسول اللّه ماذا لقيت من أمّتك من الأود واللّدد. فقال: «ادع عليهم». فقلت: أبدلني اللّه بهم خيراً لي منهم، وأبدلهم بي شرّاً لهم منّي.

قال السيّد [الرضّي] رضي اللّه عنه: يعني عليه السلام بـ «الأود»: الإعوجاج، وبـ «اللدد»: الخصام. وهذا من أفصح الكلام.

إيضاح: البكار بالكسر، جمع بكر بالفتح، وهو الفتي من الإبل.

٩٣٦-٩٣٧ رواها الشريف الرضيّ في المختار: (٦٦) وتاليه من كتاب نهج البلاغة.

والعمدة بكسر الميم من العمد [وهو]: الورم والدبر. وقيل العمدة: التّي كسرها ثقل حملها. وقيل: التّي قد انشدخت أسنمتها من داخل وظاهرها صحيح. والثّياب المتداعية: الخلقة التي تنخرق، فكأنّه يدعو الباقي إلى الإنخراق. وحاص الثّوب يحوصه حوصاً: خاطه. وتهتّكت أي: تخرّقت. و «أظلّ عليكم»: أي أقبل إليكم ودنا منكم. وفي بعض النّسخ: «[أطلّ عليكم]» ـ بالمهملة ـ: أي أشرف.

والمنسر ـ كمجلس وكمنبر ـ: القطعة من الجيش تمر قدّام الجيش الكثير. والجحر ـ بالضمّ ـ: كلّ شيء يحتفره السبّاع والهوامّ لأنفهسا. وجحر الضّبّ ـ كمنع ـ أي: دخله. وجحره غيره: أدخله فانجحر وتجحّر وكذلك أجحره. والضّبع مؤنّثة ووجارها ـ بالكسر ـ: جحرها.

والأفوق: المكسور الفوق والنّاصل: النزوع النصل. والباحة: الساحة. والراية العلم. والأود ـ بالتحريك ـ: العوج.

والمراد يصلحهم: إقامة مراسم السّياسة [فيهم] من القتل والتعذيب والحيل والتدابير المخالفة لأمر اللّه تعالى.

والضراعة: الذّلّ والاستكانة. والتّعس : الهلاك والإنحطاط. والجَدّ: البخت والحظّ. والغرض، الدعاء عليهم بالخزي والخيبة.

قوله عليه السلام: «لا تعرفون الحقّ»: المراد بالحقّ: إمّا أوامر اللّه تعالى، أو أمور الآخرة. وبالباطل: زخارف الدّنيا. أو الحقّ متابعته عليه السّلام ونصره. والباطل: عصيانه وترك نصرته. أو الحق: الدّلائل الدّالّة على فرض طاعته، والباطل: الشّبه الفاسدة، كشبهتهم في خطر قتال أهل القبلة.

و [المراد بـ] المعرفة: إمّا العلم أو العمل بما يقتضيه من نصرة الحقّ وإنكار المنكر. والسُحرة ـ بالضمّ ـ: السّحر الأعلى. وملك العين: كناية عن غلبة النّوم. و «سنح لي»: أي رأيته في المنام، أو مرّ بي معترضاً.

وبناء التّفضيل في [قوله عليه السلام:] «شراً» على آعتقاد القوم، فإنّهم لّما لم يطيعوه حقّ الطاعة، فكأنّهم زعموا فيه شراً.

٩٣٨ ـ نهـج: من كلام له عليه السّلام: «ولئن أمهل اللّه الظّالم، فلن يفوت أخذه، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه، وبموضع الشّجى من مساغ ريقه.

أما والّذي نفسي بيده، ليظهرنّ هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنّهم أولى بالحقّ منكم، ولكن؛ لاسراعهم إلى باطل صاحبهم، وإبطائكم عن حقّي.

ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رُعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيتّي.

استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سرّاً وجهراً فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا، أشهود كغيّاب! وعبيد كأرباب! أتلو عليكم الحِكَم فتنفرون منها، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرّقون عنها، وأحثّكم على جهاد أهل البغي فما آتي على آخر قولي حتّى أراكم متفرّقين أيادي سبا، ترجعون إلى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم، أقوّمكم غُدوةً وترجعون إليّ عشيّةً كظهر الحنيّة [الحيّة «خ»] عجز المقوّم وأعضل المقوّم.

أيّها الشاهدة أبدانهم، آلغائبة عنهم عقولهم، آلمختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم! صاحبكم يطيع اللّه وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي اللّه وهم يطيعونه لوودت واللّه أنّ معاوية صارفني بكم صرف الدّينار بالدرهم، فأخذ منّي عشرةً منكم وأعطاني رجلاً منهم.

يا أهل الكوفة، منيت منكم بثلاث وآثنتين: صمّ ذوو أسماع، وبكم ذوو كلام، وعمي ذوو أبصار، لا أحرار صدق عند اللّقاء ولا إخوان ثقة عند البلاء.

تربت أيديكم! يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها! كلّما جمعت من جانب

٩٣٨ـ رواه السّيّد الرضيّ رفع اللّه مقامه في المختار: (٩٥) من كتاب نهج البلاغة.

تفرّقت من جانب [آخر]، واللّه لكأنّي بكم فيا إخال لو حمس الوغى، وحمي الضّراب قد انفرجتم عن أبن أبي طالب آنفراج المرأة عن قُبُلها. وإنّي لعلى بيّنة من ربّي، ومنهاج من نبيّي، وإنّي لعلى الطريق الواضح ألقُطُهُ لقطاً.

أنظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم، واتّبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدىً ولن يعيدوكم في ردىً، فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا.

لقـد رأيت أصحـاب محمد صلّى اللّه عليه وآله فما أرى أحداً منكم يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، [و] قد باتوا سُجّداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأنّ بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر اللّه سبحانه هملت أعينهم حتّى تبلّ جيوبهم، ومادوا كما يميد الشّجر يوم الرّيح العاصف، خوفاً من العقاب، ورجاء الثواب.

تبيـــان :

[قوله عليه السّلام]: «فلن يفوت»: المفعول محذوف أي: فلن يفوته. والأخذ: التّناول والعقوبة. والمرصاد: الطريق يرصد بها. والشّجى: ما ينشب في الحلق من عظم وغيره، وموضع الشجى هو الحلق. ومساغ ريقه: موضع إساغته. وساغ الشراب: سهل مدخله في الحلق. وسغت الشراب يتعدّى ولا يتعدّى.

وهذا [الكلام منه عليه السلام] إمّا تهديد لأهل الشام أو لأصحابه، كما سيأتي من نسبة الظلم إليهم.

وظهر عليه: غلبه وراعي القوم: من ولي عليهم. والاستنفار. الاستنجاد والاستنصار أو طلب النفور والاسراع إلى القتال.

قوله عليه السّلام: «وعبيد كأرباب»: أي أخلاقكم أخلاق العبيد من

الخلاف والنفاق ودناءة الأنفس، وفيكم مع ذلك كبر السّادات وتيههم وعدم إطاعتهم، أو حكمكم حكم العبيد في وجوب الإطاعة وتأبون عنها كالسّادة. وهذا أنسب بالفقرة السابقة.

و «أيادي سبا»: مثل يضرب للمتفرّقين، واصله قوله تعالى عن أهل سبأ: ﴿ومزّقناهم كلّ ممزّق﴾ [١٩/ سبأ: ٣٤] وسبأ مهموز يصرف ولا يصرف، ويمدّ ولا يمدّ، وهو بلدة «بلقيس» ولقب ابن يشجب بن يعرب يقال: ذهبوا أيدي سبا وأيادي سبا ـ الياء ساكنة وكذلك الألف هكذا نقل المثل ـ أي متفرّقين، وهما اسمان جعلا واحداً، مثل معد يكرب ضرب المثل بهم لأنّهم لّما غرق مكانهم وذهبت جنّاتهم تبدّدوا في البلاد، ولهم قصّة غريبة مذكورة في كتب الأمثال.

قوله عليه السّلام: «وتتخادعون» المخادعة: هي الاستغفال عن المصلحة، أي إذا رجعتم عن مجلس الوعظ أخذ كلّ منكم يستغفل صاحبه ويشغله بالأحاديث، وإن لم يكن عن قصد خداع بل يقع منهم صورة المخادعة. كذا ذكره ابن ميثم.

وقال ابن أبي الحديد: تتخادعون عن مواعظكم أي تمسكون عن الاتّعاظ من قولهم: كان فلان يعطي ثمّ خدع أي أمسك وأقلع. ويجوز أن يريد تتلونّون وتختلفون في قبول الوعظ من قولهم: خلق فلان خلق خادع أي: متلوّن. وسوق خادعة أي: متلوّنة مختلفة.

ولا يجوز أن يراد المعنى المشهور منها، لأنّه إنّما يقال: فلان يتخادع فلاناً إذا كان يريد أن ينخدع له وليس بمنخدع في الحقيقة، وهذا لا يناسب المقام.

والحنيّة على فعيلة: القوس، أي ترجعون [إليّ] معوجّاً كاعوجاج ظهر القوس وأعضل وأشكل، وكأنّ غيبة عقولهم كناية عن تركهم العمل بما تقتضيه، أو عن ذهابها.

قوله عليه السلام: «منيت»: أي ابتليت. وإنّما لم يجمع الخمس لكون

الثلاث من جنس، والاثنتين من [جنس] آخر أولأنّ الثلاث إيجابيّة دون الإثنتين.
والحرّ: خلاف العبد والخيار من كلّ شيء. واللقاء: ملاقات الأحباب أو العدوّ.

وقوله [عليه السلام:] «تربت أيديكم»: كلمة يدعى على الإنسان بها: أي لا أصبتم خيراً. وأصل «ترب»: أصابه التراب، فكأنّه يدعى عليه بأن يفتقر.

وقال [ابن الأثير] في [مادة «ترب» من كتاب] النهاية: هذه الكلمة جارية على ألسنة العرب لا يريدون بها الدعاء على المخاطب، ولا وقوع الأمر بها، كما يقولون: قاتله اللّه. وقيل: معنى للّه درّك. قال: وكثيراً ترد للعرب ألفاظ ظاهرها الذمّ وإنّما يريدون بها المدح، كقولهم: لا أب لك، ولا أمّ لك.. وهوت أمّه. ولا أرض لك. ونحو ذلك.

وقال المطرّزي في قولهم: «كأنّي بك تنحط» الأصل: كأنّي أبصرك تنحط ثمّ حذف الفعل وزيدت الباء. ويحتمل أن يكون الباء متعلّقاً بملتصق ونحوه، نحو «به داء» أو بمعنى في.

وخال الشيء: يخاله أي ظنّه. وتقول: خلت إخال بالكسر وبالفتح، لغة بني أسد كما في النسخ، و «ما» مصدريّة، أي: في ظنّي. وحمس ـ كفرح ـ أي: اشتدّ. وحمي ـ كرضي ـ: اشتدّ حرّه.

وانفرجتم: تفرّقتم. قال ابن ميثم: شبّه انفراجهم عنه بانفراج المرأة عن قبلها ليرجعوا إلى الأنفة، وتسليم المرأة قبلها وانفراجها عنه إمّا وقت الولادة، أو وقت الطّعان.

قوله [عليه السّلام] «ألقطه»: كأنّه إشارة إلى أنّ الضّلال غالب على الهدى، فيحتاج السالك إلى التقاط طريق الهدى من بين طرق الضّلالة[1]. وفي

(١) بل الظاهر أنّ الكلام إشارة إلى أنّ طلب استنفار الناس وبعثهم إيّاهم إلى قتال المبطلين

بعض النسخ:« ألفظه لفظاً»: أي أبيّنه بياناً. والسمت: الجهة والطريق وهيئة أهل الخير.

«فـإن لبـدوا»: أي قعـدوا عن طلب الخـلافة والجهاد ولزموا البيوت فتابعوهم، وإن قاموا بها فانصروهم، يقال: لبد الشيء بالأرض ـ كنصر ـ أي: التصق بها. [وقوله عليه السّلام]: «ولا تسبقوهم»: أي ما لم يأمروكم به. «ولا تتأخّروا عنهم»: أي لا تخالفوهم فيما يأمرونكم به.

[قوله عليه السلام:] «يراوحون»: أي يسجدون بالجبهة مرّةً وبالخدود أخرى، ووقوفهم على مثل الجمر ـ [وهو] جمع جمرة ـ وهي النار المتّقدة: كناية عن قلقهم وٱضـطرابهم من خوف المعاد. و«المعزى» بالكسر: خلاف الضأن كالمعـز. والمـراد بـ «بـين أعينهم»: جبـاههم مجازاً. [و] «هملت» أي: سالت. و «مادوا» أي تحرّكوا وٱضطربوا.

٩٣٩ـ نهـــج: ومن كلام له عليه السّلام في ذمّ [العصاة من] أصحابه:

أحمد اللّه على ما قضى من أمر، وقدّر من فعل، وعلى ٱبتلائي بكم أيّتها الفرقة الّتي إذا أمرت لم تطع، وإذا دعوت لم تجب، إن أمهلتم [أهملتم] خضتم، وإن حوربتم خرتم، وإن ٱجتمع النّاس على إمام طعنتم، وإن أجبتم [أجئتم «خ ل»] إلى مشاقّة نكصتم، لا أباً لغيركم! ما تنتظرون بنصركم، والجهاد على حقّكم!

المـوت أو الذّلّ لكم! فواللّه لئن جاء يومي ـ وليأتيني ـ ليفرّقن بيني وبينكم، وأنا لصحبتكم قالٍ، وبكم غير كثير.

ليس رأياً مشوباً بفكره الفردي بل هو مأخوذ وملتقط من صميم حكم القرآن وصريح القرآن وصريح بيان رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله له وأنّه أخذ الحكم من النبيّ كالتقاط الفرخ من أمّه.

٩٣٩ـ رواه السيّد الرضيّ رفع اللّه مقامه في المختار: (١٧٨) من كتاب نهج البلاغة.

للّه أنتم! أما دين يجمعكم، ولا محمية تشحذكم! أوليس عجباً أنّ معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتّبعونه على غير معونة ولا عطاء، وأنا أدعوكم ـ وأنتم تريكة الإسلام وبقيّة الناس ـ إلى المعونة أو طائفة من العطاء، فتفرّقون عنّي وتختلفون عليّ! إنّه لا يخرج إليكم من أمري رضىً فترضونه، ولا سخط فتجتمعون عليه، وإنّ أحبّ ما أنا لاق إليّ الموت.

قد دارستكم الكتاب، وفاتحتكم الحجاج، وعرّفتكم ما أنكرتم، وسوّغتكم ما مججتم، لو كان الأعمى يلحظ، أو النّائم يستيقظ! وأقرب بقوم من الجهل باللّه قائدهم معاوية، ومؤدّبهم ابن النابغة!

توضيح: [قوله عليه السّلام:] «على ما قضى من أمر» قيل: الأمر أعمّ من ان يكون فعلاً، ولّما كان القدر هو تفصيل القضاء وإيجاد الأشياء على وفقه، قال: «وقدّر من فعل». والإبتلاء: الامتحان. وأمهله أي رفق به وأخّره.

وفي بعض النسخ: «[إن] أهملتم» أي تركتم، «خضتم»: أي في الضلالة والأهواء الباطلة. [و] «خرتم» بالخاء من الخور: بمعنى الضعف. أو من خوار الثّور بمعنى الصياح. ويروى [«جرتم»] بالجيم، أي: عدلتم عن الحقّ أو عن الحرب فراراً.

قوله عليه السّلام: «أجئتم»: قال ابن ابي الحديد: بالهمزة الساكنة بعد الجيم المكسورة، أي: ألجئتم قال تعالى: «فأجاءها المخاض». وفي بعض النسخ: «أجبتم» على بناء المعلوم بالباء.

والمشاقّة: المقاطعة والمصاربة. والنكوص: الرجوع إلى ما وراء.

قوله عليه السلام: «لا أباً لغيركم» قال ابن ميثم: أصله لا أب والألف مزيدة، إمّا لاستثقال توالي أربع حركات، أو لأنّهم قصدوا الاضافة وأتوا باللّام للتأكيد. وفي الدعاء بالذلّ لغيرهم نوع تلطّف لهم.

قوله عليه السّلام: «الموت أو الذلّ»: في أكثر النّسخ برفعها، وفي بعضها بالنصب. قال ابن أبي الحديد: [وهذا] دعاء عليهم بأن يصيبهم أحد الأمرين، كأنّه شرع داعياً عليهم بالفناء الكلّي وهو الموت، ثمّ استدرك فقال: أو الذلّ؛ لأنّه نظير الموت، ولقد أجيب دعاؤه بالدعوة الثّانية، فإنّ شيعته ذلّوا بعده في الأيّام الأموية.

أقول: هذا على الرفع ظاهر، وأمّا على النّصب فيحتمل الدعاء أيضاً بتقدير أرجو أو أطلب، ويحتمل الاستفهام، أي: أتنتظرون الموت؟!

وقيل:[1] في قوله عليه السلام: «وليأتيّ»: حشوة لطيفة بين الكلام؛ لأنّ لفظة «إن» أكثر ما تستعمل لما لا يعلم حصوله، فأتى بعدها بما يردّ ما تقتضيه من الشكّ في إتيان الموت، وأشعر بأنّ الموضع موضع «إذا». والقالي: المبغض.

قوله عليه السّلام: «غير كثير»: أي لستم سبب كثرة أعواني.

و[قوله عليه السلام] «للّه أنتم»: من قبيل للّه أبوك، ولعلّه هنا للتعجّب على سبيل الذمّ، ويحتمل المدح تلطّفاً.

وارتفاع قوله: «دين» بفعل مقدّر يفسرّها الفعل المذكور بعده. وشحذت النصل: حددته. والطغام: أراذل الناس الواحد والجمع سواء.

ومعونة الجند: شيء يسير من المال يعطيهم الوالي لترميم أسلحتهم وإصلاح دوابّهم سوى العطاء المفروض في كلّ شهر كما قيل[2].

ومنشأ تعجبه عليه السلام امور:

أحدها: أنّ الداعي لهم معاوية، ولهؤلاء أمير المؤمنين، وكيف يساوي

(١ ـ ٢) القائل في الموردين هو كمال الدين ابن ميثم البحراني في شرحه على الكلام من شرح نهج البلاغة: ج٣ ص ٣٧٦ ـ ٣٧٧ ط بيروت.

عاقل بينهما؟

وثانيها: أنّ المدعوّ هناك، الجفاة الطغام مع خلوّهم غالباً عن الحميّة والمروءة، وهاهنا أصحابه الذين هم تريكة الإسلام.

وثالثها: أنّ أصحاب معاوية يتّبعونه على غير معونة ولا عطاء، وأصحابه عليه السلام لا يجيبونه إلى المعونة والعطاء، فإنّ معاوية إنّما كان يعطي رؤساء القبائل الأموال الجليلة، ولا يعطي الجند على وجه العطاء والمعونة شيئاً، وهم كانوا يطيعون الرؤساء للحميّة أو العطايا من هؤلاء لهم.

والتريكة: بيضة النعامة تتركها في مجثمها، أي: أنتم خلف الإسلام وبقيّته، كالبيضة التي تتركها النّعامة.

وقوله [عليه السّلام] «إلى المعونة» متعلّق بـ [قوله:] «أدعوكم»..

قوله عليه السلام: «لا يخرج إليكم» أي: إنكم لا تقبلون مما أقول لكم شيئا، سواء كان مما يرضيكم أو مما يسخطكم. «وإلى» متعلّق بقوله: «أحبّ». ودرس الكتاب: ـ كنصر وضرب ـ أي قرأ فقوله: «دارستكم الكتاب»: أي قرأته عليكم للتعليم، وقرأتم عليّ للتعلّم.

قوله عليه السلام: «وفاتحتكم»: أي حاكمتكم بالمحاجّة والمجادلة. وساغ الشّراب في الحلق أي: دخل بسهولة. ومججته من فمي: أي رميت به أي بينت لكم الأمور الدينيّة ما كنتم تنكرونه بآراكم، وأعطيتكم من العطايا ما كنتم محرومين منها.

وكلمة «لو» في قوله عليه السلام: «لو كان»: للتمنّي أو الجزاء محذوف.

وقوله عليه السلام: «وأقرب بقوم» بصيغة التعجّب، أي ما أقربهم إلى الجهل. وقوله عليه السلام: «قائدهم معاوية»: صفة لقوم، فصل بين الصفة والموصوف بالجار والمجرور، وهو مجوّز. وورد مثله في الكلام المجيد.

٩٤٠ ـ نهـج: من خطبة له عليه السلام: عباد اللّه، إنكم وما تأملون من هذه الدّنيا أثوياء مؤجّلون، ومدينون مقتضون، أجل منقوص، وعمل محفوظ، فربّ دائب مضيّع وربّ كادح خاسر.

وقد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلّا إدباراً، والشرّ فيه إلّا إقبالاً، والشيطان في هلاك النّاس إلّا طمعاً، فهذا أوان قويت عدّته، وعمّت مكيدته، وأمكنت فريسته.

إضـرب بطرفك حيث شئت من الناس، فهل تبصر إلّا فقيراً يكابد فقراً، أوغنياً بدّل نعمة اللّه كفراً، أو بخيلاً اتّخذ البخل بحقّ اللّه وفراً، أو متمرّداً كأنّ بأذنه عن سمع المواعظ وقراً!

أين خياركم وصلحاؤكم وأين أحراركم وسمحاؤكم؟ وأين المتورّعون في مكاسبهم، والمتنزّهون في مذاهبهم؟ أليس قد ظعنوا جميعاً عن هذه الدّنيا الدنيّة والعاجلة المنغّصة؟ وهل خلّفتم إلّا في حُثالة لا تلتقي بذمّهم الشّفتان آستصغاراً لقدرهم، وذهاباً عن ذكرهم! فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون.

ظهر الفساد فلا منكر مغيّر، ولا زاجر مزدجر.

أفبهـذا تريدون أن تجاوروا اللّه في دار قدسـه، وتكونوا أعزّ أوليائه عنده؟! هيهات! لا يخدع اللّه عن جنّته، ولا تنال مرضاته إلّا بطاعته.

لعن اللّه الآمرين بالمعروف التّاركين له، والنّاهين عن المنكر العاملين به.

بيـــان :

الأثوياء: جمع ثوى وهو الضيّف. [و] «مؤجلّون»: أي مؤخّرون إلى وقت معلوم. و «المدين»: المديون. و «المقتضون». جمع مقتضي على بناء المفعول.

٩٤٠ـ رواه الشريف الرضيّ رحمه اللّه في المختار: (١٢٧) من كتاب نهج البلاغة.

[قوله عليه السلام:] «أجل منقوص»: أي أجلكم أجل منقوص يوماً بعد يوم، ولحظةً فلحظة، وعملكم عمل مفحوظ عند اللّه.

والدائب: المجتهد ذو الجدّ والتعب. و «الكادح»: الساعي. و «أمكنت»: أى أمكنته، يقال: أمكنني الأمر أي سهل وتيسّر. وكابده مكابدةً: أي قاساه وتحمّل المشاق فيه.

وذكره في هذا المقام، إمّا لأنّ الغرض بيان ما سبق من إدبار الخير وإقبال الشرّ وعموم الضلال ومقاسات الفقراء بيان للأولين، فالخير والشرّ يعمّان الدنيويّين والأخرويّين. وإمّا لأنّ شيوع الفقر لمنع الحقوق الواجبة، أو المراد بمكابدة الفقر ترك الصبر عليه وهو أيضاً من المنكرات.

[قوله عليه السلام:] «بدّل نعمة اللّه»: أي الغنى. أو ولايته عليه السلام. والتخصيص لشدّة إنكارهم لقوتهم أو الأعمّ. والوفر: المال الكثير.

وقوله [عليه السلام]: «بحقّ اللّه» متعلّق بـ[قوله:] «البخل» أي يعدّ بخله بحقّ اللّه توفير المال والزيادة فيه. والوقر: ثقل الأذن.

«أين أحراركم»: أي الّذين اعتقوا من رقّ الشهوات. والتورّع. مبالغة في الورع. والتنزّه: التباعد عن القبيح. وظعن ـ كمنع ـ أي سار وارتحل. وأنغص اللّه عليه العيش ونغّصه: كدّره والحثالة: الرّديء من كل شيء.

[قوله عليه السّلام]: «لا تلتقي بذمّهم» :أي إنّهم أحقر من أن يشتغل الإنسان بذمّهم؛ لأنّه لابدّ في الذمّ من إطباق إحدى الشفّتين على الأخرى و«ذهاباً» أي ترفّعاً يقال: فلان ذهب بنفسه عن كذا، أي رفعها عنه.

«ولا زاجر مزدجر»: أي من يزجر غيره عن القبائح وتمتنع نفسه أيضاً عنها.

[قوله] «في دار قدسه» أي الجنّة؛ لأنّ أهلها يقدّسونه تعالى وهم منزّهون

عن العيوب. ومجاورة اللّه: سكون تلك الدّار المنسوبة إليه سبحانه تشريفاً. وقربه: مجاورة رحمته.

«هيهات»: أي بعدما تريدون. «لا يخدع ٱللّه عن جنّته» أي: لايمكن أخذها منه تعالى بالخديعة. والمرضاة: الرّضا.

وآخر الكلام يدلّ على اشتراط الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر بالعمل بهما. وسيأتي الكلام فيه في محلّه إن شاء اللّه. ولعلّ غرضه عليه السّلام التّعريض بالسابقين الغاصبين.

٩٤١ ـ نهج: [و] من خطبة له عليه السّلام: أرسله داعياً إلى الحق، وشاهداً على الخلق فبلّغ رسالات ربّه غير وانٍ ولا مقصّر، وجاهد في اللّه أعداءه غير واهن ولا معذّر، [فهو] إمام من ٱتّقى، وبصر من اهتدى.

[و] منها:

ولو تعلمون ما أعلم ممّا طُوي عنكم غيبه، إذاً لخرجتم إلى الصُعُدات تبكون على أعمالكم، وتلتدمون على أنفسكم، ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا خالف عليها ولهمّت كل ٱمرىءٍ منكم نفسه لا يلتفت إلى غيرها. ولكنكم نسيتم ما ذُكرّتم، وأمنتم ما حُذّرتم، فتاه عنكم رأيكم وتشتّت عليكم أمركم.

لوددت أنّ اللّه فرّق بيني وبينكم، وألحقني بمن هو أحقّ بي منكم، قوم ـ واللّه ـ ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل بالحقّ، متاريك للبغي مضوا قُدماً على الطريقة، وأوجفوا على المحجّة، فظفروا بالعقبى الدّائمة والكرامة الباردة.

أما واللّه ليسلّطنّ عليكم غلام ثقيف، الذّيال الميّال، يأكل خضرتكم، ويذيب شحمتكم، إيهٍ أبا وذحة!

٩٤١ـ رواه الشريف الرضيّ رحمه اللّه في المختار: (١١٤) من كتاب نهج البلاغة.

قال السّيّد رحمه اللّه: الوذحة: الخنفساء، وهذا القول يومئ به إلى الحجاج وله مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره.

توضيح: الواني: الفاتر الكال. والواهن: الضّعيف. والمعذّر: الذي يعتذر من تقصيره من غير عذر كما قال تعالى: «وجاء المعذّرون من الأعراب» [٩٠/ التّوبة: ٩].

[قوله عليه السلام:] «مما طُوي عنكم» أي كتم وأخفي. وقال [ابن الأثير] في [مادّة «صعد» من كتاب] النهاية: [و] فيه: «إيّاكم والقعود بالصعدات»: هي الطرق، وهي جمع صُعُد و صُعُد: جمع صَعيد كطريق وطُرُق وطرقات.

وقيل: جمع صعدة كظلمة، وهي فناء باب الدّار وممّر النّاس بين يديه. ومنه الحديث: «ولخرجتم إلى الصّعدات تجأرون إلى اللّه».

وقال ابن أبي الحديد: الصعيد: التراب. ويقال وجه الأرض. والجمع: صُعُد وصُعُدات.

و [قال الفيروزآبادي] في القاموس: الصعيد: التراب أووجه الأرض، والجمع: صُعُد وصُعُدات، والطريق، ومنه: «إيّاكم والقعود بالصّعدات». والقبر. انتهى.

فالمعنى: خرجتم عن البيوت وتركتم الاستراحة والجلوس على الفرش، للقلق والإنزعاج، وجلستم في الطّرق أو على التراب أو لازمتم القبور.

والالتدام: ضرب النّساء وجوههنّ في النّياحة.

قوله عليه السلام: «ولا خالف»: أي ولا مستخلف عليها.

قوله عليه السلام: «ولهمّت» قال ابن أبي الحديد: أي أذابته وأنحلته من [قولهم:] همت الشحم: أي أذبته.

ويروى «ولأهمّت» وهو أصحّ من [قولهم:] أهمني الأمر:أي أحزنني.

وفيه نظر؛لأنّ «همّ» أيضاً يكون بمعنى «أهمّ». قال [الفيروزآبادي] في القاموس: همّه الأمر همّاً:حزنه، كأهمّه فاهتمّ انتهى. و [كلمة] «كلّ» منصوب على المفعولية والفاعل [لفظة]: «نفسه». ويقال: تاه فلان يتيه، إذا تحيّر وضلّ. وتاه يتوه أي هلك واضطرب عقله.[1] وتشتّت: أي تفرّق.

والمراد بمن هو أحقّ به عليه السّلام [هو] رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، وحمزة وجعفر، ومن لم يفارق الحق من الصحابة.

والمراجيح: الحكماء. وقال الجوهري: راجحته فرجحته: أي كنت أرزن منه، ومنه قوم مراجيح الحلم. انتهى.

والمقاويل: جمع مقوال: أي حسن القول أو كثيره. والمتاريك: جمع متراك أي كثير الترك.

قوله عليه السلام: «مضوا قدماً» بالضمّ وبضمّتين: أي متقدّمين لا ينثنون. و «أوجفوا»: أي أسرعوا. و «الكرامة الباردة»: [هي] التّي ليس فيها حرّ تعب، ولا مشقّة حرب.

و «الذّيال»: هو الذي يجرّ ذيله على الأرض تبختراً، يقال: ذال فلان وتذيّل: أي تبختر. و «الميّال»: الظّالم.

قوله عليه السلام: «يأكل خضرتكم»: أي يستأصل أموالكم. و«الخضرة» بفتح الخاء وكسر الضاد: الزرع والبقلة الخضراء والغصن. وإذابة الشحمة مثله كما قيل، والمراد تعذيب الأبدان.

قوله عليه السّلام: «إيه أبا وذحة»: إيه: كلمة استزادة أي زد وهات.

وقال ابن أبي الحديد في قول السيّد «الوذحة الخنفساء»:

أقول: لم أسمع هذا من شيخ من أهل اللغة، ولا وجدته في كتاب من كتب اللّغة، والمشهور أنّ الوذح [هو] ما يتعلّق بأذناب الشّاة من أبعارها فيجفّ.

ثمّ إنّ المفسرّين بعد الرضي رضي اللّه عنه قالوا في قصّة هذا الخنفساء وجوهاً:

منها أنّ الحجّاج رأى خنفساء تدبّ إلى مصلّاه فطردها، فعادت، ثمّ طردها فعادت، فأخذها بيده فقرصته قرصاً، ورمت يده منه ورماً كانت فيه حتفه. قتله اللّه تعالى بأهون خلقه، كما قتل نمرود بن كنعان بالبقّة.

ومنها أنّ الحجاج كان إذا رأى خنفساء، يأمر بإبعادها ويقول: هذه وذحة من وذح الشيطان، تشبيهاً بالبعرة المعلّقة بذنب الشاة.

ومنها أنّه قد رأى خنفساوات مجتمعات، فقال: واعجبا! لمن يقول: إنّ اللّه خلق هذه. قيل: فمن خلقها أيّها الأمير! قال: الشيّطان، إنّ ربكم لأعظم شأناً من أن يخلق هذه الوذح. قالوا: فجمعها على «فعل» كبدنة وبدن، فنقل قوله هذا إلى الفقهاء في عصره فأكفروه.

ومنها: أنّ الحجّاج كان مثفاراً: أي ذا أبنةٍ، وكان يمسك الخنفساء حيّة ليشفي بحركتها في الموضع حكاكه. قالوا: ولا يكون صاحب هذا الدّاء إلّا شانئاً مبغضاً لأهل البيت عليهم السلام. قالوا: ولسنا نقول كلّ مبغض فيه هذا الدّاء، بل [نقول:] كلّ من فيه هذا الدّاء فهو مبغض.

قالوا: وقد روى أبو عمر الزاهد ـ ولم يكن من رجال الشيعة ـ في أماليه وأحاديثه عن السّياري، عن أبي خزيمة الكاتب قال: ما فتّشنا أحداً فيه هذا الداء، إلّا وجدناه ناصبياً.

قال أبو عمر: وأخبرني العطافي عن رجاله، قالوا: سئل جعفر بن محمّد

الصّادق عليه السّلام عن هذا الصّنف من النّاس، فقال لهم: رحم منكوسة، يؤتى ولا يأتي. وما كانت هذه الخصلة في وليّ اللّه تعالى أبداً قطّ، ولا تكون أبداً وإنّما كانت في الفسّاق والكفّار والنّاصب للطّاهرين.

وكان أبو جهل بن هشام المخزومي من القوم، وكان أشدّ الناس عداوة لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله. قالوا: ولذلك قال له عتبة بن ربيعة يوم بدر: يا مصفّر أسته. [ثم قال ابن أبي الحديد:] ويغلب على ظنّي أنه [عليه السلام أراد] معنىً آخر، وذلك أنّ عادة العرب أن تكنّي الإنسان إذا أرادت تعظيمه بما هو مظنّة التّعظيم، وإذا أرادت تحقيره [كنّته] بما يستحقر ويستهان به، كقولهم في كنية يزيد بن معاوية لعنه اللّه: أبو زنّة، يعنون القرد. وكقولهم في كنية سعيد بن حفص البخاري المحدّث: أبو الفار. وكقولهم للطفيلي: أبو لقمة. وكقولهم لعبد الملك: أبو الذبّان لبَخَره. وكقول ابن بسّام لبعض الرؤساء:

فأنت لعمري أبو جعفر ولكنّنا نحذف الفاء منه

وقال أيضاً:

لئيم دَرِنٌ الثوب نظيف القصب والقدر
أبو النتن أبو الدفر أبو البعر أبو الجعر

فلنجاسته بالذّنوب والمعاصي، كنّاه أمير المؤمنين عليه السلام أبا وذحة.

ويمكن أن يكنّيه بذلك لدمامته في نفسه، وحقارة منظره، وتشويه خلقته، فإنّه كان دميماً قصيراً سخيفاً، أخفش العينين معوجّ الساقين قصير الساعدين، مجدور الوجه أصلع الرأس، فكنّاه بأحقر الأشياء وهو البعرة.

وقد روى قوم [هذه اللّفظة بصيغة أخرى، قالوا]: «إيه أبا ودجة» قالوا: [هي] واحدة الأوداج كنّاه بذلك؛ لأنّه كان قتّالاً يقطع الأوداج بالسيف.

ورواه قوم «أبا وحرة» [بالراء المهملة] وهي دويبة تشبه الحرباء قصير الظهر، شبّهه بها.

[ثمّ قال آبن أبي الحديد:] وهذا وما قبله ضعيف[1].

وأقول: الذبّان ـ بكسر الذال وتشديد الباء ـ جمع الذباب، ومن عادته أن يجلس على المنتن. والقعب ـ بالفتح ـ: القدح الضخم. والدفر ـ بالمهملة ثم الفاء ـ: النتن والذلّ. وبالقاف مصدر دقر كفرح، إذا امتلأ من الطعام. والجعفر ـ بالفتح ـ: ما يبس من العذرة في المعجز:أي الدّبر.

٩٤٢ ـ نهـــج: [و] من كلام له عليه السلام وقد جمع الناس وحضّهم على الجهاد، فسكتوا ملياً، فقال عليه السّلام:

ما بالكم! أمخرسون أنتم!

فقال قوم منهم: يا أمير المؤمنين إن سرت سرنا معك!

فقال [عليه السّلام]: ما بالكم ـ لا سددتم لرشد ولا هُديتم لقصد؟ أفي مثل هذا ينبغي لي أن أخرج! وإنّما يخرج في مثل هذا رجل ممّن أرضاه من شجعانكم وذوي بأسكم، ولا ينبغي لي أن أدع الجند والمصر وبيت المال وجباية الخراج والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق المسلمين [المطالبين «خ ل»] ثمّ أخرج في كتيبة أتبع أخرى، أتقلقل تقلقل القدح في الجفير الفارغ، وإنّما أنا قطب الرحا تدور عليّ، وأنا بمكاني، فإذا فارقته آستحار مدارها، وآضطرب ثفالها، هذا لعمر اللّه الرّأي السّوء.

واللّه لولا رجـائي الشهادة عند لقائي العدوّ ـ لو قد حُمّ لي لقاؤه ـ لقرّبت ركابي، ثمّ شخصت عنكم فلا أطلبكم ما آختلف جنوب وشمال. [طعّانين عيّابين حيّادين روّاغين]. إنّه لا غناء في كثرة عددكم مع قلّة اجتماع قلوبكم.

---

(١) كلّ ذلك أورده آبن أبي الحديد في شرح الكلام وهو المختار: (١١٤ أو ١١٥) من نهج البلاغة من شرحه: ج٣ ص ٧٧٦ ط الحديث ببيروت.

٩٤٢ـ رواه الشريف الرضيّ رحمه اللّه في المختار: (١١٨) من كتاب نهج البلاغة.

لقد حملتكم على الطّريق الواضح التّي لا يهلك عليها إلّا هالك، من آستقام فإلى الجنّة ومن زلّ فإلى النّار.

بيـــان :

قال آبن أبي الحديد: [وهذا كلام] قاله [أمير المؤمنين] عليه السّلام، في بعض غارات أهل الشام على أطراف العراق، عند آنقضاء أمر صفّين والنّهروان.

قولـه: «مليّاً»: أي ساعـة طويلة. [و] قوله عليه السّلام: «لاسددتم» بالتخفيف والتشـديد: دعـاء عليهم بعدم السداد والاستقامة لما فيه رشدهم وصلاحهم. والقصد من الأمور: المعتدل الذي لا يميل إلى أحد طرفي الإفراط والتفريط.

والشّجعـاء: جمع شجيع. وفي بعض النسـخ: «شجعانكم» وهو بالضمّ والكسر: جمع شجاع. والبأس: الشجاعة. والكتيبة: القطعة العظيمة من الجيش. والتقلقل: التحرّك. والقدح ـ بالكسر ـ: السهم. والجفير: الكنانة. وقيل: وعاء السهام أوسع من الكنانة.

والغرض [من هذا] التشبيه، في آضطراب الحال والإنفصال عن الجنود والأعوان، بالقدح الذي لا يكون حوله قداح تمنعه من التقلقل ولا يستقرّ في مكانه.

«واستحار مدارها»: أي آضطرب. والمدار هنا مصدر. كذا ذكره آبن أبي الحديد، ولم نجده بهذا المعنى في اللّغة. [و] قال الجوهري: المستحير: سحاب ثقيل متردّد ليس له ريح تسوقه. فالأنسب أن يكون [كلامه عليه السلام] كناية عن الوقوف عن الحركة.

والثفال: الجلد الذي يوضع عليه الرحى؛ ليسقط عليه الدقيق ويسمّى

الحجر الأسفل من حجري الرحى أيضاً ثفالاً، ولعلّه أنسب.

قوله عليه السلام: «لو قد حمّ لي» على [بناء] المجهول: أي قُضي وقدّر. والركاب: الإبل التي يسار عليها. وشخوص المسافر: خروجه. والإختلاف: التردّد. ويحتمل [أيضاً] المخالفة. والغناء بالفتح والمدّ: النفع.

[قوله عليه السلام:] «لا يهلك عليها»: أي كائناً عليها أو بسببها. والطريق يذكّر ويؤنّث. [وقوله:] «من استقام»: أي أعتزل ولزم الطريق الواضح. «ومن زلّ»: أي زلق وعدل عن الطريق.

٩٤٣ـ نهج: من خطبة له عليه السّلام:

أيّها النّاس! إنّا قد أصبحنا في دهر عنود، وزمن شديد، يُعَدّ فيه المحسن مسيئاً، ويزداد الظالم فيه عتوّاً، لا ننتفع بما علمنا، ولا نسأل عمّا جهلنا، ولا نتخوّف قارعةً حتّى تحلّ بنا، فالنّاس على أربعة أصناف:

منهم من لا يمنعه الفساد في الأرض، إلّا مهانة نفسه وكلالة حدّه ونضيض وفره.

ومنهم المصلت بسيفه والمعلن بشرّه [بسّره «خ»] والمجلب بخيله ورجله، قد أشرط نفسه وأوبق دينه لحطام ينتهزه، أو مقنب يقوده، أو منبر يفرعه، ولبئس المتجر أن ترى الدّنيا لنفسك ثمناً، وممّا لك عند اللّه عوضاً.

ومنهم من يطلب الدّنيا بعمل الآخرة، ولا يطلب الآخرة بعمل الدّنيا. قد طامن من شخصه، وقارب من خطوه، وشمّر من ثوبه، وزخرف من نفسه للأمانة، واتّخذ ستر اللّه ذريعة إلى المعصية.

ومنهم من أقعده عن طلب الملك ضُئُولة نفسه، وأنقطاع سببه، فقصرته

٩٤٣ـ رواه السّيّد الرضيّ رفع اللّه مقامه في المختار: (٣٢) من نهج البلاغة.

الحال على [عن «خ»] حاله، فتحلّى باسم القناعة وتزيّن بلباس أهل الزّهادة، وليس من ذلك في مراح ولامغدىً.

وبقي رجال غضّ أبصارهم ذكر المرجع، وأراق دموعهم خوف المحشر، فهم بين شريد نادّ، وخائف مقموع، وساكت مكعوم، وداع مخلص، وثكلان موجع، قد أخملتهم التقيّة، وشملتهم الذّلة. فهم في بحر أجاج، أفواههم ضامزة وقلوبهم قرحة، قد وعظوا حتّى ملّوا، وقهروا حتّى ذلّوا، وقتلوا حتّى قلّوا.

فلتكن الدنيا اصغر في أعينكم من حثالة القرظ وقراضة الجلم، واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتّعظ بكم من بعدكم، وارفضوها ذميمة فإنّها قد رفضت من كان أشغف به منكم.

بيـــان :

عَنَدَ عن الطريق ـ كنصر ـ : عدل ومال. والعنود فعول بمعنى فاعل. وقيل: مفاعل. والزمن اسم لقليل الوقت وكثيره. وقيل: الشديد بمعنى البخيل.

وفي بعض النسخ: «وزمن كنود»: وهو الكفور. وقيل: اللّوام. ووصف الزمان بتلك الأوصاف توصيف لأهله.

وعـدّ المحسن مسيئـاً، إمّـا لعدم الإذعان بالحقّ، أو لحملهم الأفعال الجميلة على المحامل القبيحة، كزعم العابد مرائياً. والعتوّ: الاستكبار ومجاوزة الحدّ.

قوله عليه السّلام: «لا ننتفع» التعبير بلفظ المتكلّم مع الغير، من قبيل: «إيّاك أعني واسمعي يا جارة» وعدم الانتفاع بالعلم لترك العمل، وعدم السؤال لعدم العلم بفضله مع عدم الرغبة في العمل به.

والقارعة: الخطب العظيم والداهية. ومهانة النفس: حقارتها. [مشتقّة] من «مهن» أو «هان». وكلّ حدّ السيف وغيره، إذا وقف عن القطع.

[قوله عليه السلام:] «ونضيض وفره»: أي قلّة ماله. وهذا القسم هم المريدون للدنيا غير القادرين عليها.

والمجلب: آسم فاعل من أجلب عليهم: أي تجمّع وتألّب. وكذلك إذا صاح به واستحثّه. وأجلبه: أي أعانه. والرجل: جمع راجل.

«قد أشرط نفسه»: أي هيّأها وأعدّها للفساد في الأرض. والحطام: المال وأصله ما تكسّر من اليبس. والإنتهاز: آلاختلاس والاستلاب بقدر الإمكان. والمقنب بكسر الميم وفتح النون -: الجمع من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين. [و] «يفرعه»: أي يعلوه.

وعمل الدّنيا: ما يفعله المكلّف فيها أو ما يصير بانضمام القربة والتوصّل به إلى الطاعة طاعة.

«وقد طامن»: أي خفض. ويقال: طامن منه أي سكنه. «وقارب من خطوه»: أي لم يسرع ومشى رويداً. «وشمّر» [من ثوبه]»: أي قصّر ثوبه أو رفعه إظهاراً لمتابعة السنّة. «وزخرف»: أي زيّن [نفسه] للأمانة، أي لأن يجعلوه أميناً على أموالهم وأعراضهم ويحتمل تعلّقه بالأخير وبالجميع.

[قوله عليه السّلام:] «واتخذ ستر اللّه»: أي التقوى والعمل بشرايع الدّين، فإنّ اللّه حرّم تتبّع عورات من ظاهره الصلاح وذكر عيوبه.

قال الكيدري في كتاب المضاف والمنسوب: ستر اللّه الاسلام، والشيب، والكعبة، وضمائر صدور الناس. يعني جعل ظاهر الاسلام وما يجنّه صدره، بحيث لا يطّلع عليه مخلوق وسيلةً وطريقاً إلى معصية اللّه. انتهى.

وأقول: يحتمل أن يكون المراد أنّه آتّخذ ستر اللّه على عيوبه، حيث لم يفضحه ولم يطلع الناس على بواطنه، ذريعةً إلى أن يخدع الناس.

والضئولة: الحقارة. والسبب: الحبل، وما يتوصّل به إلى غيره. والمراح:

المكان الذي تأوي إليه الماشية في اللّيل. والمغدى: ما تأوي إليه بالغداة ولعلّ المعنى: ليس يومه كيومهم في الصوم وغيره، ولا ليله كليلهم في العبادات.

والمرجع ـ بكسر الجيم ـ: مصدر أو اسم مكان، والمراد به من إليه مصير العباد أو القيامة أو الرجوع إليها.

[والمراد من قوله عليه السلام: «غضّ أبصارهم ذكر المرجع: هو] غضّ البصر عن المعاصي، أو الأعمّ لخشوعهم، أو للحياء، أو [غضّهم] أبصار قلوبهم عمّا سوى اللّه.

والشريد: الطريد. والنّادّ: المنفرد والمراد به المتوحّش من الناس الذاهب في الأرض، إمّا لعدم صبره على رؤية المنكرات، أو لكثرة أذى الظالمين في الأوطان؛ لانكاره المنكر وأشباه ذلك.

وقمعه: ضربه بالمقمعة وقهره وذلّله. والمكعوم: الّذي لايمكنه الكلام، كأنّه شُدَّ فوه من التقيّة بالكعام الذي يجعل في فم البعير عند الهياج. والثكل: الحزن على فقد الأقارب.

ولعلّ المعنى: أنّ بعضهم ترك الأوطان أو مجامع الناس لما ذكر، وبعضهم لم يترك ذلك، وينكر منكراً ثمّ يخاف مما يجري عليه بعد ذلك، ومنهم من هو بينهم ولا ينهاهم تقيّةً ومعرض عنهم ومشتغل بالدعاء، ومنهم من هو بينهم بالضرورة ويرى أعمالهم ولا يؤثّر نهيه فيهم، فهو كالثكلان الموجع.

وخمل ذكره وصوته: خفي.

[قوله عليه السلام:] «فهم في بحر أجاج» كناية عن عدم استمتاعهم بالدنيا، كالسابح في ماء مالح، فإنّه لا يمكنه التروي منه وشربه وإن بلغ غاية العطش.

[قوله عليه السلام] «أفواههم ضامزة» بالزاي المعجمة، أي ساكنة. أو

بالراء المهملة: كناية عن صومهم وعدم أكلهم من المحرّمات والشبهات.

قال الكيدري: أي ساترة خفيّة من الضمير. ويروى بالزّاي: اي مشدودة بالسكوت.

«وقلوبهم قرحة»: لكثرة المنكرات مع عدم تمكّنهم من إنكارها، أو لخوفهم من اللّه أو من الناس.

و «القرض»: ورق السلم يدبغ به. وحثالته: ما يسقط منه. و «الجلم»: المقصّ يجزّ به أوبار الإبل. وقراضته: ما يسقط من قرضه وقطعه.

[قوله عليه السلام:] «وارفضوها ذميمة»: أي اتركوا ما حاله الحقارة. والذمامة. والشغف: الحب الشديد.

٩٤٤ـ نهـج: من خطبة له عليه السّلام:

إنّ الوفاء توأم الصدّق، ولا أعلم جُـنّة أوقى منه، ولا يغدر من علم كيف المرجع.

ولقد أصبحنا في زمان قد اتّخذ أكثر أهله الغدر كيساً، ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة.

ما لهم قاتلهم اللّه! قد يرى الحُوّل القُلّب وجه الحيلة، ودونه مانع من أمر اللّه ونهيه فيدعُها رأي عين بعد القدرة عليها، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدّين.

بيـــان:

الوفاء: لزوم العهد والبقاء عليه كما ينبغي ويكون في الأفعال والأقوال. والصّدق يعمّ العهد وغيره فبينهما عموم من وجه.

٩٤٤ـ رواه السّيّد الرضيّ قدّس اللّه روحه في المختار: (٤١) من كتاب نهج البلاغة.

وقد يقال: الوفاء في الانشاء [خاصّةً] والصّدق في الاخبار، ولا يجتمعان.

ويردّه صادق الوعد وإن كان مجازاً، والمراد تلازمهما غالباً مع تشاركهما في الفضل، وترتّب آلاثار الحسنة.

و «المرجع»: مصدر، أي الرجوع إلى اللّه. أو آسم مكان. والكيس: الفطنة والذكاء. والضمير في «فيه» راجع إلى الزمان أو الغدر.

و «الحوّل القلّب»: هو الذي كثر تحوّله وتقلّبه في الأمور وجرّبها وعرف وجوهها. والوجه: الجهة.

والضّمير في [قوله:] «دونه» يعود إليه: أي قبل الوصول إليه. أو إلى «الحوّل»: أي امامه. وفي بعض النّسخ: «دونها» فيعود إلى الحيلة.

«رأي عين»: أي رؤية معاينة فهو منصوب على المصدر من [قوله:] «يدع» بتقدير موصوف: أي يتركها تركاً معايناً غير ناش عن غفلة، أو [منصوب] على الحاليّة: أي حال كونها مرئيّةً له.

وجوّز بعضهم في قوله تعالى: «يرونهم مثليهم رأي العين» [١٣/ آل عمران ٣] أن يكون ظرف مكان. والحريجة: التحرّج، وهو التحرّز من الحرج والإثم. وقيل: الحريجة: التقوى.

٩٤٥ ـ نهج: من كلام له عليه السلام في ذمّ أهل العراق:

أمّا بعد يا أهل العراق، فإنّما أنتم كالمرأة الحامل، حملت فلمّا أتمّت أملصت ومات قيّمها، وطال تأيّمها وورثها أبعدها.

أما واللّه ما أتيتكم اختياراً، ولكن جئت إليكم سوقاً. ولقد بلغني أنكم تقولون: «عليّ يكذب»، قاتلكم اللّه فعلى من أكذب أعلى اللّه! فأنا أوّل من

---

٩٤٥ ـ رواه الشريف الرضيّ رضي اللّه تعالى عنه في المختار: (٦٩) من كتاب نهج البلاغة.

آمن به! أم على نبيّه فأنا أوّل من صدّقه!

كلّا والله، ولكنّها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من أهلها، ويل أمّه كيلًا بغير ثمن لو كان له وعاء! ولتعلمنّ نبأه بعد حين.

توضيـــح:

«أملصت» ألقت ولدها ميّتاً. والمملاص: معتادته. وقيّم المرأة: زوجها؛ لأنّه يقوم بأمرها. وتأيّم المرأة خلوّها من الزوج.

و [قوله عليه السلام:] «[وورثها] أبعدها»: أي من لم يكن له قرابة الولد ونحوه.

والتشبيه بالمرأة الموصوفة؛ لأنّهم تحمّلوا مشاقّ الحرب، فلمّا قرب الظّفر رضوا بالتحكيم وحرموا الظّفر، وصار بعضهم خوارج وبعضهم شكّاكاً.

والمراد بالسّوق: الاضطرار، كأنّ القضاء ساقه عليه السلام إليهم، فإنّه خرج لقتال أهل الجمل، واحتاج إلى الاستنصار بأهل الكوفة، واتّصلت تلك الفتن بفتنة أهل الشام، فاضطرّ إلى المقام بينهم. وفي بعض النّسخ: «ولا جئتكم شوقاً».

و «قاتلكم الله»: أي قتلكم الله أو لعنكم الله. و «كلّا» للرّدع والانكار، أو بمعنى حقّاً.

واللّهجة: اللّسان، ويتجوّز بها عن الكلام. والمراد إمّا لهجته عليه السلام: أي [إنّ] ما أخبركم به أمور غابت عقولكم الضعيفة عن إدراكها ولستم أهلًا لفهمها.

أو لهجة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أي سمعت كلامه صلّى الله عليه وآله، ولم تسمعوه ولو سمعتموه لم تكونوا من أهله.

والويل: حلول الشرّ [أ] وكلمة عذاب، أو واد في جهنّم. وإضافته إلى

الأمّ، دعاء عليها بأن تصاب بأولادها، من قبيل «ثكلته أمّه». والضمير [في «أمّه»] راجع إلى المكذّب. وقيل: [الضمير راجع] إلى ما دلّ عليه الكلام من العلم الذي خصّه به الرسول صلّى الله وآله. ويقال: هذه الكلمة قد تطلق للتّعجّب والاستعظام، يقال: ويل أمّه فارساً، ومرادهم التعظيم والمدح.

و «كيلًا»: أنتصب؛ لأنّه مصدر في موضع الحال أو تميز: أي أنا أكيل لكم العلم والحكمة كيلًا، ولا أطلب لذلك ثمناً لو وجدت حاملاً للعلم.

وقيل: الكلمة تستعمل للتّرحم والتعجب، والضمير راجع إلى الجاهل المكذّب، فالمفاد التّرحّم عليهم لجهلهم، أو التّعجّب من قوّة جهلهم، أو من كثرة كيله للحكم عليهم مع إعراضهم عنها.

وقال [ابن الأثير في مادّة «ويل» من كتاب] النهاية: قد يرد الويل بمعنى التعجّب. ومنه الحديث: «ويل أمّه مسعر حرب» تعجّباً من شجاعته وجرأته وإقدامه، ومنه حديث علي عليه السلام :«ويلمّه كيلًا بغير ثمن لو أنّ له وعاء»: أي يكيل العلوم الّجمة بلا عوض ، إلّا أنه لا يصادف واعياً.

وقيل: «وي»: كلمة مفردة. [«ولأمّه» أيضاً كلمة مفردة] وهي كلمة تفجّع وتعجّب، وحذفت الهمزة من «أمّه» تخفيفاً، وألقيت حركتها على اللام، وينصب ما بعدها على التمييز. انتهى.

والحين ـ بالكسر ـ: الدهر أو وقت مبهم يصلح لجميع الأزمان طال أو قصر، والمعنى لتعلمنّ ثمرة تكذبكم وإعراضكم عمّا أبيّن لكم، وأنّي صادق فيما أقول.

٩٤٦ ـ نهـج: من خطبةٍ له عليه السّلام:

أمّـا بعد، فإنّ الله سبحانه لم يقصم جبّاري دهر قطّ، إلّا بعد تمهيل

٩٤٦ـ رواه السّيّد الرضيّ رفع الله مقامه في المختار: (٨٦) من كتاب نهج البلاغة.

ورخاء. ولم يجبر عظم أحد من الأمم، إلّا بعد أزل وبلاء. وفي دون ما آستقبلتم من خطب [عَتب «خ»] وآستدبرتم من خطب [خصب «خ»] معتبر، وما كلّ ذي قلب بلبيب، ولا كلّ ذي سمع بسميع، ولا كلّ ذي ناظر ببصير.

فيا عجبا! وما لي لا أعجب من خطإ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها، لا يقتصّون أثر نبيّ ولا يقتدون بعمل وصي، ولا يؤمنون بغيب، ولا يعفّون عن عيب يعملون في الشبهات ويسيرون في الشّهوات، المعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا، مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم، وتعويلهم في المبهمات على آرائهم، كأنّ كلّ امرئ منهم إمام نفسه، قد أخذ منها فيما يرى بعُرىً وثيقات[1] وأسباب محكمات.

بيـــان :

القصم: الكسر. والتمهيل: التأخير وكذلك الارجاء. والرّخاء: سعة العيش. والجبر: إصلاح الكسر [وهو هنا] كناية عن دفع الجبّارين والظّالمين.

[قوله:] «وفي دون»: أي [في] أقلّ من ذلك. والأزل ـ بالفتح ـ: الضيق والشدّة.

[قوله]: «ما استقبلتم من خطب»: أي شأن وأمر وداهية. وروي «من عتب»: أي مشقّة. قيل: يعني ما لاقوه في مستقبل زمانهم من الشيب وولاة السوء وتنكّر الوقت.

«وما آستدبرتم من خطب»: يعني ما تقدّم من الحروب والوقائع الّتي قضوها. ويروى من «خصب»: وهو رخاء العيش. فيمكن أن يراد بالأمور المستقبلة والمستدبرة جميعاً المواضي بإعتبارين.

قوله عليه السلام: «لا يعفون» في النسخ بالتشديد: من العفّة، فالمراد

(١) وفي بعض النسخ: ثقات.

بالعيب عيوب أنفسهم، وفي بعضها بالتخفيف فالمراد عيوب غيرهم.

ـ [قوله عليه السلام: «يعملون] في الشبهات»: [لفظة] «في» بمعنى الباء، أو فيه توسّع.

قوله عليه السلام: «[المعروف فيهم] ما عرفوا»: أي بعقولهم وأهوائهم.

[وقوله عليه السلام:] «قد أخذ منها»: الضمير راجع إلى النفس أو إلى المبهمات والمعضلات.

٩٤٧ ـ نهــج: من خطبة له عليه السلام في خطاب أصحابه:

وقد بلغتم من كرامة اللّه منزلةً، تكرم بها إماؤكم، وتوصل بها جيرانكم، ويفضّلكم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده، ويهابكم من لا يخاف لكم سطوةً ولا لكم عليه إمرة، وقد ترون عهود اللّه منقوضةً فلا تغضبون، وأنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون. وكانت أمور اللّه عليكم ترد وعنكم تصدر وإليكم ترجع، فمكّنتم الظّلمة من منزلتكم، وألقيتم إليهم أزمّتكم، وأسلمتم أمور اللّه في أيديهم، يعملون بالشّبهات ويسيرون في الشهوات.

وأيم اللّه لو فرّقوكم تحت كلّ كوكب، لجمعكم اللّه لشرّ يوم لهم.

بيــان :

الوصل: ضدّ القطع والهجران. [والمراد من قوله:] «جيرانكم»: أي أهل الذمّة والمعاهدين، ويحتمل المجاورين في المسكن.

قوله عليه السّلام: «من لا فضل لكم عليه»: كتعظيم الروم والحبشة مسلمي العرب.

٩٤٧ـ رواه الشريف الرضيّ رحمه اللّه في ذيل المختار: (١٠٥) من نهج البلاغة.

قوله عليه السلام: «من لا يخاف لكم سطوةً»: كالملوك في أقاصي البلاد، لما شاع وذاع من أنّهم قوم صالحون، إذا دعوا اللّه آستجاب لهم، وينصرهم بملائكته كما قيل.

قوله عليه السلام: «وأنتم»: الواو للحال. والذمّة: العهد والأمان والضمان والحرمة والحقّ.

وأنف ـ كفرح ـ: آستنكف. والغرض توبيخهم على تركهم إنكار المنكرات.

والمراد بنقض العهود ما ظهر من الناكثين والقاسطين والمارقين وغيرهم من نقض البيعة وقتل المسلمين والإغارة عليهم، ولا ريب أنّ السكوت عن إنكار تلك المنكرات مع الإستنكاف عن نقض ذمم الآباء، يدلّ على أنّ عهود اللّه أضعف عندهم من عهود آبائهم، وهو في حدّ الكفر.

[قوله عليه السّلام:] «وكانت أمور اللّه عليكم ترد»: أي وأنتم المخاطبون بالأوامر والنواهي، أو كنتم قبل ذلك في أيّام الرسول صلّى اللّه عليه وآله، موارد أمور اللّه ومصادرها، مطيعين له منكرين للمنكرات.

وكأنّ المراد بالورود، السؤال. وبالصدور، الجواب. وبالرجوع، التحاكم.

ويمكن تعميم الورود والصدور، فالمراد بالرجوع. رجوع النفع والضرّ في الدارين. وقيل: أي كانت أمور اللّه عليكم ترد: أي بتعليمي لكم، وعنكم تصدر إلى من تعلّمونه إيّاها، ثمّ إليكم ترجع بأن يتعلّمها بنوكم وإخوتكم منهم.

[قوله عليه السلام:] «لشرّ يوم»: أي يوم ظهور المسودة، أو خروج المهدي عليه السلام. والجمع: في الرجعة، أو المراد جمع صنفهم.

٩٤٨ ـ نهج: [و] من خطبةٍ له عليه السلام:

٩٤٨ـ رواه السيّد الرضيّ رضوان اللّه عليه في المختار: (١٩٥) من كتاب نهج البلاغة.

ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمّد صلّى اللّه عليه وآله، أنّي لم أردّ على اللّه سبحانه ولا على رسوله ساعة قطّ، ولقد واسيته [آسيته «خ»] في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وتتأخّر الأقدام، نجدةً أكرمني اللّه بها.

ولقد قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وإنّ رأسه لعلى صدري، وقد سالت نفسه في كفّي، فأمررتها على وجهي. ولقد وليت غسله صلّى اللّه عليه وآله والملائكة أعواني، فضجّت الدّار والأفنية، ملأ يهبط وملأ يعرج، وما فارقت سمعي هَيْنَمة منهم، يصلّون عليه حتّى واريناه في ضريحه.

فمن ذا أحقّ به منّي حياً وميّتاً، فانفذوا على بصائركم، ولتصدق نيّاتكم في جهاد عدّوكم، فو الّذي لا إله إلّا هو، إنّي لعلى جادّة الحقّ، وإنّهم لعلى مزلّة الباطل. أقول ما تسمعون وأستغفر اللّه [العظيم «خ»] لي ولكم.

بيــان :

استحفـظته الشّيء: أودعته عنده وسألته أن يحفظه. و«المستحفظون» ـ على بنـاء المفعـول ـ: المـطّلعون على أسرار الرسول صلّى اللّه عليه وآله وسيرته، الصّادقون في الشهادة الذي لم يغيّروا ولم يبدّلوا للأغراض الدنيويّة.

وقال ابن أبي الحديد: الظاهر أنّه عليه السلام يومئ في قوله: «لم أردّ على اللّه...» إلى أمور وقعت عن غيره.

ثمّ ذكر أموراً كثيرةً من مخالفات عمر ومعارضاته لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله.

و [أيضاً] قال [ابن أبي الحديد] في [شرح] قوله عليه السلام: «ولقد آسـيته بنفسي»: يقال: واسيته، بالهمزة أفصح. وهذا مما اختصّ عليه السلام بفضيلته غير مدافع، ثبت معه يوم أحد. وفرّ الناس، وثبت معه يوم حنين وفرّ الناس، وثبت يوم خيبر حتّى فتحها وفرّ من كان بعث بها قبله. انتهى.

وقال الجوهري: نكص ينكص [من باب ضرب] وينكص [من باب نصر] رجع. و «نجدةً»: منصوب على المصدر لفعل محذوف وهي الشجاعة.

[قوله عليه السلام:] «وإنّ رأسه لعلى صدري»: قيل: لعلّه أسنده إلى صدره عند ٱشتداد علّته، أو كان رأسه صلّى اللّه عليه وآله على ركبته، فيكون رأسه في صدره عند إكبابه عليه.

وقد يقال: المراد بسيلان النفس، هبوب النّفس عند ٱنقطاع الأنفاس.

وقيل: أراد بنفسه دمه. يقال: إنّ رسول اللّه قاء عند وفاته دماً يسيراً، وأنّ علياً مسح بذلك وجهه. ولا ينافي ذلك نجاسة الدم؛ لجواز أن يخصّص دم الرسول صلّى اللّه عليه وآله.

والضجيج: الصياح عند المكروه والجزع. والهيمنة: الكلام الخفيّ لا يفهم. والصلاة: تحتمل الحقيقة والدعاء.

وٱنتصاب قوله: «حياً وميتاً» بالحالية عن الضمير المجرور في [قوله:] «به»، لا عن الضمير في «منّي» كما لا يخفي.

قوله عليه السلام: «فانفذوا»: أي أسرعوا إلى الجهاد على بصيرة منكم. والمزلّة الموضع الذي يزلّ فيه الانسان كالمزلقة.

٩٤٩ ـ نهـج: [و] من له كلام عليه عليه السلام:

أيّها [أيّتها «خ»] النّفوس المختلفة، والقلوب المتشتّتة الشّاهدة أبدانهم، والغائبة عنهم عقولهم، أظأركم على الحقّ وأنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الأسد، هيهات! أن أطلع بكم سرار العدل، أو أقيم ٱعوجاج الحقّ.

٩٤٩ـ رواه الشريف الرضيّ رفع اللّه مقامه في المختار: (١٢٩) من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

اللّهم إنّك تعلم أنّه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان، ولا ٱلتماس شيءٍ من فضول الحطام؛ ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك؛ فيأمن المظلومون من عبادك؛ وتقام المعطّلة من حدودك.

اللّهم إنّي أوّل من أناب، وسمع وأجاب، لم يسبقني بالصّلاة إلّا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، وقد علمتم أنّه لا ينبغي أن يكون على الفروج والدّماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيلُ؛ فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلّهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدُّول فيتّخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق بها دون المقاطع، ولا المعطّل للسنّة فيهلك الأمّة.

بيــان :

«الغائبة عنهم عقولهم»: غيبة العقول عن أربابها، أبلغ في الدلالة من غيبتها عمّن ٱعتبر الشهود بالنّسبة إليه.

«أظأركم»: أي أعطفكم. يقال: ظأرت الناقة إذا عطفت على ولد غيرها.

وقال الجوهري: المعز من الغنم: خلاف الضأن، وهو ٱسم جنس، وكذلك المعزى. والوعوعة: الصوت.

قوله عليه السلام: «هيهات»: قال ٱبن أبي الحديد: يفسّره الناس بمعنى هيهـات أن أطلعكم مضيئـين ومنـوّرين سرار العدل! والسرّار آخر ليلة من الشهـر، وتكون مظلمة، ويمكن أن يفسّر بوجه آخر، وهو أن يكون السرار بمعنى السّرور وهو خطوط مضيئة في الجبهة وهو نصّ أهل اللّغة على أنّه يجوز فيه السّرار[1]. قالوا: ويجمع السرار على أسرّة. ويقولون: برقت أسرة وجهه،

---

(١) كذا في أصلي، وفي شرح ابن أبي الحديد: «وقد نصّ أهل اللغة على أنّه يجوز فيها: «سُرَرٌ وسِرار» قالوا: ويجمع سرار على أسرّة مثل حمار وأحمرة...».

فالمعنى: هيهات أن تلمع بكم لوامع العدل ويبرق وجهه!

ويمكن أن ينصب «سرار» على الظرفية، ويكون التقدير: هيهات أن أطلع بكم الحقّ زمان آستسراره واستخفائه، فيكون قد حذف المفعول وحذفه كثير.

وقال الكيدري: سرار الشهر وسرره: آخر ليلة منه. والسرار: المسارّة من السّر. وجمع سرر: الكتف والجبهة: و «سرار العدل»: أي في سرار [العدل] فحذف حرف الجرّ ووصل الفعل.

وقيل: أي هيهات أن أظهر بمعونتكم ما خفي واستسرّ من أقمار العدل وأنواره! انتهى.

[أقول:] ولعلّ المراد بـ«الذي كان»: [هو] الرغبة في الخلافة أو الحروب أو الجميع. و «لم يكن»: ناقصة، و «كان»: تامّة. والمنافسة: المغالبة في الشيء. و«الحطام»: ما تكسّر من اليبس، وهو كناية عن متاع الدنيا. والمراد بفضوله: زخارفها وزينتها وما لا يحتاج إليه منها. ومعالم الدين: الآثار التي يهتدى بها. والإنابة: الرجوع.

قوله عليه السلام: «نهمته»: أي حرصه وجشعه على أموال رعيّته.

ومن رواه «نهمة» ـ بالتحريك ـ فهي إفراط الشهوة في الطعام. والجفاء: خلاف البرّ والصلة، ورجل جافي الخلقة والخلق: أي منقبض غليظ.

[قوله عليه السلام:] «فيقطعهم»: أي عن الوصول إليه أو عن حاجاتهم أو بعضهم عن بعض لتفرّقهم. والأوّل أظهر وإن لم يكن يذكره أحد.

قوله عليه السّلام: «ولا الحائف» بالحاء المهملة: من الحيف وهو الظلم والجور.

والدُوَل بضمّ الدال المهملة: جمع الدّولة ـ بالضم ـ وهي آسم المال

المتداول، قال اللّه تعالى: ﴿كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾ [٧٦/ الحشر:٥٩]: أي إذا لم يقسم الإمام بالسوّية، ويخصّ بالمال بعضهم دون بعض، فيتّخذ قوماً دون قوم فيفرّق المسلمين.

وروي «الخائف» بالمعجمة. والدِول ـ بكسر الدال جمع دولة ـ بالفتح ـ وهي الغلبة: أي من يخاف دول الأيّام وتقلّب الدهور، فيتّخذ قوماً يتوقّع نفعهم في دنياه، ويقوّيهم ويضعف آخرين.

قوله عليه السلام: «دون المقاطع»: أي يقف عند مقطع الحكم فلا يقطعه، بأن يحكم بالحقّ بل يحكم بالباطل، أو يسوّف الحكم حتّى يضطر المحقّ ويرضى بالصلح، فيذّهب بعض حقّه. ويحتمل أن يكون «دون» بمعنى «غير»: أي يقف في غير مقطعه.

وقال ابن أبي الحديد: فإن قلت: أفتراه عنى بهذا قوماً بأعيانهم؟ قلت: الإمامية تزعم أنّه رمز بالجفاء والعصبيّة لقوم دون قوم إلى عمر. ورمز بالجهل إلى من كان قبله، ورمز بتعطيل السنّة إلى عثمان ومعاوية. انتهى.

والأظهر أنّ المراد بالبخيل [هو] عثمان، لما هو المعلوم من أكله أموال المسلمين؛ ولما مرّ منه عليه السلام في [الخطبة] الشقشقية. و [المراد] بـ «الجاهل» جميعهم. و بـ «الجافي» عمر كما مرّ [أيضاً] في [الخطبة] الشقشقية. وبـ «الحائف للدول» عمر و عثمان كما هو المعلوم من سيرتهما. وبـ «المعطّل للسنّة» أيضاً جميعهم.

٩٥٠ ـ نهج: [و] من خطبة له عليه السّلام:

ليتأس صغيركم بكبيركم، وليرؤف كبيركُم بصغيركم، ولا تكونوا كجُفاة الجاهليّة، لا في الدّين يتفقّهون، ولا عن اللّه يعقلون، كقيض بيض في أداح

٩٥٠ـ رواه السّيّد الرضيّ في المختار: (١٦٤) من نهج البلاغة.

يكون كسره وزراً، ويخرج حضانها شرّاً..

[و] منها: افترقوا بعد ألفتهم، وتشتّتوا عن أصلهم، فمنهم آخذ بغصن أينما مال مال معه، على أنّ اللّه تعالى سيجمعهم لشرّ يوم لبني أميّة، كما تجتمع قزع الخريف، يؤلّف اللّه بينهم ثمّ يجعلهم ركاماً كركام السّحاب، ثمّ يفتح اللّه لهم أبواباً يسيلون من مستثارهم كسيل الجنّتين، حيث لم تسلم عليه قارة، ولم تثبت له أكمة، ولم يردّ سننه رصّ طود، ولا حداب أرض. يذعذعهم اللّه في بطون أوديته، ثمّ يسلكهم ينابيع في الأرض، يأخذ بهم من قوم حقوق قوم، ويمكّن لقوم في ديارهم قوم.

وأيم اللّه ليذوبنّ ما في أيديهم بعد العلوّ والتمكين، كما تذوب الألية على النار.

أيّها النّاس ! لو لم تتخاذلوا عن نصر الحقّ، ولم تهنوا عن توهين الباطل، لم يطمع فيكم من ليس مثلكم، ولم يقو من قوي عليكم، لكنكم تِهتم متاه بني إسرائيل. ولعمري ليضعّفنّ لكم التيه من بعدي أضعافاً؛ بما خلّفتم الحقّ وراء ظهوركم، وقطعتم الأدنى ووصلتم الأبعد.

واعلموا أنّكم إن اتبعتم الدّاعي لكم، سلك بكم منهاج الرّسول، وكفيتم مؤنة الاعتساف، ونبذتم الثقل الفادح عن الأعناق.

إيضـــاح:

[لزوم] تأسّي الصغير بالكبير، لأنّه أكثر تجربةً وأحزم.

وقال الكيدري: أي ليتأسّ من صغر منزلته في العلم والعمل بمن له متانة فيهما، وليرحم كلّ من له جاه ومنزلة في الدنيا بالمال والقوّة كلّ من دونه.

و «القيض» بالفتح قشرة البيض العليا اليابسة. وقيل: التي خرج ما فيها من فرخ أو ماء. وفي بعض النسخ: «كبيض هيض»: أي كسر. والأداحي:

جمع الادحى بالضمّ، وقد يكسر وهو الموضع الذي تبيض فيه النعامة وتفرخ، وهو أفعول من دحوت؛ لأنّها تدحوه برجلها: أي تبسطه، ثمّ تبيض فيه وليس للنعام عشّ.

وقال ٱبن أبي الحديد: وجه الشبه، أنّه إنْ كسرها كاسر أثم؛ لأنّه يظنّ بيض القطاة، وإن لم يكسر، يخرج حضانها شرّاً، إذ يخرج أفعى قاتلًا. وٱستعار لفظ الأداحي للأعشاش مجازاً؛ لأنّ الأداحي لا يكون إلّا للنعام.

وقال ٱبن ميثم: نهاهم أن يشبهوا جفاة الجاهليّة في عدم تفقّههم في الدين، فيشبهون إذاً بيض الأفاعي في أعشاشها. ووجه الشّبه أنّه إن كسره كاسر أثم؛ لتأذّي الحيوان به، فكذلك هؤلاء إذا أشبهوا جفاة الجاهلية، لا يحلّ أذاهم لحرمة الإسلام، وإن أهملوا وتركوا على الجهل، خرجوا شياطين.

والحضان بالكسر: مصدر، حضن الطائر بيضه: إذا ضمّه إلى نفسه تحت جناحه، وهو مرفوع بالفاعليّة.

قوله عليه السلام: «افترقوا...»: يذكر حال أصحابه وشيعته.

وقال ٱبن أبي الحديد: الأخذ بالغصن من تمسّك بعده عليه السلام بذرّية الرسول صلّى اللّه عليه وآله، وتقدير الكلام: ومنهم من لا يكون كذلك.

ثمّ ذكر عليه السّلام أنّ الفريقين يجتمعان لشرّ يوم. و«القزع» جمع قزعة وهي سحب صغار تجتمع فتصير ركاماً، والركام: ما كثف من السحاب. و«مستثارهم» موضع ثورانهم وهيجانهم.

والجنّتان هما اللّتان ذكرهما اللّه في القرآن في قصّة أهل سبأ. والقارّة: الجبل الصغير. والأكمة: الموضع يكون أشدّ ارتفاعاً ممّا حوله، وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً. و «سننه»: طريقه. وطود مرصوص : أي جبل شديد التصاق الأجزاء بعضها ببعض. والحداب: جمع حدبة وهي الروابي والنجاد. والذعذعة:

التفريق ولعلّها كناية عن أختفائهم بين الناس، ثمّ إظهارهم بالاعانة والتأييد. والمراد بالقوم ثانياً آل الرسول صلّى اللّه عليه وآله، وهو إشارة إلى ظهور بني عباس وانقراض بني أميّة.

وقوله عليه السلام: «وأيم اللّه ليذوبنّ ما في أيديهم»: يحتمل أن يكون إشارة إلى ذهاب ملك بني أميّة أو بني العباس.

وتاه في الأرض: ذهب متحيراً، والمتاه مصدر. والمراد بالأدنى نفسه عليه السلام، وبالأبعد من تقدم عليه. و [المراد بـ] الداعي هو عليه السلام أو القائم عليه السلام. والإعتساف: سلوك غير الطريق. وفدحه الدين: أثقله. والمراد بالثقل الفادح الاثم والعذاب في الآخرة أو الأعمّ.

٩٥١ ـ نهـــج: [و] من خطبة له عليه السّلام: أمّا بعد أيّها الناس ! فأنا فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجترئ عليها أحد غيري، بعد أن ماج غيهبها واشتدّ كلبها.

فاسألوني قبل أن تفقدوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألونني[1] عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مئـة وتضلّ مئـة، إلّا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها، ومناخ ركابها ومحطّ رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً ومن يموت منهم موتاً!

ولو قد فقدتموني ونزلت [بكم «خ»] كرائه الأمور وحوازب الخطوب، لأطرق كثير من السّائلين، وفشل كثير من المسئولين، وذلك إذا قلّصت حربكم، وشمّرت عن ساق، وضاقت [وكانت «خ»] الدّنيا عليكم ضيقاً تستطيلون معه أيّام البلاء عليكم، حتّى يفتح اللّه لبقيّة الأبرار منكم[2].

---

٩٥١ ـ رواه الشريف الرضيّ رحمه اللّه في المختار: (٩٢) من كتاب نهج البلاغة.

(١) وفي وسط السطر من أصلي نقلاً عن بعض النسخ: «ولا تسألوني...».

(٢) وفي وسط الأسطر من أصلي نقلاً عن نسخة من نهج البلاغة: «وكانت الدنيا عليكم

ألا إنّ الفتن إذا أقبلت شبّهت، وإذا أدبرت نبّهت، يُنْكرن مقبلات ويعرفن مدبرات، يَحُمن حوم الرياح يُصِبن بلداً ويُخطئن بلداً.

ألا [و] إنّ أخوف الفتن عندي عليكم، فتنة بني أميّة، فإنها فتنة عمياء مظلمة، عمّت خطّتها، وخصّت بليّتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها.

وأيم الله لتجدنّ بني أميّة لكم أرباب سوء بعدي، كالنّاب الضّروس، تَعذِم بفيها، وتخبط بيدها، وتزبن برجلها، وتمنع درّها. لا يزالون بكم حتّى لا يتركوا منكم إلّا نافعاً لهم، أو غير ضائر بهم. ولا يزال بلاؤهم حتّى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلّا مثل انتصار العبد من ربّه، والصاحب من مستصحبه، ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشيّةً، وقطعاً جاهليّةً، ليس فيها منار هدى ولا علم يرى، نحن أهل البيت منها بمنجاة، ولسنا فيها بدعاة.

ثمّ يفرّجها الله عنكم كتفريج الأديم، بمن يسومهم خسفاً، ويسوقهم عنفاً، ويسقيهم بكأس مصبّرة لا يعطيهم إلّا السيف، ولا يحلسهم إلّا الخوف، فعند ذلك تودّ قريش بالدنيا وما فيها لو يروني [يرونني «خ»] مقاماً واحداً، ولو قدر جزر جزور، لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يعطوني.

إيضـــاح:

قال ابن أبي الحديد:[1] هذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السيرة، وهي متـداولة منقولة مستفيضة خطب بها عليّ عليه السلام بعد انقضاء أمر النّهـروان، وفيها ألفاظ لم يوردها الرّضي رحمه الله. ثمّ ذكر بعض الألفاظ المتروكة منها:

ضيقاً...».

(١) ذكره ابن أبي الحديد في أواخر شرحه للكلام وهو المختار: (٩٢) من نهج البلاغة: ج٧ ص ٥٧ ط الحديثة بمصر، وفي ط الحديثة ببيروت: ج٢ ص ٦١٤.

قوله عليه السلام: «ولم يكن ليجترئ عليها غيري، ولو لم أك فيكم ما قوتل أهل الجمل والنهروان. وأيم اللّه لولا أن تتّكلوا فتدعوا العمل، لحدّثتكم بما قضى اللّه عزّ وجلّ على لسان نبيكم صلّى اللّه عليه وآله، لمن قاتلهم مبصراً لضلالتهم، عارفاً للهدى الذي نحن عليه.

سلوني قبل أن تفقدوني، فإنّي ميّت عن قريب أو مقتول، بل قتلاً. ما ينتظر أشقاها أن يخضب هده بدم هذه! وضرب [عليه السلام] بيده على لحيته.

ومنها في ذكر بني أميّة: يظهر أهل باطلها على أهل حقّها حتّى يملأ الأرض عدواناً وظلماً وبدعاً، إلى أن يضع اللّه عزّ وجلّ جبروتها، ويكسر عمدها، وينزع أوتادها. ألا وإنّكم مدركوها، فانصروا قوماً كانوا أصحاب رايات بدر وحنين تؤجروا، ولاتمالئوا عليهم عدوّهم، فيصير عليهم البليّة ويحلّ بكم النّقمة[1].

ومنها: إلّا مثل انتصار العبد من مولاه، إذا رآه أطاعه، وإذا توارى عنه شتمه. وأيم اللّه لو فرّقوكم تحت كلّ حجر لجمعكم اللّه لشرّ يوم لهم.

ومنها: فانظروا أهل بيت نبيكم فإن لبدوا فالبدوا، وإن استنصروكم فانصروهم، فليفرّجنّ اللّه [الفتنة] برجل منّا أهل البيت. بأبي ابن خيرة الإماء، لا يعطيهم إلّا السيف هرجاً هرجاً، موضوعاً على عاتقه ثمانية أشهر، حتّى تقول قريش[2]: لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا. يغريه اللّه ببني أميّة، حتّى يجعلهم حطاماً ورفاتاً «ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتّلوا تقتيلاً سنّة اللّه في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنّة اللّه تبديلاً»[3].

---

(١) كذا في أصلي المطبوع وفي شرح ابن أبي الحديد: ج٢ ص ٦١٤ ط بيروت: فتصرعكم البليّة وتحلّ بكم النقمة.

(٢) هذا هو الصّواب المذكور في شرح ابن أبي الحديد، وفي أصلي: «موضوعاً على عاتقه يمانية حتى تقول قريش:...».

(٣) مابين القوسين المزدوجين مقتبس من الآية: (٦١) من سورة الاحزاب: ٣٣.

ثمّ قال [ابن أبي الحديد:] فإن قيل: فمن هذا الرجل الموعود به؟ قيل: أمّا الامامية فيزعمون أنّه إمامهم الثاني عشر، وأنّه ابن أمة اسمها نرجس.

وأمّا أصحابنا، فيزعمون أنّه فاطمي يولد في مستقبل الزمان، لأمّ ولد وليس بموجود الآن.

فإن قيل: فمن يكون من بني أميّة في ذلك الوقت موجوداً حتّى ينتقم منهم؟

قيل: أمّا الإماميّة فتقول بالرجعة، ويزعمون أنّه سيعاد قوم بأعيانهم من بني أمية وغيرهم، إذا ظهر إمامهم المنتظر، وأنّه يقطع أيدي أقوام وأرجلهم، ويسمل عيون بعضهم ويصلب قوماً آخرين، وينتقم من أعداء آل محمّد عليهم السلام المتقدّمين [منهم] والمتأخّرين.

وأمّا أصحابنا فيزعمون أنّه سيخلق الله تعالى في آخر الزمان رجلاً من ولد فاطمة عليها السّلام يستولي على السفياني وأشياعه من بني أميّة[١].

ثمّ قال: فإن قيل: لماذا خصّ أهل الجمل وأهل النهروان بالذّكر، ولم يذكر [أهل] صِفّين؟ قيل: لأنّ الشبهة كانت في أهل الجمل وأهل النهروان ظاهرة الإلتباس، أمّا أهل الجمل [فـ] لحسن ظنّهم بطلحة والزبير، وكون عائشة زوجة الرسول صلّى الله عليه وآله معهم.

وأمّا أهل النهروان، فكانوا أهل قرآن وعبادة واجتهاد، وعزوف عن الدنيا، وهم كانوا قرّاء العراق وزهّادها.

وأمّا معاوية، فكان فاسقاً مشهوراً بقلّة الدين والإنحراف عن الإسلام، وكذلك ناصره ومظاهره على أمره، عمرو بن العاص ومن اتّبعهما من طغام أهل الشام وأجلافهم وجهّال الأعراب، فلم يكن أمرهم خافياً في جواز قتالهم

---

(١) هذا محصّل ما أفاده ابن أبي الحديد وليس نصّ كلامه.

ومحاربتهم. انتهى.

قولـه عليه السّـلام: «فأنا فقأت» يقال: فقأت العين: أي شققتها أو قلعتها بشحمها، أو أدخلت الإصبع فيها. وفَقْأُ عين الفتنة: كسر ثورانها. وحذف المضاف ـ أي عين أهلها ـ بعيد.

وعـدم اجتراء غيره عليه السلام على إطفاء تلك الفتنة؛ لأنّ الناس كانوا يهابون قتال أهل القبلة، ويقولون: كيف نقاتل من يؤذّن كأذاننا ويصلّي بصلاتنا؟

والغيهب: الـظلمـة وتمـوّجهـا وعمومها وشمولها، تشبيهاً لها بالبحر. والكلب ـ بالتحريك ـ: داء يعرض الإنسان من عضّ الكلب، والعطش. والمراد شرّها وأذاها.

والفئة: الطّائفة والجماعة [و] لا واحد لها من لفظها. وناعقها: الداعي لها، أو إليها. والمناخ ـ بضمّ الميم ـ موضع الاناخة. والركاب: الإبل التي يسار عليها. والواحدة: راحلة والرحل ـ بالفتح ـ: كلّ شيء يعدّ للرحيل. وحططت الـرحل: أنزلته عن الإبل. والمحطّ: اسم مكان. وقيل: هو والمناخ مصدران. والكريهة: النازلة: وكرائه الأمور: المصائب التي تكرهها النفوس. والحوازب: جمع حازب. وهـو الأمـر الشـديد، وحـزبه أمر: اشتدّ عليه ودهمه. والخطب ـ بالفتح ـ: الشأن والحال والأمر الذي تقع فيه المخاطبة. والإطراق: السكوت، وإطـراق السـائل لصعوبة الأمر وشدتّه [عليه] حتّى أنّه يبهته عن السؤال ويتحيرّ كيف يسأل. والفشل: الجبن والضعف.

قوله عليه السّلام: «وذلك»: أي النّزول والإطراق والفشل. و «قلّصت» بالتشديد:أي اجتمعت وانضمّت.. والحرب إذا كانت في موضع واحد يكون أشدّ وأصعب ويكون التشديد للمبالغة. وهي بالتخفيف بمعنى ارتفعت فالمراد شدّتها وكثرتها.

ويقال: [هي] بالتشديد بمعنى استمرّت في المضّي. ويقال: قلص قميصه فقلّص نقليصاً: أي شمّر. لازم [و] متعدّ.

وفي بعض النسخ: «قلصت حربكم عن ساق» بدون كلمة «شمّرت». ويروي «إذا قلصت عن حربكم» بالتخفيف: أي إذا انكشفت كرائه الأمور وحوازب الخطوب عن حربكم.

و «شمّرت عن ساق»: أي كشفت عن شدةّ ومشقّة كما قيل في قوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ [٤٢/القلم: ٦٨]. وقيل: كَشْفُ الساق مثل في اشتداد الأمر وصعوبة الخطب. وأصله تشمير المخدّرات عن سوقهنّ في الهرب.

وقيل: يكشف عن ساق: أي عن أصل الأمر وحقيقته بحيث يصير عياناً. ويحتمل أن يكون الغرض تشبيه الحرب بالمجدّ في أمر، فإنّ الإنسان إذا جدّ في السعي شمّر عن ساقه ورفع ثوبه لئلّا يمنعه.

وٱستطالة الأيّام: عدّها طويلة. ويوم البؤس والشدّة يطول على الإنسان.

ولعلّ المراد ببقيّة الأبرار، أولادهم وإن لم يكونوا أبراراً في أنفسهم، إن كان [الكلام] إشارةً إلى دولة بني العباس. والأظهر أنّه [عليه السلام] أراد القائم عليه السلام.

قوله عليه السلام: «شبهت» على المعلوم: أي جعلت نفسها أو الأمور الباطلة شبيهة بالحقّ. أو على [بناء] المجهول أي أشكل أمرها والتبس على الناس.

قوله عليه السلام «نبهت»: أي أيقظت القوم من النوم، وأظهرت بطلانها عليهم.

«ينكرن»: أي لا يعرف حالهنّ. وحام الطائر حول الماء: إذا طاف ودار

لينزل عليه.

و [قوله عليه السـلام:] «حوم الرياح» أي كحومها.

والخطّة ـ بالضّم ـ: شبه القصّة والأمر والخطب. وعموم خطّة تلك البليّة لكونها رئاسة عامّة وسلطنة شاملة. وخصوص البليّة لكون حظّ أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم منها أوفر.

وإصابـة البـلاء من أبصـر فيها، لحزن المبصر من مشاهدة أفعالهم الشنيعة، وقصدهم إيّاه بأنواع الأذى بخلاف الجاهل المنقاد لهم.

ويطلق الرب على المالك والسيّد والمدبّر والمربّي والمنعم.

والناب: الناقة المسنّة. والضروس: السيّئة الخلق تعضّ حالبها. وعذم الفـرس ـ كضرب ـ إذا أكل بجفاء أو عضّ. وخبط البعير إذا ضرب بيده الأرض شديداً. والزبن: الدفع. وزبنت الناقة إذا ضربت بثفنات رجلها عند الحلب. والدّرّ: اللّبن. ويقال لكلّ خير على التوسّع.

قولـه عليه السلام: «لا يزالون بكم»: أي لا يزالون يؤذونكم بأنواع الأذى حتّى لا يبقى منكم إلّا من ينفعهم في مقاصدهم، أو لا يضرّهم بإنكار المنكـرات عليهم. والضـائر: المضرّ. والانتصار: الانتقام. والصاحب: التابع. والمستصحب: المتبـوع. والغرض إمّا نفي إمكان الانتصار، أو إثبات انتصار الأذلّاء والمقهـورين، كالغيبـة والـذمّ مع الأمن من الـوصـول إلى المغتاب. والشـوهاء: القبيحة. والمخشية: المخوّفة. والجاهلية: الحالة التي كانت العرب عليها قبل الإسلام.

والمنجاة: موضع النجاة. والغرض خلاصهم من لحوق الآثام والمتابعة في الـدعوة إلى الباطل، لا الخلاص من الأذيّة. والأديم: الجلد. ووجه الشبه أنكشاف الجلد عمّا تحته من اللّحم.

ويحتمل أن يكون المراد بالأديم، الجلد الذي يلفّ الانسان فيه للتّعذيب؛ لأنّه يضغطه شديداً إذا جفّ وفي تفريجه راحة.

ويسومهم: أي يكلّفهم ويلزمهم. والخسف: النقصان والذلّ والهوان. والمصبّرة: الممزوجة بالصبر المرّ. وقيل: أي المملوءة إلى أصبارها، أي جوانبها. والحلس ـ بالكسر ـ: كساء رقيق يكسى على ظهر البعير تحت البرذعة. وأحلس البعير: ألبسه الحلس.

ويحتمل أن يكون من الحلس الذي يبسط تحت حُرّ الثياب، إشعاراً بأنّهم في بيوتهم أيضاً خائفون.

وهو إشارة إلى ظهور دولة بني العبّاس. والجزور: الناقة التي تجزر.

قوله عليه السلام: «ما أطلب اليوم بعضه»: أي الطاعة والانقياد، أي يتمنّون أن يروني فيطيعوني اطاعة كاملة، وقد رضيت منهم اليوم بأن يطيعوني اطاعة ناقصة فلم يقبلوا.

وقد روي في [كتب] السّير: أنّ مروان بن محمّد وهو آخر ملوك بني أميّة، قال يوم الزاب ـ لّما شاهد عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العبّاس بإزائه في صفّ خراسان ـ: لوودت أنّ عليّ بن أبي طالب تحت هذه الراية بدلاً من هذا الفتى.

ويحتمل أن يكون التمنّي عند قيام القائم عليه السلام.

٩٥٢ ـ نهج: [و] من كلام له عليه السلام:

فلا أموال بذلتموها للّذي رزقها، ولا أنفس خاطرتم بها للّذي خلقها، تكرمون باللّه على عباده ولا تكرمون اللّه في عباده، فاعتبروا بنزولكم منازل

٩٥٢ـ رواه السّيّد الرضيّ قدّس اللّه روحه في المختار: (١١٥) من كتاب نهج البلاغة.

من كان قبلكم، وانقطاعكم عن أوصل إخوانكم.

بيـــان :

انتصـاب [قـولـه:] «أموال» بفعل مقدّر دلّ عليه «بذلتموها» وكذلك «أنفس». وخاطر فلان بنفسه وبماله: أي ألقاهما في الهلكة. «تكرمون باللّه»: أي يعزّكم الناس بأنّكم أهل طاعة اللّه. «ولا تكرمون اللّه»: أي لا تطيعونه في الإحسان إلى عباده، أو [في] إجراء أحكامه بينهم.

٩٥٣ ـ نهـــج: من خطبة له عليه السلام:

روي عن نوف البكالي قال: خطبنا [بـ] هذه الخطبة أمير المؤمنين [عليه السـلام] وهو قائم على حجارة نصبها له جُعدة بن هُبيرة المخزومي، وعليه مدرعة من صوف، وحمائل سيفه ليف [من لبف «خ»] وفي رجليه نعلان من ليف، وكأنّ جبينه ثفنة بعير! فقال:

الحمد للّه الّذي إليه مصائر الخلق وعواقب الأمر، نحمده على عظيم إحسانه، ونيّر برهانه، ونوامي فضله وإمتنانه، حمداً يكون لحقّه قضاءً، ولشكره أداءً، وإلى ثوابه مقرّباً، ولحسن مزيده موجباً.

ونستعين به استعانة راجٍ لفضله مؤمّل لنفعه، واثق بدفعه، معترف له بالطّول، مذعن له بالعمل والقول.

ونؤمن به إيمان من رجـاه موقنـاً، وأنـاب إليه مؤمناً، وخنع له مذعناً وأخلص له موحّداً، وعظّمه ممجّداً، ولاذ به راغباً مجتهداً.

لم يولد سبحانه فيكون في العزّ مشاركاً، ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً، ولم يتقدّمه وقت ولا زمان، ولا يتعاوره زيادة ولا نقصان، بل ظهر للعقول بما

٩٥٣ـ رواه الشريف الرضيّ رضي اللّه تعالى عنه في المختار: (١٨٠) من كتاب نهج البلاغة.

أرانا من علامات التّدبير المتقن والقضاء المبرم.

فمن شواهد خلقه خلق السماوات موطّدات بلا عمد، قائمات بلا سند، دعاهنّ فأجبن طائعات مذعنات غير متلكّئات ولا مبطّئات، ولولا إقرارهنّ بالربوبيّة وإذعانهنّ بالطواعية، لما جعلهنّ موضعاً لعرشه ولا مسكناً لملائكته ولا مصعداً للكلم الطّيب والعمل الصّالح من خلقه.

جعل نجومها أعلاماً يستدلّ به الحيران في مختلف فجاج الأقطار.

لم يمنع ضوء نورها إدلهام سجف اللّيل المظلم، ولا استطاعت جلابيب سواد الحنادس أن تردّ ما شاع في السّماوات من تلألؤ نور القمر.

فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج، ولا ليل ساج في بقاع الأرضين المتطأطئات، ولا في يفاع السّفع المتجاورات، وما يتجلجل به الرعد في أفق السماء، وما تلاشت عنه بروق الغمام، وما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف الأنواء، وانهطال السّماء.

ويعلم مسقط القطرة ومقرّها، ومسحب الذّرّة ومجرّها، وما يكفي البعوضة من قوتها، وما تحمل الأنثى في بطنها.

والحمد للّه الكائن قبل أن يكون كرسيّ أو عرش أو سماء أو أرض أو جانّ أو إنس. لا يدرك بوهم، ولا يقدّر بفهم، ولا يشغله سائل، ولا ينقصه نائل، ولا ينظر بعين، ولا يحدّ بأين، ولا يوصف بالأزواج، ولا يخلق بعلاج، ولا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، الذي كلّم موسى تكليماً وأراه من آياته عظيماً، بلا جوارح ولا أدوات، ولا نطق ولا لهوات.

بل إن كنت صادقاً أيّها المتكلّف لوصف ربّك! فصف جبرئيل وميكائيل وجنود الملائكة المقرّبين، في حجرات القدس مُرْجَحِنّين، متولّهةً عقولهم أن يحدّوا أحسن الخالقين.

وإنّما يدرك بالصفات ذوو الهيئات والأدوات، ومن ينقضي إذا بلغ أمد حدّه بالفناء.

فلا إله إلاّ هو، أضاء بنوره كلّ ظلام، وأظلم بظلمته كل نور.

أوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه الذي ألبسكم الرّياش، وأسبغ عليكم المعاش، ولو أنّ أحداً يجد إلى البقاء سُلّماً، أو لدفع الموت سبيلاً، لكان ذلك سليمان بن داوود الذي سُخر له ملك الجنّ والإنس مع النبوّة، وعظيم الزّلفة، فلمّا استوفى طعمته، واستكمل مدّته، رمته قِسِيّ الفناء بنبال الموت، وأصبحت الدّيار منه خالية، والمساكن معطّلة وورثها قوم آخرون.

وإنّ لكم في القرون السالفة لعبرة، أين العمالقة وأبناء العمالقة؟ أين الفراعنة وأبناء الفراعنة؟ أين أصحاب مدائن الرّسّ الذين قتلوا النّبيّين وأطفأوا سنن المرسلين وأحيوا سنن الجبارين؟ أين الذين ساروا بالجيوش وهزموا الألوف وعسكروا العساكر ومدّنوا المدائن؟!

[و] منها: قد لبس للحكمة جُنّتها، وأخذها بجميع أدبها من الإقبال عليها، والمعرفة بها، والتّفرّغ لها، وهي عند نفسه ضالّته التي يطلبها، وحاجته التي يسأل عنها، فهو مغترب إذا اغترب الاسلام، وضرب بعسيب ذنبه؛ وألصق الأرض بجرانه بقيّة من بقايا حجّته، خليفة من خلائف أنبيائه.

ثمّ قال عليه السلام: أيّها النّاس! إنّي قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ بها الأنبياء أممهم، وأدّيت إليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم، وأدّبتكم بسوطي فلم تستقيموا، وحدوتكم بالزّواجر فلم تستوثقوا. للّه أنتم أتتوقّعون إماماً غيري يطأ بكم الطريق ويرشدكم السّبيل؟!

ألا إنّه قد أدبر من الدّنيا ما كان مقبلاً، وأقبل منها ما كان مدبراً، وأزمع التّرحال عباد اللّه الأخيار، وباعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى بكثير من الآخرة لا يفنى.

ماضرّ إخواننا الذين سفكت دماؤهم ـ وهم بصفّين ـ أن لا يكونوا اليوم أحياء يسيغون الغصص، ويشربون الرنق، قد والله لقوا الله فوفّاهم أجورهم، وأحلّهم دار الأمن بعد خوفهم.

أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحقّ؟ أين عمّار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنيّة، وأُبرد برءوسهم إلى الفجرة؟

قال [نوف:] ثمّ ضرب يده إلى لحيته وأطال البكاء، ثمّ قال عليه السلام:

أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه! وتدبّروا الفرض فأقاموه! وأحيوا السنّة وأماتوا البدعة، دُعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتّبعوا! •

ثمّ نادى بأعلى صوته

الجهـاد الجهـاد عباد الله! ألا وإنّي معسكر في يومي هذا، فمن أراد الرّواح إلى الله فليخرج [فليبرح «خ»].

قال نَوف: وعقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف، ولقيس بن سعد ـ رحمه الله ـ في عشرة آلاف، ولأبي أيّوب الأنصاري [في] عشرة آلاف، ولغيرهم على أعداد أُخر، وهو يريد الرّجعة إلى صفّين، فما دارت الجمعة حتّى ضربه الملعون ابن ملجم، لعنه الله، فتراجعت العساكر. فكنّا كأغنام فقدت راعيها، تختطفها الذئاب من كلّ مكان.

تبيـــان :

قد مرّ شرح صدر الخطبة في كتاب التوحيد،وقال [ابن الأثير] في [كتاب] النهاية: الرياش والريش: ما ظهر من اللّباس. وقيل: الرياش: جمع الريش، ويقع الرياش على الخصب والمعاش والمال المستفاد.

و «أسبغ»: أي أكمل وأوسع. والمعاش والمعيشة: مكسب الإنسان الذي

يعيش به. والسلّم كسكّر ـ: ما يرتقى عليه. واستعمل هنا في الوسيلة.

وكون النبوّة والزّلفة ـ أي القرب والمنزلة ـ من الوسائل إلى البقاء، لاستجابة الدعاء معهما، فهما مظنّتان للتوصّل إلى البقاء في الباطن، كما أنّ السلطنة الكاملة مظنّة لأن تكون وسيلة إليه في الظّاهر. والطعمة: الرزق المقدّر. والقِسِيّ: جمع القوس. والنبل: السهّام العربيّة، لا واحد من لفظها.

وقال ابن أبي الحديد: نبال الموت أسبابه. والاضافة البيانية للمبالغة بعيدة.

والعمالقة: أولاد عمليق أو عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح. والفراعنة: ملوك مصر. وقد مضى ذكر أصحاب الرّسّ.

وعسكروا [العساكر]: أي جمعوها. ومدّنوا المدائن: أي بنوها.

قوله عليه السّلام: «قد لبس للحكمة جنّتها»: إشارة إلى القائم عليه السلام كما ذكره ابن أبي الحديد نقلاً عن الإماميّة. و «التفرّغ لها»: أي عن العلائق والشواغل.

قوله عليه السلام: «ضالّته»: إشارة إلى قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم «الحكمة ضالّة المؤمن».

قوله عليه السلام: «فهو مغترب»: أي هذا الشخص يخفي نفسه ويخملها إذا ظهر الفسق والجور واغترب الإسلام باغتراب العدل والصلاح، وهو إشارة إلى غيبة القائم عليه السلام.

وقال [ابن الأثير] في [مادّة «ذنب» من كتاب] النهاية: في حديث عليّ عليه السلام: أنّه ذكر فتنة فقال: «إذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه»[1]

---

(١) وهذا رواه أيضاً الهروي في مادة «ذنب» من كتاب غريب الحديث.
ورواه أيضاً السيّد الرضيّ في المختار الأوّل من غريب كلام أمير المؤمنين بعد المختار (٢٦٠)

أي فارق أهل الفتنة وضرب في الأرض ذاهباً في أهل دينه وأتباعه الذين يتّبعونه على رأيه وهم الأذناب.

وقال الزمخشري: الضرب بالذنب هاهنا مثل للإقامة والثبات، يعني يثبت هو ومن يتبعه على الدين.

وقال الفيروزآبادي: العسيب: عظم الذنب أو منبت الشعر منه، والبعير إذا أعيا وتأذّى ضرب بعسيب ذنبه.

وإلصاق الأرض بجرانه كناية عن ضعف الإسلام وقلّة نفعه، فإنّ البعير أقلّ ما يكون نفعه حال بروكه. وجران البعير: صدره أو مقدّم عنقه. وبثّ الخبر: نشره. والحداء: سوق الإبل والغناء لها.

[قوله عليه السلام:] «واستوثقوا»: استجمعوا وانضموا. و «الزواجر»: النواهي والإيعادات. «يطأ بكم الطريق»: أي يذهب بكم في سبيل الحقّ.

قوله عليه السلام: «ما كان مقبلاً»: أي الهدى والرشاد الذي كان في أيّام الرسول صلّى الله عليه وآله، أو في أيّام خلافته عليه السلام، فيكون إشارةً إلى قرب ارتحاله عليه السلام من دار الفناء.

و [المراد من قوله:] «ما كان مدبراً»: الضلال والفساد. و «أزمع الأمر»: أي عزم عليه. والترحال ـ بالفتح: مبالغة في الرحلة.

وكلمة «ما» في [قوله عليه السلام:] «ما ضرّ»: نافية، ويحتمل الإستفهام [أيضاً] على الإنكار. والفاعل [هو قوله:] «أن لا يكونوا».

وإساغة الغصص هنا كناية عن كثرة الآلام ومشاهدة المنكرات، بحيث صار تجرّع الغصص عادة لهم، أو عن الرضا بقضاء الله. والغصّة: ما يعترض في الحلق. والرنق ـ بالفتح والتحريك ـ: الكدر من الماء.

من قصار كلام امير المؤمنين من نهج البلاغة.

وعمار هو ابن ياسر المعروف وقد مرّ فضله. وابن التيّهان بالياء المنقوطة بإثنتين تحتها، المشدّدة المكسورة، وقبلها تاء منقوطة بإثنتين فوقها، ذكره ابن أبي الحديد وجوّز فتح الياء أيضاً. والمضبوط في أكثر النسخ بالياء الساكنة وفتح التاء وكسرها معاً.

وفي القـامـوس: وتيهان وتِيِّهان مشدّدة الياء ويكسر، وهو أبو الهيثم واسمه مالك.

وقال ابن أبي الحديد: الصحيح أنّه أدرك صفّين وشهدها مع عليّ عليه السلام... وقيل: توفّي في زمن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم.

وذو الشهادتين هو خزيمة بن ثابت وقصته مشهورة، يكنّى أبا عمارة، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، وشهد صفّين مع علي عليه السلام، فلما قتل عمّار قاتل حتّى قتل.

قوله عليه السلام: «تعاقدوا»: أي جعلوا الموت بينهم عقداً. أو تابعوا على الموت وروي: «تعاهدوا». «وأبرد برؤوسهم» [مأخوذ] من البريد: أي ارسل للبشـارة بها. و«الفجرة»: أمراء عسكر الشام. و «أوه» ساكنة الواو مكسورة الهاء: كلمة شكوى وتوجّع، وربما قلبوا الواو ألفاً، فقالوا: آه من كذا، وآه على كذا. وربما شدّد الواو وكسروها وسكنوا الهاء، فقالوا: أوّه من كذا. وربما حذفوا الهاء مع التشديد وكسروا الواو، فقالوا: أوِمن كذا بلا مدّ. وقد يقولون: آوّهْ بالمدّ والتشديد وفتح الواو وسكون الهاء، لتطويل الصوت بالشكاية. وربما أدخلوا فيه التاء تارة يمدّونه، وتارة لا يمدّونه، فيقولون: أوتاه وآوتاه، والإسم منه الآهة بالمدّ. ذكره الجوهري وابن أبي الحديد.

وإحكامه [أي القرآن]: تلاوته كما ينبغي مع رعاية المحسنّات، والتدبّر في معانيه والعمل بمقتضاه.

وأراد عليه السلام بالقائد: نفسه. والرواح إلى الله: الذهاب إلى الفوز

برضوانه، أو إلى لقائه بالشهادة.

وقيس هو من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله، كان شجاعاً جواداً من كبـار شيعة علي عليه السلام، شهد حروبه كلّها. وأبوه سعد بن عبادة، كان رئيس الخزرج، ولم يبايع أبا بكر، ومات على عدم البيعة. والمشهور أنّهم قتلوه لذلك، وأحالوا قتله على الجنّ، وافتروا شعراً من قبل الجنّ كما مرّ.

وأبو أيوب هو خالد بن سعد بن كعب الخزرجيّ من بني النجّار، شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد، وعليه نزل رسول الله صلّى الله عليه وآله حين قدم المـدينـة، وشهد مع أمير المؤمنين عليه السلام مشاهده كلّها، وكان على مقدّمته يوم النهروان.

والاختـطاف: أخـذك الشيء بسـرعة. والمراد هنا إمّا الأخذ بالنهب والقتل والاذلال، أو الأغواء والاضلال.

٩٥٤ ـ مـا: جماعة عن محمد بن عمران المرزباني، عن محمد بن موسى عن محمد بن سهل عن هشام عن أبي مخنف عن آبن حصيرة عن أبي صادق عن جندب بن عبدالله الأزدي قال:

قام عليّ بن أبي طالب عليه السـلامّ في الناس، ليستنفرهم إلى أهل الشام، وذلك بعد انقضاء المدّة التي كانت بينه وبينهم، وقد شنّ معاوية على بلاد المسلمين الغارات، فاستنفرهم في الرغبة في الجهاد والرهبة فلم ينفروا، فأضجره ذلك، فقال:

يا أيّها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم! ما عزّت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم. كلامكم يوهن الصمّ الصلاب، وتثاقلكم عن طاعتي يطمـع فيكم عدوّكم [المـرتـاب]. إذا أمرتكم قلتم: «كيت وكيت

٩٥٤ـ رواه الشيخ الطوسي في الحديث ٢٤ من الجزء السابع من أماليه ج١ ص ١١٣.

وعسى» أعاليل بأباطيل وتسألوني التأخير، دفاع ذي الدين المطول.

هيهات هيهات! لا يدفع الضيم الذليل، ولا يدرك الحقّ إلّا بالجدّ والصبر. أيّ دار بعد داركم تمنعون! ومع أيّ إمام بعدي تقاتلون! المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فاز بالسّهم الأخيب.

أصبحت لا أطمع في نصرتكم، ولا أصدّق قولكم، فرّق الله بيني وبينكم، وأعقبني بكم من هو خير لي منكم.

أما إنّكم ستلقون بعدي ذلّاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وأثرةً يتّخذها الظالمون فيكم سنّةً، يفرّق جماعتكم، وتبكي عيونكم، وتمنّون عمّا قليل أنّكم رأيتموني فنصرتموني، وستعرفون ما أقول لكم عمّا قليل، ولا يبعد الله إلّا من ظلم.

قال: فكان جندب لا يذكر هذا الحديث إلّا بكى، وقال: صدق والله أمير المؤمنين، قد شملنا الذّلّ ورأيناه الأثرة، ولا يبعد الله إلّا من ظلم.

٩٥٥ ـ شا ج: روي أنّه لمّا عزم على المسير إلى الشام لقتال معاوية، قال بعد حمد الله والثناء عليه، والصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وآله:

اتّقوا الله عباد الله! وأطيعوه وأطيعوا إمامكم، فإنّ الرعيّة الصّالحة تنجو بالإمام العادل، ألا وإنّ الرعيّة الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر.

وقد أصبح معاوية غاصباً لما في يديه من حقّي، ناكثاً لبيعتي، طاعناً في دين الله عزّ وجلّ.

وقد علمتم أيّها المسلمون ما فعل الناس بالأمس، فجئتموني راغبين إليّ

٩٥٥ـ رواه الشيخ المفيد أعلى الله مقامه في الفصل: (٣٠) مما اختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب الإرشاد،ص ١٣٩، ط النجف.

ورواه أيضاً الطبرسي رحمه الله في كتاب الاحتجاج: ج١، ص ١٧٢، ط بيروت.

في أمركم، حتّى آستخرجتموني من منزلي لتبايعوني، فالتويت عليكم لأبلو ما عندكم، فراودتموني القول مراراً، ورادتكم، وتداككتم عليّ تداكّ الإبل الهيم على حياضها، حرصاً على بيعتي، حتّى خفت أن يقتل بعضكم بعضاً، فلمّا رأيت ذلك منكم، رأيت في أمركم وأمري، وقلت: إن أنا لم أجبهم إلى القيام بأمرهم، لم يصيبوا أحداً منهم يقوم فيهم مقامي، ويعدل فيهم عدلي. وقلت: والله لأليَنّهم وهم يعلمون حقّي وفضلي، أحبّ إليّ من أن يلوني ولا يعرفون حقّي وفضلي. فبسطت يدي فبايعتموني يا معاشر المسلمين، وفيكم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان، وأخذت عليكم عهد بيعتي وواجب صفقتي [و] عهد الله وميثاقه. وأشدّ مّا أخذ على النبيّين من عهد وميثاق لتقرّنّ لي[1]، ولتسمعن لأمري، ولتطيعوني وتناصحوني، وتقاتلون معي كلّ باغ عليّ، أو مارق إن مرق. فبايعتم لي بذلك جميعاً، وأخذت عليكم عهد الله وميثاقه وذمّة الله وذمّة رسوله، فأجبتموني إلى ذلك، وأشهدت الله عليكم، وأشهدت بعضكم على بعض. فقمت فيكم بكتاب الله وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وآله. فالعجب من معاوية بن أبي سفيان! ينازعني الخلافة، ويجحدني الإمامة، ويزعم أنّه أحقّ بها منّي، جرأةً منه على الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم، بغير حقّ له فيها، ولا حجّة. ولم يبايعه المهاجرون، ولا سلّم له الأنصار والمسلمون.

يا معاشر المهاجرين والأنصار وجماعة من سمع كلامي! أما أوجبتم لي على أنفسكم الطاعة؟ أما بايعتموني على الرغبة؟ أما أخذت عليكم العهد بالقبول لقولي؟ أما بيعتي لكم يومئذٍ أوكد من بيعة أبي بكر وعمر؟ فما بال من خالفني لم ينقض عليهما حتّى مضيا، ونقض عليّ ولم يوف لي! أما يجب عليكم نصحي ويلزمكم أمري؟ أما تعلمون أنّ بيعتي تلزم الشاهد منكم والغائب؟ فما بال معاوية وأصحابه طاعنون في بيعتي! ولِـمَ لم يفوا لي وأنا في قرابتي وسابقتي وصهري، أولى بالأمر ممن تقدّمني؟ أما سمعتم قول رسول الله صلّى الله عليه

(١) كذا في ط الكمباني من أصلي، وفي ط النجف من كتاب الإرشاد: «لَتَفُنّ لي...».

وآله يوم الغدير في ولايتي وموالاتي.

فاتّقوا اللّه أيّها المسلمون! وتحاثّوا على جهاد معاوية القاسط الناكث وأصحابه القاسطين، [و] أسمعوا ما أتلو عليكم من كتاب اللّه المنزل على نبيّه المرسل لتتّعظوا، فإنّه واللّه عظة لكم. فانتفعوا بمواعظ اللّه وأزدجروا عن معاصي اللّه، فقد وعظكم اللّه بغيركم فقال لنبيّه صلّى اللّه عليه وآله: ﴿ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبيّ لهم أبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل اللّه قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألاّ تقاتلوا قالوا: وما لنا ألاّ نقاتل في سبيل اللّه وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلمّا كتب عليهم القتال تولّوا إلاّ قليلاً منهم واللّه عليم بالظالمين* وقال لهم نبيّهم إنّ اللّه قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا انّى يكون له الملك علينا ونحن أحقّ بالملك منه ولم يؤت سعةً من المال قال إنّ اللّه اصطفاه عليكم وزاده بسطةً في العلم والجسم واللّه يؤتي ملكه من يشاء واللّه واسع عليم﴾ [٢٤٦ ـ ٢٤٧/ البقرة:٢].

أيّها النّاس! إنّ لكم في هذه الآيات عبرة: لتعلموا أنّ اللّه جعل الخلافة والإمـرة من بعد الأنبياء في أعقابهم، وأنّه فضّل طالوت وقدّمه على الجماعة بإصطفائه إيّاه، وزاده بسطةً في العلم والجسم، فهل تجدون اللّه أصطفى بني أميّة على بني هاشم، وزاد معاوية عليّ بسطةً في العلم والجسم؟!

فاتّقـوا اللّه عبـاد اللّه! وجـاهـدوا في سبيله قبل أن ينالكم سخطه بعصيانكم له، قال اللّه سبحانه: ﴿لعن الذّين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون* كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ [٧٨ ـ ٧٩/ المائدة: ٥].

[وقال اللّه تعالى:] ﴿إنّما المؤمنون الذين آمنوا باللّه ورسوله ثمّ لم يرتابوا وجـاهـدوا بأمـوالهم وأنفسهم في سبيل اللّه أولئـك هم الصادقون﴾ [١٥/ الحجرات: ٤٩].

وقال سبحانه: ﴿يا أيّها الذين آمنوا هل أدلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب إليم* تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون* يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنّات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيّبة في جنّات عدن ذلك الفوز العظيم﴾ [١٠ ـ ١٢/ الصف: ٦١].

اتّقوا الله عباد الله! وتحاثّوا على الجهاد مع إمامكم. فلو كان لي بكم عصابة بعدد أهل بدر، إذا أمرتهم أطاعوني، وإذا استنهضتهم نهضوا معي، لاستغنيت بهم عن كثير منكم، وأسرعت النهوض إلى حرب معاوية وأصحابه، فإنّه الجهاد المفروض.

بيـــان:

إنّما أوردته في هذا الباب؛ لأنّه بالنهوض الثاني أنسب منه بالأوّل، وإن احتمله.

٩٥٦ ـ شـــاج: [و] من كلامه عليه السلام يجري مجرى الإحتجاج، مشتملاً على التوبيخ لأصحابه على تثاقلهم لقتال معاوية، والتفنيد، متضمّناً للّوم والوعيد:

أيّها النّاس! إنّي أستنفرتكم لجهاد هؤلاء القوم فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا، شهوداً كالغيّب.

أتلو عليكم الحكمة فتعرضون عنها، وأعظكم بالموعظة البالغة فتنفرون عنها، كأنّكم حُمُر مستنفرة فرّت من قسورة وأحثّكم على جهاد أهل الجور فما آتي على آخر قولي، حتّى أراكم متفرّقين أيادي سبا ترجعون إلى مجالسكم

٩٥٦ـ رواه الشيخ المفيد في الفصل: (٤٦) مما اختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب الإرشاد، ص ١٤٨. ورواه أيضاً الطبرسي في كتاب الاحتجاج ص ١٧٣.

تتربّعون حلقاً، تضربون الأمثال، وتنشدون الأشعار، وتجسّسون الأخبار، حتّى إذا تفرّقتم، تسألون عن الأشعار. جهلة من غير علم، وغفلة من غير ورع، وتتبعاً من غير خوف. ونسيتم الحرب والاستعداد لها، فأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها، شغلتموها بالأعاليل والأضاليل.

فالعجب كلّ العجب ـ وكيف لا أعجب ـ من اجتماع قوم على باطلهم وتخاذلكم عن حقّكم.

يا أهل الكوفة! أنتم كأمّ مجالد، حملت فأملصت، فمات قيّمها، وطال أيّمها وورثها أبعدها.

والّذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة، إنّ من ورائكم الأعور الأدبر جهنّم الدنيا، لا يبقي ولا يذر.

ومن بعده النّهاس الفرّاس، الجموع المنوع، ثمّ ليتوارثنكم من بني أميّة عِدّة، ما الآخر [منهم] بـأرأف بكم من الأوّل، ما خلا رجلاً واحداً [منهم] بلاء قضاه اللّه على هذه الأمّة، لا محالة كائن.

يقتلون خياركم، ويستعبدون أرذالكم، ويستخرجون كنوزكم وذخائركم من جوف حجالكم، نقمةً بما ضيّعتم من أموركم وصلاح أنفسكم ودينكم.

يا أهل الكوفة! أخبركم بما يكون قبل أن يكون، لتكونوا منه على حذر، ولتنـذروا به من اتّعظ واعتبر. كأنّي بكم تقولون: إن علياً يكذب كما قالت قريش لنبيّها وسيّدها نبيّ الرحمة محمد بن عبداللّه حبيب اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم.

فياويلكم، فعلى من أكذب! أعلى اللّه! فأنا أوّل من عبداللّه ووحّده. أم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله! فأنا أوّل من آمن به وصدّقه ونصره. كلّا ولكنها لهجة خدعة كنتم عنها أغبياء .

والذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة، لتعلمنّ نبأها بعد حين، وذلك إذا صيّركم إليها جهلكم، ولا ينفعكم عندها علمكم.

فقبحاً لكم يا أشباه الرّجال ولا رجال، حلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال.

أما والله أيّها الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم! ما أعزّ الله نصر من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، ولا قرّت عين من آواكم. كلامكم يوهي الصّمّ الصّلاب، وفعلكم يطمع فيكم عدّوكم المرتاب.

يا ويحكم، أيّ دار بعد داركم تمنعون! ومع أيّ إمام بعدي تقاتلون! والمغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فاز بالسهّم الأخيب.

أصبحت لا أطمع في نصركم، ولا أصدّق قولكم. فرّق الله بيني وبينكم، وأعقبني بكم من هو خير لي منكم، وأعقبكم بي من هو شرّ لكم منّي.

إمامكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وإمام أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه. والله لوددت أنّ معاوية صارفني بكم صرف الدّينار بالدرهم، فأخذ منّي عشرة منكم وأعطاني واحداً منهم والله لوددت أنّي لم أعرفكم، ولم تعرفوني، فإنّها معرفة جرّت ندماً!

لقد ورّيتم صدري غيظاً، وأفسدتم عليّ أمري بالخذلان والعصيان، حتى لقد قالت قريش: إنّ علياً رجل شجاع [و] لكن لا علم له بالحروب. لله درّهم! هل كان فيهم أحد أطول لها مراساً منّي وأشدّ لها مقاساة؟! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، ثمّ ها أنا قد ذرّفت على السّتين، ولكن لا أمر لمن لا يطاع.

أما والله لوددت أنّ ربّي قد أخرجني من بين أظهركم إلى رضوانه، وإنّ المنيّة لترصدني، فما يمنع أشقاها أن يخضبها؟ ـ ونزل [عليه السلام] يده على رأسه ولحيته ـ عهداً عهده إليّ النّبيّ الأمّي صلّى الله عليه وآله. وقد خاب من

افترى، ونجا من اتّقى وصدّق بالحسنى.

يا أهل الكوفة! قد دعوتكم إلى جهاد هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسرّاً وإعلاناً، وقلت لكم: اُغزوهم قبل أن يغزوكم؛ فإنّه ما غُزِي قوم في عُقر دارهم إلاّ ذلّوا. فتواكلتم وتخاذلتم، وثقل عليكم قولي، واستصعب عليكم أمري، واتّخذتموه وراءكم ظِهرياً حتّى شُنّت عليكم الغارات، وظهرت فيكم الفواحش والمنكرات، تمسيكم وتصبحكم كما فعل بأهل المثلات من قبلكم، حيث أخبر اللّه عزّ وجلّ عن الجبابرة العُتاة الطُّغاة، والمستضعفين الغُواة في قوله تعالى: ﴿يذبّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾[١].

أماوالذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة لقد حلّ بكم الذّي توعدون.

عاتبتكم ياأهل الكوفة بمواعظ القرآن فلم أنتفع بكم، وأدّبتكم بالدّرّة فلم تستقيموا لـي[٢]، وعاقبتكم بالسوط الذي يقام به الحدود فلم ترعووا. ولقد علمت أنّ الذي يصلحكم هو السيف. وماكنت متحرّيا صلاحكم بفساد نفسي، ولكن سيُسلّط عليكم سلطان صعب، لايوقر كبيركم، ولايرحم صغيركم، ولايكرم عالمكم، ولايقسم الفيء بالسّويّة بينكم، وليضربنّكم وليذلّنّكم، وليجرّنّكم في المغازي، ويقطعنّ سبلكم، وليحجبنّكم على بابه حتى يأكل قويكم ضعيفكم، ثم لايبعد اللّه الاّ من ظلم. ولقلّ ماأدبر شيء فأقبل، إنّي لاظنّكم على فترة، وما عليّ الاّ النّصح لكم.

يا أهل الكوفة! مُنيتِ منكم بثلاث واثنتين: صمّ ذوو أسماع، وبكم ذوو ألسن، وعمي ذوو أبصار. لا إخوان صدق عند اللّقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء.

(١) والآية الكريمة قد وردت في ثلاث سور من القرآن المجيد في الآية: (٤٩) من سورة البقرة، وفي الآية (١٤١) من سورة الأعراف، وفي الآية: (٦) من سورة إبراهيم.

(٢) في النسخة الخطية: «وأدبتكم بالدرّة فلم أنتفع بكم، وأدبتكم بالدّرة فلم تستقيموا لـي» الظاهر أنّه خطأ من الناسخ، والصحيح ماأثبتناه في المتن، وهو مطابق لرواية الاحتجاج.

اللّهم إنّي قد مللتهم وملّوني، وسئمتهم وسئموني. اللّهم لا ترض عنهم أميراً، ولا ترضهم عن أمير، وأمث قلوبهم كإيماث الملح في الماء.

أما واللّه لو [كنت] أجد بدأ من كلامكم ومراسلتكم ما فعلت. ولقد عاتبتكم في رشدكم حتّى سئمت الحياة، [وأنتم في] كلّ ذلك ترجعون بالهزء من القول، فراراً من الحقّ، وإلحاداً إلى الباطل[1] الذي لا يعزّ اللّه بأهله الدين، وإنّي لأعلم بكم أنّكم لا تزيدونني غير تخسير.

كلّما أمـرتكم بجهاد عدوّكم اثاقلتم إلى الأرض، وسألتموني التأخير دفاع ذي الدّين المطول. إن قلت لكم في القيظ: سيروا. قلتم: الحرّ شديد. وإن قلت لكم: سيروا في البرد. قلتم: القرّ شديد. كلّ ذلك فراراً عن الحرب إذا كنتم عن الحرّ والبرد تعجزون، فأنتم عن حرارة السيف أعجز وأعجز. فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون.

يا أهل الكوفة! قد أتاني الصريح يخبرني أنّ ابن غامد قد نزل الأنبار على أهلها ليلاً في أربعة آلاف، فأغار عليهم كما يغار على الرّوم والخزر، فقتل بها عاملي ابن حسّان، وقتل معه رجالاً صالحين ذوي فضل وعبادة ونجدة، بوّء اللّه لهم جنّات النّعيم، وإنّه أباحها.

وقد بلغني أنّ العصبة من أهل الشام، كانوا يدخلون على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فيهتكون سترها، ويأخذون القناع من رأسها، والخرص من أذنها، والأوضاح من يديها ورجليها وعضديها، والخلخال والمئزر عن سوقها، فما تمتنع إلّا بالاسترجاع والنّداء «يا للمسلمين» فلا يغيثها مغيث ولا ينصرها ناصر، فلو أنّ مؤمناً مات من دون هذا أسفاً، ما كان عندي ملوماً بل كان عندي باراً محسناً.

---

(١) كذا في أصلي من البحار، ومثله في طبع النجف من كتاب الإرشاد، ولعلّ الصّواب: «وإخلاداً إلى الباطل...».

واعجبا كلّ العجب من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم، وفشلكم عن حقّكم! قد صرتم غرضاً يُرمىٰ ولا ترمون، و تُغْزون ولا تغزون، و يعصون الله وترضون، فتربت أيديكم يا أشباه الابل غاب عنها رعاتها، كلّما آجتمعت من جانب تفرّقت من جانب.

بيـــان :

التّفنيد: اللّوم وتضعيف الـرأي. والقسـورة: الأسد. وقال الجوهري: أملصت المرأة بولدها أي أسقطته. ونهس اللحم: أخذه بمقدّم الأسنان. ونهس الحيّة: لسعها. وفرس الأسد فريسته: دقّ عنقها.

والمراد بالنّهاس الفراس، إمّا هشام بن عبدالملك لاشتهاره بالبخل ، أو سليمان بن عبد الملك، فإنّه الّذي قبضت له الخلافة بعد وفاة الحجّاج بقليل. والأوّل أنسب.

والمراد بالرّجل الواحد [هو] عمر بن عبد العزيز.

قوله عليه السّلام: «ولكنّها لهجة خدعة»: أي إذا قلت لكم: سأظفر على الخصم إن شاء اللّه، فليس هذا من الكذب، بل هو كما مرّ وكذا أشباهه من مصالح الحرب وغيره.

ويحتمل إرجاع ضمير «لكنّها» إلى ما ذكره من نسبته عليه السلام إلى الكذب، خصوصاً على نسخة «أغنياء» بالنّون، أي ما ذكرتم لهجة خدعتم فيها من الشيطان، ولم تكن لكم حاجة إلى ذكرها.

وفي الصحاح: وهى السّقاء يهي وهْياً إذا آنخرق وانشقّ. وفيه: ورى القيح جوفه يريه ورياً: أكله والاسم الورى بالتحريك. وورّى الجرح سائره تورية: أصابه الورى. والمراس: الممارسة والمعالجة. ورصده: رقبه. والترصّد: الترقّب.

قولـه عليه السلام: «تمسيكم وتصبحكم»: لعلّ الضمير المستتر فيهما راجع إلى الفواحش والمنكرات: أي يأتيكم إمّا صباحاً أو مساءاً عقوبات تلك المنكرات كما فعل بمن قبلكم.

أو الكاف اسميّ: أي يأتيكم مثل ما فعل بهم. أو قبله تقدير: أي يأتيكم عقوبته كما فعل بهم.

أو الضميران راجعـان إلى شنّ الغارات وظهور الفواحش والمنكرات، ويكون المراد ظهورها من المخالفين فيهم فهذه عقوبة أعمالهم.

قوله عليه السلام: «وليجرّنكم»: أي يبعثكم جبراً. وفي بعض النسخ: «وليجهزّنكم». وفي بعضها: «وليجمّرنكم» وتجمير الجيش أن تحبسهم في أرض العدوّ ولا تقفلهم من الثغر. وتجمّروا: أي تحبسوا.

و [قوله عليه السلام:] «وليحجبنّكم»: ضمّن معنى القيام فعُديّ بـ«على».

قوله عليه السّلام: «إن قلت لكم في القيظ» [كذا في كتاب الإحتجاج و] في [كتاب] الإرشاد: «إذا قلت لكم: أنفروا في الشتاء. قلتم: هذا أوان قرّ وصر. وإن قلت لكم: أنفروا في الصيف. قلتم: «هذه حمارّة القيظ أنظرنا ينصرم الحرّ عنّا كلّ ذلك فراراً عن الجنّة. [و] إذا كنتم عن الحرّ والبرد...» إلى آخر الكلام.

قولـه عليه السلام: «قد أتاني الصريح» [كذا] في أكثرالنسخ بالحاء المهملة. وهو الرجل الخالص النسب. وكلّ خالص صريح.

والأظهر أنّه بالخاء المعجمة كما في [كتاب] الإرشاد: أي المستغيث أي من يطلب الاغاثة والمدد لدفع ظلمهم.

والعصبـة من الـرجـال ـ بالضمّ ـ: ما بين العشرة إلى الأربعين. وفي

القاموس: الخرص بالضمّ ـ ويكسر ـ: حلقة الذهب والفضّة أو حلقة القرط أو الحلقة الصغيرة من الحليّ. وفي النهاية: [الخرص ـ بالضمّ والكسر ـ]: الحلقة الصغيرة من الحلي وهو من حلي الأذن.

و [أيضاً] قال [ابن الأثير:] فيه: «أنّ يهودياً قتل جارية على أوضاح لها»: هي نوع من الحلي يعمل من الفضّة سمّيت بها لبياضها، واحدها وضح.

وقد أوردنا شرح بعض الفقرات في الروايات الأخر.

٩٥٧ ـ مـــع: الطالقاني عن الجوهري عن الجلودي وهشام بن عليّ معاً عن ابن عائشة، بإسناد ذكره: أنّ علياً [عليه السلام] انتهى إليه أنّ خيلاً لمعاوية وردت الأنبار، فقتلوا عاملاً له يقال له: حسّان بن حسّان. فخرج مغضباً يجرّ ثوبه حتّى أتى النخيلة، وأتبعه الناس فرقى رباوةً من الأرض، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيّه صلّى الله عليه وآله ثمّ قال:

أمّا بعد فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة، فتحه الله لخاصّة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنّته الوثيقة، فمن تركه رغبةً عنه ألبسه الله ثوب الذلّ، وسيماء الخسف، وديّث بالصغار.

وقد دعوتكم إلى حرب هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسرّاً وإعلاناً، وقلت لكم: اغزوهم من قبل أن يغزوكم، فوالذي نفسي بيده ما غزي قوم قطّ في عقر ديارهم، إلاّ ذلّوا، فتواكلتم وتخاذلتم وثقل عليكم قولي، واتخذّتموه وراءكم ظهرياً حتّى شُنّت عليكم الغارات.

هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار، وقتلوا حسّان بن حسّان ورجالاً منهم كثيراً ونساءاً، والذي نفسي بيده لقد بلغني أنّه كان [الرجل من أهل

٩٥٧ـ رواه الشيخ الصدوق رحمه الله في الباب: (٣٤٦) ـ وهو باب معاني الألفاظ التي ذكرها أمير المؤمنين في خطبته بالنخيلة ـ من كتاب معاني الأخبار: ج٢ص ٣٠٩.

الشام][1] يدخل على المرأة المسلمة والمعاهدة فينتزع أحجالها ورعثها، ثمّ انصرفوا موفورين لم يكلم أحد منهم كلمًا. فلو أنّ امرءاً مسلمًا مات من دون هذا أسفاً، ما كان عندي فيه ملوماً، بل كان عندي به جديراً.

يا عجباً كلّ العجب من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم وفشلكم عن حقّكم!

إذا قلت لكم: آغزوهم في الشتاء، قلتم: هذا أوان قرّ وصرّ. وإن قلت لكم: آغزوهم في الصيف، قلتم: هذه حمارّة القيظ، أنظرْنا ينصرم الحرّ عنّا. فإذا أنتم من الحرّ والبرد تفرون، فأنتم والله من السيف أفرّ.

يا أشباه الرجال ولا رجال! ويا طغام الأحلام ويا عقول ربّات الحجال.

والله لقد أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان، ولقد ملأتم جوفي غيظاً حتّى قالت قريش: إنّ ابن أبي طالب شجاع ولكن لا رأي له في الحرب.

للّه درّهم! ومن ذا يكون أعلم بها وأشدّ لها مراساً منّي! فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، ولقد نيّفت اليوم على الستّين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع. يقولها ثلاثاً.

فقام إليه رجل ومعه أخوه فقال: يا أمير المؤمنين! أنا وأخي هذا كما قال الله عزّ وجلّ حكايةً عن موسى: ﴿ربّ إنّي لا أملك إلاّ نفسي وأخي﴾ فمرنا بأمرك، فوالله لننتهينّ إليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضا وشوك القتاد.

فدعا له بخير ثمّ قال: وأين تقعان مما أريد! ثمّ نزل [عليه السلام].

قال الصدوق رضي الله عنه: تفسير: قال المبرد: سيماء الخسف تأويله: علامة [الخسف] قال الله عزّ وجلّ: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة منّا مأخوذة من مصادر أخر منها المختار: (٢٧) من كتاب نهج البلاغة كما أنّ جملة: «والذي نفسي بيده» في هذا الحديث من وهم الرواة ولا مورد لها هاهنا.

[٢٩/ الفتح] وقال ألله عزّ وجلّ: ﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾ [٤١/ الرحمان] وقال اللّه عزّ وجلّ: ﴿يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين﴾ [١٢٥/ آل عمران: ٣] أي معلّمين.

وقوله: «ديّث بالصّغار»: تأويل ذلك يقال للبعير إذ ذلّلته الرياضة: بعير مديث: أي مذلّل. وقوله: «في عقر ديارهم»: أي في أصل ديارهم. والعقر: الأصل. ومن ثمّ يقال: لفلان عقار: أي أصل مال.

وقوله: «تواكلتم»: هو مشتقّ من وكلت الأمر إليك ووكلته إليّ إذا لم يتولّه أحد دون صاحبه، ولكن أحال به كلّ واحد على الآخر. ومن ذلك قول الحطيئة:

أمور إذا واكلتها لا تواكلوا.

وقوله: «واتّخذتموه وراءكم ظهريّاً»: أي لم تلتفتوا إليه. يقال في المثل: لا تجعل حاجتي منك بظهري: أي لا تطرحها غير ناظر إليها.

وقوله: «حتّى شنّت عليكم الغارات»: يعني صُبّت. يقال: شننت الماء على رأسه: أي صببته. ومن كلام العرب: فلمّا لقي فلان فلاناً شنّه بالسيف: أي صبّه عليه صبّاً.

وقوله: «هذا أخو غامد»: فهو رجل مشهور من أصحاب معاوية من بني غامد بن نصر من الأزد.

قوله «فينتزع أحجالها»: يعني الخلاخيل، واحدها حجل، ومن ذلك قيل للدابة: محجلة. ويقال للقيد: حِجل لأنّه يقع في ذلك الموضع.

و [أمّا] قوله: «ورعثها»: فهي الشنوف واحدها رعثة، وجمعها رعاث وجمع الجمع رعث.

وقوله: «ثمّ أنصرفوا موفورين» من الوفر: أي لم ينل أحد منهم بأن يرزأ

في بدن ولا مال. يقال: فلان موفور، وفلان ذو وفر: أي ذو مال، ويكون موفوراً في بدنه.

وقوله: «لم يكلم أحد منهم كلمًا»: أي لم يخدش أحد منهم خدشاً، وكل جرح صغير أو كبير فهو كلم.

وقوله: «مات من دون هذا أسفاً»: يقول تحسراً، وقد يكون الأسف الغضب، قال اللّه عزّ وجلّ: «فلمّا آسفونا آنتقمنا منهم» [٥٥/ الزخرف: ٤٣] والأسيف يكون الأجير، ويكون الأسير.

وقوله: «من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم»: أي من تعاونهم وتظاهرهم.

وقوله: «وفشلكم من حقكم» يقال: فشل فلان عن كذا إذا هابه فنكل عنه وآمتنع من المضي فيه.

وقوله: «قلتم هذا أوان قرّ وصرّ». فالصرّ: شدّة البرد، قال اللّه عزّ وجلّ: «كمثل ريح فيها صرّ» [آل عمران: ٣].

وقوله: «هذه حمارّة القيظ». فالقيظ: الصيف، وحمارته: اشتداد حرّه.

بيـــان :

قوله: «وجمع الجمع: رعث». [قال ابن اثير] في [مادّة «رعث» من كتاب] النهاية: الرّعاث: القرطة وهي من حلي الأذن، واحدتها: رَعْثَة رَعَثَه وجنسها: الرَعْث.

أقول قد مرّ شرح باقي الفقرات،في رواية آخرى.

٩٥٨ـ مـا: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

٩٥٨ـ رواه شيخ الطائفة ـ مع أخر عنه عليه السلام ـ في الحديث: (٢٨) وما حوله من الجزء الأوّل من أماليه: ج١، ص ٢٢.

وللكلام مصادر كثيرة يجد الباحث بعضها في ذيل المختار: (٩٥) من كتاب نهج السعادة

الموت طالب ومطلوب، لا يعجزه المقيم، ولا يفوته الهارب، فقدّموا ولا تنكلوا، فإنّه ليس عن الموت محيص، إنّكم إن لم تقتلوا تموتوا. والذي نفس عليّ بيده، لألف ضربة بالسيف على الرأس، أهون من موت على فراش.

٩٥٩ ـ ما: المفيد عن التمّار عن محمد بن الحسين عن أبي نعيم، عن صالح بن عبدالله عن هشام عن أبي مخنف عن الأعمش، عن أبي إسحاق السبيعي عن الأصبغ بن نباتة رحمه الله، قال: إنّ أمير المؤمنين [عليه السلام] خطب ذات يوم فحمد الله واثنى عليه، وصلّى على النبيّ صلّى الله عليه وآله ثمّ قال:

أيّها الناس ! اسمعوا مقالتي وعوا كلامي، إنّ الخُيَلاء من التجبّر، والنّخوة من التكبّر، وإنّ الشيطان عدوّ حاضر يَعِدُكم الباطل.

ألا إنّ المسلم أخو المسلم، فلا تنابزوا ولا تخاذلوا، فإنّ شرائع الدّين واحدة، وسبله قاصدة، من أخذ بها لحق، ومن تركها مرق ومن فارقها محق. ليس المسلم بالخائن إذا ائتمن، ولا بالمخلف إذا وعد، ولا بالكذوب إذا نطق.

نحن أهل بيت الرّحمة، وقولنا الحقّ، وفعلنا القسط، ومنّا خاتم النّبيّين، وفينا قادة الإسلام وأمناء الكتاب، ندعوكم إلى الله ورسوله، وإلى جهاد عدوه والشّدة في أمره وابتغاء رضوانه، وإلى إقام الصلاة وإيتاء الزّكاة وحجّ البيت وصيام شهر رمضان وتوفير الفيء لأهله.

ألا وإنّ [من] أعجب العجب أنّ معاوية بن أبي سفيان الأموي وعمرو

ج١، ص ٣١١ ط ٢.

٩٥٩ ـ رواه الشيخ الطوسي في الحديث: (١٣) من الجزء الأوّل من أماليه ص ٩ ط بيروت.

ورواه الشيخ المفيد رحمه الله في المجلس: (٢٧) من أماليه ص ١٤٥.

ورواه ابن أبي الحديد ـ نقلاً عن الغارات ـ في آخر شرحه على المختار: (٢٧) من نهج البلاغة: ج١، ص ٣٣٨ ط الحديثة ببيروت.

بن عاص السهمي، يحرّضان الناس على طلب الدّين بزعمهما! وإنّي واللّه لم أخالف رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله قطّ، ولم أعصه في أمر قطّ، أقيه بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وترعد فيها الفرائص، بقوّة أكرمني اللّه بها فله الحمد.

ولقد قُبض النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله وإنّ رأسه في حجري، ولقد وليت غسله، أغسله بيدي، وتقلّبه الملائكة المقرّبون.

وأيم اللّه، ما ٱختلفت أمّة بعد نبيّها إلّا ظهر أهل باطلها على حقّها، إلّا ما شاء اللّه.

قال: فقام عمّار بن ياسر رحمة اللّه عليه فقال: أمّا أمير المؤمنين فقد أعلمكم أنّ الأمّة لم تستقم عليه. فتفرّق الناس وقد نفذت بصائرهم.

٩٦٠ ـ ما: المفيد عن الكاتب عن الزعفراني عن الثقفي، عن محمد بن إسماعيل عن زيد بن المعدّل عن يحيىٰ بن صالح الطيالسي عن إسماعيل بن زياد عن ربيعة بن ناجد قال: لّما وجّه معاوية بن أبي سفيان ٱبن عوف الغامدي إلى الأنبار إلى الغارة، بعثه في ستّة آلاف فارس، فأغار على «هيت» و«الأنبار» وقتل المسلمين وسبى الحريم وعرض الناس على البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام، ٱستنفر أمير المؤمنين عليه السلام الناس وقد كانوا تقاعدوا عنه واجتمعوا على خذلانه، وأمر مناديه في الناس فاجتمعوا فقام خطيباً، فحمد اللّه وأثنى عليه وصلّى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله ثمّ قال:

أمّا بعد أيّها الناس! فواللّه لأهل مصركم في الأمصار، أكثر في العرب من الأنصار. وما كان يوم عاهدوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله أن يمنعوه ومن معه من المهاجرين، حتّى يبلّغ رسالات اللّه إلّا قبيلتان، صغير مولدهما، ما هما

٩٦٠ـ رواه الشيخ في الحديث: (٤٤) من الجزء السادس من أماليه ص ١٧٦، وص ١٠٩، وفي طبعة أخرى ١٧٧. وتقدم صدر الخطبة نقلاً عن كتاب الغارات في ص ٦٨٠ ط الكمباني.

بأقدم العرب ميلاداً، ولا بأكثرهم عدداً، فلمّا آووا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، ونصروا اللّه ودينه، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وتحالفت عليهم اليهود، وغزتهم القبائل قبيلة بعد قبيلة. فتجرّدوا للدّين، وقطعوا ما بينهم وبين العرب من الحبائل، وما بينهم وبين اليهود من العهود، ونصبوا لأهل نجد وتهامة وأهل مكّة واليمامة وأهل الحزن وأهل السهل، قناة الدّين، وتصبّروا تحت أحلاس الجلاد، حتّى دانت لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله العرب، ورأى فيهم قرّة العين قبل أن يقبضه اللّه إليه. فأنتم في الناس أكثر من أولئك في أهل ذلك الزمان من العرب.

فقام إليه رجل آدم طوال فقال: ما أنت كمحمد، ولا نحن كأولئك الذين ذكرت، فلا تكلّفنا ما لا طاقة لنا به.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أخسأ [أحسن «خ»] مستمعاً تحسن إجابةً، ثكلتكم الثواكل ما تزيدوني إلّا غمّاً، هل أخبرتكم أنّي مثل محمد! أو أنّكم مثل أنصاره! وإنّما ضربت [لكم] مثلاً، وأنا [كنت] أرجو أنّ تأسّوا بهم.

ثمّ قام رجل آخر وقال: ما أحوج أمير المؤمنين ومن معه إلى أصحاب النهروان. ثمّ تكلم الناس من كلّ ناحية ولغطوا

فقام رجل فقال بأعلى صوته: أستبان فقد الأشتر على أهل العراق، أنْ لو كان حياً لقلّ اللغط، ولعلم كلّ امرئ ما يقول.

فقال لهم أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه: هبلتكم الهوابل، لأنا أوجب عليكم حقّاً من الأشتر، وهل للأشتر عليكم من الحقّ إلّا حقّ المسلم على المسلم؟! وغضب فنزل.

فقام حجر بن عديّ وسعيد بن قيس فقالا: لا يسوءك اللّه يا أمير المؤمنين، مرنا بأمرك نتّبعه، فواللّه العظيم ما يعظم جزعنا على أموالنا أن تفرّق، ولا على عشائرنا أن تقتل في طاعتك.

فقال لهم: تجهّزوا للمسير إلى عدّونا.

ثمّ دخل عليه السلام منزله، ودخل عليه وجوه أصحابه فقال لهم: أشيروا عليّ برجل صليب ناصح يحشر الناس من السواد.

فقال سعيد بن قيس: عليك يا أمير المؤمنين بالناصح الأريب [و] الشجاع الصليب معقل بن قيس التميمي. قال: نعم. ثمّ دعاه فوجّهه وسار [معقل] ولم يعد حتّى أصيب أمير المؤمنين عليه السلام.

بيـــان :

المراد بالقبيلتين الأوس والخزرج. وقال الجوهري: تجرّد للأمر: جدّ فيه.

قوله عليه السلام: «وتصبّروا تحت أحلاس الجلاد»: أي صبروا صبراً شديداً على ملازمة القتال. [قال ابن الأثير] في [مادة «حلس» من كتاب] النهاية: «كونوا أحلاس بيوتكم»: أي الزموها. وفيه: «نحن أحلاس الخيل»: يريدون لزومهم ظهورها. وأستحلسنا الخوف: أي لم تفارقه.

وفي بعض النسخ: «تحت حماس الجلاد» [قال الفيروز آبادي] في القاموس: حمس كفرح: اشتدّ وصلب في الدين. والقتال والحمس: الأمكنة الصلبة، والأحمس: الشجاع كالحميس. والحمس: الصوت. والآدم من الناس: الأسمر. والطوال بالضمّ: الطويل.

قوله عليه السلام: «أخسأ»: أي أبعد، يقال: خسأت الكلب خسأ: طردته. وخسأ الكلب بنفسه. يتعدى ولا يتعدّى. و «مستمعاً» على بناء الفاعل.

وفي بعض النسخ: «أحسن» بالحاء المهملة والنون. و «مستَمعاً» بفتح الميم مصدر. واللغط ـ بالتحريك ـ: الصوت والجلبة وهبلته أمّه ثكلته.

٩٦١ ـ شا:[و] من كلامه صلوات اللّه عليه حين نقض معاوية العهد،

٩٦١ـ رواه الشيخ المفيد رفع اللّه مقامه في الفصل: (٣٨) من مختار كلام أمير المؤمنين عليه

وبعث بالضّحاك بن قيس للغارة على أهل العراق، فلقي عمرو بن عميس بن مسعود فقتله وقتل ناساً معه من أصحابه، وذلك بعد أن حمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

يا أهل الكوفة! اخرجوا إلى العبد الصّالح وإلى جيش لكم قد أصيب منه طرف. اخرجوا فقاتلوا عدوّكم، وامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين.

قال: فردّوا عليه ردّاً ضعيفاً، ورأى منهم عجزاً وفشلاً فقال: والله لوددت أنّ لي بكلّ ثمانية منكم رجلاً منهم! ويحكم اخرجوا معي ثمّ فرّوا عنّي إن بدا لكم، فوالله ما أكره لقاء ربّي على نيّتي وبصيرتي، وفي ذلك روح لي عظيم، وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم ومداراتكم مثل ما تدارى البكار العمدة، والثّياب المتهتّرة، كلّما خيطت من جانب، تهتّكت من جانب على صاحبها.

بيـــان :

قال الجوهري: الطّرف ـ بالتحريك ـ: الناحية من النواحي، والطائفة من الشيء.

و [قوله عليه السلام:] «المتهتّرة» في بعض النسخ بالتاء المثنّاة قال [الفيروزآبادي] في القاموس: الهتر: مزق العرض . وبالكسر: السقط من الكلام. وهتره الكبر يهتره: [جعله خرفاً وأفقده عقله].

وفي بعضها [«المهبرة»] بالباء الموحّدة من قولهم: «هبره»: قطعه قطعاً كباراً وهو أنسب. ويحتمل الياء من قولهم هار البناء: هدمه، فهار وتهور وتهيّر وانهار، وهو أنسب بما في بعض الروايات مكانه من المتداعية.

٩٦٢ـ شـا: [و] من كلامه عليه السلام في استنفار القوم واستبطائهم

السلام في كتاب الإرشاد ص ١٤٥، ط النجف.

٩٦٢ـ ٩٦٤ـ رواه الشيخ المفيد قدّس الله نفسه في الفصل: ٣٩ وما بعده مما اختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب الإرشاد، ص ١٤٥ ـ ١٤٨ ط النجف.

١٥

عن الجهاد، وقد بلغه مسير بسر بن أرطاة إلى اليمن:

أمّا بعد أيّها الناس! فإنّ أوّل رفثكم وبدء نقضكم، ذهاب أولي النّهى وأهل الرّأي منكم، الّذين كانوا يلقون فيصدّقون، ويقولون فيعدلون، ويُدعَون فيجيبون. وإنّي واللّه قد دعوتكم عوداً وبدءاً، وسرّاً وجهراً، وفي اللّيل والنّهار، والغدوّ والأصال، [فـ] ما يزيدكم دعائي إلاّ فراراً وإدباراً. أما يعظكم [تنفعكم «خ»] العظة والدّعاء إلى الهدى والحكمة!

وإنّي لعالم بما يصلحكم ويقيم لي أودكم. ولكنّي ـ واللّه ـ لا أصلحكم بفساد نفسي. ولكن أمهلوني قليلاً فكأنكم واللّه بامرئٍ قد جاءكم، يحرمكم ويعذّبكم فيعذّبه اللّه كما يعذّبكم.

إنّ من ذلّ المسلمين وهلاك الدّين، أنّ ابن [ظ] أبي سفيان يدعو الأرذال فيجاب، وأدعوكم وأنتم الأفضلون الأخيار فتراوغون وتدافعون. ما هذا فعل المتّقين!

بيــان :

«أوّل رفثكم» في أكثر النسخ بالفاء والثاء المثلّثة: وهو الفحش من القول. ولا يناسب كثيراً.

ويحتمل التّاء [المثنّاة الفوقانية] من قولهم: «رفته يرفته [من باب ضرب ونصر]: كسره ودقّه. و [رفت الشيء]: انكسر واندقّ. و [رفت الحبل:] انقطع. لازم ومتعدّ.

وفي بعض النسخ: بالقاف والتاء ـ وهو أظهر ـ: أي ضعفكم وقلّتكم. ومراوغة الثعلب وروغانه مشهوران.

٩٦٣ـ شا: [و] من كلامه صلوات اللّه عليه في هذا المعنى، بعد حمد اللّه والثناء عليه: ما أظنّ هؤلاء القوم ـ يعني أهل الشام ـ إلاّ ظاهرين عليكم.

فقالوا له: بماذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: أرى أمورهم قد علت، ونيرانكم قد خبت، وأراهم جدّين، وأراكم وانين، وأراهم مجتمعين، وأراكم متفرّقين، وأراهم لصاحبهم مطيعين، وأراكم لي عاصين.

أم والله لئن ظهروا عليكم لتجدنّهم أرباب سوء من بعدي لكم.

لكأنّي أنظر إليهم وقد شاركوكم في بلادكم، وحملوا إلى بلادهم فيئكم. وكأنّي أنظر إليكم تكشّون كشيش الضّباب، ولا تأخذون حقّاً ولا تمنعون لله من حرمة.

وكأنّي أنظر إليهم يقتلون صالحيكم، ويخيفون قرّاءكم، ويحرمونكم ويحجبونكم ويدنون الناس دونكم. فلو قد رأيتم الحرمان والأثرة ووقع السّيوف ونزول الخوف، لقد ندمتم وحسرتم على تفريطكم في جهادكم، وتذاكرتم ما أنتم فيه اليوم من الخفض والعافية، حين لا ينفعكم التّذكار.

بيـــان :

قال الجوهري: كشيش الأفعى: صوتها من جلدها لا من فمها، وقد كشّت تكشّ. وقال: الحسرة: أشدّ التلهفّ على الشيء الفائت، تقول منه: حسر على الشيء ـ بالكسر ـ يحسر حسراً وحسرةً فهو حسير.

٩٦٤ـ شـــا: [و] من كلامه عليه السلام لّما نقض معاوية بن أبي سفيان شرط الموادعة، وأقبل يشنّ الغارات على أهل العراق، فقال بعد أن حمد الله وأثنى وعليه:

ما لمعاوية قاتله الله! لقد أرادني على أمر عظيم، أراد أن أفعل كما يفعل فأكون قد هتكت ذمّتي ونقضت عهدي، فيتّخذها عليّ حجّة، فيكون عليّ شيناً إلى يوم القيامة كلّما ذكرت. فإن قيل له: أنت بدأت، قال: ما علمت ولا أمرت. فمن قائل يقول: صدق. ومن قائل يقول: كذب.

أم واللّه إنّ اللّه لذو أناة وحلم عظيم، لقد حلم عن كثير من فراعنة الأوّلين، وعاقب فراعنة، فإن يمهل اللّه فلم يفته، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه، فليصنع ما بدا له فإنّا غير غادرين بذمّتنا، ولا ناقضين لعهدنا، ولا مروّعين لمسلم ولا معاهد حتّى ينقضي شرط الموادعة بيننا إن شاء اللّه تعالى.

٩٦٥ـ شـا: ومن كلامه عليه السلام في مقام آخر.

الحمد للّه وسلام على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله.

أمّا بعد، فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله رضيني لنفسه أخاً، واختصّني له وزيراً.

أيّها الناس ! أنا أنف الهدى وعيناه، فلا تستوحشوا من طريق الهدى لقلّة من يغشاه من زعم أنّ قاتلي مؤمن فقد قتلني.

ألا وإنّ لكلّ دم ثائراً يوماً، وإنّ الثّائر في دمائنا والحاكم في حقّ نفسه وحقّ ذي القربى واليتامى والمساكين وآبن آلسّبيل، [هو] الذي لا يعجزه ما طلب، ولا يفوته ما هرب، وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

وأقسم باللّه الذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة، لتنتحرنّ عليها يا بني أميّة، ولتعرفنّها في أيدي غيركم ودار عدوّكم عمّا قليل، وستعلمنّ نبأه بعد حين.

بيـــان:

قال الجوهري: آنتحر الرجل: أي نحر نفسه. وفي المثل: سرق السارق فانتحر. وانتحر القوم على الشيء: إذا تشاحوا عليه وتناحروا في القتال [تقاتلوا مستميتين].

٩٦٥ـ رواه الشيخ المفيد في الفصل: (٤٣) مما اختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب الإرشاد، ص ١٤٧.

وكان في ط الكمباني لفظ «نهج» بدل «شا».

٩٦٦ـ شــا: ومن كلامه عليه السلام في معنى ماتقدم:

يا أهل الكوفة! خذوا أهبتكم لجهاد عدوّكم معاوية وأشياعه. فقالوا: يا أمير المؤمنين أمهلنا يذهب عنّا القرّ. فقال:

أما واللّه الذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة، ليظهرنّ هؤلاء القوم عليكم ليس بأنّهم أولى بالحقّ منكم، ولكن لطاعتهم معاوية ومعصيتكم لي.

واللّه لقد أصبحت الأمم كلّها تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أنا أخاف ظلم رعيّتي!

لقد استعملت منكم رجالاً فخانوا وغدروا، ولقد جمع بعضهم ما آئتمنته عليه من فيء المسلمين، فحمله إلى معاوية. وآخر حمله إلى منزله تهاوناً بالقرآن، وجرأة على الرّحمان، حتّى أنّي لو آئتمنت أحدكم على علاقة سوط لخان[1]، ولقد أعييتموني.

ثمّ رفع [عليه السلام] يده إلى السماء وقال:

أللّهمّ إنّي سئمت الحياة بين ظهراني هؤلاء القوم، وتبرّمت الأمل، فأتح لي صاحبي حتّى أستريح منهم ويستريحوا منّي، ولن يفلحوا بعدي.

بيـــان :

تاح له الشيء وأتيح له الشيء: أي قدّر له. ذكره الجوهري.

والمراد بالصاحب ملك الموت. عبّر كذلك لأظهار الاشتياق إلى الموت. ويحتمل [أنه] أراد النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم، أو [أراد] آبن ملجم لعنه اللّه، فالمراد بصاحبي من قدّر لقتلي.

---

(١) وكتب في أصلي فوق كلمة: «خان» نقلاً عن نسخة من مصدره: «خانني».

٩٦٧ـ شا: روى مسعدة بن صدقة قال: سمعت أبا عبدالله جعفر بن محمد الصّادق عليه السّلام يقول:

خطب الناس أمير المؤمنين [عليه السلام] بالكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

أنا سيّد الشّيب، وفيَّ سنّة من أيّوب، وسيجمع الله لي أهلي كما جمع ليعقوب شمله، وذلك إذا ٱستدار الفلك، وقلتم: مات أو هلك.

ألا فاستشعروا قبلها بالصبر وبوءوا إلى الله بالذنب، فقد نبذتم قدسكم، وأطفأتم مصابيحكم، وقلّدتم هدايتكم من لا يملك لنفسه ولا لكم سمعاً ولا بصراً، ضعف والله الطالب والمطلوب.

هذا ولو لم تتواكلوا أمركم، ولم تتخاذلوا عن نصرة الحقّ بينكم، ولم تهنوا عن توهين الباطل، لم يتشجّع عليكم من ليس مثلكم، ولم يقو من قوي عليكم، ولا هضم الطاعة وأزوائها عن أهلها فيكم.

تهتم كما تاهت بنو إسرائيل على عهد موسى.

وبحقّ أقول: ليضعفنّ عليكم التّيه من بعدي باضطهادكم ولدي، ضعف ما تاهت بنو إسرائيل على عهد موسى.

وبحقّ قد ٱستكملتم نهلاً، وامتلأتم عللاً[1] من سلطان الشّجرة الملعونة في القرآن. لقد ٱجتمعتم على ناعق ضلال، ولأجبتم الباطل ركضاً، ثمّ لغادرتم داعي الحقّ، وقطعتم الأدنى من أهل بدر، ووصلتم الأبعد من أبناء حرب.

ألا ولو ذاب ما في أيديهم.

٩٦٧ـ رواه الشيخ المفيد في الفصل (٥١) مما اختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب الإرشاد، ص ١٥٤.

(١) كذا في أصلي، وفي ط النجف من كتاب الإرشاد: «فلو قد استكملتم نَهَلًا وامتلأتم عللاً...».

لقد دنا التّمحيص للجزاء، وكشف الغطاء، وأنقضت المدّة، وأزف الوعد، وبدا لكم النّجم من قبل المشرق، واشرق لكم قمركم كملاء شهره، وكليلة تمّ، فإذا أستبان ذلك، فراجعوا التّوبة، وخالفوا الحوبة، واعلموا أنّكم إن أطعتم طالع المشرق سلك بكم منهاج رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، فتداويتم من الصمّم، واستشفيتم من البكم، وكفيتم مؤنة التّعسّف والطّلب، ونبذتم الثّقل الفادح عن الأعناق. فلا يبعد اللّه إلاّ من أبى الرّحمة، وفارق العصمة، وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

٩٦٨ـ جا: الكاتب عن الزّعفراني عن الثقفي عن محمد بن إسماعيل، عن زيد آبن المعدّل عن يحيى بن صالح عن الحارث بن حصيرة عن أبي صادق عن جندب بن عبداللّه الأزدي قال: سمعت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب [عليه السّلام] يقول لأصحابه، وقد آستنفرهم أيّاماً إلى الجهاد فلم ينفروا: ـ

أيّها الناس ! إنّي قد آستنفرتكم فلم تنفروا، ونصحت لكم فلم تقبلوا، فأنتم شهود كأغياب[1] وصمّ ذوو أسماع، أتلو عليكم الحكمة، وأعظكم بالموعظة الحسنة وأحثّكم على جهاد عدوّكم الباغين، فما آتي على آخر منطقي حتّى أراكم متفرّقين أيادي سبأ، فإذا أنا كففت عنكم عدتم إلى مجالسكم حلقاً عزين تضربون الأمثال وتتناشدون الأشعار وتسألون عن الأخبار، قد نسيتم الاستعداد للحرب وشغلتم قلوبكم بالأباطيل.

تربت أيديكم آغزوا القوم من قبل أن يغزوكم! فواللّه ما غزي قوم قطّ في عقر ديارهم إلاّ ذلّوا.

وأيم اللّه ما أراكم تفعلون حتّى يفعلوا، ولوددت أنّي لقيتهم على نيّتي

٩٦٨ـ رواه الشيخ المفيد رفع اللّه مقامه في المجلس: (١٨) من أماليه.

(١) كذا في النسخة، ومثله في الأمالي، وفي سائر المصادر: كغيّاب. وهو الصواب.

وبصيرتي فاسترحت من مقاساتكم، فما أنتم إلّا كإبل جمّة أضلّ راعيها، فكلّما ضمّت من جانب آنتشرت من جانب آخر.

واللّه لكأنّي بكم لو حمس الوغا وأحمّ البأس، قد آنفرجتم عن عليّ بن أبي طالب آنفراج الرّأس، وآنفراج المرأة عن قبلها.

فقام إليه الأشعث بن قيس الكندي فقال له: يا أمير المؤمنين! فهلّا فعلت كما فعل آبن عفّان؟

فقال له عليه السلام: يا عرف النار ويلك! إنّ فعل آبن عفّان لمخزاة على من لا دين له ولا حجّة معه، فكيف وأنا على بيّنة من ربّي [و] الحقّ في يدي؟!

واللّه إنّ آمرأ يمكّن عدوّه من نفسه، يجذع لحمه ويهشم عظمه ويفري جلده ويسفك دمه، لضعيف ما ضمّت عليه جوانح صدره أنت فكن كذلك إن أحببت، فأمّا أنا فدون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفي، يطير منه فراش آلهام، وتطيح منه الأكفّ والمعاصم، ويفعل اللّه بعد ما شاء.

فقام أبو أيّوب الأنصاري خالد بن زيد، صاحب منزل رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله فقال: أيّها الناس! إنّ أمير المؤمنين قد أسمع من كانت له أذن واعية وقلب حفيظ، إنّ اللّه قد أكرمكم بكرامة لم تقبلوها حقّ قبولها، إنّه نزل بين أظهركم آبن عمّ نبيكم وسيّد المسلمين من بعده، يفقّهكم في الدين، ويدعوكم إلى جهاد المحلّين، فكأنّكم صمّ لا تسمعون، أو على قلوبكم غلف، مطبوع عليها، فأنتم لا تعقلون.

أفلا تستحيون عباد اللّه! أليس إنّما عهدكم بالجور والعدوان أمس! قد شمل البلاء وشاع في البلاد، فذو حقّ محروم وملطوم وجهه وموطّأ بطنه، وملقى بالعراء تسفي عليه الأعاصير، لا يكنّه من الحرّ والقرّ وصهر الشمس والضّحّ، إلّا الأثواب الهامدة وبيوت الشعر البالية، حتّى جاءكم آللّه بأمير المؤمنين، فصدع بالحقّ، ونشر العدل، وعمل بما في الكتاب.

يا قوم! فاشكروا نعمة الله عليكم ولا تولّوا مدبرين، ولا تكونوا كالذين قالوا: سمعنا وهم لا يسمعون. اشحذوا السيوف، واستعدّوا لجهاد عدّوكم، فإذا دعيتم فأجيبوا، وإذا أمرتم فاسمعوا وأطيعوا، وما قلتم فليكن ما أضمرتم عليه تكونوا بذلك من الصادقين.

٩٦٩ـ كتاب الغارات بإسناده إلى جندب مثله.

بيـــان:

الحلق بفتح الحاء وكسرها وفتح اللام: جمع حلقة. وقال الجوهري: العزة: الفرقة من الناس، والهاء عوض من الياء، والجمع عزى على [وزن] فعل، وعِزون وعُزون أيضاً بالضّم ومنه قوله تعالى: ﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾ [٣٧/ المعارج:٧٠] قال الأصمعي: يقال: في الدار عزون: أي أصناف من الناس.

[قوله عليه السلام:] «أضلّ راعيها» في بعض النسخ: «ضلّ». [قال الجوهري] في الصحاح: قال ابن السّكّيت: أضللت بعيري: إذا ذهب منك. وضللت المسجد والدار: إذا لم تعرف موضعها. وفي الحديث «لعلي أضلّ الله» يريد أضلّ عنه: أي أخفى عليه. وقال: حمّ الشيء وأحمّ: قدّر وأحمّه أمر: أي أهمّه. وأحمّ خروجنا: أي دنا . وفي سائر الروايات: «وحمي البأس».

قوله عليه السلام: «يا عرف النار» لعلّه عليه السلام شبّهه بعرف الديك، لكونه رأساً فيما يوجب دخول النار، أو المعنى أنّك من القوم الذين يتبادرون دخول النار من غير رويّة، كقوله تعالى: «والمرسلات عرفاً».

وقال [الفيروزآبادي] في القاموس: خذع اللحم وما لا صلابة فيه ـ كمنع ـ خرزه وقطعه في مواضع. وقال: صهرته الشمس ـ كمنع ـ: صحرته.

٩٦٩ـ رواه الثقفي رحمه الله في الحديث: (١٧٩) من كتاب الغارات على ما في تلخيصه ص ٤٩٣ ط١.

والشيء: أذابه. والصهر ـ بالفتح ـ: الحار. وأصطهر وأصهار: تلألأ ظهره من حرّ الشمس. وقال: الضّحّ ـ بالكسر ـ: الشمس وضوؤها، والبراز من الأرض وما أصابته الشمس. وقال: الهمود: الموت وتقطع الثوب من طول الطي. والهامد: البالي المسود المتغيّر.

٩٧٠ـ نهـج: [و] من خطبة له عليه السلام وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد، وقدم عليه عاملاه على اليمن وهما عبيدالله بن العباس وسعيد بن نمران، لّما غلب عليهما بسر بن أرطاة، فقام عليه السلام إلى المنبر ضجراً بتثاقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم [له] في الرأي فقال:

ما هي إلّا الكوفة أقبضها وأبسطها، إن لم تكوني إلّا أنت تهبّ أعاصيرك فقبّحك الله. وتمثّل [عليه السلام بقول الشاعر]:

لعمرو أبيك الخير ياعمرو إنّني ... على وضر من ذا الإناء قليل

[ثم قال عليه السلام]:

أُنبئت بسراً قد اطّلع اليمن، وإنّي والله لأظنّ أنّ هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرّقكم عن حقّكم، وبمعصيتكم إمامكم في الحقّ وطاعتهم إمامهم في الباطل، وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم، وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم، فلو ائتمنت أحدكم على قعب لخشيت أن يذهب بعلاقته!

أللّهمّ إنّي قد مللتهم وملّوني، وسئمتهم وسئموني، فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شرّاً منّي.

اللّهم مث قلوبهم كإيماث الملح في الماء.

٩٧٠ـ رواه السّيّد الرضيّ في المختار: (٢٥) من نهج البلاغة.

أما واللّه لوددت أنّ لي بكم ألف فارس من بني فراس بن غنم، [ثمّ تمثّل عليه السلام:]

هنـــالـــك لو دعـــوت أتـاك منهم فوارس مثـــل أرمـيـة الحـــميم

ثمّ نزل عليه السلام من المنبر.

قال السيّد [الرضّي] رضي اللّه عنه: الأرمية: جمع «رميّ» وهو السحاب. والحميم هاهنا: وقت الصيف، وإنّما خصّ الشّاعر سحاب الصيف بالذكر؛ لأنّه أشدّ جفولاً وأسرع خفوقاً، لأنّه لا ماء فيه وإنّما يكون السحاب ثقيل السير، لامتلائـه بالماء. وذلك لا يكون في الأكثر إلّا في زمان الشتّاء. [وإنّما] أراد [الشاعر] وصفهم بالسرعة إذا دعوا، والاغاثة إذا استغيثوا، والدليل عليه، قوله: «هنالك لو دعوت أتاك منهم».

بيـــان :

قوله عليه السلام: «ما هي إلّا الكوفة أقبضها وأبسطها»: أي ما مملكتي إلّا الكوفة أتصرفّ فيها كما يتصرفّ الانسان في ثوبه يقبضه ويبسطه.

والكلام في معرض التحقير، أي ما أصنع بتصرّفي فيها مع حقارتها.

ويحتمـل أن يكون المراد عدم التمكن التامّ من التصرفّ فيها لنفاق أهلها، كمن لا يقدر على لبس ثوب بل على قبضه وبسطه.

أو المراد بالبسط: بثّ أهلها للقتال عند طاعتهم. وبالقبض: الاقتصار على ضبطهم عند المخالفة.

و [الخطاب] في قوله [عليه السلام:] «إن لم تكوني [إلّا أنت»] التفات.

قولـه عليه السلام :«تهبّ أعاصيرك»: الجملة في موضع الحال، وخبر «كـان» محذوف، ولفظ الأعـاصير على حقيقتـه، فإنّ الكوفة معروفة بهبوب الإعصار فيها.

ويحتمل أن يكون مستعاراً لآراء أهلها المختلفة، والتقدير: إن لم تكوني إلاّ أنت عدّة لي وجنّة ألقى بها العدوّ، وحظّاً من الملك والخلافة مع ما فيك من المذامّ، فقبحاً لك وبعداً.

ويمكن أن يقدر المستثنى منه حالاً، أي إن لم تكوني على حال إلاّ أن تهبّ فيك الأعاصير دون أن يكون فيك من يستعان به على العدوّ.

والاعصار: ريح تهبّ وتمتدّ من الأرض كالعمود نحو السّماء. وقيل: [هو] كلّ ريح فيها العصار، وهو الغبار الشّديد. والوضر: ـ بفتح الضاد ـ: الدرن الباقي في الاناء بعد الأكل، ويستعار لكلّ بقيّة من شيء يقلّ الانتفاع بها. وأستعار بلفظ الإناء للدّنيا وبلفظ الوضر للقليل لما فيها لحقارتها.

وروي «من ذي الآلاء» فإنّما أراد: أنّي على بقيّة من هذا الأمر كالقدر الحاصل لناظر الآلاء، مع عدم انتفاعه بشيء آخر فإنّ الآلاء كسحاب. [«وسبا» غير مهموز]: شجر حسن المنظر مرّ الطعم.

قوله عليه السّلام: «قد اطّلع اليمن»: أي غلبها وغزاها وأغار عليها. من الإطّلاع وهو الاشراف من مكان عال.

قوله عليه السلام: «سيدالون منكم»: أي يغلبونكم ويكون لهم الدولة عليكم.

ولعلّ التفرّق عن الحقّ ومعصية الامام واحد، أتى بها تأكيداً.

وقيل: المراد بالحقّ الذي تفرّقوا عنه [هو] تصرّفهم في الفيء والغنائم وغيرها بإذن الإمام. وأداء الأمانة: الوفاء بالعهد والبيعة أو مطلقاً. والصلاح في البلاد: ترك التعرّض للناس وتهييج الفتن. والقعب: القدح الضخم.

قوله عليه السّلام: «أن يذهب بعلاقته»: الضمير المستتر راجع إلى الأحد [في قوله: «فلو ائتمنت أحدكم»] والباء للتعدية، أو إلى «القعب» والباء

بمعنى مع.

وقوله عليه السّلام: «خيراً منهم وشرّاً منّي»: صيغة أفعل فيه بمنزلتها في قوله تعالى: «أذلك خير أم جنّة الخلد» [٥١/ الفرقان: ٢٥] على سبيل التّنزل أو التهكم، أو أريد بالصيغة أصل الصفة بدون تفضيل.

ولعلّ المراد بقوله: «خيراً منهم»: قوم صالحون ينصرونه ويوفّقون لطاعته، أو ما بعد الموت من مرافقة النبيّ صلّى الله عليه وآله وغيره من الأنبياء عليهم السلام. وتمنّيه عليه السلام لفوارس [من] فراس بن غنم ربما يؤيّد [الوجه] الأوّل.

ويروى أنّ اليوم الذي دعا فيه عليه السلام ولد الحجّاج. وروي أنّه ولد بعد ذلك بمدّة يسيرة، وفعل الحجاج بأهل الكوفة مشهور. ويقال: ماث زيد الملح في الماء: أي أذابه.

قوله عليه السّلام: «لوددت [أنّ لي بكم» إلى قوله: «هنالك لو دعوت أتاك منهم»]: البيت لأبي جندب الهذلي، وبنو فراس حيّ مشهور بالشجاعة. والجفول: الاسراع. والخفوق: العجلة.

٩٧١ـ نهـج: وقال عليه السلام لّما بلغه إغارة أصحاب معاوية على الأنبار، فخرج بنفسه ماشياً حتّى أتى النخيلة فأدركه الناس، وقالوا:

يا أمير المؤمنين نحن نكفيكهم.

فقال عليه السلام: والله لا تكفوني أنفسكم فكيف تكفوني غيركم! إن كانت الرّعايا قبلي لتشكو حيف رعاتها، وإنّي اليوم لأشكو حيف رعيّتي، كأنّي المقود وهم القادة، أو الموزوع وهم الوزعة!

ولّما قال عليه السلام هذا القول ـ في كلام طويل قد ذكرنا مختاره في جملة الخطب ـ تقدّم إليه رجلان من أصحابه فقال أحدهما: «إنّي لا أملك إلاّ

٩٧١ـ رواه السيّد الرضيّ رفع الله مقامه في المختار: (٢٦١) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

نفسي وأخي، فمرنا بأمرك يا أمير المؤمنين ننفذ له». فقال [عليه السلام:] وأين تقعان ممّا أريد!

بيـــان :

وزعه يزعه: كفّه ومنعه.

٩٧٢ـ ٩٧٣ـ كتاب الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفي بإسناده عن عمارة بن عمير أنّه قال:

كان لعلي عليه السلام صديق يكنّى بأبي مريم من أهل المدينة، فلمّا سمع بتشتّت الناس عليه أتاه، فلمّا رآه [علي عليه السلام] قال: أبو مريم؟ قال: نعم. قال: ما جاء بك قال: إنّي لم آتك لحاجة، ولكنّي [كنت] أراك لو ولّوك أمر هذه الأمّة أجزأته. قال: يا أبا مريم إنّي صاحبك الذي عهدت، ولكنّي مُنيت بأخبث قوم على وجه الأرض! أدعوهم إلى الأمر [الصائب] فلا يتّبعوني، فإذا تابعتهم على ما يريدون تفرقوا عنّي.

وعن فضيل بن جعد عن مولى الأشتر قال: شكى عليّ عليه السلام إلى الأشتر فرار الناس إلى معاوية، فقال الأشتر: يا أمير المؤمنين! إنّا قاتلنا أهل البصرة بأهل البصرة، وأهل الكوفة، والرأي واحد، وقد اختلفوا بعد وتعادوا، وضعفت النّية، وقلّ العدل، وأنت تأخذهم بالعدل، وتعمل فيهم بالحقّ،

٩٧٢ـ ٩٧٣ـ رواهما الثقفي رحمه الله في الحديث: (٣٤ و ٣٨) من تلخيص كتاب الغارات: ج١، ص ٦٨ و ٧٠ط١.

والحديث الأوّل رواه أيضاً اليعقوبي في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخه: ج٢ ص ١٨٠.

ورواه ابن ديزيل بسند آخر في كتاب صفّين، كما رواه عنه ابن أبي الحديد في أواخر شرح المختار: (٤٢) من نهج البلاغة: ج١، ص ٥٦٥.

وللحديث الثاني أيضاً مصادر، ورواه أيضاً المدائني كما في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة من شرح ابن أبي الحديد: ج١، ص ٤١٣ و ٤١٧.

وتنصف الوضيع من الشريف، وليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع، فضجّ طائفة ممّن معك على الحقّ إذا عُمّوا به، واغتمّوا من العدل إذ صاروا فيه، وصارت صنائع معاوية عند أهل الغنى والشرف، فتاقت أنفس الناس إلى الدنيا، وقلّ من الناس من ليس للدنيا بصاحب، وأكثرهم من يجتوي الحقّ ويستمري الباطل ويؤثر الدنيا[1]. فإن تبذل المال يا أمير المؤمنين تمل إليك أعناق الناس، وتصفو نصيحتهم، وتستنزل ودّهم، صنع الله لك يا أمير المؤمنين! وكبت عدوّك، وفضّ جمعهم، ووهن كيدهم وشتّت أمورهم، إنّه بما يعملون خبير.

فأجابه عليّ عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أمّا ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل فإنّ الله يقول: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربّك بظلّام للعبيد﴾ [٤٦/ فصّلت:٤١] وأنا من أكون مقصّراً فيما ذكرت أخوف.

وأمّا ما ذكرت من أنّ الحقّ ثقل عليهم ففارقونا لذلك، فقد علم الله أنّهم لم يفارقونا من جور، ولم يلجأوا إلى عدل، ولم يلتمسوا إلّا دنياً زائلة عنهم، كأن قد فارقوها، وليُسألنّ يوم القيامة أللدنيا أرادوا أم لله عملوا؟

وأمّا ماذكرت من بذل الأموال واصطناع الرجال، فإنّا لايسعنا أن نؤتي امرءاً من الفيء أكثر من حقّه، وقد قال الله وقوله الحقّ: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئةً كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ [٢٤٩/ البقرة:٢]

و [قد] بعث [الله] محمّداً صلّى الله عليه وآله وحده فكثّره بعد القلّة، وأعزّ فئته بعد الذلّة، وإن يرد الله [أن] يولينا هذا الأمر، يذلّل لنا صعبه

---

(١) هذا هو الظاهر الموافق لما رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة من شرحه: ج١، ص ٤١٣.

وفي ط الكمباني من البحار: «يجترئ الحقّ ويستمري الباطل...».

ويسهّل لنا حزنه وأنا قابل من رأيك ما كان للّه [فيه] رضاً، وأنت من أعزّ أصحابي وأوثقهم في نفسي وأنصحهم عندي.

٩٧٤ـ كنز الكراجكي: روي أنّ هذه الأبيات لأمير المؤمنين عليه السلام:

أخذتكُم درعاً حصيناً لتدفعوا سِهام العدى عنّي فكنتم نصالها
فإن أنتمُ لم تحفظوا لمودّتي ذِماماً فكونوا لا عليها ولا لها
قفوا موقف المعذور عنّي بجانب وخلّوا نبالي للعدى ونبالها

٩٧٤ـ رواه العلامة الكراجكي رحمه اللّه في كنز الفوائد.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١٦

[الباب الثاني والثلاثون]

علّة عدم تغيير أمير المؤمنين عليه السلام

بعض البدع في زمانه

٩٧٥ـ ج: عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين [عليه السلام] فقال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله يقول: كيف أنتم إذا ألبستم الفتنة، ينشأ فيها الوليد، ويهرم فيها الكبير، وتجري الناس عليها حتّى يتّخذوها سنّة، فإذا غيّر منها شيء قيل: أتى الناس بمنكر غيّرت السنّة.

ثمّ تشتدّ البليّة، وتنشأ فيها الذريّة، وتدقّهم الفتن كما تدقّ النّار الحطب، وكما تدقّ الرحى بثفالها. يتفقّه الناس لغير الدين، ويتعلّمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة.

ثمّ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام، ومعه ناس من أهل بيته وخاصّ من شيعته، فصعد المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه وصلّى على النبي صلّى اللّه عليه وآله،

٩٧٥ـ رواه الطبرسي رحمه اللّه في أواخر احتجاجات أمير المؤمنين عليه السلام ـ قبيل احتجاجات الإمام الحسن ـ من كتاب الاحتجاج: ج١، ص ٢٦٣ ط بيروت.

ثمّ قال:

لقد عملت [عمل «خ»] الولاة قبلي بأمور عظيمة، خالفوا فيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله متعمّدين لذلك، ولو حملت الناس على تركها وحوّلتها إلى مواضعها التي كانت عليها على عهد رسول اللّه صلّى عليه وآله، لتفرّق عنّي جندي! حتّى أبقى وحدي إلّا قليلاً من شيعتي الذين عرفوا فضلي وإمامتي من كتاب اللّه وسنّة نبيّه صلّى اللّه عليه وآله.

أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى المكان الذي وضعه رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله فيه، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة عليها السلام، ورددت صاع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله ومدّه إلى ما كان، وأمضيت قطائع كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله أقطعها لناس مسمّين، ورددت دار جعفر بن أبي طالب إلى ورثته وهدمتها [وأخرجتها] من المسجد، ورددت الخمس إلى أهله، ورددت قضاء كلّ من قضى بجور، وسبي ذراري بني تغلب، ورددت ماقسم من أرض خيبر، ومحوت ديوان العطاء، وأعطيت كما كان يعطي رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، ولم أجعلها دولة بين الأغنياء!

واللّه لقد أمرت الناس أن لا يجمعوا [لا يجتمعوا «خ»] في شهر رمضان إلّا في فريضة، فنادى بعض أهل عسكري ممّن يقاتل دوني، وسيفه معي أتقي به في الاسلام وأهله[1]: غيّرت سنّة عمر ونهى أن يصلّى في شهر رمضان في جماعة، حتّى خفت أن يثور بي ناحية عسكري ما لقيت هذه الأمّة من أئمّة الضّلالة والدعاة إلى النّار!.

وأعظم من ذلك، سهم ذوي القربى الذين قال اللّه تبارك وتعالى [في حقّهم]: ﴿واعلموا أنّما غنمتم من شيء فأنّ للّه خمسه وللرسول ولذي القربى

---

(١) كذا في أصلي المطبوع، وفي ط بيروت من كتاب الاحتجاج: «أنعى الإسلام وأهله» ويأتي في بيان المصنّف في ذيل الحديث أن في نسخة: «وينعي الإسلام».

واليتامى والمساكين وابن السّبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان﴾ [٤١/ الأنفال:٨] نحن والله عنى بذوي القربى الّذين قرنهم الله بنفسه ونبيّه صلّى الله عليه وآله، ولم يجعل لنا في الصّدقة نصيباً، أكرم الله سبحانه وتعالى نبيّه، وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ أيدي الناس.

فقال له رجل: إنّي سمعت من سلمان وأبي ذرّ الغفاري والمقداد، أشياء من تفسير القرآن والرّواية عن النّبي صلّى الله عليه وآله، وسمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي النّاس أشياء كثيرة من تفسير القرآن والأحاديث عن النبي صلّى الله عليه وآله، [و] أنتم تخالفونهم وتزعمون أنّ ذلك باطل، أفترى الناس يكذبون متعمّدين على نبيّ الله صلّى الله عليه وآله ويفسّرون القرآن بآرائهم؟

قال: فأقبل [إليه أمير المؤمنين] عليه السّلام فقال له: قد سألت فأفهم الجواب:

إنّ في أيدي النّاس حقّاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعامّاً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو حيّ، حتّى قام خطيباً فقال: «أيّها الناس قد كثرت عليّ الكذابة، فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار». وإنّما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس:

رجل منافق مظهر للايمان متصنّع بالإسلام، لا يتأثّم ولا يتحرّج في أن يكذب على الله وعلى رسول الله صلّى الله عليه وآله متعمّداً، فلو علم النّاس أنّه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدّقوا قوله، ولكنّهم قالوا: «صاحب رسول الله صلّى الله عليه وآله وراه وسمع منه ولقف عنه» ويأخذون [فيأخذون «خ»] بقوله وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك.

ثمّ بقوا بعده صلّى الله عليه وآله فتقرّبوا إلى أئمّة الضلالة، والدعاة إلى النار بالزور والبهتان، فولّوهم الاعمال وجعلوهم حكّاماً على رقاب الناس، وأكلوا

بهم الدنيا وإنّما الناس مع الملوك والدنيا إلّا من عصمه اللّه.

فهذا أحد الأربعة.

و [ثاني الأربعة] رجل سمع من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله شيئاً لم يحفظه على وجهه، فوهم فيه ولم يتعمد كذباً، وهو في يديه يرويه ويعمل به ويقول: «أنا سمعت من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله». فلو علم المسلمون أنّه وهمٌ فيه لم يقبلوا منه، ولو علم هو أنّه كذلك لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله شيئاً يأمر به ثمّ نهى [رسول اللّه] عنه وهو لا يعلم، أو سمعه نهى عن شيء ثمّ أمر به وهو لا يعلم، فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ. فلو علم أنّه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنّه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع لم يكذب على اللّه ولا على رسوله، مبغض للكذب خوفاً للّه وتعظيماً لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، ولم يهم به، بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على ما سمعه، ولم يزد فيه ولم ينقص منه، وحفظ الناسخ فعمل به وحفظ المنسوخ فجنب عنه، وعرف الخاصّ والعامّ فوضع كلّ شيء موضعه، وعرف المتشابه والمحكم.

وقد يكون من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله الكلام له وجهان، فكلام خاصّ وكلام عامّ، فيسمعه من لا يعرف ما عنى اللّه به، ولا ما عنى به رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، فيحمله السّامع ويوجّهه على غير معرفة بمعناه ولا ما قصد به وما خرج من أجله.

وليس كلّ أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله يسأله ويستفهمه، حتّى أن كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابي أو الطّاري فيسأله صلّى اللّه عليه وآله حتّى يسمعوا كلامه وكان لا يمرّ بي من ذلك شيء إلّا سألت عنه وحفظته.

فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم.

بيـــان :

قد مرّ شرح آخر الخبر وسيأتي شرح أوّله.

قوله عليه السلام: «أتقي به الإسلام» في بعض النسخ: «ينعى الاسلام» [و] النعي: خبر الموت: أي كان ينادي مظهراً أنّه مات الاسلام وأهله بتغيير سنّة عمر.

٩٧٦ـ شي: عن حريز عن بعض أصحابنا عن أحدهما قال: لّما كان أمير المؤمنين [عليه السلام] في الكوفة أتاه الناس فقالوا: أجعل لنا إماماً يؤمّنا في [شهر] رمضان. فقال: لا. ونهاهم أن يجتمعوا فيه. فلمّا أمسوا جعلوا يقولون: أبكوا في رمضان وارمضاناه.

فأتـاه الحارث الأعور في أناس فقال: يا أمير المؤمنين ضـجّ الناس وكرهوا قولك. فقال عليه السّلام: دعوهم وما يريدون ليصلّي بهم من شاءوا .ثمّ قال: «فمن يتّبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولّى ونصله جهنّم وساءت مصيراً»

٩٧٧ـ جـــا: الكاتب عن الزعفراني عن الثقفي عن يوسف بن كليب عن معاوية بن هشام عن الصباح بن يحيى المزني عن الحارث بن حصيرة قال: حدّثني جماعة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال يوماً: آدعوا [لي]

٩٧٦ـ رواه العيّاشي رحمه اللّه في تفسيرالآية: (١١٥) من سورة النساء وهو قوله تعالى ﴿ومن يشاقق الرسول من بعدما تبيّن له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونصله جهّنم وساءت مصيراً﴾.

ورواه عنه السّيّد هاشم البحراني رحمه اللّه في تفسير الآية الكريمة من تفسير البرهان: ج١، ص ٤١٥ ط بيروت.

٩٧٧ـ مجالس الشيخ المفيد المسمى بالأمالي: المجلس ٤٠ ح٥.

ورواه الشيخ الطوسي حرفيّاً في أواخر الجزء الرابع من أماليه: ج١، ص ١١٦ و رواه الثقفي في الغارات ١/ ٢٠.

غنياً وباهلة ـ وحياً آخر قد سمّاهم ـ فليأخذوا عطاياهم، فوالذي فلق الحبّة وبرء النسمة ماهم في الإسلام نصيب، وإنّي شاهد ومنزلي[1] عند الحوض وعند المقام المحمود، أنّهم أعداء لي في الدنيا والآخرة [و] لآخذن غنياً أخذةً يضرط باهلة.

ولئن ثبتت قدماي لأردنّ قبائل إلى قبائل، وقبائل إلى قبائل، ولأبهرجنّ ستّين قبيلةً مالها في الإسلام نصيب.

بيـــان:

البهرج: الباطل. وبهرجه: أي جعل دمه هدراً.

٩٧٨ـ كـــا: [ثقة الإسلام الكُلَيني] في [كتاب] الروضة [عن] عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن حمّاد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبان بن أبي عيّاش عن سليم بن قيس الهلالي قال: خطب أمير المؤمنين عليه السّلام فحمد الله وأثنى عليه ثمّ صلّى على النبيّ صلّى الله عليه وآله ثمّ قال:

ألا إنّ أخوف ما أخاف عليكم خلّتان: اتّباع الهوى، وطول الأمل. أمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ.

وأمّا طول الأمل فينسي الآخرة.

ألا وإنّ الدنيا قد ترحّلت مدبرة، وإنّ الآخرة قد ترحّلت مقبلة، ولكلّ واحدة [منهما] بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدّنيا، فإنّ اليوم عمل ولا حساب، وإنّ غداً حساب ولا عمل.

وإنّما بدء وقوع الفتن من أهواء تتّبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها حكم

---

(١) وفي الأصل: ومتولي. ومثله في بعض نسخ المجالس، وفي الغارات والأمالي في منزلي.

٩٧٨ـ رواه ثقة الإسلام الكليني في الحديث: (٢١) من كتاب الروضة من الكافي: ج٨ ص ٥٨ ط الآخوندي.

اللّه، يتولّى فيها رجال رجالاً.

ألا إنّ الحقّ لو خلص لم يكن اختلاف، ولو أنّ الباطل خلص لم يخف على ذي حجى، لكنّه يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث، فيمزجان فيجتمعان فيجلّيان[1] معاً، فهناك يستولي الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سبقت لهم من اللّه الحسنى، إنّي سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله يقول: كيف أنتم إذا ألبستكم فتنة يربو فيها الصّغير، ويهرم فيها الكبير، يجري النّاس عليها ويتّخذونها سنّة، فإذا غيّر منها شيء قيل: قد غيّرت السّنّة وأتى الناس منكراً.

ثمّ تشتدّ البليّة وتسبى الذّريّة وتدقّهم الفتنة كما تدقّ النّار الحطب، وكما تدق الرّحى بثفالها، ويتفقّهون لغير اللّه، ويتعلّمون لغير العمل، ويطلبون الدنّيا بأعمال الآخرة.

ثمّ أقبل [عليه السلام] بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصّته وشيعته، فقال:

قد عملت[2] الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، متعمّدين لخلافه، ناقضين لعهده، مغيّرين لسنّته، ولو حملت الناس على تركها وحوّلتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله لتفرّق عنّي جندي، حتّى أبقى وحدي أو [مع] قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب اللّه عزّ ذكره وسنّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله.

---

(١) وفي روضة الكافي المطبوع: «فيجلّلان» وفي نسخة منها: «فيجتمعان» وفي نسخة «فيجليان». ورواه سليم في كتابه ص ٩١ ط النجف.

وقد رويناه نقلاً عن «باب البدع والرأي...» من كتاب فضل العلم من أصول الكافي ج١، ص ٥٤ في المختار: (٢٣٩) من نهج السعادة ج٢ ص ٣٠١ ط١.

(٢) وفي روضة الكافي ط الآخوندي: «لقد عملت».

أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة عليها السلام، ورددت صاع رسول الله صلّى الله عليه وآله كما كان، وأمضيت قطائع أقطعها رسول الله صلّى الله عليه وآله لأقوام لم تمض لهم ولم تنفذ، ورددت دار جعفر عليه السلام إلى ورثته وهدمتها من المسجد، ورددت قضايا من الجور قضي بها، ونزعت نساءاً تحت رجال بغير حقّ فرددتهنّ إلى أزواجهنّ، واستقبلت بهنّ الحكم في الفروج والأحكام، وسبيت ذراري بني تغلب، ورددت ما قسم من أرض خيبر، ومحوت دواوين العطايا، وأعطيت كما كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يعطي بالسّويّة، ولم أجعلها دولة بين الأغنياء، وألقيت المساحة وسوّيت بين المناكح، وأنفذت خمس الرسول كما أنزل الله عزّ وجلّ وفرضه، ورددت مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى ما كان عليه، وسددت ما فتح فيه من الأبواب وفتحت ما سدّ منه، وحرّمت المسح على الخفين، وحددت على النبيذ، وأمرت بإحلال المتعتين، وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات، وألزمت النّاس الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وأخرجت من أدخل مع رسول الله صلّى الله عليه وآله في مسجده ممّن كان رسول الله صلّى الله عليه وآله أخرجه، وأدخلت من أخرج بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله ممن كان رسول الله صلّى الله عليه وآله أدخله، وحملت الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق على السنّة، وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها، ورددت الوضوء والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها ومواضعها، ورددت أهل نجران إلى مواضعهم، ورددت سبايافارس وسائر الأمم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وآله، إذاً لتفرقوا عنّي.

والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلاّ في فريضة، وأعلمتهم أنّ اجتماعهم في النوافل بدعة، فنادى بعض أهل عسكري ممّن يقاتل معي: «يا أهل الإسلام غيّرت سنّة عمر، ينهانا عن الصلاة في شهر

رمضان تطوّعاً!».

ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري!

ما لقيت من هذه الأمة من الفرقة وطاعة أئمّة الضّلالة والدعاة إلى النار!

و [لو] أعطيت من ذلك سهم ذي القربى الذي قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿إن كنتم آمنتم باللّه وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾ [٤١/ الأنفال:٨] فنحن واللّه عنى بذي القربى الذي قرننا اللّه بنفسه وبرسوله، فقال: ﴿فللّه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السّبيل﴾ [٧/ الحشر: ٥٩] فينا [خ: منّا] خاصّةً؛ ﴿كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾. و﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا اللّه﴾ في ظلم آل محمد ﴿إنّ اللّه شديد العقاب﴾ لمن ظلمهم، رحمة منه لنا، وغنى أغنانا اللّه به ووصّى به نبيّه صلّى اللّه عليه وآله، ولم يجعل لنا في سهم الصدقة نصيباً، أكرم اللّه رسوله صلّى اللّه عليه وآله، وأكرمنا أهل البيت أن يطعمنا من أوساخ الناس، فكذّبوا اللّه وكذّبوا رسوله وجحدوا كتاب اللّه الناطق بحقّنا، ومنعونا فرضاً فرضه اللّه لنا. ما لقي أهل بيت نبيّ من أمّته ما لقيته بعد نبيّنا[1]! واللّه المستعان على من ظلمنا، ولا حول ولا قوّة إلّا باللّه العظيم!

تبيين:

أقول : وجدت في أصل كتاب سليم مثله.

قوله عليه السلام: «إنّ أخوف» [لفظ: «أخوف»] مشتقّ من المبني للمفعول على خلاف القياس كأشهر.

[قوله عليه السلام:] «قد ترحّلت» قال الفيروزآبادي: ارتحل القوم عن

---

(١) وفي كتاب الروضة: «ما لقينا...».

المكان: انتقلوا كترحّلوا. شبّه عليه السلام أنقضاء العمر في الدنيا شيئاً فشيئاً، ونقص لذّاتها بترحّلها وإدبارها وقرب الموت يوماً فيوماً بترحّل الآخرة وإقبالها.

[قوله عليه السلام: «اليوم عمل» قال أبن ميثم: [لفظ «عمل»] قائم مقام الخبر، من قبيل أستعمال المضاف إليه مقام المضاف: أي اليوم يوم عمل، أو وقت عمل.

[قوله عليه السلام:] «إنّما بدء وقوع الفتن» الى آخره قد أورد الكليني رحمه اللّه، في كتاب العقل [من الكافي] هذا الجزء من الخبر بسند صحيح عن [الإمام] الباقر عليه السلام وفيه: «أيّها النّاس إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب اللّه».

[قوله عليه السلام:] «من هذا ضغث» الضغث: ملءُ الكفّ من الشجر والحشيش والشماريخ.

[قوله عليه السلام:] «فيجلّيان» وفي كتاب العقل [من الكافي:] «فيجيئان معاً، فهنالك أستحوذ الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سبقت لهم من اللّه الحسنى» وهو أظهر. وعلى ما في هذا الخبر، لعلّ المراد نجا: الذين قال اللّه فيهم سبقت لهم منّا الحسنى، أي سبقت لهم في علم اللّه وقضائه ومشيئته، الخصلة الحسنى وهي السعادة أو التوفيق للطاعة، أو البشرى بالجنّة، أو العاقبة الحسنى.

[قوله عليه السلام:] «لبستم» كذا في بعض النسخ وهو الظاهر وفي بعضها: «ألبستم» على بناء المجهول من الافعال وهو أظهر. وفي أكثره: «ألبستكم» فيحتمل المعلوم والمجهول بتكلّف، إمّا لفظاً وإمّا معنىً.

[قوله عليه السلام:] «يربو فيها الصغير» قال الفيروزآبادي: ربا [المال] ربوّاً ـ كعلوّاً ـ: زاد ونما. والغرض بيان كثرة أمتدادها.

[قوله عليه السلام:] «وقد أتى الناس منكراً»: لعلّه داخل تحت القول

ويحتمل العدم.

[قوله عليه السلام:] «وكما تدقّ الرحى بثفالها» في أكثر النسخ بالقاف ولعلّه تصحيف. والظاهر الفاء، قال الجزري: وفي حديث علّي عليه السلام: «تدقّهم الفتن دقّ الرحى بثفالها» الثفال ـ بالكسر ـ: جلدة تبسط تحت رحى اليد، ليقع عليها الدقيق ويسمّى الحجر الأسفل ثفالاً بها، والمعنى أنّها تدقّهم دقّ الرّحى بالحبّ إذا كانت مثقلة، ولا تثقل إلاّ عند الطحن.

وقال الفيروزآبادي: وقول زهير: « فتعرككم عرك الرحى بثفالها»: أي على ثفالها،أي حال كونها طاحنة؛ لأنّهم لا يثفلونها إلاّ إذا طحنت انتهى.

وعلى ما في أكثر النسخ، لعلّ المراد مع ثقالها: أي إذا كانت معها ما يثقلها من الحبوب، فيكون أيضاً كناية عن كونها طاحنة.

[قوله عليه السلام:] «أو قليل»: أي أو يبقى معي قليل.

[قوله عليه السلام:] «لو أمرت بمقام إبراهيم». إشارة إلى ما فعله عمر من تغيير المقام عن الموضع الذي وضعه فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، إلى موضع كان فيه في الجاهلية. [وقد] رواه الخاصّة والعامّة كما مرّ في بدعه.

[قوله عليه السلام:] «ونزعت نساء» الخ: كالمطلّقات ثلاثاً في مجلس واحد وغيرها مما خالفوا فيه حكم اللّه.

«وسبيت ذراري بن تغلب»؛ لأنّ عمر رفع عنهم الجزية كما مرّ في بدعه، فهم ليسوا بأهل ذمّة فيحلّ سبي ذراريهم.

[قوله عليه السّلام:] «ومحوت دواوين العطايا»: أي التي بنيت على التفضيل بين المسلمين في زمن الثلاثة.

[قوله عليه السلام:] «ولم أجعلها دولة» قال الجزري: في حديث أشراط الساعة: «إذا كان المغنم دولاً»: [هي] جمع دُولة بالضمّ، وهو ما يتداول من المال فيكون لقوم دون قوم.

[قوله عليه السلام:] «وألقيت المساحة»: إشارة إلى ما عدّه الخاصّة والعامّة من بدع عمر، أنّه قال: ينبغي أن يجعل مكان هذا العشر ونصف العشر دراهم، نأخذها من أرباب الأملاك، فبعث إلى البلدان من مسح على أهلها فألزمهم الخراج، فأخذه من العراق وما يليها ما كان أخذه منهم ملوك الفرس على كلّ جريب درهماً واحداً، وقفيزاً من أصناف الحبوب، وأخذ من مصر ونواحيها ديناراً وارديا عن مساحة جريب، كما كان يأخذ منهم ملوك الإسكندرية.

إرْدَب: مكيال.

وقد روى البغوي في [كتاب] شرح السنة وغيره من علمائهم عن النبي صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مدّها ودينارها، ومنعت مصر اردبها ودينارها.

والإردب لأهل مصر أربعة وستّون منّاً وفسرّه أكثرهم بأنّه قد محى ذلك شريعة الإسلام. وكان أوّل بلد مسحه عمر بلد الكوفة، وقد مرّ الكلام فيه في باب بدع عمر.

[قوله عليه السلام:] «وسوّيت بين المناكح»: بأن يزوّج الشريف والوضيع كما فعله رسول اللّه صلّى اللّه وآله، وزوّج بنت عمّه مقداداً. وعمر نهى عن تزويج الموالي والعجم كما في بعض الروايات.

[قوله عليه السلام:] «وأمرت بإحلال المتعتين»: أي متعة النساء ومتعة الحجّ اللّتين حرّمهما عمر. و«خمس تكبيرات»: أي لا أربعاً كما ابتدعه العامّة ونسبوه إلى عمر كما مرّ.

[قوله عليه السلام:] «والزمت الناس» الخ. يدلّ ظاهراً على وجوب الجهر بالبسملة مطلقاً، وإن أمكن حمله على تأكّد الاستحباب.

[قوله عليه السلام:] «وأخرجت» الخ: الكلام يحتمل أن يكون المراد إخراج جسدي المعلومين الذين دفنا في بيته [صلّى اللّه عليه وآله وسلم] بغير إذنه، مع أن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله لم يأذن لهما لخوخة في مسجده،

وإدخال جسد فاطمة عليها السلام ودفنها عند النّبي صلّى اللّه عليه وآله، أو رفع الجدار من بين قبريها.

ويحتمل أن يكون المراد، إدخال من كان ملازماً لمسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله في حياته، كعمّار وأضرابه، وإخراج من أخرجه الرسول صلّى اللّه عليه وآله من المطرودين. ويمكن [أن يكون] تأكيداً لما مر من فتح الأبواب وسدّها.

[قوله عليه السلام:] «ورددت أهل نجران إلى مواضعهم»: لم أظفر إلى الآن بكيفية إخراجهم وسببه وبمن أخرجهم.

[قوله عليه السلام:] «ورددت سبايا فارس»: لعلّ المراد الاسترداد ممن آصطفاهم أو أخذ زائداً من حظّه.

[وقوله عليه السلام:] «ما لقيت»: كلام مستأنف للتعجّب. و [قوله:] «أعطيت»: رجوع إلى الكلام السابق ولعلّ التأخيرمن الرواة.

وفي رواية الاحتجاج: «وأعظم من ذلك» كما مرّ وهو أظهر.

[قوله:] ﴿إن كنتم آمنتم باللّه﴾: هذه من تتمّة آية الخمس، حيث قال تعالى: ﴿وآعلموا أنّما غنمتم من شيء فإنّ للّه خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وآبن السبيل إن كنتم آمنتم باللّه وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم آلتقى الجمعان واللّه على كلّ شيء قدير﴾ [٤١/ الأنفال:٨].

قال البيضاوي: [جملة] (إن كنتم آمنتم باللّه): متعلّق بمحذوف دلّ عليه [قوله:] «وآعلموا»: أي إن كنتم آمنتم باللّه فاعلموا أنّه جعل الخمس لهؤلاء، فسلّموا إليهم وآقتنعوا بالأخماس الأربعة الباقية. فإنّ العلم المتعلّق بالعمل إذا أمر به لم يرد منه العلم المجرّد؛ لأنّه مقصود بالعرض، والمقصود بالذات هو العمـل. ﴿وما أنزلنا على عبدنا﴾ محمد من الآيات والملائكة والنصر ﴿يوم الفرقان﴾ يوم بدر فإنّه فرّق فيه بين الحق والباطل ﴿يوم التقى الجمعان﴾

المسلمون والكفار.

أقول: لعلّ نزول حكم الخمس كان في غزاة بدر و [قوله:] «وما أنزلنا»: إشارة إليه كما يظهر من بعض الأخبار. وفسّر عليه السلام «ذي القربى» بالأئمة كما دلّت عليه الأخبار المستفيضة، وعليه أنعقد إجماع الشيعة.

[قوله:] «كيلا يكون دولة»: هذه تتمّة لآية أخرى ورد[ت] في فيئهم عليهم السلام حيث قال [تعالى:] ﴿ما أفاء اللّه على رسوله من أهل القرى فللّه وللرّسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون﴾ [٧/ الحشر:٥٩]: أي الفيء الذي هو حقّ الإمام عليه السلام. (دولة بين الأغنياء منكم:) الدّولة ـ بالضمّ ـ: ما يتداوله الأغنياء وتدور بينهم كما كان في الجاهلية.

[قوله عليه السلام:] «رحمة لنا»: أي فقرّر الخمس والفيء لنا رحمة منه لنا، وليغنينا بهما أوساخ أيدي الناس.

٩٧٩ـ نهـــج: [و] قال عليه السّلام:

لو قد آستوت قدماي من هذه المداحض لغيّرت أشياء.

بيـــان:

المداحض: المزالق. وآستواء القدمين كناية عن تمكّنه عليه السلام من إجراء الأحكام الشرعية على وجوهها؛ لأنّه عليه السلام لم يتمكن من تغيير بعض ما كان في أيّام الخلفاء كما عرفت.

٩٨٠ـ كـــا: محمد بن يحيى عن محمد بن إسماعيل القمي عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة رفعه قال: مرّ أمير المؤمنين برجل يصلّي الضحى في مسجد الكوفة، فغمز جنبه بالدرة وقال: نحرت صلاة الأوّابين نحرك اللّه؟ قال:

٩٧٩ـ رواه السّيّد الرضيّ رحمه اللّه في المختار: (٢٧٢) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

٩٨٠ـ رواه ثقة الإسلام الكليني في الكافي: ج٣ ص ٤٥٢ في الحديث ٨ من باب تقديم نوافل صلاة الضحى.

فأتركها! قال: فقال: أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلّى.

فقال أبو عبدالله عليه السّلام: وكفى بإنكار عليّ عليه السلام نهياً.

بيـــان :

«أرأيت الذي»: أي أقول: آتركها، فتقول أنت وأمثالك مثل هذا!؟ أو قال ذلك تقية.

٩٨١ـ يــب: عليّ بن الحسن بن فضّـال عن أحمد بن الحسن عن عمرو بن سعيد المدائني عن مصدق بن صدقة عن عمّار عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن الصلاة في [شهر] رمضان في المساجد.

قال: لّما قدم أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة أمر الحسن بن عليّ أن ينادي في الناس لا صلاة في شهر رمضان في المساجد جماعة، فنادى في الناس الحسن بن عليّ عليه السلام بما أمره به أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا سمع الناس مقالة الحسن بن عليّ عليه السلام، صاحوا واعمراه وا عمراه. فلمّا رجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال له: ما هذا الصوت؟ فقال: يا أمير المؤمنين الناس يصيحون واعمراه واعمراه فقال أمير المؤمنين: قل لهم: صلّوا.

٩٨٢ـ كتاب الغارات لابراهيم بن محمد الثقفي:

٩٨١ـ رواه الشيخ الطوسي في كتاب التهذيب: ج٣ ص ٧٠ في الحديث: (٣٠) من كتاب فضل شهر رمضان...

٩٨٢ـ رواه الثقفي رحمه الله في الحديث: (٧٤) من تلخيص كتاب الغارات ص ١٢٣، ط١، وفيه: «أن أقض بما كنت تقضي...».

وقريباً منه رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٢٧٢) من قصار كلام أمير المؤمنين من نهج البلاغة من شرحه: ج٥ ص ٥٧٧ ط بيروت.

وليلاحظ ما رواه أبو عبيد في كتاب الأموال ص ٤١٧ ط دار الفكر.

ومثله رواه أيضاً البخاري في آخر باب فضائل عليّ عليه السلام من صحيحه: ج٥ ص ٢٤.

عن مخوّل بن إبراهيم عن إسرائيل عن عاصم بن سليمان عن محمد بن سيرين عن شريح قال: بعث إلّي علي عليه السلام: أن اقضي بما كنت أقضي [سابقاً] حتى يجتمع أمر الناس.



[الباب الثالث والثلاثون]

باب

نوادر ماوقع في أيّام خلافته عليه السلام

وجوامع خطبه ونوادرها

٩٨٣ـ كـا: عليّ بن الحسن المؤدّب عن البرقي، وأحمد بن محمد عن علي بن الحسن التّيمي، جميعاً عن إسماعيل بن مهران عن عبدالله بن الحارث عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام النّاس بصِفّين، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على محمد صلّى الله عليه وآله ثمّ قال:

أمّا بعد، فقد جعل الله تعالى لي عليكم حقّاً بولاية أمركم ومنزلتي التي أنزلني الله عزّذكره بها منكم، ولكم عليّ من الحقّ مثل الذي لي عليكم، والحقّ أجمل الأشياء في التواصف، وأوسعها في التّناصف، لا يجري لأحد إلّا جرى عليه، ولا يجري عليه إلّا جرى له، ولو كان لأحد أن يجري ذلك له ولا يجري

٩٨٣ـ رواه ثقة الإسلام الكليني رحمه الله في الحديث: (٥٥٠) من كتاب الروضة من الكافي: ج٨ ص ٣٥٢.

ورويناه عنه في المختار: (٢٠٣) من كتاب نهج السعادة: ج٢ ص ١٧٧، ط١.

عليه لكان ذلك للّه عزّ وجلّ خالصاً دون خلقه، لقدرته على عباده، ولعدله في كلّ ما جرت عليه ضروب [صروف «خ»] قضائه، ولكن جعل حقّه على العباد أن يطيعوه، وجعل كفّارتهم عليه بحسن الثّواب تفضّلاً منه [وتطوّلاً بكرمه] وتوسّعاً بما هو من المزيد له أهلاً.

ثمّ جعل من حقوقه حقوقاً فرضها لبعض الناس على بعض، فجعلها تتكافى في وجوهها، ويوجب بعضها بعضاً، ولا يستوجب بعضها إلّا ببعض .

فأعظم ممّا افترض اللّه تبارك وتعالى من تلك الحقوق، حقّ الوالي على الرعيّة وحقّ الرعية على الوالي، فريضة فرضها اللّه عزّ وجلّ لكلّ على كلّ، فجعلها نظام ألفتهم، وعزّاً لدينهم، وقواماً لسير الحقّ فيهم، فليست تصلح الرعية إلّا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلّا بإستقامة الرعيّة.

فإذا أدّت الرعيّة إلى الوالي حقّه وأدّى إليها الوالي كذلك، عزّ الحقّ بينهم، فقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على أذلالها السنّن، وصلح بذلك الزّمان وطاب بها العيش، وطمع في بقاء الدّولة، ويئست مطامع الأعداء.

وإذا غلبت الرعيّة على واليهم، وعلا الوالي الرعية اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت مطالع الجور، وكثر الإدغال في الدين، وتركت معالم السنن، فعمل بالهوى، وعطّلت الآثار وأكثر علل النفوس، ولا يستوحش لجسيم حدّ عطّل، ولا لعظيم باطل أثّل، فهنالك تذل الأبرار وتعزّ الأشرار وتخرب البلاد وتعظم تبعات اللّه عزّ وجلّ عند العباد.

فهلمّ أيّها الناس ! إلى التعاون على طاعة اللّه عزّ وجلّ، والقيام بعدله والوفاء بعهده، والإنصاف له في جميع حقّه، فإنّه ليس العباد إلى شيء أحوج منهم إلى التناصح في ذلك وحسن التعاون عليه، وليس أحد وإن اشتدّت على رضاء اللّه حرصه وطال في العمل اجتهاده، ببالغ حقيقة ما أعطى اللّه من الحقّ أهله، ولكن من واجب حقوق اللّه عزّ وجلّ على العباد النّصيحة له بمبلغ

جهدهم، والتّعاون على إقامة الحقّ بينهم.

وليس آمرؤ ـ وإن عظمت في الحقّ منزلته وجسمت في الحقّ فضيلته ـ بمستغن عن أن يعاون على ما حمله اللّه عزّ وجلّ من حقّه، ولا مرىءٍ مع ذلك خسأت به الأمور واقتحمته العيون بدون ما أن يعين على ذلك ويعان عليه، وأهل الفضيلة في الحال وأهل النعم العظام أكثر من ذلك حاجة، وكلّ في الحاجة إلى اللّه عزّ وجلّ شرع سواء.

فأجابه رجل من عسكره لا يدرى من هو، ويقال: إنّه لم ير في عسكره قبل ذلك اليوم ولا بعده، فقام وأحسن الثناء على اللّه عزّ وجلّ بما أبلاهم وأعطاهم من واجب حّقه عليهم، والإقرار [له] بما ذكر من تصرّف الحالات به وبهم.

ثمّ قال: أنت أميرنا ونحن رعيّتك، بك أخرجنا اللّه عزّ وجلّ من الذّل، وبإعزازك أطلق عباده من الغلّ[1]، فاختر علينا فأمض اختيارك، وآئتمر فأمض آئتمارك،فإنّك القائد المصدّق،والحاكم الموفق ، والملك المخوّل،لا نستحلّ في شيء معصيتك، ولا نقيس علما بعلمك، يعظم عندنا في ذلك خطرك، ويجلّ عنه في أنفسنا فضلك.

فأجـابه أمير المؤمنين [عليه السلام فقال:] إن من حقّ من عظّم جلال اللّه في نفســه، وجـل موضعـه من قلبه، آن يصغـر عنـده ـ لعـظم ذلـك ـ كلّ ماسواه، وإنّ أحقّ من كان كذلك لمن عظمت نعم اللّه عليه ولطف إحسانه إليه، فإنّه لم تعظم نعم اللّه على أحد إلّا زاد حقّ اللّه عليه عظمًا.

وإنّ من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس أن يظنّ بهم حبّ الفخر، ويوضع أمرهم على الكبر. وقد كرهت أن يكون جال في ظنّكم أنّي أحبّ

---

(١) كذا في متن الأصل، وذكر في هامشه أن في بعض نسخ الكافي: «وبإعزازك أطلق عنّا رهائن الغلّ».

الاطراء وآستماع الثناء، ولست بحمد اللّه كذلك، ولو كنت أحبّ أن يقال ذلك [لي] لتركته آنحطاطاً للّه سبحانه عن تناول ما هو أحقّ به من العظمة والكبرياء، وربما آستحلى الثناء بعد البلاء، فلا تثنوا عليّ بجميل ثناء؛ لاخراجي نفسي إلى اللّه وإليكم من البقيّة في حقوق لم أفرغ من أدائها، وفرائض لابدّ من إمضائها، فلا تكلّموني بما تكلّم به الجبابرة، ولا تتحفّظوا منّي بما يتحفّظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنّوا بي آستثقالاً في حقّ قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي، فإنّه من آستثقل الحقّ أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه.

فلا تكفّوا عن مقالة بحقّ أو مشورة بعدل، فإنّي لست في نفسي بفوق أن أُخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي، إلّا أن يكفي اللّه من نفسي ما هو أملك به منّي، فإنّما أنا وأنتم عبيد مملوكون لربّ لا ربّ غيره، يملك منّا ما لا نملك من أنفسنا، وأخرجنا مما كنّا فيه إلى ما صلحنا عليه، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بعد العمى.

فأجابه الرجل الذي أجابه من قبل، فقال: أنت أهل ما قلت، واللّه فوق ما قلته، فبلاؤه عندنا ما لا يكفر، وقد حملك آللّه تبارك وتعالى رعايتنا، وولّاك سياسة أمورنا، فأصبحت عَلَمنا الذي نهتدي به، وإمامنا الذي نقتدي به، وأمرك كلّه رشد، وقولك كلّه أدب. قد قرّت بك في الحياة أعيننا، وآمتلأت من سرور بك قلوبنا، وتحيّرت من صفة ما فيك من بارع الفضل عقولنا، ولسنا نقول لك: ايّها الإمام الصالح تزكية لك، ولا تجاوز القصد في الثناء عليك، ولن يكن في أنفسنا طعن على يقينك، أو غش في دينك فنتخوّف أن تكون أحدثت بنعمة اللّه تبارك وتعالى تجبّراً، أو دخلك كبر، ولكنّا نقول لك ما قلنا تقرّباً إلى اللّه عزّ وجلّ بتوقيرك، وتوسّعاً بتفضيلك، وشكراً بإعظام أمرك، فانظر لنفسك ولنا وآثر أمر اللّه على نفسك وعلينا، فنحن طوع فيما أمرتنا، ننقاد من الأمور مع ذلك فيما ينفعنا.

فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: وأنا أستشهدكم عند اللّه على

نفسي لعلمكم فيما وليت به من أموركم، وعمّا قليل يجمعني وإيّاكم الموقف بين يديه، والسؤال عمّا كنّا فيه، ثمّ يشهد بعضنا على بعض، فلا تشهدوا اليوم بخلاف ما أنتم شاهدون غداً، فإنّ اللّه عزّ وجلّ لا يخفى عليه خافية، ولا يجوز عنده إلّا مناصحة الصدور في جميع الأمور.

فأجابه الرجل ويقال: لم ير الرجل بعد كلامه هذا لأمير المؤمنين عليه السلام فأجابه، وقد عال الذي في صدره فقال والبكاء يقطع منطقه، وغصص الشجي تكسر صوته إعظاماً لخطر مرزئته ووحشته من كون فجيعته فحمد اللّه وأثنى عليه، ثمّ شكى إليه هول ما أشفى عليه من الخطر العظيم والذلّ الطويل في فساد زمانه وانقلاب حدّه وانقطاع ما كان من دولته، ثمّ نصب المسألة إلى اللّه عزّ وجلّ بالإمتنان عليه والمدافعة عنه بالتفجّع وحسن الثّناء فقال:

يا ربّانيّ العباد ويا سكن البلاد! أين يقع قولنا من فضلك! وأين يبلغ وصفنا من فعلك! وأنّى نبلغ حقيقة حسن ثنائك أو نحصي جميل بلائك! وكيف وبك جرت نعم اللّه علينا، وعلى يدك اتّصلت أسباب الخير إلينا؟ ألم تكن لذلّ الذليل ملاذاً وللعصاة الكفّار إخواناً[1]؟ فبمن إلّا بأهل بيتك وبك أخرجنا اللّه عزّ وجلّ من فظاعة تلك الخطرات، أو بمن فرّج عنّا غمرات الكربات! أو بمن إلّا بكم أظهر الله معالم ديننا واستصلح ماكان فسد من دنيانا، حتّى استبان بعد الجور ذكرنا، وقرّت من رخاء العيش أعيننا لّما ولّيتنا بالاحسان جهدك، ووفيت لنا بجميع عهدك، فكنت شاهد من غاب منّا وخلف أهل البيت لنا، وكنت عزّ ضعائفنا وثمال فقرائنا وعماد عظمائنا، يجمعنا من الأمور عدلك، ويتّسع لنا في الحقّ تأنّيك، فكنت لنا أنساً إذا رأيناك، وسكناً إذا ذكرناك. فأيّ الخيرات لم تفعل! وأيّ الصالحات لم تعمل!

ولو أنّ الأمر الذي نخاف عليك منه يبلغ تحريكه جهدنا وتقوى

(١) أنظر شرحه في أواخر بيان المصنف الآتي في ص ٧١٠ من ط الكمباني في هذا.

لمدافعته طاقتنا، أو يجوز الفداء عنك عنه بأنفسنا وبمن نفديه النفوس من أبنائنا، لقدّمنا أنفسنا وأبناءنا قبلك، ولأخطرناها وقلّ خطرها دونك، ولقمنا بجهدنا في محاولة من حاولك، وفي مدافعة من ناواك؛ ولكنّه سلطان لا يحاول، وعزّ لا يزاول، وربّ لا يغالب، فإن يمنن علينا بعافيتك، ويترحّم علينا ببقائك، ويتحنّن علينا بتفريج هذا من حالك إلى سلامة منك لنا وبقاء منك بين أظهرنا، نحدّث الله عزّ وجلّ بذلك شكراً نعظّمه، وذكراً نديمه، ونقسم أنصاف أموالنا صدقات، وأنصاف رقيقنا عتقاء، ونحدث له تواضعاً في أنفسنا، ونخشع في جميع أمورنا.

وإن يمض بك إلى الجنان، ويجري عليك حتم سبيله، فغير متّهم فيك قضاؤه، ولا مدفوع عنك بلاؤه، ولا مختلفة مع ذلك قلوبنا بأنّ اختياره لك ما عنده على ما كنت فيه، ولكنّا نبكي من غير إثم لعزّ هذا السلطان أن يعود ذليلاً، وللدّين والدّنيا أكيلاً، فلا نرى لك خلفاً نشكو إليه، ولا نظيراً نأمله ولا نقيمه.

تبييـــن:

أقــول: أورد السيّد [الرضي] في [المختار: (٢١٦) من باب الخطب من] النهج بعض هذا السؤال والجواب، وأسقط أكثرها، وسنشير إلى بعض الإختلافات.

قوله عليه السلام: «بولاية أمركم»: أي لي عليكم حقّ الطاعة لأنّ الله جعلني والياً عليكم متولّياً لأمركم، ولأنّه أنزلني منكم منزلةً عظيمةً هي منزلة الإمامة والسلطنة ووجوب الطاعة.

قوله عليه السلام: «والحقّ أجمل الأشياء في التواصف»: أي وصفه جميل وذكره حسن. يقال: تواصفوا الشيء: أي وصفه بعضهم لبعض.

وفي بعض النسـخ: «الـتراصف» بالـراء المهملة. والتراصف: تنضيد الحجارة بعضها ببعض: أي [الحقّ] أحسن الأشياء في إحكام الأمور وإتقانها.

«وأوسعها في التّناصف»: أي إذا أنصف الناس بعضهم لبعض، فالحقّ

يسعه ويحتمله، ولا يقع للناس في العمل بالحقّ ضيق.

وفي نهج البلاغة: «فالحقّ أوسع الأشياء في التواصف وأضيقها في التناصف»: أي إذا أخذ الناس في وصف الحقّ وبيانه، كان لهم في ذلك مجال واسع، لسهولته على ألسنتهم. وإذا حضر التناصف بينهم فطلب منهم، ضاق عليهم المجال، لشدّة العمل بالحقّ وصعوبة الإنصاف.

قوله عليه السلام: «صروف قضائه»: أي أنواعه المتغيّرة المتوالية. وفي بعض النسخ: «ضروب قضائه» [وهو] بمعناه والحاصل إنّه لو كان لأحد أن يجعل الحقّ على غيره ولم يجعل له على نفسه، لكان هو سبحانه أولى بذلك وعلى الأولوية بوجهين:

الأوّل: القدرة.

فإنّ غيره تعالى لو فعل ذلك لم يطعه أحد، واللّه تعالى قادر على جبرهم وقهرهم.

والثاني: إنّه لو لم يجزهم على أعمالهم وكلّفهم بها لكان عادلاً؛ لأنّ له من النعم على العباد ما لو عبدوه أبد الدهر لم يوفوا حقّ نعمة واحدة منها.

فالمراد من أوّل الكلام: أنّه سبحانه جعل لكلّ أحد على غيره حقّاً حتّى على نفسه.

أمّا الحقّ المفروض على الناس فبمقتضى الإستحقاق، وأمّا ما أجرى على نفسه، فللوفاء بالوعد مع لزوم الوعد عليه.

فظهر جريان الحقّ على كلّ أحد وإن اختلف الجهة والإعتبار.

قوله عليه السلام: «وجعل كفّارتهم عليه حسن ثواب»: لعلّ المراد بالكفّارة الجزاء العظيم لستره عملهم، حيث لم يكن له في جنبه قدر، فكأنّه قد محاه وستره.

[و] في أكثر النسخ: «بحسن الثّواب» فيحتمل أيضاً أن يكون المراد بها ما يقع منهم لتدارك سيّئاتهم، كالتوبة وسائر الكفّارات: أي أوجب قبول كفّارتهم وتوبتهم على نفسه مع حسن الثواب بان يثيبهم على ذلك أيضاً.

ولايبعد أن يكون [لفظ «كفّارتهم»] تصحيف كفاءتهم بالهمز [ة].

وفي النهج: «وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضّلاً منه وتوسّعاً بما هو من المزيد أهله».

قوله عليه السلام: «ثمّ جعل من حقوقه»: هذا كالمقدّمة لما يريد أن يبيّنه من كون حقّه عليهم واجباً من قبل اللّه تعالى، وهو حقّ من حقوقه؛ ليكون أدعى لهم على أدائه. وبيّن أنّ حقوق الخلق بعضهم على بعض هي من حقّ اللّه تعالى، من حيث إنّ حقّه على عباده هو الطاعة، وأداء تلك الحقوق طاعات اللّه، كحقّ الوالد على ولده وبالعكس، وحقّ الزوج على الزوجة وبالعكس، وحقّ الوالي على الرعية وبالعكس.

قوله عليه السلام: «فجعلها تتكافأ في وجوهها»: أي جعل كلّ وجه من تلك الحقوق مقابلاً بمثله، فحقّ الوالي وهو الطاعة من الرعية مقابل بمثله، وهو العدل فيهم وحسن السيرة.

قوله عليه السلام: «ولا يستوجب بعضها إلاّ ببعض »: كما أنّ الوالي إذا لم يعدل لم يستحقّ الطاعة.

قوله عليه السلام: «فريضة فرضها اللّه»: بالنّصب على الحاليّة أو بإضمار فعل، أو بالرفع ليكون خبر مبتدءٍ محذوف.

وقوله عليه السلام: «نظاماً لألفتهم»: فإنّها سبب اجتماعهم وبها يقهرون أعداءهم ويعزّون أولياءهم.

قوله عليه السلام: «وقواماً»: أي بها يقوم جريان الحقّ فيهم وبينهم.
قوله عليه السلام: «عزّ الحقّ»: أي غلب.

قوله عليه السلام: «وآعتدلت معالم العدل»: أي مظانّه، أو العلامات التي نصبت في طريق العدل لسلوكه، أو الأحكام التي يعلم بها العدل.

قولـه عليه السـلام: «عـلى أذلالها» قال الفيروزآبادي: ذلّ الطريق ـ بالكسر ـ: محجته. وأمور اللّه جارية على أذلالها: أي طريق [على] مجاريها [هو] جمع ذلّ بالكسر.

قوله عليه السلام: «وكثر الادغال»: [هو] بكسر الهمزة. والادغال: [هو] أن يدخل في الشيء ما ليس منه، وهو الابداع والتلبيس. أو بفتحها: [وهو] جمع الدغل ـ بالتحريك ـ: [وهو] الفساد.

قولـه عليه السـلام: «علل النّفـوس»: أي أمراضها بملكات السوء كالغلّ والحسد والعداوة ونحوها. وقيل: وجوه ارتكاباتها للمنكرات، فتأتي من كلّ منكر بوجه وعلّة ورأي فاسد.

قوله [عليه السلام:] «أُثّـل» يقال: مال مؤثّل ومجد مؤثّل: أي مجموع ذو أصل، وأثلة الشيء: أصله[1]. ذكره الجزري.

وفي النهج : «[ولا لعظيم باطل] فعل».

قوله عليه السلام «تبعات اللّه» قال [الخليل] في [كتاب] العين: التّبعة آسم للشيء الذي لك فيه بغية شبه ظلامة ونحوها.

قوله عليه السلام: «فهلمّ أيّها الناس» قال الجوهري: هلم يا رجل بفتح الميم بمعنى تعال، قال الخليل: أصله «لمّ» من قولهم لَمّ اللّه شعثه: أي جمعه كأنّه أراد لمّ نفسك إلينـا: أي اقرب. و «ها » للتنبيه. وإنّما حذفت ألفها لكثرة الاستعمال، وجعلا اسماً واحداً يستوي فيه الواحد والجمع والتأنيث في لغة أهل الحجاز.

---

(١) كذا في مادّة «أثل» من كتاب النهاية طبع دار الفكر ببيروت، وفي طبع الكمباني من البحار هكذا: «وأثل و أثلة الشيء: أصله وزكاه. ذكره الجزري».

قوله عليه السلام «حقيقة ما أعطى اللّه من الحقّ أهله»: أي جزاء ما أعطى اللّه أهل الحقّ من الدين المبين، وسائر ما هداهم اللّه تعالى إليه، بأن يكون المراد بالحقيقة الجزاء مجازاً، أو يكون في الكلام تقدير مضاف: أي حقيقة جزاء ما أعطي من الحقّ، أو يكون المراد بالبلوغ إليها كونه بإزائها ومكافاةً لها.

وقيل: المراد بحقيقة ما أعطى اللّه شكر نعمة هدايته تعالى إلى دين الحقّ.

وفي النهج: «حقيقة ما اللّه أهله من الطاعة له». وفي بعض النسخ القديمة من الكتاب «حقيقة ما الحقّ من اللّه أهله».

قوله [عليه السلام]: «النصيحة له»: أي للّه أو للإمام، أو نصيحة بعضهم لبعض للّه تعالى بأن لا يكون الظرف صلةً.

وفي النهج: «النصيحة بمبلغ [جهدهم]» بدون الصلة وهو يؤيّد الأخير.

قال الجزري [في مادّة «نصح» من كتاب النهاية]: النصيحة في اللغة: الخلوص، يقال: نصحته ونصحت له.

ومعنى نصيحة اللّه صحّة الإعتقاد في وحدانيته وإخلاص النيّة في عبادته.

و [معنى] النصيحة لكتاب اللّه هو التصديق به والعمل بما فيه.

ونصيحة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، التصديق بنبوّته ورسالته والانقياد لما أمر به ونهى عنه.

و [معنى] نصيحة الأئمّة أن يطيعهم في الحقّ، ونصيحة عامّة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم.

قوله عليه السلام: «ولا لامرئ مع ذلك»: كأنّه راجع إلى ما حمل اللّه على الوالي، أو إلى الوالي الذي أشير إليه سابقاً: أي لا يجوز، أو لابد لامرئ،

أو لا استغناء لامرئ مع الوالي، أو مع كون واليه مكلّفاً بالجهاد وغيره من أمور الدين، وإن كان لذلك المرء ضعيفاً محقّراً بدون أن يعين على إقامة الدين ويعينه الناس أو الوالي عليه.

وفي النهج: «ولا آمرء وإن صغرته النفوس وآقتحمته العيون بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه». وهو الظاهر.

قوله عليه السلام: «خسأت به الأمور» يقال: خسأت الكلب خسأ: طردته. وخسأ الكلب بنفسه: يتعدّى ولا يتعدى. ذكره الجوهري. فيجوز أن يكون هنا استعمل غير متعدّ بنفسه قد عُدّي بالباء: أي طردته الأمور. أو يكون الباء للسببيّة: أي بعدت بسببه الأمور.

وفي بعض النسخ: «حبست به الأمور»: وعلى التقادير المراد أنّه يكون بحيث لا يتمشّى أمر من أموره، ولا ينفع سعيه في تحصيل شيء من الأمور.

و «اقتحمته العيون»: أي آحتقرته. وكلمة «ما» في قوله: «ما أن يعين» زائدة.

قوله عليه السلام: «وأهل الفضيلة في الحال»: المراد بهم الأئمّة والولاة والأمراء والعلماء، وكذا أهل النعم العظام فإنّهم لكونهم مكلّفين بعظائم الأمور كالجهاد في سبيل اللّه وإقامة الحدود والشرائع والأحكام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى إعانة الخلق أحوج.

ويحتمل أن يكون المراد بأهل الفضيلة العلماء، فإنّهم محتاجون فيما حمل عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أعوان، ولا أقلّ إلى من يؤمر وينهى.

و [المراد] بأهل النعم أصحاب الأموال، لأنّ ما حمل عليهم من الحقوق أكثر، كأداء الأخماس والصدقات، وهم محتاجون إلى الفقير القابل لها، وإلى الشهود وإلى غيرهم والأوّل أظهر.

قوله عليه السلام: «وكلّ في الحاجة إلى اللّه شرع سواء»: بيان لقوله:

«شرع»، وتأكيد، وإنّما ذكر ذلك لئلّا يتوهّم أنّهم يستغنون بإعانة بعضهم بعضاً عن ربّهم جلّ وعزّ، بل هو الموفق والمعين لهم في جميع أمورهم، ولا يستغنون بشيء عن اللّه عزّ وجلّ، وإنّما كلّفهم بذلك ليختبر طاعتهم ويثيبهم على ذلك، واقتضت حكمته البالغة أن يجري الأشياء بأسبابها، وهو المسبّب لها والقادر على إمضائها بلا سبب.

قوله عليه السلام: «فأجابه رجل»: الظاهر أنه كان الخضر عليه السلام وقد جاء في مواطن كثيرة وكلّمه عليه السلام لاتمام الحجّة على الحاضرين، وقد أتى بعد وفاته عليه السلام وقام على باب داره وبكى وأبكى وخاطبه عليه السلام بأمثال تلك الكلمات وخرج وغاب عن الناس.

قوله عليه السلام: «والاقرار» الظاهر أنّه معطوف على الثّناء: أي أقرّ إقراراً حسناً بأشياء ذكرها ذلك لرجل، ولم يذكره عليه السلام اختصاراً أو تقيّةً من تغيّر حالاته من استيلاء أئمة الجور عليه ومظلوميته وتغير أحوال رعيته من تقصيرهم في حقّه، وعدم قيامهم بما يحقّ من طاعته والقيام بخدمته.

ويمكن أن يكون الواو لمع، ويحتمل عطفه على [قوله:] «واجب حقّه».

قوله: «من الغلّ»: أي أغلال الشرك والمعاصي. وفي بعض النسخ القديمة: «أطلق عنّا رهائن الغلّ»: أي ما يوجب أغلال القيامة.

قوله [عليه السّلام:] «وأتتمر»: أي أقبل ما أمرك اللّه به فأمضه علينا.

قوله «والملك المخوّل»: أي المملك الذي أعطاك اللّه الامرة علينا وجعلنا خدمك وتبعك.

قوله عليه السلام: «لا نستحلّ في شيء من معصيتك»: لعلّه عدّي بـ «في» لتضمين معنى الدخول. أو المعنى لا نستحلّ في شيء شيئاً من معصيتك.

وفي بعض النسخ القديمة: «لا يستحلّ في شيء من معصيتك». وهو

أظهر.

قوله: «في ذلك»: أي في العلم بأن تكون كلمة «في» تعليلية، ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما دلّ عليه الكلام من إطاعته عليه السلام. والخطر: القدر والمنزلة.

قوله: «ويجلّ عنه»: يحتمل إرجاع الضمير إلى القياس: أي فضلك أجلّ في أنفسنا من أن يقاس بفضل أحد. ويمكن إرجاعه إلى العلم فتكون كلمة «عن» تعليلية كما في قوله تعالى: «وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك» [٥٣/ هود:١١]: أي يجلّ ويعظم بسبب ذلك في أنفسنا فضلك.

قوله عليه السلام: «من عظم جلال اللّه»: إمّا على التعليل بنصب «جلال اللّه»، أو بالتخفيف برفعه: يعني من حقّ من عظّم جلال اللّه في نفسه وجلّ موضعه في قلبه، أن يصغر عنده كلّ ما سوى اللّه تعالى، لما ظهر له من جلال اللّه، وأنّ أحقّ من كان كذلك أئمّة الحقّ عليهم السّلام، لعظم نعم اللّه وكمال معرفتهم بجلال ربّهم، فحقّ اللّه تعالى عليهم أعظم منه على غيرهم، فينبغي أن يصغر عندهم أنفسهم فلا يحبّوا الفخر والاطراء في المدح، أو يجب أن يضمحلّ في جنب جلال اللّه عندهم غيره تعالى، فلا يكون غيره منظوراً لهم في أعمالهم ليطلبوا رضى الناس بمدحهم.

قوله عليه السلام: «وإنّ من أسخف»: السخف: رقّة العيش ورقة العقل. والسخافة: رقّة كلّ شيء. أي أضعف حالات الولاة عند الرعيّة أن يكونوا متهمين عندهم بهذه الخصلة المذمومة.

قوله عليه السلام: «أنّي أحبّ الاطراء»: أي مجاوزة الحدّ في المدح والمبالغة فيه.

قوله عليه السلام: «انحطاطاً للّه سبحانه»: أي تواضعاً له تعالى.

وفي بعض النسخ القديمة: «ولو كنت أحبّ أن يقال [لي] ذلك، لتناهيت

له أغنانا اللّه وإيّاكم عن تناول ما هو أحقّ به من التعاظم وحسن الثناء». والتناهي: قبول النهي. والضمير في «له» راجع إلى اللّه تعالى.

وفي النهج: كما في النسخ المشهورة قوله عليه السلام: «فربما ٱستحلى الناس» يقال: ٱستحلاه: أي وجده حلواً.

قال ٱبن ميثم رحمه اللّه: هذا يجري مجرى تمهيد العذر لمن أثنى عليه فكأنّه يقول: وأنت معذور في ذلك حيث رأيتني أجاهد في اللّه، وأحثّ الناس على ذلك، ومن عادة الناس أن يستحلوا الثناء عند أن يبلوا بلاءً حسناً في جهاد أو غيره من سائر الطاعات.

ثمّ أجاب [عليه السلام:] عن هذا العذر في نفسه بقوله: «فلا تثنوا عليّ بجميل ثناء»: أي لا تثنوا عليّ لأجل ما ترونه منّي من طاعة اللّه، فإنّ ذلك إنّما هو إخراج لنفسي إلى اللّه من حقوقه الباقية عليّ لم أفرغ بعد من أدائها وهي حقوق نعمه وفرائضه التي لابدّ من المضّي فيها.

وكذلك إليكم من الحقوق التي أوجبها اللّه [عليّ لكم] من النصيحة في الدين والإرشاد إلى الطريق الأفضل، والتعليم لكيفية سلوكه.

[ثم قال:] وفي خطّ الرضي رحمه ٱللّه «من التقية» بالتاء: والمعنى فإنّ الذي أفعله من طاعة اللّه، إنّما هو إخراج لنفسي إلى اللّه وإليكم من تقيّة الخلق[1] فيما يجلب عليّ من الحقوق. إذ كان عليه السلام إنما يعبد اللّه للّه غير ملتفت في شيء من عبادته، وأداء واجب حقّه إلى أحد سواه خوفاً منه أو رغبةً إليه.

أو المراد بها التّقيّة التّي كان يعملها في زمن الخلفاء الثلاثة وتركها في أيّام خلافته، وكأنّه قال: لم أفعل شيئاً إلاّ وهو أداء حقّ واجب عليّ، وإذا كان كذلك،

---

(١) كذا في أصلي المطبوع، وفي ط بيروت من شرح ابن ميثم: «من تقية الحقّ فيما يجب علي...».

فكيف أستحقّ أن يُثنى عليّ لأجل إتيان الواجب بثناء جميل وأقابل بهذا التعظيم؟! [و] هذا من باب التواضع منه [عليه السلام] وتعليم كيفيته، وكسر للنفس عن محبة الباطل والميل إليه. انتهى.

وقال آبن أبي الحديد: معنى قوله: «لاخراجي نفسي إلى الله وإليكم»: أي لاعترافي بين يدي الله وبمحضر منكم أنّ عليّ حقوقاً في أيالتكم ورئاستي لم أقم بها بعد وأرجو من الله القيام بها.

انتهى [كلام آبن أبي الحديد].

فكأنّه جعل قوله [عليه السلام:] «لاخراجي» تعليلاً لترك الثناء لا مثنى عليه ولا يخفى بعده.

ثمّ آعلم أنّه يحتمل أن يكون المراد بـ «البقيّة»: الابقاء والترحم كما قال تعالى: ﴿أولو بقيّة ينهون عن الفساد في الأرض﴾ [١١٦/ هود: ١١]. أي إخراجي نفسي من أن أبقي وأترحّم مداهنة في حقوق لم أفرغ من أدائها.

قال الفيروزآبادي: وأبقيت ما بيننا: لم أبالغ في كلّ فساده. والاسم منه البقيّة و «أولو بقية ينهون عن الفساد»: أي إبقاء أو فهم.

قوله عليه السلام: «ولا تتحفّظوا عنّي بما يتحفّظ به عند أهل البادرة» البادرة: الحدّة والكلام الذي يسبق من الإنسان في الغضب: أي لا تثنوا عليّ كما يثنى على أهل الحدّة من الملوك خوفاً من سطوتهم، أو لا تحتشموا منّي كما يحتشم من السلاطين والأمراء، كترك المسارّة والحديث إجلالاً وخوفاً منهم، وترك مشاورتهم أو إعلامهم ببعض الأمور والقيام بين أيديهم.

قوله عليه السلام: «بالمصانعة»: أي الرشوة والمداراة.

قوله عليه السلام: «كان العمل بها أثقل عليه»: وشأن الولاة العمل بالعدل والحقّ، أو أنتم تعلمون أنّه لا يثقل عليّ العمل بها.

قوله عليه السلام: «بفوق أن أخطئ»: هذا من [باب] الانقطاع إلى اللّه والتواضع الباعث لهم على الانبساط معه بقول الحقّ، وعدّ نفسه من المقصّرين في مقام العبودية، والاقرار بأنّ عصمته من نعمه تعالى عليه. وليس اعترافاً بعدم العصمة كما تُوُهِّم، بل ليست العصمة إلّا ذلك. فانّما هي أن يعصم اللّه العبد عن ارتكاب المعاصي، وقد أشار عليه السلام إليه بقوله: «إلّا أن يكفي اللّه». وهذا مثل قول يوسف عليه السلام: ﴿وما أبرّئ نفسي إنّ النفس لأمّارة بالسوء إلّا ما رحم ربّي﴾ الخ.

قوله عليه السلام: «ما هو أملك به»: أي العصمة من الخطأ فإنّه تعالى أقدر على ذلك للعبد من العبد لنفسه.

قوله عليه السلام: «ممّا كنّا فيه»: أي من الجهالة وعدم العلم والمعرفة والكمالات التي يسرها اللّه تعالى لنا ببعثة الرسول صلّى اللّه عليه وآله وسلم.

قال ابن أبي الحديد: ليس هذا إشارة إلى خاصّ نفسه عليه السلام، لأنّه لم يكن كافراً فأسلم، ولكنّه كلام يقوله ويشير به إلى القوم الذين يخاطبهم من أفناء الناس فيأتي بصيغة الجمع الداخلة فيها نفسه توسعاً.

ويجوز أن يكون معناها: لولا ألطاف اللّه تعالى ببعثة محمد صلّى اللّه عليه وآله لكنت أنا وغيري على مذهب الأسلاف. انتهى.

قوله عليه السلام: «فبلاؤه عندنا ما لا يكفر»: أي نعمه عندنا وافرة بحيث لا نستطيع كفرها وسترها، أو لا يجوز كفرانها وترك شكرها.

قوله عليه السلام: «سياسة أمورنا»:[1] [يقال:] سست الرعية سياسةً:

---

(١) هذا وما بعده من كلام الرجل الصالح الذي أثنى على أمير المؤمنين عليه السلام لا من كلامه.

وما ذكره المصنّف بعده في تفسير السّياسة فيه تسامح. فإنّ السياسة ليست مجرّد الأمر والنّهي، بل هي عند الطغاة والجبّارين من الملوك والوزراء والقوّاد عبارة عن تحميل أوامرهم

أمرتها ونهيتها. و «العلم» بالتحريك: ما ينصب في الطريق ليهتدي به السائرون.

قوله: «من بارع الفضل» قال الفيروزآبادي: برع [فلان] ـ ويثلّث ـ براعة: فاق أصحابه في العلم وغيره، أو تمّ في كلّ جمال وفضيلة، فهو بارع وهي بارعة.

قوله :«ولـم يكن»: على المجهول من [قولهم:] كننت الشيء: سترته. أو بفتح الياء وكسر الكاف من [قولهم:] وكن الطائر بيضه يكنه [على زنة وعد] إذا حضنه.

وفي بعض النسخ: «لم يكن». وفي النسخة القديمة: «لن يكون».

قوله: «وتوسّعاً»: أي في الفضل والثواب.

قوله: «مع ذلك»: أي مع طاعتنا لك: أي نفس الطاعة أمر مرغوب فيه ومع ذلك موجب لحصول ما ينفعنا وما هو خير لنا في دنيانا وآخرتنا.

قوله «إلّا مناصحة الصدور»: أي خلوصها عن غشّ النفاق بأن يطوي فيه ما يظهر خلافه، أو نصح الإخوان نصحاً يكون في الصدر لا بمحض اللّسان.

قوله: «وقد عال الذي في صدره»: يقال: عالني الشيء أي غلبني. وعال أمرهم: اشتدّ.

قوله عليه السلام: «وغصص الشجى»: الغصّة ـ بالضمّ ـ: ما اعترض

ونواهيهم على الرعيّة على طبق مصالحهم، لا على طبق مصالح الرعيّة.

وأما السياسة عند الصّلحاء والخاضعين لأمر اللّه تعالى، فهي عبارة عن تسيير الناس والرعيّة على نحو يتضمّن مرضاة اللّه ومصلحة جميع الرعيّة أو أكثرهم، ويسعدهم على بلوغ أهدافهم المعنويّة والمادّية معاً.

في الحلق. وكذا الشجا والشجو الهمّ والحزن.

قوله عليه السلام: «لخطر مرزئته» الخطر ـ بالتحريك ـ: القدر والمنزلة والاشـراف على الهلاك. والمرزئة: المصيبة، وكذا الفجيعة وكونها: أي وقوعها وحصولها والضميران راجعان إلى أمير المؤمنين عليه السلام. والقائل كان عالماً بقرب أوان شهادته عليه السلام فلذا كان يندب ويتفجّع. وإرجاعها إلى القائل بعيد.

قوله عليه السلام: «أشفى»: أي أشرف عليه. والضمير في قوله: «إليه» راجع إلى اللّه تعالى.

قوله عليه السلام: «وانقلاب جدّه» الجدّ: البخت. والتفجّع: التوجّع في المصيبة: أي سأل اللّه دفع هذا البلاء الّذي قد ظنّ وقوعه عنه عليه السلام مع التفجّع والتضرّع.

قوله: «يا ربّاني العباد»: قال الجزري: الربّاني منسوب إلى الربّ بزيادة الألف والنون [للمبالغة].

وقيل: هو من الـربّ بمعنى الـتربية؛ لأنّهم كانـوا يربّـون المتعلّمين بصغارها وكبارها[١].

والربّاني: العالم الراسخ في العلم والدين. أو الذي يطلب بعلمه وجه اللّه [تعالى]. وقيل: العالم العامل المعلّم.

قوله: «ويا سكن البلاد» السكن ـ بالتحريك ـ: كلّ ما يسكن إليه.

قولـه: «وبـك جرت نعم اللّه علينا»: أي بجهادك ومساعيك الجميلة لترويج الدين وتشييد الإسلام في زمن الرسول صلّى اللّه عليه وآله وبعده.

---

(١) كذا في أصلي من ط الكمباني، وفي ط بيروت في مادّة: «ربّ» من كتاب النهاية: «كانوا يُرَبّون المتعلّمين بصغار العلوم قبل كبارها».

قولـه عليه السـلام: «وللعصاة الكفّار إخواناً»: أي كنت تعاشر من يعصيك ويكفر نعمتك معاشرة الإخوان شفقةً منك عليهم.

أو المراد الشفقة على الكفّار والعصاة والإهتمام في هدايتهم.

ويحتمل أن يكون المراد المنافقين الذين كانوا في عسكره وكان يلزمه رعايتهم بظاهر الشرع.

وقيل: المراد بالإخوان الخوان الذي يؤكل عليه، فإنّه لغة فيه كما ذكره الجزري. ولا يخفى بعده.

وفي النسخة القديمة: «ألم نكن» بصيغة المتكلم، وحينئذ فالمراد بالفقرة الأولى أنّه كان ينزل بنا ذلّ كلّ ذليل: أي كنّا نذلّ بكلّ ذلّة وهوان. وهو أظهر وألصق بقول: «فيمن».

قوله عليه السلام: «من فظاعة تلك الخطرات»: أي شناعتها وشدّتها.

قوله [عليه السلام:] «بعد الحور» قال الجوهري [وفي الاثر:] «نعوذ باللّه من الحور بعد الكور» أي من النقصان بعد الزيادة.

وفي بعض النسخ [«بالجور»] بالجيم.

قولـه عليه السلام: «وثمال فقرائنا» قال الجزري: الثمال ـ بالكسر ـ: الملجأ والغياث. وقيل: هو المطعم في الشدّة.

قوله [عليه السلام:] «يجمعنا من الأمور عدلك»: أي هو سبب إجتماعنا وعـدم تفرّقنا في جميع الأمور، أو من بين سائر الأمور، أو هو سبب لانتظام أمورنا، أو عدلك يحيط بجميعنا في جميع الأمور.

قوله عليه السلام: «ويتّسع لنا في الحقّ تأنيك»: أي صار مداراتك وتأنّيك وعدم مبادرتك في الحكم علينا بما نستحقّه سبباً لوسعة الحقّ علينا، وعدم تضيّق الأمر بنا.

قولـه عليه السلام: «ليبلغ تحريكه»: أي تغييره وصرفه. وفي النسخة القديمة: «تحويله».

قولـه «ولا خطرنـاها»: أي جعلناها في معرض المخاطرة والهلاك. أو صيّرناها خطراً ورهناً وعوضاً لك.

قال الجزري: [و] فيه: «فإنّ الجنّة لا خطر لها»: أي لا عوض لها ولا مثـل. والخطر ـ بالتحريك ـ في الأصل: الرهن وما يخاطر عليه. ومثل الشيء وعدله، ولا يقال إلّا في الشيء الذي له قدر ومزيّة، ومنه الحديث «ألا رجل يخاطر بنفسه وماله»: أي يلقيها في الهلكة بالجهاد.

ومنه حديث النعمان [بن مقرن يوم نهاوند]: «إنّ هؤلاء يعني المجوس قد أخطروا لكم رثّة ومتاعاً وأخطرتم لهم الإسلام»: المعنى أنّهم قد شرطوا لكم ذلك وجعلوه رهناً من جانبهم، وجعلتم رهنكم دينكم.

قولـه عليه السـلام: «حـاولك»: أي قصدك. قوله: «من ناواك»: أي عاداك. قولـه: «ولكنّـه»: أي الربّ تعالى. قوله: «وعزّ»: أي ذو عزّ وغلبـة. و«زاوله»: أي حاوله وطالبه.

وهذه إشارة إلى أنّ تلك الأمور بقضاء اللّه وتقديره، والمبالغة في دفعها في حكم مغالبة اللّه في تقديراته. وقد سبق تحقيق القضاء والقدر في كتاب العدل.

قوله: «نعظّمه»: الضمير في قوله: «نعظمه» و «نديمه» راجعان إلى الشكر والذكر. [و] قوله: «بلاءه»: يحتمل النعمة أيضاً.

قوله «ما عنده»: هو خبر «إنّ»، ويحتمل أن يكون الخبر محذوفاً: أي خير لك، والمعنى أنّه لا تختلف قلوبنا بل تتّفق على أنّ اللّه اختار لك بإمضائك النعيم والراحة الدائمة، على ما كنت فيه من المشقّة والجهد والعناء.

قولـه: «من غير إثم»: أي لا نأثم على البكاء عليك فإنّه من أفضل

الطاعات، أو لا نقول ما يوجب الإثم.

قوله: «لعزّ»: متعلّق بـ[قوله:] «البكاء» و «أن يعود» بدل اشتمال له: أي نبكي لتبدّل عزّ هذا السلطان ذلاً.

قوله: «أكيل»: الأكيل يكون بمعنى المأكول، وبمعنى الأكل. والمراد هنا الثاني: أي نبكي لتبدّل هذا السلطان الحقّ بسلطنة الجور فيكون أكلاً للدين والدنيا.

وفي بعض النسخ: «لعن اللّه هذا الشيطان» فلا يكون مرجع الإشارة سلطنته عليه السلام، بل جنسها الشامل للباطل أيضاً: أي لعن اللّه السلطنة التي لا تكون صاحبها.

ويحتمل أن يكون اللعن مستعملاً في أصل معناه لغة، وهو الابعاد: أي أبعد اللّه هذا السلطان عن أن يعود ذليلاً. ولا يخفي بعده.

قوله: «ولا نرى لك خلفاً»: أي من بين السلاطين لخروج السلطنة عن أهل البيت [عليهم السلام].

٩٨٤ـ كـا: عليّ بن إبراهيم عن أبيه ومحمد بن علي، جميعاً عن إسماعيل بن مهران وأحمد بن محمد بن أحمد عن علي بن الحسن التيمي، وعلي بن الحسين عن أحمد بن محمد بن خالد، جميعاً عن إسماعيل بن مهران عن المنذر بن جيفر عن الحكم بن ظهير عن عبداللّه بن حريز العبدي. عن الأصبغ بن نباتة قال:

أتى أمير المؤمنين عليه السلام عبداللّه بن عمر وولد أبي بكر وسعد بن أبي وقّاص يطلبون منه التفضيل لهم، فصعد المنبر ومال الناس إليه فقال:

٩٨٤ـ رواه ثقة الإسلام الكليني في الحديث: (٥٥١) من روضة الكافي ص ٣٦٠.
ورويناه عنه في المختار (٦٢) من نهج السعادة ١/٢٢١ ط ٢.

الحمد لله وليّ الحمد ومنتهى الكرم، لا تدركه الصفات ولا يحدّ باللغات ولا يعرف بالغايات.

وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله نبيّ الهدى وموضع التّقوى ورسول الرّب الأعلى، جاء بالحقّ من عند الحقّ لينذر بالقرآن المبين والبرهان المستنير فصدع بالكتاب المبين ومضى على ما مضت عليه الرسل الأوّلون.

أمّا بعد أيّها النّاس ! فلا تقولنّ رجال قد كانت الدنيا غمرتهم فاتّخذوا العقار وفجّروا الأنهار وركبوا أفره الدّواب ولبسوا ألين الثّياب؛ فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً إن لم يغفر لهم الغفّار إذا منعتهم ما كانوا فيه يخوضون، وصيرتّهم إلى ما يستوجبون فيفقدون ذلك فيسألون: «ظلمنا ابن أبي طالب وحرمنا ومنعنا حقوقنا». فالله عليهم المستعان.

من استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا وآمن بنبيّنا وشهد شهادتنا ودخل في ديننا، أجرينا عليه حكم القرآن بحدود الإسلام، ليس لأحد على أحد فضل إلّا بالتّقوى.

ألّا وإنّ للمتّقين عند الله أفضل الثواب وأحسن الجزاء والمآب، لم يجعل الله تبارك وتعالى الدنيا للمتّقين ثواباً، وما عند الله خير للأبرار.

أنظروا أهل دين الله! فيما أصبتم في كتاب الله، وتركتم عند رسول الله صلّى الله وجاهدتم به في ذات الله، أبحسب أم بنسب؟ أم بعمل أم بطاعة أم زهادة؟ وفيما أصبحتم فيه راغبين.

فسارعوا إلى منازلكم رحمكم الله، التّي أمرتم بعمارتها العامرة التّي لا تخرب والباقية التّي لا تنفد، التي دعاكم [الله] إليها وحضكّم عليها ورغبكم فيها، وجعل الثّواب عنده عنها.

فاستتمّوا نعم الله عزّ ذكره بالتّسليم لقضائه،والشكر على نعمائه، فمن

لم يرض بهذا فليس منّا ولا إلينا، وإنّ الحاكم يحكم بكتاب اللّه ولاخشية عليه من ذلك، أولئك هم المفلحون.

وفي نسخة [من كتاب الكافي] «ولا وحشة وأولئك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

و قال [عليه السلام:]

وقد عاتبتكم بدرّتي التّي أعاتب بها أهلي فلم تبالوا، وضربتكم بسوطي الذي أقيم به حدود ربّي فلم ترعووا، أتريدون أن أضربكم بسيفي؟

أما إنّي أعلم الذي تريدون ويقيم أودكم، ولكن لا أشري صلاحكم بفساد نفسي، بل يسلّط اللّه عليكم قوماً فينتقم لي منكم، فلا دنياً آستمتعتم بها ولا آخرة صرتم إليها، فبعداً وسحقاً لأصحاب السعير.

إيضـــاح:

قوله: «ولد أبي بكر»: هو عبدالرحمان.

قوله عليه السلام: «ولي الحمد»: أي الأولى به، أو المتولّي لحمد نفسه كما ينبغي له بإيجاد ما يدلّ على كماله واتّصافه بجميع المحامد، وبتلقين ما يستحقّه من الحمد أنبياؤه وحججه عليهم السلام وإلهام محبّيه وتوفيقهم للحمد.

[قوله عليه السلام:] «ومنتهى الكرم»: أي ينتهي إليه كلّ جود وكرم؛ لأنّه موجد النّعم والموفّق لبذلها، أو هو المتّصف بأعلى مراتب الكرم والمولى بجلائل النّعم. ويحتمل أن يكون الكرم بمعنى الكرامة والجلالة على الوجهين السابقين.

[قوله عليه السلام:] «لا تدركه الصفات»: أي توصيفات الواصفين أو صفات المخلوقين.

[قـولـه عليه السلام:] «فلا يعرف بالغايات»: أي بالنهايات والحدود

الجسمانيّة، أو بالحدود العقليّة، إذ حقيقة كلّ شيء وكنهه حدّه ونهايته.

أوليس له نهاية لا في وجوده ولا في علمه ولا في قدرته، وكذا سائر صفاته. أو لا يعرف بما هو غاية أفكار المتفكّرين.

[قوله عليه السلام:] «فصدع بالكتاب المبين» قال الفيروزآبادي: [في شرح] قوله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ [٩٤/ الحجر: ١٥]: أي شقّ جماعتهم بالتوحيد، أو اُجهر بالقرآن، أو أظهر أو اُحكم بالحقّ واُفصل بالأمر، أو اُقصد بما تؤمر، أو اُفرق به بين الحقّ والباطل.

[قوله عليه السلام:] «فلا تقولنّ رجال»: الظاهر أنّ قوله: «رجال» فاعل [لقوله:] «لا تقولنّ» وما ذكر بعده إلى قوله: «ويقولون» صفات تلك الرجال. وقوله: «ظلمنا ابن أبي طالب»: مقول القول. وقوله: «يقولون» تأكيد للقول المذكور في أوّل الكلام [و] إنّما أتى به لكثرة الفاصلة بين العامل والمعمول.

ويحتمل أن يكون مقول القول محذوفاً يدلّ عليه قوله: «ظلمنا ابن أبي طالب».

وقيل: مفعوله محذوف تقدير الكلام: فلا تقولنّ ما قلتم من طلب التفضيل وغيره رجال كانت الدنيا غمرتهم في زمن الخلفاء الثلاثة إذا منعتهم ما كانوا يأخذون وأعطيتهم ما يستوجبون، فيصرفون ما أعطيتهم ويسألون الزيادة عليه ويقولون: ظلمنا ابن أبي طالب. انتهى.

أقول: لا يخفى أنّ ما ذكرناه أظهر.

وفي بعض النسخ: «رجالاً» بالنّصب، ولعلّ فيه حينئذٍ حذفاً: أي لا تقولنّ أنتم نعتقد أو نتولى رجالاً صفتهم كذا وكذا، ولعلّه كان «لا تتولّون» فصحّف.

[قوله عليه السلام:] «أفره الدوابّ» يقال: دابّة فارهة: أي نشيطة قويّة نفيسة. و «الشنار» العيب والعار.

[قوله عليه السلام:] «ألا وإنّ للمتّقين»: أي ليس الكرم عند اللّه إلّا بالتقوى، وجزاء التقوى ليس إلّا في العقبى، ولم يجعل اللّه جزاء عملهم التفضيل في عطايا الدنيا.

[قوله عليه السلام:] «فانظروا أهل دين اللّه»: أي يا أهل دين اللّه! كذا في النسخ المصحّحة، وفي بعضها: «إلى أهل» والمراد بقوله: «فيما أصبتم في كتاب اللّه» [من] نعوت الأنبياء والأولياء الذين ذكرهم اللّه في القرآن، أو مواعيده الصادقة على الأعمال الصالحة. وبقوله: «تركتم عند رسول اللّه»: صفاته الحسنة وصفات أصحابه وما كان يرتضيه صلّى اللّه عليه وآله من ذلك، أو ضمان الرسول لهم المثوبات على الصالحات، كأنّه وديعة لهم عنده صلّى عليه وآله.

[قوله عليه السلام:] «وجاهدتم به»: أي بسببه وهو ما رأيتم من فضله وكماله، أو ما سمعتم من المثوبات عليه.

[قوله عليه السلام:] «أبحسب أم بنسب؟»: أي لم تكن تلك الأمور بالحسب والنسب بل بالعمل والطاعة والزهادة.

[قوله عليه السلام:] «وفيما أصبحتم»: أي انظروا فيما أصبحتم راغبين فيه هل يشبه ما رأيتم وعهدتم مما تقدم ذكره، أو انظروا أيّهما أصلح لأن يرغب فيه.

[قوله عليه السلام:] «وجعل الثواب عنده عنها»: كلمة «عن» لعلّها بمعنى «من» للتبعيض. أو قوله: «التي» بدل اشتمال للمنازل، والمراد بها الأعمال التي توصل إليها، ولا يبعد أن يكون في الأصل «والتي» أو «بالتي» فصحّف.

[قوله عليه السلام:] «ولا خشية عليه من ذلك»: أي لا يخشى على

الحاكم العدل: أي الإمام أن يترك حكم اللّه ولا يجوز أن يظنّ ذلك به، أو لا يخشى الحاكم بسبب العمل بحكم اللّه من أحد، أو أن يكون معاقباً بذلك عند اللّه. وعلى نسخة «ولا وحشة»: المعنى أنّه إذا عمل الحاكم بحكم اللّه لا يستوحش من مفارقة رعيّته عنه بسبب ذلك.

[قوله عليه السلام:] «بدرّتي» الدّرّة ـ بالكسر ـ: الّتي يضرب بها. ويظهر من الخبر أنّ السوط أكبر وأشدّ منها.

والارعواء: الانزجار عن القبيح. وقيل: الندم على الشيء والانصراف عنه وتركه. والأود ـ بالتحريك ـ: العوج.

[قوله عليه السلام:] «بفساد نفسي»: أي لا أطلب صلاحكم بالظلم وبما لم يأمرني به ربّي فأكون قد أصلحتكم بإفساد نفسي. و«سحقاً»: أي بعداً.

٩٨٥ـ كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي عن محمد بن عبد اللّه بن عثمان عن عليّ بن [أبي] سيف [المدائني] عن أبي حباب عن ربيعة وعمارة قالا: إنّ طائفة من أصحاب عليّ عليه السلام مشوا إليه فقالوا: يا أمير المؤمنين اعط هذه الأموال وفضّل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم ومن تخاف خلافه من الناس وفراره ـ قال: وإنّما قالوا له ذلك للذي كان معاوية يصنع بمن أتاه ـ فقال لهم عليّ عليه السلام:

أتأمروني أن أطلب النّصر بالجور؟! واللّه لا أفعل ما طلعت شمس وما لاح في السّماء نجم، واللّه لو كان ما لهم لي لواسيت بينهم، فكيف وما هي إلّا أموالهم؟!

٩٨٥ـ رواه الثقفي رحمه اللّه في الحديث: (٣٩) من تلخيص كتاب الغارات ص ٧٤ ط١.

وللكلام مصادر وقد رواه الشيخ المفيد رفع اللّه مقامه في المجلس: (٢٢) من أماليه ص ١١٢، والشيخ الطوسي في الحديث (٣٤) من الجزء السابع من أماليه.

وله مصادر أخر ذكرناها في ذيل المختار: (٢٧٨) من نهج السعادة: ج٢ ص ٤٥٣ ط١.

قال: ثمّ أزم طويلاً ساكناً ثمّ قال:

من كان له مال فإيّاه والفساد! فإنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير وإسراف، وهو ذكر لصاحبه في النّاس ويضعه عند اللّه، ولم يضع رجل ماله في غير حقّه وعند غير أهله إلاّ حرمه اللّه شكرهم وكان لغيره ودّهم، فإن بقي معه من يودّه ويظهر له البشر فإنّما هو ملق وكذب، وإنّما ينوي أن ينال من صاحبه مثل الذي كان يأتي إليه من قبل، فإن زلّت بصاحبه النّعل فاحتاج إلى معونته ومكافأته فشر خليل وألأم خدين.

ومن صنع المعروف فيما آتاه اللّه، فليصل به القرابة، وليحسن فيه الضيافة، وليفكّ به العاني، وليعن به الغارم وابن السّبيل والفقراء والمهاجرين، وليصبر نفسه على النّوائب والخطوب[1] فإنّ الفوز بهذه الخصال شرف مكارم الدّنيا ودرك فضائل الآخرة.

٩٨٦ـ نهـج: [و] قال عليه السّلام في خطبة [له]:

فأين يتاه بكم؟! بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم؟! وهم أزمّة الحق وألسنة الصّدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش.

أيّها الناس! خذوها من خاتم النّبيّين صلّى اللّه عليه وآله إنّه يموت من يموت منّا وليس بميّت ويبلى من بلي منّا وليس ببالٍ، فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإنّ أكثر الحقّ فيما تنكرون، وأعذروا من لا حجّة لكم عليه وأنا هو، ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر وأترك فيكم الثّقل الأصغر؟ وركزت فيكم راية الإيمان، ووقفتكم على حدود الحلال والحرام، وألبستكم العافية من عدلي، وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي، وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي؟ فلا تستعملوا

---

(١) هذا هو الظاهر الوارد في غير واحد من مصادر الكلام، وفي طبع الكمباني من البحار: «على الثواب والحقوق...». والنوائب: جمع النائبة: العويصة الطارئة في أيّام الحياة.

٩٨٦ـ رواه السّيّد الرضيّ رحمه اللّه في المختار: (٨٥) من كتاب نهج البلاغة.

الرّأي فيما لا يدرك قعره البصر، ولا يتغلغل إليه الفكر.

بيـــان :

تاه فلان: تحيّر. والعمه: التردد على وجه التحيّر. والواو في قوله: «وبينكم» للحال. والأزمّة: جمع زمام وهو المقود: أي هم القادة للحقّ يدور معهم حيث ما داروا.

[قوله عليه السلام:] «وألسنة الصدق»: أي هم كاللسان للصدق لا يتكلّم إلاّ بهم، أو هم المتكلّمون به ولا يظهر إلاّ منهم.

[قوله عليه السلام:] «فانزلوهم»: أي أنزلوا العترة في صدوركم وقلوبكم بالتعظيم والانقياد لأوامرهم ونواهيهم والتمسّك بهم بأحسن المنازل التي تنزلون القرآن، أو بأحسن المنازل التي يدلّ عليها القرآن.

[قوله عليه السلام:] «ورِدوهم»: من الورود وهو الحضور عند الماء للشرب. و «الهيم»: الابل العطاش.

قوله عليه السلام: «واعذروا» قال ابن ميثم: طلب عليه السلام منهم العذر فيما يصيبهم ويلحقهم من عذاب الله بسبب تقصيرهم في إطاعته عليه السلام.

قوله عليه السلام: «فيما لا يدرك»: أي فيما ذكر لهم من خصائص العترة الطاهرة وفضلها: أي أمرنا صعب لا تهتدي إليه العقول [الساذجة]. والتغلغل: الدخول.

٩٨٧ـ نهـج:[ومن كلام له عليه السلام:]

ولقد أحسنت جواركم، وأحطت بجهدي من ورائكم، وأعتقتكم من ربق الذّلّ وحلق الضيم، شكراً منّي للبرّ القليل، وإطراقاً عمّا أدركه البصر وشهده

٩٨٧ـ رواه السّيّد الرضيّ رضوان الله عليه في المختار: (١٥٧) من نهج البلاغة.

البدن من المنكر الكثير.

بيـــان :

الاحـاطة من الوراء [هو] دفع من يريدهم بشرّ؛ لأنّ العدوّ الغالب يكون من وراء المحارب. والحلق ـ بالتحريك وكعنب ـ: جمع حلقة. والضيم: الظلم. وأطرق: أي سكت وأرخى عينيه إلى الأرض، وإطراقه عليه السلام عن المنكر الكثير وسكوته عنه لعدم تأثير النهي، أو لانجراره إلى ما هو أعظم منه.

٩٨٨ـ نهـــج: [و] من خطبة له عليه السلام:

اتّخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً، واتخذهم له أشراكاً، فباض وفرّخ في صدورهم، ودبّ ودرج في حجورهم، فنظر بأعينهم ونطق بألسنتهم، فركب بهم الزّلل، وزيّن لهم الخطل، فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه، ونطق بالباطل على لسانه.

بيـــان :

ملاك الأمر ـ بالكسر ـ: ما يقوم به. والأشراك إما جمع شريك: أي عدّهم [الشيطان] من شركائه في إضلال النّاس. أو جمع شَرَك ـ بالتحريك ـ: أي جعلهم حبـائل لاصطياد الخلق. «فباض وفرخ»: كناية عن طول مكثه للوسوسة في صدورهم. والدب: المشي الضعيف، والدرج أقوى منه وهما كنايتان عن تربيتهم البـاطـل وملازمة الشيطان لهم حتى صار كالوالدين. والزلل في الأعمال والخطل في الأقوال.

والباء في [قوله:] «ركب بهم»: للتعدية. والضمير في «سلطانه»: راجع إلى «من»: أي من شاركه الشيطان فيما جعله الله لهم من السلطان على الأعمال والأقوال. أو إلى «الشيطان»: أي كأنّهم الأصل في سلطانه وقدرته على الاضلال.

٩٨٨ـ رواه السّيّد الرضيّ رحمه الله في المختار السابع من كتاب نهج البلاغة.

٩٨٩ـ نهــج: [و] من خطبة له [عليه السّلام]: في الملاحم:

ألا بأبي وأمّي من عدّة أسماؤهم في السماء معروفة وفي الأرض مجهولة.

ألا فتـوقّعـوا ما يكون من إدبار أموركم وٱنقطاع وُصَلِكم، وٱستعمال صغاركم ذاك، حيث تكون ضربة السيف على المؤمن أهون من الدرهم من حلّه.

ذاك حيث يكون المُعْطى أعظم أجراً من المُعْطِي.

ذاك حيث تسكرون من غير شراب بل من النعمة والنعيم! وتحلفون من غير ٱضطرار وتكذبون من غير إحراج.

ذاك إذا عضّكم البلاء كما يعضّ القتب غارب البعير.

ما أطول هذا العناء وأبعد هذا الرجاء!

أيّها الناس! ألقوا هذه الأزمّة التي تحمل ظهورها الأثقال من أيديكم، ولا تصدّعوا على سلطانكم فتذمّوا غبّ فعالكم، ولا تقتحموا ما ٱستقبلتم من فور نار الفتنة، وأميطوا عن سننها وخلّوا قصد السّبيل لها، فقد لعمري يهلك في لهبها المؤمن ويسلم فيها غير المسلم.

إنّـما مثـلي بينكم كمثـل السّراج في الظّلمة، يستضيء به من ولجها، فاسمعوا أيّها النّاس وعوا وأحضروا آذان قلوبكم تفهموا!

إيضــاح:

قال ٱبن أبي الحديد: قالت الإماميّة: هذه العدّة هم الأئمة الأحد عشر من ولده عليهم السلام.

وقال غيرهم: إنّه عنى الأبدال الذين هم أولياء اللّه. انتهى.

٩٨٩ـ رواه السّيّد الرضيّ رحمه اللّه في المختار: (١٨٥) من كتاب نهج البلاغة.

[أقول:] وظاهر أنّ ذكر انتظار فرج الشّيعة ـ كما اعترف به بعد هذا ـ لا ارتباط له بحكاية الأبدال.

وأمّا كون أسمائهم في الأرض مجهولة، فلعلّ المراد به أنّ أكثر الناس لا يعرفون قدرهم ومنزلتهم، فلا ينافي معرفة الخواص لهم وإن كانوا أيضاً لا يعرفونهم حقّ معرفتهم.

أو أراد به جهالة أسمائهم في وقت إيراد [هذا] الكلام، والتخصيص في الاحتمال الأخير اقلّ منه في الأوّل.

قوله عليه السلام: «وانقطاع وُصلكم»: جمع وُصلة: أي تفرّق أموركم المنتظمة. والمراد باستعمال الصغار تقديمهم على المشايخ وأرباب التجارب في الأعمال والولايات.

قوله عليه السلام: «حيث يكون المُعطىٰ»: على بناء المجهول «أعظم أجراً من المعطي»: على بناء الفاعل؛ لأنّ أكثر الأموال في ذلك الزّمان يكون من الحرام، وأيضاً لا يعطونها على الوجه المأمور به [بل] للأغراض الفاسدة.

وأمّا المُعطىٰ فلمّا كان فقيراً يأخذ المال لسدّ خلّته، لا يلزمه البحث عن المال وحلّه وحرمته فكان أعظم أجراً من المعطي.

وقيل: لأنّ صاحب المال لمّا كان يصرفه في أغلب الأحوال في الفساد، فإذا أخذه الفقير فقد فوّت عليه صرفه في القبائح، فقد كفّه بأخذ المال من ارتكاب القبيح. ولا يخلو من بعد.

والنَعمة ـ بالفتح ـ: غضارة العيش. وفي بعض النسخ: بالكسر: أي الخفض والدعة والمال.

قوله عليه السلام: «من غير إحراج»: أي من غير اضطرار إلى الكذب. وروي بالواو.

قولـه عليه السلام: «إذا عضّكم البلاء» يقال: عضّ اللقمة ـ كسمع ومنع ـ: أي أمسكها بأسنانه وعضّ بصاحبه: أي لزمه. وعضّ الزمان والحرب: شدّتها. والقتب ـ بالتحريك معروف. والغارب: ما بين العنق والسنام.

وقـال ابن أبي الحديد: هذا الكلام غير متّصل بما قبله كما هو عادة الرضّي، وقد [كان عليه السلام] ذكر بين ذلك ما ينال من شيعته من البؤس والقنوط ومشقّة انتظار الفرج. وقوله عليه السلام: «ما أطول هذا العناء وأبعد هذا الرجاء» حكاية كلام شيعته عليه السلام انتهى. فيكون المراد بالرجاء: رجاء ظهور القائم عليه السلام.

وقـال ابن ميثم: ويحتمل أن يكون الكلام متّصلاً ويكون قوله عليه السـلام:«مـا أطـول هذا العنـاء» كلاماً مستأنفاً في معنى التوبيخ لهم على إعراضهم عنه وإقبالهم على الدنيا وإتعابهم أنفسهم في طلبها، وتنفير لهم عنها بذكر طول العناء في طلبها وبعد الرجاء لما يرجى منها.

قوله عليه السلام: «ألقوا»: أي ألقوا من أيديكم ازمّة الآراء الفاسدة والأعمال الكاسدة التّي هي كالنوق والمراكب في حمل التبعات والآثام.

«ولا تصدّعوا»: أي لا تتفرّقوا. والسلطان: الأمير والامام. وغبّ كلّ شيء: عاقبته. وفور نار الفتنة: وهجها وغليانها.

«وأميطوا»: أي تنحّوا. والسّنَنُ: الطّريقة.

قوله عليه السلام: «وخلّوا»: أي دعوها تسلك طريقها ولا تتعرّضوا لها تكونوا حبطاً لنارها.

٩٩٠ـ نهـــج: [ومن خطبة له عليه السّلام:] الحمد للّه النّاشر في الخلق

٩٩٠ـ رواه السّيد الرضيّ رفع اللّه مقامه في المختار: (٩٨) من نهج البلاغة.

فضله، والباسط فيهم بالجود يده، نحمده في جميع أموره، ونستعينه على رعاية حقوقه، ونشهد أن لا إله غيره، وأنّ محمداً عبده ورسوله أرسله بأمره صادعاً وبذكره ناطقاً، فـأدّى أميناً ومضى رشيداً وخلّف فينا راية الحقّ، من تقدّمها مرق ومن تخلّف عنها زهق، ومن لزمها لحق.

دليلهـا مكيث الكلام بطيء القيام سريع إذا قام، فإذا أنتم ألنتم له رقابكم وأشرتم إليه بأصابعكم جاءه الموت فذهب به، فلبثتم بعده ما شاء الله حتّى يطلع الله لكم من يجمعكم ويضمّ نشركم. فلا تطمعوا في غير مقبل، ولا تيأسـوا من مدبر، فإنّ المدبر عسى أن تزلّ إحدى قائمتيه وتثبت الاخرى فترجعا حتّى تثبتا جميعاً.

ألا وإنّ مثل آل محمّد صلّى الله عليه وآله كمثل نجوم السّماء إذ خوى نجم طلع نجم، فكأنّكم قد تكاملت من الله فيكم الصّنائع، وأراكم ما كنتم تأملون.

توضيـــح:

النّشر: التفريق والبسط، وبسط اليد: كناية عن العطاء. وقيل: اليد هنا النعمة في جميع أموره: أي ما صدر منه من النعم والبلايا. ورعاية حقوق الله: شكره وطاعته.

[قوله عليه السّلام:] «بأمره صادعاً»: أي مظهراً مجاهراً. والرشد: إصابة الصواب. وقيل: الاستقامة على طريق الحقّ مع تصلّب فيه. وراية الحقّ: الثقلان المخلّفان. ومرق السهم من الرمية: إذا خرج عن المرمي به، والمراد هنا خروج من تقـدّمهـا ولم يعتـد بها من الدين. وزهق الشيء ـ كمنع ـ: بطل وهلك. واللّحوق: إصابة الحقّ.

وأراد بالدليل: نفسه عليه السلام. والضمير راجع إلى الراية. [و] مكيث الكلام: أي بطيئه: أي لا يتكلّم من غير رويّة. وبطيء القيام: كناية عن ترك

العجلة والـطّيش. وإلانـة الـرقاب: كناية عن الإطاعة. والاشارة بالأصابع [كناية] عن التعظيم والاجلال.

قال ٱبن أبي الحديد: نقل أنّ أهل العراق لم يكونوا أشدّ اجتماعاً عليه من الشهر الذي قتل عليه السلام فيه، ٱجتمع له مائة ألف سيف، وأخرج مقدّمته يريد الشام، فضربه اللعين وانفضّت تلك الجموع كالغنم فقدت رعاتها.

وأشار [عليه السلام] بمن يجمعهم إلى المهدي عليه السلام. والنشر: المنشور التفرّق.

قوله عليه السلام: «فلا تطمعوا»: أي من لم يقبل على طلب هذا الأمر ممن هو أهله، فلا تطمعوا فيه؛ فإنّ ذلك لاختلال بعض شرائط الطلب، كما كان شأن أكثر أئمّتنا عليهم السلام.

وقيل: أراد بغير المقبل: من ٱنحرف عن الدين بارتكاب منكر، فإنّه لا يجوز الطمع في أن يكون أميراً لكم.

وفي بعض النسخ: «فلا تطعنوا في عين»: أي من أقبل على هذا الأمر من أهل البيت فلا تدفعوه عما يريد.

وقوله [عليه السلام:] «ولا تيأسوا»: أي من أدبر عن طلب الخلافة ممن هو أهل لها فلا تيأسوا من عوده وإقباله على الطلب، فإنّ إدباره يكون لفقد بعض الشروط كقلّة الناصر.

وزوال إحـدى القـائمتين كناية عن ٱختلال بعض الشروط، وثبات الأخرى [كناية] عن وجود بعضها.

وقوله «فيرجعان حتّى يثبتا»: [كناية] عن ٱستكمال الشرائط، ولا ينافي النهي عن الإياس النّهي عن الطّمع؛ لأنّ عدم اليأس هو التجويز، والطمع فوق التجويز. أو لأنّ النهي عن الطمع في حال عدم الشروط والاعراض عن

الطلب لذلك والنهي عن الإياس لجواز حصول الشرائط.

وقيل [في تفسير قوله عليه السلام:] «ولا تيأسوا من مدبر»: أي إذا ذهب من بينكم إمام وخلّفه إمام آخر فاضطرب أمره، فلا تشكوا فيهم، فإنّ المضطرب الأمر سينتظم أموره. وحينئذٍ يكون قوله عليه السلام «ألا إنّ مثل آل محمد صلّى اللّه عليه وآله» كالبيان لهذا.

[قوله عليه السلام:] «إذا خوى نجم»: أي مال للمغيب. والصّنائع: جمع صنيعة وهي الإحسان: أي لا تيأسوا عسى أن يأتي اللّه بالفرج عن قريب والمتحقّق الوقوع قريب وإن كان بعيداً.

ويمكن أن يكون [أراد] إراءة المخاطبين ما يأملون في الرجعة.

٩٩١ـ نهـــج: [و] من خطبة له عليه السلام:

أيّها الغافلون غير المغفول عنهم، والتاركون المأخوذ منهم! ما لي. أراكم عن اللّه ذاهبين وإلى غيره راغبين؟! كأنّكم نعم أراح بها سائم إلى مرعىً وبيء ومشرب دويّ، [و] إنّما هو كالمعلوفة للمدى، لا تعرف ماذا يراد بها، إذا أحسن إليها تحسب يومها دهرها وشبعها أمرها.

واللّه لو شئت أن أخبر كلّ رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت! ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله. ألا وإنّي مفضيه إلى الخاصّة ممن يؤمن ذلك منه.

والّذي بعثه بالحقّ واصطفاه على الخلق، ما أنطق إلّا صادقاً، ولقد عهد إليّ بذلك كلّه وبمهلك من يهلك ومنجا من ينجو ومآل هذا الأمر، وما أبقى شيئاً يمرّ على رأسي إلّا أفرغه في أذني وأفضى به إليّ.

أيّها النّاس! واللّه لا أحثّكم على طاعة إلّا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم

٩٩١ـ رواه السّيّد الرضيّ رفع اللّه مقامه في المختار: (١٧٣) من كتاب نهج البلاغة.

عن معصية إلّا وأتناهى قبلكم عنها.

بيـــان :

[قوله عليه السلام:] «أيّها الغافلون»: الظاهر أنّ الخطاب لعامّة المكلّفين أي الذين غفلوا عمّا يراد بهم ومنهم، [وهم] غير المغفول عنهم، فإنّ أعمالهم محفوظة مكتوبة.

[قوله:] «والتاركون»: أي لما أمروا به المأخوذ منهم بانتقاص أعمارهم وقواهم واستلاب أحبابهم وأموالهم.

والذهاب عن الله التوجه إلى غيره والاعراض عن جنابه. والنَّعم - بالتحريك - جمع لا واحد له من لفظه وأكثر ما يقع على الابل.

[قوله عليه السلام:] «أراح بها سائم»: شبّههم بالنعم التي تتبع نعمًا أخرى. سائمة: أي راعية. وإنّما قال ذلك؛ لأنّها إذا اتبعت أمثالها كان أبلغ في ضرب المثل بجهلها من الإبل التي يسيمها راعيها.

وما يظهر من كلام ابن ميثم من أنّ السائم بمعنى الراعي، ففيه ما لا يخفى. والمرعى الوبيء: ذو الوباء والمرض، وأصله الهمز. والدّوي: ذو الدّاء، والأصل في الدويّ، دوي - بالتخفيف - ولكنّه شدّد للازدواج. قال الجوهري: رجل دوٍ بكسر الواو: أي فاسد الجوف من داء. والمدى بالضّم جمع مدية وهي السكين.

قوله عليه السلام: «تحسب يومها»: أي تظنّ أن ذلك العلف كما هو حاصل لها في هذا اليوم حاصل لها أبداً، أو نظرها مقصور على يومها تحسب أنّه دهرها. «وشبعها أمرها»: أي تظن انحصار شأنها وأمرها في الشبع.

قوله عليه السلام: «والله لشئت أن أخبر»: قال ابن أبي الحديد: [و] هذا كقول المسيح عليه السلام: ﴿وأنبّئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم﴾

[٤٩/ آل عمران: ٣] [ولكن] قال عليه السلام ـ: إلاّ أنّي أخاف عليكم الغلوّ في أمري، وأن تفضّلوني على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، بل أخاف عليكم أن تدّعوا فيّ الإلهيّة كما آدّعت النصارى ذلك في المسيح عليه السلام لّما أخبرهم بالأمور الغائبة.

[ثم قال آبن أبي الحديد:] ومع كتمانه عليه السلام فقد كفر [فيه] كثير منهم، وآدّعوا فيه النبوّة، وأنّه شريك الرسول في الرسالة وإنّه هو الرسول، ولكنّ الملك غلط. وأنّه هو الذي بعث محمداً صلّى اللّه عليه وآله، وآدّعوا فيه الحلول والإتحاد.

ويحتمل أن يكون كفرهم فيه بإسناد التقصير إليه عليه السلام في إظهار شأنه وجلالته.

والمهلك ـ بفتح اللام وكسرها ـ يحتمل المصدر وآسم الزمان والمكان.

والمراد بالهلاك إمّا الموت والقتل أو الضلال والشقاء. وكذلك النجاة.

والمراد بالأمر: الخلافة أو الدين وملك الإسلام. ومآله: انتهاؤه بظهور القائم عليه السلام وما يكون في آخر الزمان. وأفرغه كفرّغه ـ: صبّه.

٩٩٢ـ نهـــج: [و] من خطبة له عليه السّلام:

أمّا بعد، فإنّ اللّه سبحانه بعث محمّداً صلّى اللّه عليه وآله وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدّعي نبوّةً ولا وحياً، فقاتل بمن أطاعه من عصاه، يسوقهم إلى منجاتهم، ويبادر بهم السّاعة أن تنزل بهم. يحسر الحسير ويقف الكسـير فيقيم عليه حتّى يلحقه غايته، إلاّ هالكاً لا خير فيه، حتّى أراهم منجاتهم، وبوأهم محلّتهم، فاستدارت رحاهم، وآستقامت قناتهم.

وأيم اللّه لقد كنت من ساقتها حتّى تولّت بحذافيرها، واستوسقت في

٩٩٢ـ رواه السّيّد الرضيّ رحمه اللّه في المختار: (١٠٢) من كتاب نهج البلاغة.

قيادها، ما ضعفت ولا جبنت، ولا خنت ولا وهنت.

وأيم اللّه لأبقرنّ الباطل حتّى أخرج الحقّ من خاصرته.

بيــــان :

المنجاة: مصدر أو اسم مكان. «ويبادر بهم السّاعة»: أي يسارع إلى هدايتهم وإرشادهم حذراً من أن ينزل بهم السّاعة فتدركه على الضّلالة.

والحسير: المعيي. وإقامته [صلّى اللّه وآله] على الحسير والكسير ومراقبته من تزلزل عقائده، ليدفع شبهه حتّى يبلغه الغاية الّتي خلق لأجلها، إلّا من لم يكن قابلاً للهداية.

ومنهم من حمله على ظاهره من شفقته صلّى اللّه عليه وآله على الضعفاء في الأسفار والغزوات.

[قوله عليه السلام:] «حتّى أراهم منجاتهم»: أي نجاتهم أو محلّ نجاتهم. ومحلّتهم: منزلهم وغاية سفرهم الصوري أو المعنوي.

وٱستدار الرّحى وٱستقامة القناة، كنايتان عن ٱنتظام الأمر كما مرّ. والسّاقة: جمع سائق، والضّمير لغير مذكور [لفظاً] والمراد الجاهليّة، شبّهها عليه السّلام بكتيبة مصادفة لكتيبة الاسلام فهزمها.

وفي القاموس : الحذفور ـ كعصفور ـ: الجانب ـ كالحذفار ـ والشريف والجمع الكثير. وأخذه بحذافيره: بأسره. أو بجوانبه أو بأعاليه. والحذافير: المتهيّأون للحرب. واشدد حذافيرك: تهيّأ. واستوسقت: أي اجتمعت وانتظمت يعني الملّة الإسلامية أو الدعوة أو ما يجري هذا المجرى أي لّما ولّت الجاهلية استوسقت هذه في قيادها كالإبل المقودة إلى أعطانها.

ويحتمل عوده إلى الجاهلية أي تولّت بحذافيرها واجتمعت تحت ظلّ المقادة. والبقر: الشقّ. والخاصرة ما بين أسفل الأضلاع وعظم الورك، شبّه عليه

السّلام الباطل بحيوان ابتلع الحقّ.

٩٩٣ـ نهــج: [ومن كلام له عليه السلام:]

تالله لقد علمت تبليغ الرسالات وإتمام العدات وتمام الكلمات، وعندنا أهل البيت أبواب الحكم وضياء الأمر.

ألا وإنّ شرائع الّدين واحدة، وسبله قاصدة، من أخذ بها لحق وغنم، ومن وقف عنها ضلّ وندم. أعملوا ليوم تذخر له الذّخائر، وتبلى فيه السّرائر، ومن لا ينفعه حاضر لبّه فعازبه عنه أعجز وغائبه أعوز. واّتقوا ناراً حرها شديد، وقعرها بعيد وحليتها حديد وشرابها صديد.

ألا وإنّ اللّسان الصّالح يجعله اللّه للمرء في النّاس خير له من المال يورثه من لا يحمده.

بيــان :

قالَ ابن أبي الحديد: [قوله:] «لقد علمت تبليغ الرّسالات»: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يبلّغون رسالات اللّه ولا يخشون إلاّ اللّه﴾ [٣٩/ الأحزاب: ٣٣] وإلى قول النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله في قصّة براءة: «لا يؤدّي عنّي أنا أو رجل منّي»، وأنّه علم مواعيد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله التّي وعد بها وإنجازها، فمنها ما هو وعد لواحد من النّاس نحو أن يقول: سأعطيك كذا.

ومنها ما هو وعد بأمر سيحدث، كأخبار الملاحم والأمور المتجدّدة. وفيه إشــارة إلى قول تعــالى: ﴿[من المؤمنــين] رجــال صدقــوا ماعــاهــدوا اللّه عليه﴾ [٢٣/الأحــزاب:٣٣] وإلى قول النّبيّ صلّى اللّه عليه في حقّــه عليه الســلام «قــاضي ديني ومنجز عداتي» وأنّه علم تمام الكلمات وهو تأويل القرآن وبيانه الذي يتم به.

٩٩٣ـ رواه الشريف الرضيّ رفع اللّه مقامه في المختار: (١٢٠) من كتاب نهج البلاغة.

وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وتّمت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً﴾ [١١٥/ الأنعام: ٦]. وإلى قول النبيّ صلّى اللّه عليه وآله [له]: «اللّهم اهد قلبه وثبّت لسانه».

ولعلّ المراد بـ «أبواب الحكم» بالضمّ أو «الحِكَم» بكسر الحاء وفتح الكاف ـ على اختلاف النسخ ـ: الأحكام الشرعية. وبـ «ضياء الأمر» العقائد العقلية أو بالعكس.

وقال ابن ميثم: لعلّ المراد بـ «شرائع الدين وسبله» أهل البيت عليهم السلام فإنّ أقوالهم في الدين واحدة خالية عن الإختلاف.

أقـول: ويحتمـل أن يكون المراد معناه الظاهر، ويكون الغرض نفي الاختلاف في الأحكام بالآراء والمقاييس، ويظهر منه بطلان إمامة غير أهل البيت كما لا يخفى.

قوله عليه السلام: «ومن لا ينفعه» فيه وجوه:

الأول أنّ من لم يعتبر في حياته بلبّه فأولى بأن لا ينتفع بعد الموت.

الثاني أنّ المراد من لم يعمل بما فهم وحكم به عقله وقت إمكان العمل، فأحرى أن لا ينتفع به بعد انقضاء وقته، بل لا يورثه إلّا ندامة وحسرة.

الثالث أنّ المراد من لم يكن له من نفسه واعظ وزاجر ولم يعمل بما فهم وعقل، فأحرى بأن لا يرتدع من القبيح بعقل غيره وموعظته له.

و «اللسان الصالح»: الذّكر الجميل. و «من لا يحمده» وارثه الذي لا يعدّ ذلك الإيراث فضلاً ونعمةً.

٩٩٤ـ نهـج: [و] من خطبته [عليه السّلام] المعروفة بالقاصعة:

٩٩٤ـ رواه السّيّد الرضيّ في أواخر الخطبة القاصعة: المختار: (١٩٢) من كتاب نهج البلاغة،

ألا وإنّكم قد نفضتم أيديكم من حبـل الـطّاعة، وثلمتم حصن اللّه المضروب عليكم بأحكام الجاهليّة، وإنّ اللّه سبحانه قد آمتنّ على جماعة هذه الأمّـة فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة الّتي ينتقلون في ظلّها ويأوون إلى كنفهـا، بنعمة لايعرف أحد من المخلوقين لها قيمة؛ لأنّها أرجح من كلّ ثمن وأجلّ من كلّ خطر.

وآعلموا أنّكم قد صرتم بعد الهجرة أعراباً، وبعد الموالات أحزاباً، ما تتعلّقون من الاسلام إلّا باسمه، ولا تعرفون من الإيمان إلّا رسمه، تقولون: «النّار ولا العار»، كأنّكم تريدون أن تُكْفِؤا الاسلام على وجهه انتهاكاً لحريمه، ونقضاً لميثاقه الذي وضعه اللّه لكم، حرماً في أرضه وأمناً بين خلقه.

وإنكم إن لجأتم إلى غيره حاربكم أهـل الكفـر، ثمّ لا جبرئيل ولا ميكائيل ولا مهاجرون ولا أنصار ينصرونكم إلّا المقارعة بالسّيوف حتّى يحكم اللّه بينكم.

وإنّ عندكم الأمثال من بأس اللّه وقوارعه وأيّامه ووقائعه، فلا تستبطؤا وعيده جهلاً بأخذه، وتهاوناً ببطشه، ويأساً من بأسه.

فإن اللّه سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلّا لتركهم الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فلعن السّفهاء لركوب المعاصي، والحلماء لترك التّناهي.

ألا وقد قطعتم قيد الإسلام، وعطّلتم حدوده وأمتّم أحكامه.

ألا وقد أمرني اللّه بقتال أهل البغي والنّكث والفساد في الأرض، فأمّا النّاكثون فقد قاتلت، وأمّا القاسطون فقد جاهدت، وأمّا المارقون فقد دوخت، وأمّا شيطان الرّدهة فقد كُفيتُه بصعقة سمعت لها وجبة قلبه ورجّة صدره، وبقيت

ورواها في شرح آبن أبي الحديد تحت الرقم: (٢٣٨).

بقيّة من أهل البغي، ولئن أذن اللّه في الكرّة عليهم لأديلنّ منهم إلّا ما يتشذّر في أطراف البلاد تشذّراً.

أنا وضعت [في الصغر] بكَلاكِلِ العرب وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر.

وقد علمتم موضعي من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد، يضمّني إلى صدره ويكنفني في فراشه ويُمِسّني جسده ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشّيء ثمّ يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة [خطيئة «خ»] في فعل.

أقـول : قد مضى تمامها مع شرحها في آخر المجلد الخامس.

٩٩٥ـ نهـج: [و] من كلام له عليه السلام:

ألا وإنّ اللّسان بضعة من الانسان، فلا يسعده القول إذا امتنع، ولا يمهله النّطق إذا اتّسع، وإنّا لأمراء الكلام، وفينا تنشبّت عروقه، وعلينا تهدّلت غصونه.

واعلموا رحمكم اللّه أنكم في زمان، القائل فيه بالحقّ قليل، واللّسان عن الصّدق كليل، واللّازم للحقّ ذليل، أهله معتكفون على العصيان، مصطلحون على الإدهان، فتاهم عارم، وشائبهم آثم، وعالمهم منافق، وقارؤهم مماذق، لا يعظّم صغيرهم كبيرهم، ولا يعول غنيّهم فقيرهم.

بيـان :

قال ابن أبي الحديد: [هذا الكلام] قاله عليه السلام في واقعة اقتضت ذلك، وهي أنّه أمر ابن أخته جعدة بن هبيرة المخزومي أن يخطب الناس يوماً، فصعد المنبر فحصر ولم يستطع الكلام، فقام أمير المؤمنين عليه السلام فتسنّم

٩٩٥ـ رواه السّيّد الرضيّ رحمه اللّه في المختار: (٢٣٣) من كتاب نهج البلاغة.

ذروة المنبر، فخطب خطبة طويلة هذه الكلمات منها.

والبضعة: القطعة من اللحم. والضمير في [قوله عليه السلام:] «يسعده» و «يمهله» للّسان، وفي [قوله:] «امتنع» و «اتّسع» للإنسان.

والمعنى أنّ اللسان لّما كان آلةً للإنسان يتصرّف بتصريفه إيّاه، فإذا امتنع الانسان عن الكلام لشاغل أو صارف، لم يسعد اللّسان القول ولم يواته، وإذا دعاه الدّاعي إلى الكلام وحضره واتّسع الإنسان له، لم يمهله النّطق بل يسارع إليه.

ويحتمل أن يعود الضّمير في «امتنع» إلى القول، وفي «اتّسع» إلى النّطق: أي فلا يسعد القول اللسان إذا امتنع القول من الإنسان ولم يحضره لوهم أو نحوه، أوجب حصره وعيّه ولم يمهله النّطق إذا اتّسع عليه وحضره[١].

ويحتمل أن يكون الضّمير في «يسعده» و «يمهله» راجعاً إلى الإنسان، وفي [قوله:] «امتنع» و «اتّسع» إلى اللّسان: أي إذا امتنع اللّسان لعدم جرأة فلا يسعد القول الإنسان، وإذا اتّسع لم يمهل النطق الانسان. والأوّل أظهر.

ونشب الشيء في الشّيء بالكسر: أي علق وأنشبته أنا فيه: أي أعلقته فانتشب. ذكره الجوهري.

والمـراد بعـروقـه: أصـوله ومـوادّه، كالعلم بالمعاني والملكات الفاضلة. وغصونه: فروعه وأغصانه وآثاره.

وتهدّلت أغصان الشجرة: أي تدلّت.

[قوله عليه السلام:] «معتكفون على العصيان»: أي ملازمون [لها] من قولهم: عكف على الشيء: أي حبس نفسه عليه، ومنه الاعتكاف. والاصطلاح:

---

(١) من قوله: «والمعنى...» إلى هنا أخذناه من شرح نهج البلاغة لكمال الدين ابن ميثم رحمه الله، إذ كان في أصلي من طبع الكمباني من البحار تكرار ونقص.

اُفتعـال من الصلح. والادهان: القول باللّسان بمقتضى مصلحة حالهم دون الاتفاق في القلوب، أو بمعنى الغش. والعرامة: شراسة الخلق والبطر والفساد وقلّة الأدب.

[قوله عليه السلام:] «وشائبهم آثم»: [أي] لجهله وغفلته شاب في الاثم.

قولـه عليه السـلام: «مماذق»: أي غير مخلص كما ذكره الجـوهـري. و«عاله»: أي كفله وقام بأمره وأنفق عليه.

٩٩٦ـ نهـــج: [و] من خطبة له عليه السّلام:

وأستعينه على مداحر الشّيطان ومزاجره والاعتصام من حبائله ومخاتله.

وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ونجيبه وصفوته، لا يوازى فضله، ولا يجبر فقـده، أضـاءت به البلاد بعد الضّلالة المظلمة والجهالة الغالبة والجفوة الجـافية، والنّـاس يستحلّون الحـريم ويستـذلّون الحكيم، يحيون على فترة ويموتون على كفرة.

ثمّ إنكم معشـر العـرب! أغراض بلايا قد اقتربت، فاتقّوا سكرات النّعمة، واحذروا بوائق النّقمة، وتثبتّوا في قتام العشوة، واعوجاج الفتنة عند طلوع جنينها، وظهور كمينها، وانتصاب قطبها، ومدار رحاها، تبدأ في مدارج خفيّة، وتؤول إلى فظاعة جليّة، شبابها كشباب الغلام، وآثارها كآثار السلام، تتوارثها الظّلمة بالعهود، أوّلهم قائد لآخرهم، وآخرهم مقتد بأوّلهم، يتنافسون في دنياً دنيّة، ويتكـالبون على جيفة مريحة، وعن قليل يتبرأ التابع من المتبوع، والقائد من المقود، فيتزايلون بالبغضاء ويتلاعنون عند اللقاء.

ثمّ يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرّجوف والقاصمة الزّحوف، فتزيغ قلوب بعد استقامة، وتضلّ رجال بعد سلامة، وتختلف الأهواء عند هجومها، وتلتبس

٩٩٦ـ رواه السّيّد الرضيّ رفع اللّه مقامه في المختار: (١٥٠) من كتاب نهج البلاغة.

الآراء عند نجومها. من أشرف لها قصمته، ومن سعى فيها حطمته، يتكادمون فيها تكادم الحمر في العانة، قد اُضطرب معقود الحبل، وعمي وجه الأمر، تغيض فيها الحكمة، وتنطق فيها الظّلمة، وتدقّ أهل البدو بمسحلها، وترضّهم بكلكلها. يضيع في غبارها الوحدان، ويهلك في طريقها الرّكبان، ترد بمرّ القضاء، وتحلب عبيط الدّماء، وتثلم منار الدّين، وتنقض عقد اليقين. تهرب منها الأكياس، وتدبرها الأرجاس، مرعاد مبراق، كاشفة عن ساق، تقطع فيها الأرحام، ويفارق عليها الإسلام، برينها سقيم، وظاعنها مقيم.

[و] منها:

بين قتيل مطلول، وخائف مستجير، يختلون بعقد الأيمان، وبغرور الإيمان، فلا تكونوا أنصاب الفتن وأعلام البدع، والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة، وبنيت عليه أركان الطّاعة، واقدموا على اللّه مظلومين ولا تقدموا عليه ظالمين، واتّقوا مدارج الشّيطان ومهابط العدوان، ولا تدخلوا بطونكم لعق الحرام، فإنّكم بعين من حرّم عليكم المعصية وسهلّ لكم سبيل الطّاعة.

توضيح:

«مداحر الشيطان»: الأمور التي يدحر ويطرد بها [الشيطان]. و«مزاجره»: الأمورالتي يزجر بها. و «حبائله»: مكائده التي يضلّ بها البشر. و«مخاتله»: الأمور التي يختل بها ـ بالكسر ـ أي: يخدع بها.

[قوله عليه السّلام:] «لا يوازى»: أي لا يساوى. والأصل فيه الهمزة كما قيل. «والجهالة الغالبة» بالباء الموحّدة وفي بعض النّسخ بالمثنّاة: من الغلاء وهو الإرتفاع أو من الغلوّ وهو مجاوزة الحدّ. والجفوة: غلظ الطبع. والوصف للمبالغة.

[وقوله:] «والناس»: الواو للحال. والحريم: حرمات اللّه التي يجب اُحترامها ومحرماته. وقال [اُبن الأثير] في النهاية: الفترة: ما بين الرسولين.

وأصابني على فترة: أي في حال سكون وتقليل من العبادات والمجاهدات. والكفرة: المرّة من الكفرات. والمعشر: الجماعة. والغرض: الهدف. وسكرات النعمة: ما تحدثه النعم عند أربابها من الغفلة المشابهة للسكر. والبوائق: الدواهي. والتّثبّت: التوقّف وترك آقتحام الأمر. والقتام ـ بالفتح ـ: الغبار. والعشو: ركوب الأمر على غير بيان ووضوح. ويروى «وتبيّنوا» كما قرئ في الآية.

وكنّى عليه السلام عن ظهور المستور المخفي منها بقوله: «عند طلوع جنينها وظهور كمينها». والجنين: الولد مادام في البطن. والكمين: الجماعة المختفية في الحرب. والمدار مصدر والمكان بعيد. و «آنتصاب قطبها ومدار رحاها»: كنايتان عن آنتظام أمرها. والمدرجة: المذهب والمسلك: أي إنّها تكون آبتداءً يسيرة ثم تصير كثيرة. والشباب ـ بالكسر ـ: نشاط الفرس ورفع يديه جميعاً. وفي بعض النسخ [ذكره] بالفتح. والسّلم: الحجارة أي أربابها يمرحون في أوّل الأمر كما يمرح الغلام، ثمّ يؤول إلى أن يعقب فيهم أو في الإسلام آثار كآثار الحجارة في الأبدان، فيحتمل أن يكون [هذا] كالتفسير لسابقه، أو يكون المراد أنّها في الدنيا كنشاط الغلام وما أعقبها في الآخرة كآثار السلام.

[قوله عليه السلام:] «تتوارثها الظلمة بالعهود»: الظرف متعلّق بالفعل: أي توارثهم بما عهدوا بينهم من ظلم أهل البيت عليهم السلام وغصب حقّهم. أو [هو متعلّق] بـ [قوله] «الظّلمة»: أي الذين ظلموا عهد اللّه وتركوه.

«ويتكالبون»: أي يتواثبون. و «المريحة»: المنتنة من [قولهم:] أراحت [الجيفة] إذا ظهر ريحها، أو من أراح البعير إذا مات.

قوله عليه السلام: «وعن قليل»: أي بعد قليل من الزمان يتبرأ التابع [من المتبوع].

قال آبن أبي الحديد: ذلك التبرّء في القيامة كما ورد في الكتاب العزيز،

أمّا تبرء التابع من المتبوع [فقد] قال تعالى: ﴿قالوا ضلّوا عنّا بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً﴾ [٧٤/ غافر: ٤٠].

وأمّا تبرء القائد من المقود: أي المتبوع من التابع فقال تعالى: ﴿إذ تبرء الذين اتّبعوا من الذين اتّبعوا﴾ [١٦٦/ البقرة:٢].

وإمّا الأعمّ كما دلّ عليه قوله عليه السلام:«فيتزايلون...» فقال تعالى: ﴿ويوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضاً﴾ [٢٥/ العنكبوت:٢٩].

وقوله عليه السلام: «يتزايلون»: أي يفترقون. وطالع الفتنة مقدماتها. وسمّاها رجوفاً لشدّة الإضطراب فيها.

ولمّا ذكر عليه السلام رغبتهم في الدنيا وتكالبهم، أراد أن يذكر ما يؤكّد التعجّب من فعلهم، فأتى بجملة معترضة بين الكلامين فقال:«وعن قليل يتبرء التّابع ... الخ». ثمّ عاد إلى نظام الكلام فقال: «ثمّ يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف».

وقال ابن ميثم: أشار عليه السلام إلى منافستهم في الدنيا في إثارة تلك الفتن، ثم أخبر عن انقضائها عن قليل وكنّى عن ذلك بتبرء التابع من المتبوع.

قيل: [وكان]ذلك التبرء عند ظهور الدولة العباسية، فإنّ العادة جارية بتبرء الناس عن الولاة المعزولين، خصوصاً ممن تولّى عزل أولئك أو قتلهم فيتباينون بالبغضاء ويتلاعنون عند اللقاء.

[ثم] قال [ابن ميثم:] وقوله عليه السلام: «ثمّ يأتي [بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف»] إشارة إلى فتنة التّتار، إذ الدائرة فيهم كانت على العرب.

[ثم] قال: وقال بعض الشارحين: ذلك إشارة إلى الملحمة الكائنة في

آخر الزمان، كفتنة الدجّال، ووصفها بالرجوف كناية عن اضطراب الناس، أو أمر الإسلام فيها. و [كنّى] بقصمها عن هلاك الخلق فيها تشبيهاً لها بالرجل الشجاع الكثير الزحف إلى أقرانه: أي يمشي إليهم قدماً.

ونجم الشيء ينجم ـ بالضمّ ـ نجوماً: ظهر وطلع. قوله [عليه السلام:] «من أشرف لها»: أي صادمها وقابلها. «ومن سعى فيها»: أي في تسكينها وإطفائها. والحطم: الكسر. والتكادم: التّعاض بأدنى الفم. والعانة: القطيع من حمر الوحش، ولعلّ المراد مغالبة مثيري تلك الفتنة بعضهم لبعض، أو مغالبتهم لغيرهم. ومعقود الحبل: قواعد التي كلّفوا بها.

وفي إسناد العمى إلى وجه الأمر تجوّز. والغيض : القلّة والنقص. والمسحل ـ كمنبر ـ: السوهان أو المنحت: أي يفعل بهم ما يفعل بالحديد أو الخشب.

والرضّ : الدق. والكلكل: الصدر. والوُحدان جمع واحد:أي من كان يسير وحده فإنّه يهلك فيها بالكلية، وإذا كانوا جماعة فهم يضلّون في طريقها فيهلكون.

ولفظ الغبار مستعار للقليل اليسير من حركة أهلها: أي إذا أراد القليل من الناس دفعها هلكوا في غبارها من دون أن يدخلوا في غمارها، وأمّا الركبان وهم الكثير من الناس فإنّهم يهلكون في طريقها وعند الخوض فيها.

ويجوز أن يكون الوحدان جمع أوحد: أي يضلّ في غبار هذه الفتنة وشبهها فضلاء عصرها، لغموض الشبهة واستيلاء الباطل ويكون الركبان كناية عن أهل القوّة. فهلاك أهل العلم بالضلال، وهلاك أهل القوّة بالقتل. ومرّ القضاء: الهلاك والاستئصال والبلايا الصعْبة. وعبيط الدّماء: الطري الخالص منها. وتثلم: أي تكسر. [و] منار الدين: أي أعلامه.

[قوله عليه السّلام:] «مرعاد مبراق»: أي ذات رعد وبرق تشبيهاً

بالسحاب. أو ذات وعيد وتهدّد من [قولهم:] رعد الرجل وبرق إذا أوعد وتهدّد.

ويحتمل أن يكون [أراد من] الرعد صوت السلاح و [من] البرق ضوءه.

وقال [ابن الأثير] في النهاية: السّاق في اللغة: الأمر الشدّيد وكشف الساق: مثل في شدّة الأمر، وأصله من كشف الانسان عن ساقه وتشميره إذا وقع في أمر شديد.

قوله عليه السلام: «بريئها»: أي من يعدّ نفسه بريئاً سالماً من المعاصي أو الآفات، أو من كان سالماً بالنسبة إلى سائر الناس فهو أيضاً مبتلى بها، أو المعنى أنّ من لم يكن مائلاً إلى المعاصي أو أحبّ الخلاص من شرورها لا يمكنه ذلك.

قوله عليه السّلام: «وظاعنها مقيم»: أي لا يمكنه الخروج عنها. أو من اعتقد أنّه متخلّف عنها فهو داخل فيها لكثرة الشبه وعموم الضلالة.

قوله عليه السّلام: «مطلول»: أي مهدر لا يطلب به. [و] «يختلون»: أي يخدعون. [وقوله:] «بعقد الايمان»: [إمّا] بصيغة المصدر أو كصرد بصيغة الجمع.

و [قوله عليه السّلام:] «يختلون»: في بعض النسخ على بناء المجهول، فيكون إخباراً عن حال المخدوعين الذي يختلهم غيرهم بالايمان المعقودة بينهم، أو بالعهود الذي يشدّونها بمسح أيمانهم.

وفي بعض النسخ على بناء المعلوم فيكون إخباراً من أهل ذلك الزّمان جميعاً، أو الخادعين الخائنين منهم. و«بغرور الايمان»: أي بالايمان الذي يظهره الخادعون لهؤلاء الموصوفين فيغرونهم بالمواعيد الكاذبة، أو الذي يظهره هؤلاء الموصوفون فيغرّون الناس به على النّسختين.

قوله عليه السّلام: «أنصاب الفتن»: [الأنصاب] جمع نصب وهو ـ بالفتح أو التحريك ـ: العلم أو بمعنى الغاية والحدّ ومنه أيضاً أنصاب الحرم.

وفي بعض النسخ: [أنصار الفتن] بالراء.

قوله عليه السلام: «[وآلزموا] ما عقد عليه حبل الجماعة» أي القوانين الّتي ينتظم بها آجتماع الناس على الحقّ، وهي الّتي بنيت عليها أركان الطاعة.

[قوله عليه السلام:] «وآقدموا على الله مظلومين»: أي كونوا راضين بالمظلومية أو لا تظلموا الناس وإن آستلزم ترك الظلم مظلوميتكم.

و «مدارج الشيطان»: مذاهبه ومسالكه. «ومهابط العدوان»: المواضع التي يهبط هو وصاحبه فيها.

واللُعَق: جمع لعقة بالضمّ، وهي آسم لما تأخذه الملعقة. واللَعقة بالفتح: المرّة منه. فنبّه عليه السلام باللّعق على قلّتها بالنسبة إلى متاع الآخرة، أو المراد لا تدخلوا بطونكم القليل منه فكيف بالكثير.

قوله عليه السّلام: «[فإنّكم] بعين من حرّم»: أي بعلمه كقوله تعالى: ﴿تجري بأعيننا﴾ [١٤/ القمر: ٥٤].

٩٩٧ـ نهج: [و] من خطبة له عليه السّلام:

فبعث محمّداً صلّى الله عليه وآله بالحقّ ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشّيطان إلى طاعته، بقرآن قد بيّنه وأحكمه، ليعلم العباد ربّهم إذ جهلوه، وليقرّوا به إذ جحدوه، وليثبّتوه بعد إذ أنكروه.

فتجلّى سبحانه لهم في كتابه من غير أن يكونوا رأوه، بما أراهم من قدرته، وخوّفهم من سطواته، وكيف محق من محق بالمثلات واحتصد من احتصد [واختضد من اختضد «خ»] بالنقمات.

وإنه سيأتي عليكم من بعدي زمان، ليس فيه شيء أخفى من الحقّ ولا

٩٩٧ـ رواه السّيّد الرضيّ رفع الله مقامه في المختار: (١٤٥) من كتاب نهج البلاغة.

أظهر من الباطل ولا أكثر من الكذب على اللّه ورسوله، وليس عند أهل ذلك الزّمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حقّ تلاوته، ولا أنفق منه إذا حرّف عن مواضعه، ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر، فقد نبذ الكتاب حملته وتناساه حفظته، فالكتاب يومئذٍ وأهله منفيّان طريدان، وصاحبان مصطحبان في طريق واحد، لا يؤويهما مؤو، فالكتاب وأهله في ذلك الزّمان في النّاس وليسا فيهم، ومعهم وليسا معهم، لأنّ الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا.

واجتمع القوم على الفرقة وافترقوا عن الجماعة، كأنّهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم، فلم يبق عندهم منه إلّا اسمه ولا يعرفون إلّا خطّه وزبره.

ومن قبل ما مثّلوا بالصّالحين كلّ مثلة، وسمّوا صدقهم على اللّه فرية وجعلوا في الحسنة عقوبة السّيّئة.

وإنّما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم وتغيّب آجالهم، حتّى نزل بهم الموعود الذي تردّ عنه المعذرة، وترفع عنه التوبة، وتحل معه القارعة والنقمة.

أيّها النّاس ! إنّه من آستنصح اللّه وفّق، ومن آتّخذ قوله دليلاً هُديَ للّتي هي أقوم، فإنّ جار اللّه آمن وعدوّه خائف.

وإنّه لا ينبغي لمن عرف عظمة اللّه أن يتعظّم، فإنّ رفعة الذين يعلمون ما عظمته أن يتواضعوا له، وسلامة الذين يعلمون ما قدرته أن يستسلموا له، فلا تنفروا من الحقّ نفار الصّحيح من الأجرب والباري من ذي السقم.

وآعلموا أنّكم لن تعرفوا الرشد حتّى تعرفوا الذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتّى تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسكوا به حتّى تعرفوا الذي نبذه.

فالتمسوا ذلك من عند أهله فإنّهم عيش العلم وموت الجهل، هم الذين

يخبركم حكمهم عن علمهم، وصَمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه، [فهو] بينهم شاهد صادق وصامت ناطق.

بيـــان :

«أحكمه»: أتقنه. وقيل في قوله تعالى: «كتاب أحكمت آياته» [١/ هود: ١١]: أي أحفظت من فساد المعنى وركاكته.

ويمكن أن يكون المراد بالإقرار باللسان، وبالإثبات: التصديق بالقلب.

[قـولـه عليه السلام:] «فتجلّى لهم»: أي ظهر وآنكشف، وربّما يفسّر الكتاب هنا بعالم الإيجاد. والمحق: النقض، والمحو والإبطال. والمثلات: العقوبات.

قوله عليه السلام: «واحتصد [من احتصد]»: في بعض النسخ بالمهملتين في الموضعين من الحصاد وهو قطع الزرع والنبات فهو كناية عن آستئصالهم.

وفي بعضها بالمعجمتين من [قولهم:] اختضد البعير: أي خطمه ليذلّ. والأول أظهر. والبوار: الهلاك وكساد السوق.

وتلاوة الكتاب إمّا بمعنى قراءته، أو متابعته فإنّ من اتّبع غيره يقال: تلاه. والتحريف بالثاني أنسب.

ويقال: تناساه إذا أرى من نفسه أنّه نسيه. ونفى الشيء: أي نحّاه أو جحده. والطرد: الإبعاد. وأهل الكتاب [هم] أئمّة الدين وأتباعهم العالمون بالكتاب العاملون به.

قوله عليه السّلام: «لأنّ الضّلالة»: أي ضلالتهم مضادّة لهدي الكتاب فلم يجتمعا حقيقةً وإن اجتمعا ظاهراً. والزبر بالفتح: الكتابة وبالكسر: الكتاب.

قوله عليه السّلام: «ومن قبل»: أي من قبل ذلك الزمان وإن كان بعده عليه السلام. «ما مثلوا» بالتخفيف والتشديد: أي نكّلوا.

والظرف أعني قوله: «على اللّه» متعلّق بالفرية، ويحتمل تعلّقه بالصدق. والمراد بتغيّب آجالهم نسيانهم إيّاها وترك استعدادهم لها ولما بعدها. والموعود: الموت فإنّه لا تقبل فيه معذرة وعند نزوله [لا تقبل] توبة.

«والقارعة»: المصيبة التي تقرع: أي تلقى بشدةّ وقوّة.

قوله عليه السلام «من استنصح اللّه» قال: [ابن الأثير] في النهاية: أي اتّخذه ناصحاً. انتهى.

والإعتقاد بكونه تعالى ناصحاً وأنّه لا يريد للعبد إلّا ما هو خير له، يوجب التوفيق بالرغبة في العمل بكلّ ما أمر [به] والإنتهاء عمّا نهى عنه.

قوله عليه السلام: «للّتي هي أقوم»: أي للحالة والطريقة التي اتّباعها وسلوكها أقوم.

[قوله عليه السلام:] «فإنّ جار اللّه [آمن]»: أي من أجاره اللّه أو من كان قريباً منه.

وفي بعض النسخ: «عظْمته» و «قدرته» بالنصب، فكلمة «ما» فيها زائدة.

قوله عليه السلام: «حتّى تعرفوا الذي تركه»: الغرض منه ومما بعده التنفير من أئمّة الضلال والتنبيه على وجوب البراءة منهم.

[قوله عليه السلام] «فإنّهم عيش العلم»: أي أسباب لحياته.

قوله عليه السلام: «وصَمْتهم عن منطقهم»: فإنّ لصمتهم وقتاً وهيئةً وحالةً تكون قرائن دالّة على حسن منطقهم لو نطقوا.

قوله عليه السلام: «ولا يختلفون»: أي لا يخالف بعضهم بعضاً فيكون البعض مخالفاً للحق.

[قوله عليه السلام:] «فهو بينهم»: الضمير راجع إلى الدين. [ومعنى قوله:] «شاهد صادق»: أي يأخذون بما حكم به ودلّ عليه.

[قوله عليه السلام:] «وصامت»: لأنّه لا ينطق في الظاهر [بنفسه وإنّما هو] ناطق بلسان أهله والعالم به.

٩٩٨ـ نهـــج: [و] من خطبة له عليه السّلام:

حتّى بعث الله محمّداً صلّى الله عليه وآله شهيداً وبشيراً ونذيراً، خير البريّة طفلاً وأنجبها كهلاً، أطهر المطهّرين شيمةً وأجود المستمطرين ديمةً.

فما احلولت لكم الدّنيا في لذّتها، ولا تمكّنتم من رضاع أخلافها، إلّا من بعد [ما] صادفتموها جائلاً خِطامها، قلقاً وضينها، قد صار حرامها عند أقوام بمنزلة السدّر المخضود، وحلالها بعيداً غير موجود، وصادفتموها ـ والله ـ ظلّاً ممدوداً إلى أجل معدود، فالأرض لكم شاغرة، وأيديكم فيها مبسوطة، وأيدي القادة عنكم مكفوفة، وسيوفكم عليها مسلّطة، وسيوفهم عنكم مقبوضة.

ألا [وإنّ] لكلّ دم ثائراً، ولكلّ حقّ طالباً، وإنّ الثّائر في دمائنا كالحاكم في حقّ نفسه، وهو الله الذي لا يعجزه من طلب ولا يفوته من هرب.

فأقسم بالله يا بني أميّة، عمّا قليل لتعرفنّها في أيدي غيركم وفي دار عدوّكم.

ألا إنّ أبصر الأبصار ما نفذ في الخير طرفه، ألا إنّ أسمع الأسماع ما وعى التّذكير وقبله.

٩٩٨ـ رواه الشريف الرضيّ رفع الله مقامه في المختار: (١٠٣) من كتاب نهج البلاغة.

أيّها النّاس ! أستصبحوا من شعلة مصباح واعظ متّعظ، وأمتاحوا من صفو عين قد رُوّقت من الكدر.

عباد اللّه! لا تركنوا إلى جهالتكم ولا تنقادوا لأهوائكم، فإنّ النّازل بهذا المنزل نازل بشفا جرف هار، ينقل الرّدى على ظهره من موضع لرأي يحدثه بعد رأي، يريد أن يلصق ما لا يلتصق ويقرّب ما لا يتقارب.

فاللّه اللّه أن تشكوا إلى من لا يشكي شجوكم، ولا من ينقض برأيه ما قد أبرم لكم.

إنّـه ليس على الإمـام إلّا ما حمّل من أمر ربّه، الابلاغ في الموعظة، والإجتهاد في النّصيحة، والإحياء للسنّة، وإقامة الحدود على مستحقّيها، وإصدار السُّهمان على أهلها.

فبادروا العلم من قبل تصويح نبته، ومن قبل أن تشغلوا بأنفسكم عن مستثار العلم من عند أهله، وأنهوا عن المنكر وتناهوا عنه فإنّما أمرتم بالنهي بعد التناهي.

بيـــان :

[قوله عليه السلام:] «شهيداً»: أي على أوصيائه وأمّته وعلى الأنبياء وأممهم. والكهل: من جاوز الثلاثين. وقيل: من بلغ الأربعين. وقيل: من جاوز أربعاً وثلاثين إلى إحدى وخمسين. والشيمة ـ بالكسر ـ: الطبيعة والجبلّة. والجود ـ بالفتح ـ: المطر الغزير. والديمة ـ بالكسر ـ: المطر الدائم في سكون. وإحلولى الشيء: صار حلواً ضدّ المرّ. والرضاع ـ بالفتح ـ مصدر رضع الصبي أمّه ـ بالكسر ـ:أي امتصّ ثديها. والأخلاف جمع خلف ـ بالكسر ـ وهو حلمة ضرع النـاقـة، أو الضـرع لكلّ ذات خفّ وظلف. والجملتان كنايتان عن أنتفاعهم وتمتّعهم بالدنيا. وصادفته: أي وجدته. والجائل: الدائر المتحرّك والذي يذهب ويجيء. وخطام البعير ـ بالكسر ـ: الحبل الذي يقاد به. والقلق: المتحرّك

الذي لا يستقرّ في مكانه. والوضين: بطان منسوج بعضه على بعض يشدّ به الرحل على البعير[1]، كالحزام للسرج.

والغرض عدم تمكّنهم من الإنتفاع بالدنيا وصعوبتها عليهم وعدم آنقيادها لهم، كما يستصعب الناقة على راكبها إذا كانت جائلة الخطام ليس زمامها في يد راكبها، قلقة الوضين لا يثبت رحلها تحت راكبها.

ويحتمل أن يكون كناية عن آستقلال الدنيا وآستبدادها في غرور الناس، وإقبالها على أهلها من غير أن يزجرها ويمنعها أحد.

والسدر المخضود: الذي آنثنت أغصانه من كثرة الحمل. أو الذي قطع شوكه ونزع. وهو كناية عن أكلهم الحرام برغبة كاملة وميل شديد.

والظّل الممدود: الدائم الذي لا تنسخه الشمس. وشغرت الأرض كمنعت: أي لم يبق بها أحد يحميها ويضبطها. وبلدة شاغرة برجلها: إذا لم تمنع من غارة أحد.

[وقال آبن الأثير] في [مادّة «شغر» من] النهاية: قيل: الشغر: البعد. وقيل: الإتساع ومنه حديث علي عليه السلام: [«قبل أن تشغر برجلها فتنة تطأ في خطامها». وحديثه الآخر:] «فالأرض لكم شاغرة»: أي واسعة.

والقادة: ولاة الأمر المستحقّون للإمارة والرياسة.

وتسلط السيوف: إشارة إلى واقعة الحسين عليه السلام وما كان من بني أميّة وغيرهم من القتل وسفك الدماء. والثار: طلب الدم.

والمراد بكونه ـ هنا ـ كالحاكم في حقّ نفسه: آستيفاؤه الحقّ بنفسه من غير افتقار إلى بيّنة وحكم حاكم.

---

(١) وهكذا فسّره ابن الأثير في مادّة «وَضَنَ» من كتاب النهاية قال: [و] في حديث عليّ: «إنّك لَقَلِقُ الوضين» أراد أنّه سريع الحركة. يصفه بالخفة وقلّة الثبات كالحزام إذا كان رخواً.

والضمير في [قوله:] «تعرفنّها» راجع إلى الإمارة، أو إلى الدنيا كالضمائر المتقدّمة، وهو إخبار بانتقال الدولة عن بني أمية إلى بني العبّاس.

والطرف ـ بالفتح ـ: نظر العين، يطلق على الواحد وغيره. ونفوذه في الخير رؤية المحاسن وآتّباعها. ووعى الحديث كرمى: أي حفظه وتدبّره. والامتياح: نزول البئر وملأ الدلو منها. والترويق: التصفية. والمراد بـ«الواعظ» و «العين» [خ «ل»]: نفسه صلوات الله عليه. وركن ـ كعلم ونصر ومنع ـ: مال. والهوى: إرادة النفس. والشفا: شفير الشيء وجانبه. والجرف ـ بالضمّ وبضمّتين ـ: ما تجرّفته السيول وأكلته من الأرض. والهار: الساقط الضعيف. والردى: جمع رداة بالفتح فيهما وهي الصخرة: أي هو في تعب دائماً. وفسّر هنا بالهلاك أيضاً.

وإلصاق ما لا يلتصق وتقريب ما لا يتقارب: إثبات الباطل بحجج باطلة. وأشكاه: أزال شكايته. والشجو: الهمّ والحزن. وأبرم الأمر: أي أحكمه. و [أحكم] الحبل: أي جعله طاقين ثمّ فتله. والغرض النهي عن اتّباع إمام لا يقدر على كشف المعضلات وحلّ المشكلات في المعاش والمعاد لقلّة البصيرة.

وفي بعض النسخ: «ومن ينقض» بدون «لا» فالمعنى لا تتّبعوا من ينقض برأيه الفاسد ما أحكمه الشرع. والسّهمان ـ بالضمّ ـ: جمع سهم وهو الحظّ والنصيب وإيصالها إليهم. وصوّح النبات: أي يبس وتشقّق أوجفّ أعلاه، وهو كناية عن ذهاب رونق العلم أو آختفاؤه أو مغلوبيّته. والمستثار: مصدر بمعنى الإستثارة وهي الانهاض والتهييج.

والترتيب بين الأمر بالتناهي لا بين النهي والتناهي. ولا يبعد حمله على ظاهره.

٩٩٩ـ نهج: [و] من خطبة له عليه السلام وهي من خطب الملاحم:

٩٩٩ـ رواه الشريف الرضيّ رفع الله مقامه في المختار: (١٠٦) من كتاب نهج البلاغة.

الحمد لله المتجلّي لخلقه بخلقه، الظاهر لقلوبهم بحجّته، خلق الخلق من غير رويّة، إذ كانت الرويّات لاتليق بذوي الضمائر، وليس بذي ضمير في نفسه.

خرق علمه باطن غيب السترات وأحاط بغموض عقائد السريرات.

[و] منها في ذكر النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله:

اختاره من شجرة الأنبياء ومشكاة الضياء وذؤابة العلياء وسرّة البطحاء ومصابيح الظّلمة وينابيع الحكمة.

[و] منها: طبيب دوّار بطبّه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه، يضع من ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عُمْيٍ، وآذان صمٍّ، وألسنة بُكْمٍ، متّبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة.

لم يستضيئوا بأضواء الحكمة ولم يقدحوا بزناد العلوم الثّاقبة، فهم في ذلك كالأنعام السائمة والصخور القاسية.

قد انجابت السرّائر لأهل البصائر، ووضحت محجّة الحقّ لخابطها، وأسفرت الساعة عن وجهها، وظهرت العلامة لمتوسمها.

ما لي أراكم أشباحاً بلا أرواح! وأرواحاً بلا أشباح! ونسّاكاً بلا صلاح! وتجاراً بلا أرباح! وأيقاظاً نوّماً! وشهوداً غيّباً وناظرةً عمياء! وسامعةً صمّاء! وناطقةً بكماء!.

راية ضلالة قد قامت على قطبها، وتفرّقت بشعبها، تكيلكم بصاعها وتخبطكم بباعها، قائدها خارج من الملّة على الضِلّة، فلا يبقى يومئذ [منكم] إلّا ثفالة كثفالة القدر، أو نفاضة كنفاضة العكم، تعركّكم عرك الأديم، وتدوسكم دوس الحصيد، وتستخلص المؤمن من بينكم استخلاص الطير الحبّة البطينة من بين هزيل الحبّ!

أين تذهب بكم المذاهب! وتتيه بكم الغياهب وتخدعكم الكواذب! ومن

أين تؤتون! وأنّى تؤفكون! فلكلّ أجل كتاب، ولكلّ غيبة إياب، فاستمعوا من ربّـانيكم، وأحضـروه قلوبكم، وآستيقظوا إن هتف بكم، وليصدق رائد أهله، وليجمع شمله، وليحضر ذهنه؛ فلقد فلق لكم الأمر فلق الخرزة وقرفه قرف الصمغة.

فعند ذلك أخذ الباطل مأخذه وركب الجهل مراكبه، وعظمت الطّاغية وقلّت الدّاعية، وصال الدّهر صيال السبّع العقور، وهدر فنيق الباطل بعد كظوم، وتـواخى النّـاس على الفجـور، وتهاجروا على الدّين، وتحابّوا على الكذب، وتباغضوا على الصدّق.

فـإذا كـان ذلـك كـان الولد غيظاً، والمطر قيضاً، وتفيض اللئام فيضاً، وتغيض الكرام غيضاً.

وكان أهل ذلك الزّمان ذئاباً، وسلاطينه سباعاً، وأوساطه أكّالاً، وفقراؤه أمـواتـاً، وغـار الصّدق وفاض الكذب، وآستعملت المودّة باللّسان، وتشاجر النّاس بالقلوب، وصار الفسوق نسباً، والعفاف عجباً، ولُبِس الاسلام لبس الفرو مقلوباً!

تبييـــن:

الملحمة هي الحرب أو الوقعة العظيمة فيها. وموضع القتال مأخوذ من آشتباك الناس فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسدى. وقيل: [هي مأخوذة] من اللحم. والتجلّي: الانكشاف. والخلق الثاني يحتمل المصدر والمخلوق. والرويّة: التفكّر. والمراد بالضمير إمّا القلب أو ما يضمر من الصور.

قوله عليه السّلام: «في نفسه»: أي كائن في نفسه أو في حدّ ذاته إذا تأمّل فيه متأمّل بنظر صحيح والغامض من الأرض: المطمئنّ. ومن الكلام وغيره خلاف الـواضـح. والمشكـاة: كوّة غير نافذة يجعل فيها المصباح، أو عمود القنـديل الذي فيه الفتيلة، أو القنديل. والذؤابة بالضمّ مهموزاً: الناصية أو

منبتها من الرأس. والعلياء بالفتح والمدّ كلّ مكان مشرف، والسماء، ورأس الجبل. وسرّة البطحاء: وسطها تشبيهاً بسرّة الانسان. والبطحاء والأبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

قيل: أستعار [عليه السلام] الشجرة لصنف الأنبياء عليهم السلام وفروعها أشخاصهم وثمرتها العلوم والكمالات. ومشكاة الضياء لآل إبراهيم عليه السلام، وذؤابة العلياء لقريش، وسرّة البطحاء لمكة، والمصابيح والينابيع هم الأنبياء عليهم السلام.

والمراد بالطبيب: نفسه عليه السلام. والدوران بالطبّ: إتيان المرضى وتتبّعهم، فهو تعريض للأصحاب بقعودهم عمّا يجب عليهم. أو المراد بيان كمال الطبيب، فإنّ الدوّار أكثر تجربة من غيره كما قيل.

والمرهم: طلاء لين يطلى به الجرح مشتق من الرهمة بالكسر وهي المطر الضعيف وإحكامها: إتقانها ومنعها عن الفساد. والوسم: أثر الكي والميسم ـ بالكسر ـ: المكواة. وأحماها: أي أسخنها ولعلّ إحكام المراهم إشارة إلى البشارة بالثواب، أو الأمر بالمعروف. وإحماء المواسم: [إشارة] إلى الإنذار من العقاب، أو النهي عن المنكر وإقامة الحدود.

وقدح بالزند ـ كمنع ـ: رام الإيراء به واستخرج النار منه. والزند ـ بالفتح ـ: العود الذي يقدح به النار. وثقبت النار اتقدت. وثقب الكواكب: أضاء. والقاسية: الشديدة والغليظة.

وانجابت السحابة: انكشفت. والمراد بالسرائر، ما أضمره المعاندون للحقّ في قلوبهم من إطفاء نور اللّه وهدم أركان الشريعة.

وقيل: إشارة إلى انكشاف ما يكون بعده لنفسه القدسية ولأهل البصائر من أستيلاء بني أمية وعموم ظلمهم. أو انكشاف أسرار الشريعة لأهلها.

والخابط: السائر على غير هدى ولعلّ المراد أنّ ضلالهم ليس لخفاء

الحقّ، بل للاصرار على الشقاوة والنفاق.

وسفر الصبح وأسفر: أضاء وأشرق. وأسفرت المرأة: كشفت عن وجهها.

والمراد بإسفار الساعة وظهور العلامة: قرب القيامة بعدم بقاء نبيّ ينتظر بعثته، وظهور الفتن والوقائع التي هي من أشراطها. والشبح ـ بالتحريك ـ: سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد.

والمراد بكونهم أشباحاً بلا أرواح: تشبيههم بالجمادات والأموات في عدم الإنتفاع بالعقل، وعدم تأثير المواعظ فيهم كما قال تعالى: ﴿كأنّهم خشب مسنّدة﴾ [٤/ المنافقون: ٦٣].

وأمّا كونهم أرواحاً بلا أشباح فقيل: المراد بيان نقصهم؛ لأنّ الروح بلا جسد ناقصة عاطلة عن الأعمال.

وقيل: إشارة إلى خفّتهم وطيشهم في الأفعال.

وقيل: المراد أنّ منهم من هو كالجماد والأموات، ومنهم من له عقل وفهم ولكن لا قوّة له على الحرب، فالجميع عاطلون عمّا يراد بهم.

وقيل: المراد أنّهم إذا خافوا ذهلت عقولهم وطارت ألبابهم، فكانوا كأجسام بلا أرواح، وإذا أمنوا تركوا الإهتمام بأمورهم كأنّهم أرواح لا تعلّق لهم بالأجسام.

والنسّاك: العبّاد: أي ليست عبادتهم مقرونةً بالإخلاص وعلى الوجه المأمور به ومع الشرائط المعتبرة، فإنّ منها معرفة الإمام وطاعته. وكونهم تجاراً بلا أرباح لعدم ترتّب الثواب على أعمالهم.

وقوله عليه السلام: «راية ضلالة»: منقطع عمّا قبله التقطه السيّد [الرضّي] رضي الله عنه من كلامه [عليه السلام] على عادته، وكأنّه إشارة إلى

ما يحدث في آخر الزمان من الفتن كظهور السفياني وغيره.

والقطب: حديدة تدور عليها الرحي، وملاك الأمر ومداره وسيّد القوم. وقيامها على قطبها كناية عن انتظام أمرها وتفرّق شعبها عن انتشار فتنتها في الآفاق وتولّد فتن أخر عنها.

وقيل: ليس التّفرق للراية نفسها، بل لنصارها وأصحابها. وحذف المضاف، ومعنى تفرّقهم أنّهم يدعون إلى تلك الدعوة المخصوصة في بلاد متفرّقة.

[قوله عليه السلام:] «وتكيلكم بصاعها»: أي تأخذهم للإهلاك زمرة زمرة، كالكيّال يأخذ ما يكيله جملة جملة.

أو يقهركم أربابها على الدخول في أمرهم، ويتلاعبون بكم يرفعونكم ويضعونكم كما يفعل كيّال البرّ بها إذا كاله بصاعه.

أو تكيل لكم بصاعها على حذف اللام كما في قوله تعالى: ﴿وإذا كالوهم﴾ [٣/ المطفّفين: ٣٦]: أي تحملكم على دينها ودعوتها، وتعاملكم بما يعامل به من استجاب لها أو تفرز لكم من فتنها شيئاً ويصل إلى كلّ منكم نصيب منها.

والخبط ـ بالفتح ـ: ضرب الشجر بالعصى ليتناثر ورقها، وخبط البعير الأرض بيده خبطاً: أي ضربها. والكلام على الوجهين يفيد الذلّة والإنقهار.

والقيام على الضّلّة: الاصرار على الضلال. وثفالة القدر ـ بالضمّ ـ: ما ثفل فيه من الطبيخ، وهي كناية عن الأراذل ومن لا ذكر له بين النّاس لعدم الاعتداد بقتلهم. والنفاضة ـ بالضمّ ـ: ما سقط من النفض. والعكم ـ بالكسر ـ: العدل، ونمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها.

[و] قال [ابن الأثير] في [مادّة «عكم» من] النهاية: العُكوم: الأحمال

التي تكـون فيهـا الأمتعـة وغـيرهـا، واحـدهـا عكم بالكسر، ومنـه حديث عليّ عليه السـلام: «نفـاضة كنفاضة العكم». انتهى. والمراد بها ما يبقى في العدل بعد التخلية من غبار أو بقيّة زاد لا يعبأ بها فتنفض.

وعركه ـ كنصره ـ: دلكه وحكّه. والأديم: الجلد أو المدبوغ منه. وداس الـرجل الحنطة: دقّها ليخرج الحبّ من السنبل. والحصيد: الزرع المقطوع. واستخلصـه لنفسه: أي استخصّه. والغرض تخصيص المؤمن بالقتل والأذى. والبطينة: السمينة. والهزيل ضدّ السمين.

قولـه عليه السـلام: «أين تذهب بكم»: البـاء في الموضعين للتعدية. والمذاهب: الطرق والعقائد وإسناد الإذهاب إليها على التجوّز للمبالغة.

وتـاه يتيه تيهاً ـ بالفتح والكسر ـ: أي تحيّر وضلّ. والغيهب: الظلمة والشديد السواد من الليل. والكواذب: الأماني الباطلة والأوهام الفاسدة.

قوله [عليه السّلام:] «ومن أين تؤتون» على بناء المجهول: أي من أيّ جهـة وطـريق يأتيكم من يضلّكم من الشياطـين أو تلك الأمـراض! «وأنّى تؤفكون»: أي أنّى تصرفون عن قصد السبيل! وأين تذهبون!.

قولـه عليه السّلام: «فلكلّ أجل كتاب»: أي لكلّ أمد ووقت حكم مكتوب على العباد. والإياب ـ بالكسر ـ: الرجوع.

قيل: هذا الكلام منقطع عمّا قبله. وقيل: تهديد بالإشارة إلى قرب الموت، وأنّهم بمعرض أن يأخذهم على غفلتهم.

والرّبّاني: منسوب إلى الربّ، وفسر بالمتألّه العارف بالله، أو الذي يطلب بعلمه وجه الله، أو العالم المعلّم، والمراد: نفسه عليه السلام. وإحضار القلب: الإقبال التامّ إلى كلامه ومواعظه.

قولـه عليه السـلام: «إن هتف بكم» بكسر الهمزة وفي بعض النسخ

بالفتح: أي لهتافه بكم وهو الصيّاح.

والرائد: الذي يتقدّم القوم يبصر لهم الكلاء ومساقط الغيث، وفي المثل: «لايكذب الرّائد أهله». ولعلّ المراد بالرائد: نفسه عليه السلام: أي وظيفتي وشأني الصدق فيما أخبركم به ممّا تردون عليه من الأمور المستقبلة في الدنيا والآخرة، كما أنّ وظيفتكم الإستماع وإحضار القلب.

والشّمل ما تشتّت من الأمر والمراد به الأفكار والعزائم: أي يجب علي التوجّه إلى نصحكم وتذكيركم بقلب فارغ عن الوساوس والشواغل، وإقبال تامّ على هدايتكم.

ويحتمل أن يراد بالشّمل من تفرّق من القوم في فيافي الضلالة.

والفاعل في [قوله] «فلق» هو الرائد.

وقيل: المراد بالرائد: الفكر؛ لكونه مبعوثاً من قبل النفس في طلب مرعاها وماء حياتها من العلوم وسائر الكمالات، فكنّى به عنه وأهله هو النفس، فكأنّه عليه السلام قال: فلتصدق أفكاركم ومتخيّلاتكم نفوسكم، وصدقها إيّاها تصرفها على حسب إشارة العقل بلا مشاركة الهوى.

أو المراد بالرائد: اشخاص من حضر عنده، فإنّ كلاً منهم له أهل وقبيلة يرجع إليهم، فأمرهم أن يصدقهم بتبليغ ما سمع على الوجه الذي ينبغي والنصيحة والدعوة إليه.

وقوله [عليه السّلام:] «وليجمع شمله»: أي ما تفرّق وتشعّب من خواطره في أمور الدنيا ومهماتها. «وليحضر ذهنه»: أي يوجّهه إلى ما أقول. انتهى.

والفلق: الشقّ. والخرزة ـ بالتحريك ـ: الجوهر. «وقرفه قرف الصمغة»: أي قشره كما تقشر الصمغة من عود الشجرة وتقلع؛ لأنّها إذا قلعت لم يبق لها

أثـر، وهذا مثل، والمعنى أوضح لكم أمر الفتن أو طريق الحقّ إيضاحاً تامّاً، فأظهر لكم باطن الأمر كما يرى باطن الخرزة بعد شقّها، ولا أدّخر عنكم شيئاً بل ألقي الأمر بكلّيته إليكم.

قوله عليه السّلام: «فعند ذلك» قيل: هو متّصل بقوله: «من بين هزيل الحبّ»، فيكون التشويش من السيّد رضي اللّه عنه. ويمكن أن يكون إشارة إلى كلام آخر سقط من البين.

[قـولـه عليه السلام:] «وأخذ الشيء مآخذه»: أي تمكّن وأستحكم. والـطاغية مصـدر بمعنى الطغيان أو صفة محذوف: أي الفئة الطاغية. وكذا الداعية تحتمل الوجهين. وفي بعض النسخ «الرّاعية» بالراء المهملة.

والفنيق: الفحل من الإبل «وهدر» ردّد صوته في حنجرته في غير شقشقة. والكظوم: الامساك والسكوت.

وكون الولد غيظاً لكثرة العقوق أو لاشتغال كلّ آمرءٍ بنفسه، فيتمنّى أن لا يكون له ولد.

والمطر قيضاً. بالضاد المعجمة: أي كثيراً. قيل: إنّه من علامات تلك الشرور أو من أشراط الساعة. وقيل: إنّه أيضاً من الشرور إذا جاوز الحدّ.

وفي بعض النسخ بالظاء المعجمة: وهو صميم الصيف وهو المطابق لما في النهاية، قال: ومنـه حديث أشـراط الساعة: «أن يكون الولد غيضاً والمطر قيضاً»؛ لأنّ المطر إنّما يراد للنبات وبرد الهواء، والقيظ ضدّ ذلك انتهى. وحينئذ يحتمل أن يكون المراد تبدّل المطر بشدّة الحرّ وقلّة المطر، أو كثرته في الصيف دون الربيع والشتاء.

أو المراد أنّه يصير سبباً لاشتداد الحرّ لكثرته في الصيف، إذ تثور به الأبخرة ويفسد الهواء، أو يصير على خلاف العادة سبباً لشدّة الحرّ.

«وتفيض اللئام»: أي تكثر. و «تغيض الكرام»: أي تقلّ.

[قوله عليه السلام:] «وأهل ذلك الزمان»: أي أكابرهم. «أكّالاً» بالضمّ والتشديد: جمع آكل.

وقال بعض الشارحين: روي «أكالاً» بفتح الهمزة وتخفيف الكاف يقال: ماذقت أكالاً: أي طعاماً. وقال: لم ينقل هذا إلاّ في النفي، فالأجود الرواية الأخرى وهي «آكالاً» بمدّ الهمزة على أفعال جمع أكل وهو ما أكل. وقد روي «اكالاً» بضمّ الهمزة على فعال. وقالوا: إنّه جمع آكل للمأكول كعرق وعراق، إلاّ أنّه شاذّ: أي صار أوساط الناس طعمة للولاة وأصحاب السلاطين كالفريسة للأسد.

وغار الماء: ذهب في الأرض. وفاض : أي كثر حتّى سال. وفي بعض النسخ «وفار الكذب».

قوله عليه السلام: «وصار الفسوق نسباً»: أي يحصل أنسابهم من الزنا. وقيل: أي يصير الفاسق صديقاً للفاسق حتّى يكون ذلك كالنسب بينهم.

وأمّا لبسهم الإسلام لبس الفرو فالظاهر أنّ المراد به: تبديل شرائع الإسلام وقلب أحكامه، أو إظهار النيّات الحسنة والأفعال الحسنة وإبطان خلافها.

وقيل: وجه القلب، أنّه لّما كان الغرض الأصلي من الإسلام أن يكون باطناً ينتفع به القلب ويظهر به منفعة، فقلّب المنافقون غرضه واستعملوه بظاهر السنتهم دون قلوبهم، فأشبه قلبهم له لبس الفرو، إذ كان أصله أن يكون حمله ظاهراً لمنفعة الحيوان الذي هو لباسه، فاستعمله الناس مقلوباً.

١٠٠٠ـ نهـــج: [و] خطبة له عليه السلام:

١٠٠٠ـ رواه الشريف الرضيّ رفع الله مقامه في المختار: (١٧٢) من كتاب نهج البلاغة.

أمين وحيه وخاتم رسله وبشير رحمته ونذير نقمته.

أيّها الناس ! إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعملهم بأمر اللّه فيه.[١] فإن شغب شاغب أستعتب، فإن أبى قوتل. ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتّى تحضرها عامّة الناس ما إلى ذلك سبيل، ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها ثمّ ليس للشاهد أن يرجع ولا للغائب أن يختار.

ألاّ وإنّي أقاتل رجلين: رجلاً آدّعى ما ليس له، وآخر منع الذي عليه.

أوصيكم بتقوى اللّه، فإنّه خير ما تواصى العباد به وخير عواقب الأمور عند اللّه، وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة، ولا يحمل هذا العلم إلاّ أهل البصر والصبر والعلم بمواقع الحق، فامضوا لما تؤمرون به وقفوا لما تنهون عنه، ولا تعجلوا في أمر حتّى تبيّنوا فإنّ لنا مع كلّ أمر تنكرونه غيراً.

ألا وإنّ هذه الدّنيا التي أصبحتم تتمنّونها وترغبون فيها وأصبحت تغضبكم وترضيكم، ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له ولا الذي دعيتم إليه.

ألا وإنها ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها، وهي وإن غرّتكم منها فقد حذرتكم شرّها، فدعوا غرورها لتحذيرها، وأطماعها لتخويفها، وسابقوا فيها إلى الدّار التّي دعيتم إليها، وآنصرفوا بقلوبكم عنها، ولا يخنّنّ أحدكم خنين الأمة على ما زوي عنه منها، واستتمّوا نعمة اللّه عليكم بالصبّر على طاعة ٱللّه، والمحافظة على ما آستحفظكم من كتابه.

ألا وإنّه لا يضرّكم تضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم.

---

(١) كذا في متن طبع الكمباني من البحار، وذكر في هامشه نقلاً عن نسخة من نهج البلاغة: «وأعلمهم» ومثل ما في الهامش في شرح ابن أبي الحديد، ولكن المستفاد من شرح ابن ميثم رحمه اللّه أنّه كان في نسخته من نهج البلاغة: «وأعملهم» بتقديم الميم على اللام.

ألا وإنّـه لا ينفعكم بعـد تضييع دينكم شيء حافظتم عليه من أمر دنياكم، أخذ اللّه بقلوبنا وقلوبكم إلى الحقّ وألهمنا وإيّاكم الصبر.

إيضـــاح:

قولـه عليه السّـلام: «بهـذا الأمر»: أي الخلافة. «أقواهم عليه»: أي أحسنهم سياسةً وأشجعهم، و [هذا] يدلّ على عدم جواز إمامة المفضول لا سيّما مع قولـه عليه السلام: «فان شغب... إلى آخره». والشغب بالتسكين: تهييج الشر. والمراد بالاستعتاب: طلب الرجوع بالمراسلة والكلام ونحوهما.

قولـه عليه السـلام: «لئن كانت الإمامة» قال ابن أبي الحديد: هذا تصريح بصحّة مذهب أصحابنا في أنّ الإختيار طريق إلى الإمامة، ويبطل قول الإمامية من دعوى النّصّ، وأنّه لا طريق إلى الإمامة سوى النصّ. انتهى.

[أقـول:] وفيه نظر، أمّا أوّلاً: فلأنّه [عليه السلام] إنّما احتجّ عليهم بالإجماع، إلزاماً لهم لاتّفاقهم على العمل به في خلافة أبي بكر وأخويه، وعدم تمسكه عليه السّلام بالنّصّ لعلمه عليه السلام بعدم التفاتهم إليه. كيف وقد أعرضوا عنـه في أول الأمـر مع قرب العهـد بالـرسـول صلّى اللّه عليه وآله وسماعهم عنه. وأمّا ثانياً: فلأنّه عليه السلام لم يتعرض للنصّ نفياً وإثباتاً، فكيف يكون مبطلاً لما ادّعاه الإمامية من النصّ؟! والعجب أنّه جعل هذا تصريحاً بكون الإختيار طريقاً إلى الإمامة! ونفىٰ الدّلالة في قوله عليه السلام: «إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر...» على نفي إمامة المفضول مع قوله عليه السلام: «فإن أبى قوتل». مع أنّـه لم يصرّح بأنّ الإمامة تنعقد بالإختيار، بل قال: إنّها لا تتوقّف على حضور عامّة الناس، ولا ريب في ذلك؛ نعم يدلّ بالمفهوم عليه وهذا تقيّة منه عليه السلام.

ولا يخفى على من تتبّع سيره عليه السلام أنّه لم يمكنه إنكار خلافتهم والقدح فيها صريحاً في المجامع، فلذا عبّر بكلام موهم لذلك.

قوله عليه السلام: «وأهلها يحكمون»: وإن كان موهماً له أيضاً، لكن

يمكن أن يكون المراد بالأهل الأحقّاء بالإمامة.

ولا يخفى على المتأمّل أنّ ما مهد عليه السلام أوّلاً بقوله: «إنّ أحقّ الناس أقواهم» يشعر بأنّ عدم صحّة رجوع الشاهد وآختيار الغائب، إنّما هو في صورة الإتّفاق على الأحقّ دون غيره، فتأمّل.

قوله عليه السّلام: «رجلاً آدّعى»: كمن آدعى الخلافة. «وآخر منع»: كمن لا يطيع الإمام أو يمنع حقوق اللّه.

«وخير عواقب الأمور»: عاقبة كلّ شيء آخره. والتقوى خير ما ختم به العمل في الدنيا أو عاقبتها خير العواقب.

وقوله عليه السّلام: «هذا العلم» بكسر العين أو بالتحريك كما في بعض النسخ، فعلى الأوّل:

المعنى أنّه لا يعلم وجوب قتال أهل القبلة وموقعه وشرائطه.

وعلى الثّاني: إشارة إلى حرب أهل القبلة والقيام به. ويحتمل على بعد أن يراد به الإمامة المشار إليها بقوله: «أحقّ النّاس بهذا الأمر» فيكون إشارة إلى بطلان خلافة غير أهل البصر والصبر والعلم بمواقع الحقّ.

قال آبن أبي الحديد: وذلك لأنّ المسلمين عظم عندهم حرب أهل القبلة وأكبروه، ومن أقدم منهم عليه أقدم مع خوف وحذر. قال الشّافعي: لولا علي عليه السلام لما علم شيء من أحكام أهل البغي.

قوله عليه السّلام: «فإنّ لنا» قال آبن ميثم: أي إنّ لنا مع كلّ أمر تنكرونه تغييراً: أي قوّةً على التغيير، إن لم يكن في ذلك الأمر مصلحة في نفس الأمر، فلا تتسرّعوا إلى إنكار أمر نفعله حتّى تسألوا عن فائدته، فإنّه يمكن أن يكون إنكاركم لعدم علمكم بوجهه.

[و] قال آبن أبي الحديد: أي لست كعثمان أصبر على آرتكاب ما أنهى

عنه، بل أغيّر كلّما ينكره المسلمون ويقتضي الحال والشرع تغييره. انتهى.

ويمكن أن يكون المعنى أنّ لنا مع كلّ أمر تنكرونه تغييراً: أي ما يغيّر إنكاركم ويمنعكم عنه من البراهين الساطعة أو الأعمّ منها، ومن السيوف القاطعة إن لم تنفعكم البراهين.

وفي ذكر إغضاب الدنيا توبيخ لأهلها بالرغبة في شيء لا يراعي حقّهم كما قال عليه السلام: «رغبتك في زاهد فيك ذلّ نفس». وغرور الدنيا بتزيين الزخارف لأهلها وإغفالهم عن الفناء وتحذيرها بما أراهم من الفناء وفراق الأحبّة ونحو ذلك. والدار التي دعوا إليها هي الجنّة.

قوله عليه السلام: «ولا يخنّن أحدكم»: الخنين بالخاء المعجمة: ضرب من البكاء دون الإنتحاب. وأصله خروج الصوت من الأنف كالحنين من الفم. ويروى بالمهملة أيضاً، وإضافته إلى الأمة؛ لأنّ الإماء كثيراً ما يبكين ويسمع الحنين منهنّ، والحرّة تأنف من البكاء والحنين.

وزواه عنه: صرفه وقبضه. وفي بعض النسخ: «ما زوي عنه»: أي عن أحدكم ولعلّه أظهر. والصبر على الطاعة: حبس النفس عليها كقوله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربّهم﴾ [٢٨/ الكهف: ١٨]، أو عدم الجزع من شدّتها أو من البلايا إطاعة للّه، وعلى أيّ حال هو من الشكر الموجب للمزيد فيه بطلب تمام النعمة. و«من» في قوله: «من كتابه» بيان لـ «ما».

والقائمة: واحدة قوائم الدواب. وقائمة السيف: مقبضه. ولعلّ المراد بقائمة الدّين أصوله وما يقرب منها، ويحتمل أن تكون الإضافة بيانيّة، فإنّ الدين بمنزلة القائمة لأمور الدنيا والآخرة.

١٠٠١ـ نهج: [و] من خطبة له عليه السّلام:

١٠٠١ـ رواه السيّد الرضيّ رفع اللّه مقامه في المختار: (٨٧) من كتاب نهج البلاغة.

أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الأمم، واعتزام من الفتن، وانتشار من الأمور وتلظّ من الحروب، [و] الدّنيا كاسفة النّور، ظاهرة الغرور، على حين اصفرار من ورقها، وإياس من ثمرها، واغورار من مائها، قد درست أعلام الهدى، و ظهرت أعلام الرّدى، فهي متجهّمة لأهلها، عابسة في وجه طالبها، ثمرها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيّف.

فاعتبروا عباد اللّه! واذكروا تيك التّي آباؤكم وإخوانكم بها مرتهنون وعليها محاسبون، ولعمري ما تقادمت بكم ولا بهم العهود، ولا خلت فيا بينكم وبينهم الأحقاب والقرون، وما أنتم اليوم من يوم كنتم في أصلابهم ببعيد. واللّه ما أسمعكم الرّسول صلّى اللّه عليه وآله شيئاً إلاّ وها أناذا اليوم مسمعكموه، وما أسماعكم اليوم بدون أسماعكم بالأمس، ولا شقّت لهم الأبصار وجعلت لهم الأفئدة في ذلك الأوان إلاّ وقد أعطيتم مثلها في هذا الزّمان.

وواللّه ما بصّرتم بعدهم شيئاً جهلوه، ولا أصفيتم به وحرموه، ولقد نزلت بكم البليّة جائلاً خطامها، رخواً بطانها، فلا يغرنّكم ما أصبح فيه أهل الغرور، فإنّما هو ظلّ ممدود إلى أجل معدود.

بيـــان :

«فـترة [من الـرسل»: الفترة] بين الرسل: انقطاع الوحي والرسالة. والهجعة: النومة من الليل أو من أوّله. والمراد نوم غفلة الأمم. والاعتزام: العزم، كأن الفتنـة مصمّـمـة للفساد والهرج. والإعتزام أيضاً: لزوم القصد في المشي، فالمعنى أنّها مقتصدة في مشيها لاطمئنانها وأمنها.

ويروى [«واعترام من الفتن»] بالراء المهملة: أي كثرة [من الفتن.]. ويروى «[و] اعتراض» من اعترض الفرس في الطريق: إذا مشى عرضاً.

والتّلظّي: التلهّب. وفي إضافة الكسف إلى النور توسّع. وغار الماء: ذهب وكذا اغوراره: ذهابه في الأرض. والتجهّم: العبوس.

وطعامها الجيفة: أي الحرام؛ لأنّهم كانوا يأخذونه بالنهب والغارات. أو الميتة؛ لأنّهم لم يكونوا يذبحون الحيوانات، ولّما كان الخوف باطناً شبّهه بالشعار والسيف ظاهراً شبّهه بالدثار. و «تيك»: إشارة إلى الدنيا أو أعمالهم القبيحة و «الأحقاب»: جمع حقب بضمّتين وهو الدهر.

«ووالله ما بصّرتم»: لّما بيّن عليه السلام أوّلاً أنّه لم تكن الهداية للسابقين أكمل من جهة الفاعل ولا القابل فقطع عذر الحاضرين من هذه، وكان مظنّة أن يدّعي مدّع منهم العلم بأمر يقتضي العدول عن المتابعة لم يعلم به آباؤهم، دفع عليه السلام ذلك التوهّم بهذا الكلام.

والصفيّ: ما يصفه الرئيس من المغنم لنفسه قبل القسمة. ولعلّ المراد بالبليّة فتنة معاوية.

وقوله عليه السلام: «جائلاً خطامها»: كناية عن خطرها وصعوبة حالها [بالنسبة إلى] من ركن إليها وركبها، أو عن كونها مالكة لأمرها، فإنّ البعير إذا لم يكن له من يقوده يجول خطامه والخطام: الزمام. والبطان: الحزام التي تجعل تحت بطن البعير، رخاوتها مستلزمة لصعوبة ركوبها.

وتشبيه الدنيا وزخارفها بالظلّ لعدم تأصّله في الوجود ولكونه زائلاً بسرعة.

والأجل: مدّة العمر، ووصفها بالمعدود باعتبار أجزائه وكونه منتهى غاية المدّ على تقدير مضاف: أي ممدود إلى انقضاء أجل معدود.

ويحتمل أن يكون المراد بالأجل غاية العمر، ووصفه بالمعدود على المجاز.

١٠٠٢ـ يـف: محمد بن محمد النيسابوري، بإسناد متّصل إلى جعفر بن محمـد الصادق عليه السلام عن أبيه عن جدّه عليه السلام: أنّ علياً كان في

١٠٠٢ـ رواه السّيّد ابن طاووس رفع الله مقامه في الحديث ١٢٧ مـن كتاب الطرائف ص ١٩.

حلقة من رجال قريش ينشدون الأشعار ويتفاخرون حتّى بلغوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: قل يا أمير المؤمنين فقد قال أصحابك. فقال أمير المؤمنين عليه السّلام:

اللّه وفّقنا لنصر محمد ... وبنا أقام دعائم الإسلام
وبنا أعزّ نبيّه وكتابه ... وأعزّنا بالنصر والإقدام
في كلّ معركة تطير سيوفنا ... فيها الجماجم عن فراش الهام
ينتابنا جبريل في أبياتنا ... بفرائض الإسلام والأحكام
فنكون أوّل مستحلّ حلّه ... ومحرّم للّه كلّ حرام
نحن الخيار من البريّة كلّها ... وإمامها وإمام كلّ إمام
الخائضون غمار كلّ كريهة ... والضامنون حوادث الأيّام
إنّا لنمنع من أردنا منعه ... ونجود بالمعروف والإنعام

فقالوا: يا أبا الحسن ما تركت لنا شيئاً نقوله[1].

بيان:

الأبيات موجودة في الديوان وزاد بعد السابع:

والمبرمون قوى الامور بعزّةٍ ... والناقضون مرائر الإبرام

و[زاد] بعد الأخير:

وتردّ عادية الخميس سيوفنا ... ونقيم رأس الأصيد القمقام

والدعامة ـ بالكسر ـ: عماد البيت. وفراش الرأس: عظام دقاق تلي القحف. وفي الديوان: «فراخ الهام». وقال [الجوهري] في [كتاب] الصحاح، وقول الفرزدق:

ويوم جعلنا البيض فيه لعامر ... مُصَمَّمَةً تفأ فراخ الجماجم

يعني به الدماغ. [و بدل] قوله عليه السّلام: «ينتابُنا» [ورد] في الديوان:

---

(١) هذا هو الظاهر، وفي أصلي من البحار «ما تركت شيئاً إلّا تقوله».

«يزورنا». [و بدل] قوله عليه السّلام : «وإمامها» [ورد] في الديوان:«ونظامها وزمام كلّ زمام»] [وبدل قوله: «الخائضون غمار..» ورد في الديوان:] «الخائضو غمرات كل كريهة».

والقوى: جمع القوة وهي الطاقة من الحبل. والمرير من الحبال: ما لطف وطال واشتدّ فتله، والجمع: المرائر. والعادية: الظلم والشرّ. وفي بعض النسخ: [الغادية] بالمعجمة وهي سحابة تنشأ سحاباً. والأصيد: الملك. والقمقام: السيّد.

١٠٠٣ـ ختـص : أحمد بن محمد بن عيسى عن عمر بن عبدالعزيز عن غير واحـد [من أصحابنا] منهم بكار بن كردم وعيسى بن سليمان عن أبي عبدالله عليه السلام قالوا سمعناه يقول: جاءت امرأة متنقّبة وأمير المؤمنين عليه السلام على المنبر، وقد قتل أخاها وأباها فقالت: هذا قاتل الأحبّة. فنظر إليها أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا سلفع يا جرية يا بذيّة يا متكبّرة، يا التي لا تحيض كما تحيض النساء، يا التي على هنها شيء بيّن مدلى.

فمضت [المرأة] وتبعها عمرو بن حُرَيث ـ وكان عثمانيا ـ فقال: يا أيّتها المرأة إنّا لا نزال يسمعنا [عليّ] العجائب، ما ندري حقّها من باطلها، وهذه داري فادخلي فإنّ لي أمّهات أولاد حتّى ينظرن حقّاً ما قال أم باطلاً؟ وأهب لك شيئاً. فدخلت [المرأة بيت عمرو] فأمر أمّهات أولاده فنظرن إليها، فإذا شيء على ركبها مدلّى فقالت: يا ويلها أطّلع منها علي بن أبي طالب على شيء لم تطلع [عليه] إلاّ أمّي أو قابلتي. قال: ووهب لها عمرو بن حريث شيئاً.

بيـــان :

إنّما قالت المرأة: «يا ويلتي أطّلع منّي» فغيّره [الصادق] عليه السلام ذلك لئلا ينسب إلى نفسه الويل وما يستهجن، وقد مرّ مثله مراراً وسيأتي الخبر في

١٠٠٣ـ ١٠٠٤ـ رواهما الشيخ المفيد قبيل وصايا لقمان إلى ولده في أواخر كتاب الاختصاص ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ط النجف. وروى نحوهما فرات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره بسندين.

إخباره عليه السلام بالغائبات.

١٠٠٤ـ **ختــص** : اليقطيني وإبراهيم بن إسحاق عن عبدالله بن حمّاد عن الحارث بن حصيرة عن ابن نباتة قال: كنّا وقوفاً على أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة وهو يعطي العطاء في المسجد، إذ جاءت امرأة فقالت: يا أمير المؤمنين أعطيت العطاء جميع الأحياء ما خلا هذا الحيّ من مراد لم تعطهم شيئاً فقال [لها]: اسكتي يا جريئة يا بذيئة يا سلفع يا سلقلق يا من لا تحيض كما تحيض النساء!

قال: فولّت فخرجت من المسجد فتبعها عمرو بن حُرَيث فقال لها: أيّتها المرأة قد قال علي فيك ما قال أفصدق عليك؟ فقالت: والله ما كذب وإنّ كل ما رماني به لفيّ؛ وما اطلع علي أحد إلاّ الله الذي خلقني وأمّي التي ولدتني.

فرجع عمرو بن حُرَيث فقال: يا أمير المؤمنين تبعت المرأة فسألتها عمّا رميتها به في بدنها، فأقرّت بذلك كلّه، فمن أين علمت ذلك؟ فقال [عليه السلام]: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله علّمني ألف باب من الحلال والحرام، يفتح [من] كلّ باب ألف باب، حتّى علمت المنايا والوصايا وفصل الخطاب وحتّى علمت المذكّرات من النساء، والمؤنّثين من الرجال.

١٠٠٥ـ **ختــص** : عباد بن سليمان عن محمدبن سليمان عن أبيه عن هارون بن الجهم عن ابن طريف عن أبي جعفر عليه السلام قال:

بينا أمير المؤمنين عليه السلام يوماً جالساً في المسجد وأصحابه حوله، فأتاه رجل من شيعته فقال له: يا أمير المؤمنين إنّ الله يعلم أنّي أدينه بولايتك وأحبّك في السرّ كما أحبّك في العلانية، وأتولاّك في السّر كما أتولاك في العلانية.

١٠٠٥ـ رواه الشيخ المفيد قدّس الله نفسه ـ مع حديثين آخرين في معناه ـ قبيل وصايا لقمان في أواخر كتاب الاختصاص ص ٣٠٧ ط النجف.

فقال له أمير المؤمنين [عليه السلام]: صدقت، أما للفقر فاتّخذ جلباباً، فإنّ الفقر أسرع إلى شيعتنا من السيل إلى قرار الوادي!

قال: فولّى الرجل وهو يبكي فرحاً لقول أمير المؤمنين [عليه السلام له]: «صدقت» قال: وكان هناك رجل من الخوارج وصاحب له قريباً من أمير المؤمنين، فقال أحدهما: اللّه إن رأيت كاليوم قطّ، انّه أتاه رجل فقال له: إنّي أحبّك فقال له: صدقت. فقال له الآخر: ما أنكرت من ذلك! أيجد بُدّاً من أن إذا قيل [له]: «إنّي أحبّك» أن يقول: صدقت؟ أتعلم أنّي أحبّه! فقال: لا. قال: فانا أقوم فأقول له مثل ما قال له الرجل فيردّ عليّ مثل ما ردّ عليه. قال: نعم. فقام الرجل فقال له مثل مقالة الرجل الأوّل، فنظر [أمير المؤمنين] إليه مليّاًثم قال: كذبت لا واللّه ما تحبّني ولا أحببتني [يوماً][1].

قال: فبكى الخارجي ثم قال يا أمير المؤمنين تستقبلني بهذا وقد علم اللّه خلافه! أبسط يدك أبايعك. فقال عليّ: على ماذا؟ قال: على ما عمل به أبو بكر وعمر. قال: فمدّ يده فقال له: اصفق لعن اللّه الاثنين واللّه لكأنّي بك قد قتلت على ضلال ووطئ وجهك دوابّ العراق ولا يعرفك قومك. قال: فلم يلبث أن خرج عليه أهل النهروان وخرج الرجل معهم فقتل.

١٠٠٦ـ كتاب سليم بن قيس، عن أبان عنه أنّه قال: صعد أمير المؤمنين عليه السلام المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه وقال:

---

(١) وفي الاختصاص : ولا أحبّك.

١٠٠٦ـ الحديث موجود في كتاب سليم بن قيس ص ١٣٨.

وقد رواه باختصار جماعة، منهم السيّد الرضيّ رحمه اللّه في المختار: (٩١) من نهج البلاغة، ورواه قبله اليعقوبي في ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخه: ج٢ ص ١٦٨، ط النجف، ورويناه عن مصادر في المختار: (٢٧٦) من كتاب نهج السعادة: ج٢ ص ٤٣٧ ط١، وتقدم ها هنا في الحديث: (٦٠) بسند آخر عن الثقفي في أوّل ص ٦٠٦ من ط الكمباني.

أيّها الناس أنا الذي فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجترئ عليها غيري.

وأيم اللّه لو لم أكن فيكم لما قوتل أهل الجمل، ولا أهل صفّين، ولا أهل النهروان.

وأيم اللّه لولا أن تتّكلوا وتدعوا العمل، لحدّثتكم بما قضى اللّه على لسان نبيّه [محمّد] صلّى اللّه عليه وآله لمن قاتلهم مستبصراً في ضلالتهم، عارفاً بالهدى الذي نحن عليه.

ثمّ قال: سلوني عمّا شئتم قبل أن تفقدوني، فواللّه إنّي بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض.

أنا يعسوب المؤمنين، وأوّل السابقين، وإمام المتّقين، وخاتم الوصيّين، ووارث النبيين وخليفة ربّ العالمين.

أنا ديّان الناس يوم القيامة، وقسيم اللّه بين أهل الجنّة والنار.

وأنا الصدّيق الأكبر، والفاروق الذي أفرّق بين الحقّ والباطل، وإنّ عندي علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب، وما من آية نزلت إلّا وقد علمت فيما نزلت وعلى من نزلت.

أيّها الناس! إنّه وشيك أن تفقدوني، إنّي مفارقكم، وإنّي ميّت أو مقتول، ما ينتظر أشقاها أن يخضبها من فوقها؟!

وفي رواية أخرى: ما ينتظر أشقاها أن يخضب هذه من دم هذا؟! ـ يعني لحيته من دم رأسه ـ.

والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ـ وفي نسخة أخرى: والذي نفسي بيده ـ لا تسألوني عن فئة تبلغ ثلاث مائة فما فوقها مما بينكم وبين قيام الساعة، إلّا أنبأتكم بسائقها وقائدها وناعقها، وبخراب العرصات، متى تخرب، ومتى تعمر بعد خرابها إلى يوم القيامة.

فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن البلايا.

فقال [عليه السلام]: إذا سأل سائل فليعقل، وإذا سُئل [مسئول] فليتثبّت[1]، إنّ من ورائكم أموراً ملتجّة مجلجلة، وبلاءاً مكلحاً مبلحاً.

والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، لو قد فقدتموني ونزلت عزائم الأمور وحقائق البلاء، لقد أطرق كثير من السائلين، واشتغل كثير من المسئولين ـ وفي نسخة أخرى: وفشل كثير من المسئولين ـ وذلك إذا ظهرت حربكم ونصلت عن ناب، وقامت على ساق، وصارت الدنيا بلاءاً عليكم حتّى يفتح ٱللّه لبقيّة الأبرار.

فقال رجل: يا أمير المؤمنين حدّثنا عن الفتن.

فقال [عليه السلام]: إنّ الفتن إذا أقبلت شبّهت ـ وفي رواية آخرى: ٱشتبهت ـ وإذا أدبرت أسفرت. وإنّ الفتن لها موج كموج البحر، وإعصار كإعصار الريح، تصيب بلداً وتخطىء الآخر.

فانظروا أقواماً كانوا أصحاب رايات يوم بدر، فانصروهم تنصروا وتوجروا وتعذروا.

ألا [و] إنّ أخوف الفتن عليكم عندي فتنة بني أميّة، [فـ] إنّها فتنة عمياء وصمّاء، مطبقة مظلمة عمّت فتنتها وخصّت بليّتها، أصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها، أهل باطلها ظاهرون على [أهل] حقّها، يملؤن الأرض بدعاً وظلماً وجوراً وأوّل من يضع جبروتها ويكسر عمودها. وينزع أوتادها، اللّه ربّ العالمين وقاصم الجبّارين.

ألا [و] إنّكم ستجدون بني أميّة أرباب سوء بعدي، كالناب الضروس

---

(١) هذا هو الظاهر الموافق لما رويناه في المختار: (٢٧٦) من نهج السعادة، وما بين المعقوفين أيضاً مأخوذ منه، وفي أصلي من طبع الكمباني من البحار: «وإذا سأل فليلبث...».

تعضّ بفيها، وتخبط بيديها، وتضرب برجليها، وتمنع درّها.

وأيم اللّه لا تزال فتنتهم حتّى لا يكون نصرةأحدكم لنفسه إلّا كنصرة العبد لنفسه من سيّده، إذا غاب سبّه، وإذا حضر أطاعه.

وفي رواية أخرى: يسبّه في نفسه. وفي رواية: وأيم اللّه لو شردوكم تحت كلّ كوكب لجمعكم اللّه لشرّ يوم لهم.

فقال الرجل: فهل من جماعة يا أمير المؤمنين بعد ذلك!

قال: إنّها ستكونون جماعة شتّى، عطاؤكم وحجّكم وأسفاركم [واحدة] والقلوب مختلفة[1].

قال واحد [منهم]: كيف تختلف القلوب؟ قال: هكذا ـ وشبّك بين أصابعه ـ ثمّ قال: يقتل هذا هذا، وهذا هذا، هرجاً هرجاًويبقى طغاماً، جاهليّة[2] ليس فيها منار هدىً، ولا علم يرى، نحن أهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة.

قال [الرجل]: فما أصنع في ذلك الزمان يا أمير المؤمنين؟ قال: أنصروا أهل بيت نبيكم، فإن لبدوا فالبدوا وإن آستنصروكم فانصروهم تنصروا

---

(١) كذا في أصلي المطبوع غير أنّا وضعناه بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق.

وفي رواية الثقفي المتقدّمة تحت الرقم (٦٠٠) ص ٦٠٦ ط الكمباني: «ألا إنّ من بعدي جماع شتّى، إلّا أنّ قبلتكم واحدة وحجّكم واحد وعمرتكم واحدة والقلوب مختلفة...».

وفي المختار (٢٧٦) من نهج السعادة: ج٢ ص ٤٤٤: «قال: لا جماعة شتّى غير أنّ أعطياتكم وحجّكم وأسفاركم واحد والقلوب مختلفة...».

(٢) كذا في أصلي، وفي الرواية المتقدمة عن الثقفي: «يقتل هذا هذا، يقتل هذا هذا قطعاً، جاهلية ليس فيها هدىً ولا عَلَم يرى...».

وفي المختار (٩٢) من نهج البلاغة: ترد عليكم فتنتهم شوهاء مَخْشيّةً وقطعاً جاهليّةً ليس فيها منارُ هدى ولا عَلَمٌ يُرى...».

وتُعـذروا، فإنّهم لن يخرجوكم من هدى ولن يدعوكم إلى رَدى، ولا تسبقوهم بالتقدّم فيصرعكم البلاء وتشمت بكم الأعداء.

قال [الرجل]: فما يكون بعد ذلك يا أمير المؤمنين؟

قال: يفرّج اللّه البلاء برجل من أهل بيتي كانفراج الأديم من بيته، ثمّ يرفعون إلى من يسومهم خسفاً ويسقيهم بكأس مصبّرة، لا يعطيهم ولا يقبل منهم إلّا السيف هرجاً هرجاً، يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر، حتّى تـودّ قريش بالدنيا وما فيها أن يروني في مقام واحد، فأعطيهم وآخذ منهم بعض ما قد منعوني وأقبل عنهم بعض ما يردّ عليهم حتّى يقولوا: ما هذا من قريش، لو كان هذا من قريش ومن ولـد فاطمة لرحمنا. ويغريه اللّه ببني أميّة فجعلهم [اللّه] «ملعونين أينما ثقفوا أُخذوا وقُتلوا تقتيلاً سنّة اللّه في الذين خلوا من قبلُ ولن تجد لسنّة اللّه تبديلاً».

أمّـا بعد فإنّه لابدّ من رحىً تطحن ضلالةً، فإذا طحنت قامت على قطبها، ألا وإنّ لطحنها روقاً، وإنّ روقها حدّها وعلى اللّه فلّها[1]. ألا وإنّي وأبرار عترتي وأطائب أرومتي أحلم الناس صغاراً وأعلمهم كباراً، معنا راية الحقّ والهدى، من سبقها مرق، ومن خذلها محق ومن لزمها لحـق. وفـي رواية أخرى: ومن لزمها سبق ـ.

إنّا أهل بيت من علم اللّه علمنـا ومن حكم اللّه الصادق قيلنا، ومن قول الصادق سمعنا، فإنّ تتّبعونا تهتدوا ببصائرنا، وإن تتولّوا عنّا يعذّبكم اللّه بأيدينا أو بما شاء.

نحن أفق الإسلام بنا يلحق المبطيء وإلينا يرجع التائب.

---

(١) وقريباً منه رويناه مسنداً عن مصدر آخر في صدر المختار:(٨٠) من القسم الثاني من باب خطب نهج السعادة: ج٣ ص ٢٩٨.

والله لولا أن تستعجلوا ويتـأخـرّ الحقّ، لنبأتكم بما يكون في شباب العرب والموالي، فلا تسألوا أهل بيت نبيّكم محمد العلم قبل إبّانه، ولا تسألوهم المال على العسر فتبخّلوهم فإنّه ليس منهم البخل.

وكونوا أحلاس البيوت ولا تكونوا عُجُلًا بُذُراً، [و] كونوا من أهل الحقّ تعرفوا به وتتعارفوا عليه، فإنّ الله خلق الخلق بقدرته وجعل بينهم الفضائل بعلمه، وجعل منه عباداً آختارهم لنفسه ليحتجّ بهم على خلقه، فجعل علامة من أكـرم منهم طاعته، وعلامة من أهان منهم معصيته، وجعل ثواب أهل طاعته النضرة في وجهه في دار الأمن والخلد الذي لا يروع أهله، وجعل عقوبة معصيته ناراً تأجّج لغضبه، [و] ما ظلمهم الله تعالى ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

يا أيّها الناس ! إنّا أهل بيت بنا بيّن الله الكذب، وبنا يفرّج الله الزمان الكلب، وبنا ينزع الله ربق الذلّ من أعناقكم، وبنا يفتح الله وبنا يختم الله.

فاعتبروا بنا وبعدوّنا وبهدانا وبهداهم وبسيرتنا وسيرتهم ومنيّتنا ومنيّتهم، يموتون بالدال والقرح والدبيلة، ونموت بالبطن والقتل والشهادة وبما شاء الله.

ثمّ التفت إلى بنيه فقال: يا بَنيّ ليبرّ صغاركم كباركم، وليرحم كباركم صغـاركم، ولا تكونوا أمثال السفهاء الجفاة الجهّال الذي لا يعطون في الله اليقين، كقيض بيض في أداح[1]. ألا ويح للفراخ فراخ آل محمد من خلف مستخلف عتريف مترف، يقتل خلفي وخلف الخلف بعدي.

أما والله لقد علمت تبليغ الرسالات، وتنجيز العدات، وتمام الكلمات[2]،

---

(١) وقريباً مما هنا ـ من قوله: «يا بنيّ ليبرّ» إلى قوله: «وتمام الكلمات ـ رويناه مسنداً عن مصدرين آخرين في المختار: (٣٨٦) من نهج السعادة: ج٢ ص ٧٣٧.

(٢) ومثله حرفيّاً رواه السيّد الرضيّ رحمه الله في المختار: (١٦٤) من نهج البلاغة، وابن الأثير ذكره في مادّة «قيض» من كتاب النهاية.

وفُتحت لي الأسباب، وأجري لي السحاب، ونظرت في الملكوت، لم يعزب عنّي شيء فات ولم يفتني ما سبقني، ولم يشركني أحد فيما أشهدني ربّي، أقوم به يوم يقوم الأشهاد، وبي يتمّ اللّه موعده ويكمل كلماته.

وأنا النعمة التي أنعمها اللّه على خلقه، والإسلام الذي أرتضاه لنفسه، كلّ ذلك منّ اللّه به عليّ وأذلّ به منكبي.

وليس إمام إلاّ وهو عارف بأهل ولايته، وذلك قول اللّه جلّ وعزّ: ﴿إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد﴾ [٧/ الرعد: ١٣].

ثم نزل [عن المنبر] صلّى اللّه عليه وعلى آله الطاهرين الأخيار وسلّم تسليماً كثيراً.

١٠٠٧ـ **كتاب الغارات** لابراهيم بن محمد الثقفي: عن إسماعيل بن أبان عند عبدالغفّار بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن زرّ بن حُبيش قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يخطب.

قال إبراهيم: وأخبرني أحمد بن عمران بن محمد بن أبي ليلى عن أبيه عن ابن أبي ليلى عن المنهال عن زرّ بن حبيش، قال: خطب عليّ عليه السلام بالنهروان [...].

وساق الحديث نحو حديث سليم إلى قوله: ﴿ولن تجد لسنّة اللّه تبديلاً﴾.

بيـــان :

قوله [عليه السلام]: «أموراً ملتجّة» قال الجوهري: ألتجّت الأصوات:

ومن قوله: «الأداحيّ» إلى آخره ذكره ابن الأثير في مادة «دحا» من النهاية.

١٠٠ـ والحديث قد تقدّم حرفياً ـ إلى قوله: «ولن تَجِدَ لسنة اللّه تبديلًا» ـ تحت الرقم: (٦٠٠) في ص ٦٠٦ من ط الكمباني.

آختلطت. ولججت السفينة: خاضت اللجّة. والتجّ البحر التجاجاً [اضطرب وهاج وغمر].

وفي بعض النسخ: [«ملبّجـةً»] بالبـاء الموحّدة قال الجوهري: لبجت به الأرض: إذا جلدت به الأرض [وصرعته].

وقـال: الجلجل واحد الجلاجل، وصوته الجلجلة وصوت الرعد أيضاً. والمجلجـل: السحـاب الذي فيه صوت الرعد. وجلجلت الشيء إذا حرّكته بيدك. وتجلجل: أي ساخ فيها ودخل. وتجلجلت قواعد البيت: أي تضعضعت.

وقال الفيروزآبادي: كلح ـ كمنع ـ: تكشّر في عبوس كتكلّح وأكلح وأكلحته، ودهر كالح: شديد. وقال: بلح الرجل بلوحاً: أعيى كبلّح [تبليحاً] و[بلح] المـاء: ذهب. والبلوح: البئر الذاهبة الماء وبلَحت خفارته إذا لم تف. والبالح: الأرض لا تنبت شيئاً.

قوله: «ونصلت»: أي خرجت كاشفاً عن ناب. قال الجوهري: نصل الحافر: خرجت عن موضعه.

وفي بعض النسـخ: «وقلصت» بالتخفيف أو التشـديد، يقـال: قلص الشيء: آرتفع وقلّص وتقلّص كلّه، بمعنى آنضمّ وآنزوى. يقال: قلصت شفته: أي آنزوت. و [قال الفيروزآبادي] في القاموس: هرج الناس يهرجون: وقعوا في فتنة وآختلاط وقتل.

[قوله عليه السلام]: «وإنّ لطحنها روقاً»: أي حسناً وإعجاباً. «وإنّ روقها حدّها»: أي إذا صارت [الدنيا] بحيث أعجبت الناس فهو نهايتها ووقت آنقضائها. «ولازم على الله فلّها»: أي كسرها. والأرومة ـ كالأكولة وقد تضمّ ـ الأصل. و«البذر» بضمّتين جمع البذور وهو الذي يزيع الأسرار. والنضرة: الحسن والـرونق [والكـلام] إشـارة إلى قولـه [تعـالى]: ﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيـم﴾ [٢٤/ المطفّفين: ٨٣].

قوله [عليه السلام]: «لا يروّع أهله»: أي لا يفزع ولا يخاف. وفي بعض النسخ: [لا يـروغ] بالغين المعجمة: أي لا يحيد ولا يميل أهلها عنها.

وقال [ابن الأثير] في النهاية: الدبيلة: خراج ودمّل كبير تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالباً.

و [أيضاً] قال [ابن الأثير]: في حديث علي عليه السلام: «لا تكونوا كقيض بيض في أداح يكون كسرها وزراً ويخرج حضانها شرّاً»[1]. القيض: قشر البيض. والأداحي: جمع الأدحي وهو الموضع الذي تبيض فيه النعامة وتفرخ، وهو أفعول من «دحوت»؛ لأنّها تدحوه برجلها: أي تبسطه ثم تبيض فيه.

وقال الجوهري: «ويح» كلمة رحمة و «ويل» كلمة عذاب.

وقال اليزيدي: هما بمعنى واحد تقول: ويح لزيد وويل لزيد ترفعهما على الإبتداء.

وقال الخلف: القرن بعد القرن، والخلف: ما جاء من بعد يقال: هو خلف سوء من أبيه وخلف صدق من أبيه ـ بالتحريك ـ إذا قام مقامه. وقال: هما سواء منهم من يحرّك ومنهم من يسكّن فيهما جميعاً. والخلف أيضا ما استخلفته من شيء. ويقال: القوم خلفة: أي يختلفون.

أقول: المراد بالخلف إمّا معاوية أو يزيد. وقال [الجوهري] في الصحاح: رجل عتريف أو عتروف: أي خبيث فاجر جريء ماض. وقال: أترفته النعمة: أطغته.

[قوله عليه السلام:] «وأذلّ به منكبي»: لعلّه كناية عن كثرة الحمل وثقله. أو المعنى أنّ مع تلك الفضائل رفع التكبّر والترفّع عنّي.

١٠٠٨ـ يــج: رُوي عن الأصبغ بن نباتة قال: دخلت في بعض الأيّام على أمير المؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة، فإذا بجمّ غفير ومعهم عبد أسود فقالوا: يا أمير المؤمنين هذا العبد سارق. فقال له الإمام: أسارق أنت يا غلام! فقال له: نعم .فقال له مرّةً ثانية: أسارق أنت يا غلام! فقال: نعم يا مولاي. فقال له الإمام عليه السلام: إن قلتها ثالثةً قطعت يمينك فقال أسارق أنت يا غلام! قال: نعم يا مولاي.

فأمر الامام بقطع يمينه فقطعت، فأخذها بشماله وهي تقطر دماً، فلقيه ابن الكوّاء ـ وكان يشنأ أمير المؤمنين عليه السلام ـ فقال له: من قطع يمينك؟ قال: قطع يميني الأنزع البطين، وباب اليقين، وحبل اللّه المتين، والشافع يوم الدين المصلّي إحدى وخمسين.

قطع يميني إمام التُقى، وابن عمّ المصطفى، شقيق النبيّ المجتبى، ليث الثرى غيث الورى، حتف العدى، ومفتاح الندى، ومصباح الدجى.

قطع يميني إمام الحقّ، وسيّد الخلق، [و] فاروق الدين، وسيّد العابدين وإمام المتّقين، وخير المهتدين، وأفضل السابقين، وحجّة اللّه على الخلق أجمعين.

قطع يميني إمام خطّيّ بدريّ أحديّ مكيّ مدنّي أبطحيّ هاشميّ قرشيّ أريحيّ مولويّ طالبيّ جريّ قوي لوذعيّ الولّي الوصيّ.

قطع يميني داحي باب خيبر، وقاتل مرحب ومن كفر، وأفضل من حجّ واعتمر، وهلّل وكبّر، وصام وأفطر، وحلق ونحر.

١٠٠٨ـ هذه الرواية لم أجدها في النسخة المطبوعة الكاملة من الخرائج، ولكن فيها نحوه وبتلخيص في ح١٩ من فصل أعلام أمير المؤمنين.

وقد روى البلاذري ما بمعناه باختصار جدّاً مسنداً في الحديث: (١٦٨) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب أنساب الأشراف: ج١، ص ٣٢٧، وفي ط بيروت: ج٢، ص ١٥٦، ط١.

قطع يميني شجاع جريّ، جواد سخيّ، بهلول شريف الأصل [الأصول «خ»] ابن عمّ الرسول، وزوج البتول وسيف اللّه المسلول، المردود له الشمس عند الأفول.

قطع يميني صاحب القبلتين، الضارب بالسيفين، الطاعن بالرمحين، [و] وارث المشعرين، الذي لم يشرك باللّه طرفة عين، أسمح كلّ ذي كفّين، وأفصح كلّ ذي شفتين، أبو السيّدين الحسن والحسين.

قطع يميني عين المشارق والمغارب، تاج لئويّ بن غالب، أسد اللّه الغالب، عليّ بن أبي طالب عليه من الصلوات أفضلها ومن التحيّات أكملها.

فلمّا فرغ الغلام عن الثناء ومضى لسبيله، دخل عبداللّه بن الكوّاء على الإمام عليه السلام فقال له: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال له أمير المؤمنين: السلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى. فقال له [ابن الكواء]: يا أبا الحسنين قطعت يمين غلام أسود وسمعته يثني عليك بكلّ جميل. فقال: وما سمعته يقول؟ قال: كذا وكذا. وأعاد عليه جميع ما قال الغلام.

فقال الإمام عليه السلام لولديه الحسن والحسين: امضيا واتياني بالعبد. فمضيا في طلبه في كندة فقالا له: أجب أمير المؤمنين يا غلام. فلمّا مثل بين يدي أمير المؤمنين قال له: قطعت يمينك وأنت تثني عليّ بها قد بلغني؟! فقال: يا أمير المؤمنين ما قطعتها إلّا بحقّ واجب أوجبه اللّه ورسوله. فقال الإمام: أعطني الكفّ فأخذ الإمام الكفّ وغطّاه بالرداء، وكبّر وصلّى ركعتين، وتكلّم بكلمات وسمعته يقول في آخر دعائه: آمين رب العالمين. وركّبه على الزند وقال لأصحابه: اكشفوا الرداء عن الكفّ. فكشفوا الرداء عن الكفّ وإذا الكفّ على الزند بإذن اللّه.

ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السلام: ألم أقل لك يا ابن الكوّاء: إنّ لنا محبّين لو قطعنا الواحد منهم إرباً إرباً ما ازدادوا إلّا حباً، ولنا مبغضين لو

ألعقناهم العسل ما ٱزدادوا إلّا بغضاً، وهكذا من يحبّنا ينال شفاعتنا يوم القيامة.

بيـــان :

الشرى: طريق في [بادية] سلمى كثير الأسد. والحظيّ: ذو الحظوة وهي المنزلة والمكانة. والأريحيّ: الواسع الخلق. واللوذعيّ: الظريف الحديد الفؤاد. والبهلول من الرجال: الضحّاك.

١٠٠٩ـ يــج: رُوي أنّ خارجياً ٱختصم في رجل آخر إلى عليّ عليه السلام فحكم بينهما، فقال الخارجي: لا عدلت في القضيّة. فقال عليه السلام: إخسأ يا عدوّ ٱللّه. فاستحـال [الخارجي] كلباً وطار ثيابه في الهواء، فجعل يبصبص وتدمع عيناه فرقّ له ودعا له، فأعاده إلى حال الإنسانيّة وتراجعت من الهـواء ثيابه، فقال عليّ عليه السلام: إنّ آصف وصيّ سليمان قد صنع نحوه فقصّ اللّه عنه [بقوله:] ﴿وقال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك﴾ [٤٠/ النمل: ٢٧] أيّما أكرم على اللّه؛ نبيكّم أم سليمان! قالوا: نبيّنا.

فقيل له: ما حاجتك في قتال معاوية إلى الأنصار؟ قال: إنّما أدعو هؤلاء لثبوت الحجّة وكمال المحنة، ولو أذن لي في الدعاء بهلاكه لما تأخّر

١٠٠٩ـ رواه الراوندي رحمه اللّه في كتاب الخرائج في ح٢٤ من فصل أعلام أمير المؤمنين.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[الباب الرابع والثلاثون]

بـاب

فيـه ذكـر

أصحاب النّبي صلّى اللّه عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السّلام الذين كانـوا على الحقّ ولم يفارقوا أمير المؤمنين عليه السلام وذكر بعض المخالفين والمنافقين زائداً على ما أوردنا[ه] في كتاب أحوال النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله وكتاب أحوال أمير المؤمنين عليه السلام.

١٠١٠ـ **ختـص** : عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: كانوا شرطة الخميس ستّة آلاف رجل أنصاره [عليه السلام].

١١١١ـ **ختـص** : محمد بن الحسين عن محمد بن جعفر عن أحمد بن أبي عبداللّه قال: قال عليّ بن الحكم: أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الذين قال لهم تشرّطوا فأنا أشارطكم على الجنّة ولست أشارطكم على ذهب ولا فضّة،

١٠١٠ـ ١٠١١ـ رواهما الشيخ المفيد في الحديث الثالث من كتاب الاختصاص ص ٢ ط ٣.

إنّ نبيّنا فيما مضى قال لأصحابه: «تشرّطوا فإنّي لست أشارطكم إلّا على الجنّة» [وهم] سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذرّ الغفاري وعمّار بن ياسر وأبو سنان وأبو عمرو الأنصاريان وسهل البدري وعثمان ابنا حنيف الأنصاري وجابر بن عبدالله الأنصاري.

ومن أصفياء أصحابه عمرو بن الحمق الخزاعي ـ عربي ـ وميثم التمّار وهو ميثم بن يحيىٰ ـ مولى ـ ورشيد الهجري وحبيب بن مظهّر الأسدي ومحمد بن أبي بكر.

ومن أوليائه العلم الأزدي وسويد بن غفلة الجعفي والحارث بن عبدالله الأعور الهمداني وأبو عبدالله الجدلي وأبو يحيىٰ حكيم بن سعد الحنفي.

وكان من شرطة الخميس أبو الرضي عبدالله بن يحيىٰ الحضرمي[1] [و] سليم بن قيس الهلالي [و] عَبيدة السلماني المرادي عربي.

ومن خواصّه تميم بن حذيم الناجي.

وقد شهد مع علّي عليه السلام [حروبه] قنبر مولى علي بن أبي طالب [و] أبو فاختة مولى بني هاشم [و] عبيدالله بن أبي رافع وكان كاتبه.

بيـان :

اختلف في تصحيح اسم والد تميم فقيل: حذيم بالحاء المهملة والذال المعجمة. وقيل: بالخاء المعجمة والزاي. وقيل: بالحاء المهملة المكسورة والذال

---

(١) كذا في الأصل الحاكي والمحكي عنه، والصّواب: «عبدالله بن نجي الحضرمي» وهو من رجال النسائي وأبي داود وابن ماجة مترجم في كتاب تهذيب التهذيب: ج٦ ص ٥٥. وفي كامل ابن عديّ: ج٤ ص ١٥٤٨.

المعجمة الساكنة والياء المفتوحة. و [ذكره الجوهري] في الصحاح بالحاء المهملة المفتوحة والذال المعجمة الساكنة واللام المفتوحة وقال: إنّه من التابعين. وكذا صحّحه أكثر العامة في كتبهم.

١٠١٢ـ ختص : عبيد بن نضلة الخزاعي [قال:] روي عن ابن الأعمش أنّه قال لأبيه: على من قرأت القرآن؟ قال: على يحيى بن الوثاب، وقرأ يحيى على عبيد بن نضلة كلّ يوم آيةً ففرغ من القرآن [في] سبع وأربعين سنة.

١٠١٣ـ ختص : يحيى بن وثّاب كان مستقيماً.

١٠١٤ـ ختص : أبو أحيحة وأسمه عمرو بن محصن أصيب بصفين وهو الذي جهزّ أمير المؤمنين بمائة ألف درهم في مسيره إلى الجمل.

١٠١٥ـ ختص : جعفر بن الحسين المؤمن عن ابن الوليد عن الصّفار عن ابن عيسى عن ابن فضّال عن ثعلبة عن زرارة:

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين: خلقت الأرض لسبعة، بهم يرزقون وبهم ينصرون وبهم يمطرون، منهم: سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذرّ وعمّار وحذيفة. وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: وأنا إمامهم وهم الذي صلّوا على فاطمة عليها السلام.

١٠١٦ـ ختص : أحمد بن محمد بن يحيى عن أبيه عن محمد بن الحسين عن الحسن بن محبوب عن الحارث قال: قال: سمعت عبدالملك بن أعين يسأل

١٠١٢ـ ١٠١٥ـ رواها الشيخ المفيد رحمه الله في الحديث: (٨) وتاليه من كتاب الاختصاص ص ٣.

١٠١٦ـ رواه وما بعده الشيخ المفيد رضوان الله عليه في الحديث (١٠) وما بعده من كتاب الاختصاص ص ٤.

أبا عبدالله عليه السلام فلم يزل يسأله حتّى قال: فهلك الناس إذاً! فقال: إي والله يا آبن أعين هلك الناس أجمعون؟ قلت: أهل الشرق والغرب! قال: إنّها فتحت على الضلال، إي والله هلكوا إلّا ثلاثة سلمان الفارسي وأبو ذرّ والمقداد ولحقهم عمّار وأبو سنان الأنصاري وحذيفة وأبو عمرة فصاروا سبعة.

١٠١٧ـ ختـص : عدّة من أصحابنا عن آبن الوليد عن الصفّار عن أيّوب بن نوح عن صفوان بن يحيى عن مثنى بن الوليد عن بريد بن معاوية عن أبي جعفر عليه السلام قال: ارتدّ الناس بعد النبي إلّا ثلاثة نفر: المقداد بن الأسود وأبو ذرّ الغفاري وسلمان الفارسي، ثمّ إنّ الناس عرفوا ولحقوا بعد.

١٠١٨ـ ختـص : [في] ذكر السابقين المقرّبين من أمير المؤمنين عليه السلام:

حدّثنا جعفر بن الحسين عن محمد بن جعفر المؤدّب [قال:] الأركان الأربعة: سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذرّ وعمّار هؤلاء [من] الصحابة.

ومن التابعين أويس القرني، الذي يشفع في مثل ربيعة ومضر، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وذكر جعفر بن الحسين أنّه كان من أمير المؤمنين بمنزلة سلمان من رسول الله صلّى الله عليه وآله [و] رُشَيد الهجري، [و] ميثم التمّار، [و] كميل بن زياد النخعي، [و] قنبر مولى أمير المؤمنين، [و] محمد بن أبي بكر، [و] مزرع مولى أمير المؤمنين، وعبدالله بن نُجَيّ[1]، قال له أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل: «أبشر يا آبن نجيّ فأنت وأبوك من شرطة الخميس، سمّاكم الله به في السماء. [و] جندب بن زهير العامري، وبنو عامر شيعة علي على الوجه، [و]حبيب بن مظهّر الأسدي، [و] الحارث بن عبدالله الأعور الهمداني، [و] مالك بن الحارث الأشتر، [و] العلم الأزدي، [و] أبو عبدالله الجدلي، [و]

١٠١٧ـ رواه الشيخ المفيد رحمه الله في الحديث: (١٣) من كتاب الاختصاص ص ٥.

(١) هذا هو الصواب فيه وفي التالي، وفي الأصل الحاكي والمحكي عنه: «عبدالله بن يحيى».

جُوَيرية بن مسهر العبدي.

١٠١٩ـ **ختص** : محمد بن الحسن عن سعد بن عبدالله عن محمد بن عيسى عن النضر بن سويد عمّن حدّثه من أصحابنا عن أبي عبدالله قال: ما بقي أحد بعدما قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله إلاّ وقد جال جولة إلاّ المقداد، فإنّ قلبه كان مثل زبر الحديد.

١٠٢٠ـ ختص : ابن الوليد عن الصفّار عن علي بن سليمان الرازي.

وحدّثنا أحمد بن محمد بن يحيى عن سعد عن علّي بن سليمان عن علي بن أسباط بن سالم عن أبيه قال: قال أبو الحسن: إذا كان يوم القيامة نادى مناد «أين حواري محمد بن عبدالله رسول الله الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه!» فيقوم سلمان والمقداد وأبو ذرّ.

قال: ثمّ ينادي [المنادي] «أين حواري علّي بن أبي طالب وصيّ محمد بن عبدالله رسول الله!» فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعي، ومحمد بن أبي بكر، وميثم بن يحيى التمّار مولى بني أسد، وأويس القرني.

قال: ثمّ ينادي المنادي «أين حواري الحسن بن علي [و] ابن فاطمة بنت محمد رسول الله!» فيقوم سفيان بن أبي ليلى الهمداني، وحذيفة بن أسيد الغفاري.

قال: ثم ينادي [المنادي] «أين حواري الحسين بن علي!» فيقوم كلّ من استشهد معه ولم يتخلّف عنه.

١٠١٩ـ رواه الشيخ المفيد رفع الله مقامه في الحديث:(٢٠) من كتاب الاختصاص ص ٨ ط النجف.

١٠٢٠ـ رواه الشيخ المفيد في الحديث: (١٠٤) في عنوان: «حديث موسى بن جعفر» في أوائل كتاب الأختصاص ص ٥٥ ط النجف.

ثمّ ينادي «أين حواري علي بن الحسين عليه السلام!» فيقوم جبير بن مطعم، ويحيىٰ بن أمّ الطويل، وأبو خالد الكابلي، وسعيد بن المسيّب.

ثمّ ينادي «أين حواري محمد بن علي وحواريّ جعفر بن محمد!» فيقوم عبدالله بن شريك العامري، وزرارة بن أعين، وبريد بن معاوية العجلي، ومحمد بن مسلم الثقفي، وليث بن البختري المرادي، وعبدالله بن أبي يعفور، وعامر بن عبدالله بن خزاعة، وحجر بن زائدة، وحمران بن أعين.

ثمّ ينادي سائر الشيعة مع سائر الأئمّة صلوات الله عليهم يوم القيامة.

فهؤلاء أوّل الشيعة الذين يدخلون الفردوس وهؤلاء أول السابقين وأول المقرّبين وأوّل المحبورين.

١٠٢١ـ **ختص** : جعفر بن الحسين عن محمد بن جعفر المؤدّب عن أحمد بن أبي عبدالله البرقي عن أبيه رفعه قال: قال عمرو بن الحمق الخزاعي لأمير المؤمنين عليه السلام: والله ما جئتك لمال من الدنيا تعطينيها، ولا لالتماس السلطان ترفع به ذكري [ما جئتك] إلّا لأنّك ابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأولى الناس بالناس، وزوج فاطمة سيّدة نساء العالمين، وأبو الذريّة التي بقيت لرسول الله صلّى الله عليه وآله، وأعظم سهماً للإسلام من المهاجرين والأنصار. والله لو كلّفتني نقل الجبال الرواسي ونزح البحور الطوامي أبداً حتّى يأتي عليّ يومي، وفي يدي سيفي أهزّ به عدوّك وأقوي به وليّك، ويعلي به الله كعبك ويفلج به حجّتك، ما ظننت أنّي أدّيت من حقّك كلّ الحقّ الذي يجب لك عليّ؟؟

١٠٢١ـ رواه الشيخ المفيد رفع الله مقامه في الحديث:(٢٨) من كتاب الاختصاص ص ١٥. وفي ط النجف ص ١١.

ورواه أيضاً نصر بن مزاحم في أواسط الجزء الثاني من كتاب صفّين ص ١٠٣. ط مصر، وتقدم رواية المصنّف عنه في هذا الكتاب ص ٤٧٥ ط الكمباني.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: اللّهم نوّر قلبه وآهده إلى الصراط المستقيم، ليت أنّ في شيعتي مائة مثلك.

بيـــان :

طما الماء: ارتفع وملأ النهر. قوله: «أهزّ به» [يقال:] هززت الشيء هزاً فاهتزّ: أي حرّكته فتحرّك. وفي بعض النسخ: «أهزم» وهو أظهر. وقال [الفيروزآبادي] في القاموس: الكعب: الشرف والمجد ورجل عالي الكعب: شريف.

١٠٢٢ـ ختص : أحمد بن هارون وجعفر بن محمد بن قولويه وجماعة عن عليّ بن الحسين عن عبدالله بن جعفر الحميري عن محمد بن الحسن عن أحمد بن النضر عن صباح عن الحارث بن الحصيرة عن صخر بن الحكم الفزاري، عمّن حدّثه أنّه سمع عمرو بن الحمق يحدّث عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، أنّه سمع رسول الله في المسجد الحرام أو في مسجد المدينة، يقول: يا عمرو! هل لك في أن أريك آية الجنّة يأكل الطعام ويشرب الشراب ويمشي في الأسواق! وآية النار يأكل الطعام ويشرب الشراب ويمشي في الأسواق؟ فقلت: نعم بأبي أنت وأمّي فأرنيها. فأقبل عليّ عليه السلام يمشي حتّى سلم وجلس،

١٠٢٢ـ رواه الشيخ المفيد رحمه الله في الحديث:(٢٩) من كتاب الاختصاص ص١٥، وفي ط النجف ص ١١.

وقريباً منه رواه الشيخ الطوسي نقلاً عن حذيفة بن اليمان في الحديث (٤١) من الجزء الثالث من أماليه ص ٨٤ ط بيروت.

ورواه أيضاً الطبراني كما في كتاب مجمع الزوائد: ج٩ ص ١١٨، وكما في منتخب كنز العمّال بهامش مسند أحمد: ج٥ ص ٣٦.

ورواه أيضاً ابن عساكر ـ ولكن من غير ذيل ـ في ترجمة عمرو بن الحمق من تاريخ دمشق.

وقد علّقنا عليه تفصيلاً في الحديث: (٩٨٩) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج٢ ص ٤٥٧ ط ٢.

فقال [النبيّ]: يا عمرو هذا وقومه آية الجنّة. ثمّ أقبل معاوية حتى سلّم فجلس، فقال [النبيّ]: يا عمرو هذا وقومه آية النار.

[ثم قال] وذكر [عمرو] بدء إسلامه [و] أنّه كان في إبل لأهله، وكانوا أهل عهد لرسول اللّه، وأنّ أناساً من أصحاب رسول اللّه مرّوا به وقد بعثهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله في بعث فقالوا: يا رسول اللّه ما معنا زاد ولا نهتدي الطريق فقال: إنّكم ستلقون رجلاً صبيح الوجه يطعمكم من الطعام، ويسقيكم من الشراب ويهديكم الطريق [و] هو من أهل الجنّة.

[قال عمرو:] فأقبلوا حتى انتهوا إليّ من آخر النهار، وأمرت فتياني فنحروا جزوراً وحملوا [إلى القوم] من اللبن، فبات القوم يطعمون من اللحم ما شاءوا، ويسقون من اللبن ثم أصبحوا فقلت: ما أنتم بمنطلقين حتّى تطعموا وتشربوا فقال رجل منهم وضحك إلى صاحبه فقلت: وممّ ضحكت! فقال: أبشر ببشرى اللّه ورسوله، فقلت: وما ذاك! قال: قال: بعثنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله في هذا الفجّ وأخبرناه أنّه ليس لنا زاد ولا هداية الطريقة فقال: ستلقون رجلاً صبيح الوجه يطعمكم من الطعام ويسقيكم من الشراب ويدلّكم على الطريق [وهو] من أهل الجنّة، فلم نلق من يوافق نعت رسول اللّه غيرك.

قال [عمرو] فركبت معهم وأرشدتهم إلى الطريق، ثمّ انصرفت إلى فتياني وأوصيتهم بإبلي ثمّ سرت كما أنا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله حتّى بايعت وأسلمت، وأخذت لنفسي ولقومي أماناً من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله أنّا آمنون على أموالنا ودمائنا إذ شهدنا أن لا إله إلاّ اللّه وأنّ محمداً رسول اللّه وأقمنا الصلاة وآتينا الزكاة وأقمنا بسهم اللّه ورسوله قال: فإذا فعلتم ذلك فأنتم آمنون على أموالكم ودمائكم، لكم بذلك ذمة اللّه ورسوله لا نعتدي عليكم في مال ولا دم.

[ثم قال عمرو] فأقمت مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله ما أقمت، وغزوت معه غزوات وقبض اللّه ورسوله.

قال: [و] كان عمرو بن الحمق الخزاعي شيعةً لعلّي بن أبي طالب عليه السلام، فلمّا صار الأمر إلى معاوية انحاز إلى شهر زور من الموصل.

وكتب إليه معاوية: أمّا بعد فإنّ اللّه أطفأ النائرة وأخمد الفتنة وجعل العاقبة للمتّقين، ولست بأبعد أصحابك همّة ولا أشدّهم في سوء الأثر صنعاً، كلّهم قد أسهل بطاعتي وسارع إلى الدخول في أمري، وقد بطأ بك ما بطأ فادخل فيما دخل فيه [الناس] يُمْحَ عنك سالف ذنوبك ونحي داثر حسناتك، ولعلّي لا أكون لك دون من كان قبلي إن أبقيت واتّقيت ووفيت وأحسنت، فاقدم عليّ آمناً في ذمة اللّه وذمّة رسوله، محفوظاً من حسد القلوب وإحن الصدور وكفى باللّه شهيداً.

فلم يقدم عليه عمرو بن الحمق، فبعث إليه من قتله وجاء برأسه [إليه] فبعث به [معاوية] إلى أمراته [وهي في سجنه] فوضع في حجرها فقالت: سترتموه عنّي طويلاً وأهديتموه إليّ قتيلاً! فأهلاً وسهلاً من هديّة غير قالية ولا بمقلية، بلّغ أيّها الرسول عنّي معاوية ما أقول: طلب اللّه بدمه، وعجّل له الويل من نقمه، فقد أتى أمراً فريّاً وقتل برّاً تقياً، فأبلغ أيها الرسول معاوية ما قلت.

فبلّغ الرسول [معاوية] ما قالت، فبعث إليها فقال لها: أنت القائلة ما قلت؟ قالت: نعم غير ناكلة عنه ولا معتذرة منه. قال لها: أخرجي من بلادي. قالت: أفعل فواللّه ما هو لي بوطن ولا أحنّ فيها إلى سجن، ولقد طال بها سهري وأشتهر بها عبري وكثر فيها ديني من غير ما قرّت به عيني.

فقال عبداللّه بن أبي سرح الكاتب:(١) يا أمير المؤمنين! إنّها منافقة فألحقها بزوجها. فنظرت إليه فقالت: يا من بين لحييه كجثمان الضفدع! ألا قتلت من أنعمك خلعاً وأصفاك بكساء، إنّما المارق المنافق من قال بغير الصواب، واتّخذ العباد كالأرباب، فأنزل كفره في الكتاب.

---

(١) هذا هو الظاهر الموافق لما في كتاب الاختصاص ط النجف. وفي أصلي ها هنا تصحيف.

فأومأ معاوية إلى الحاجب بإخراجها فقالت: واعجباه من ابن هند! يشير إليّ ببنانه ويمنعني نوافذ لسانه، أما والله لأبقرنّه بكلام عتيد كنوافذ الحديد، أو ما أنا بآمنة بنت الرشيد [ظ: الشريد].

بيـــان :

قوله: «أسهـل بطاعتي»: أي رفع عن نفسه الشدّة، يقال: أسهل القوم أي صاروا إلى السهل. وفي بعض النسخ: «استهلّ»: أي رفع صوته أو صار إليها فرحاً من قولهم: استهلّ فرحاً.

والجثمان: الجسد. وأصفيته بالشيء: آثرته به. والكساء ـ بالضمّ ـ جمع الكسوة. وفي بعض النسخ: «وأعطاك كيساً»: أي كيس الدراهم. ولعلّها أرادت زوجها.

١٠٢٣ـ ختـص : الأصبغ بن نباتة كان من شرطة الخميس وكان فاضلاً.

حدّثنا جعفر بن الحسين عند محمد بن جعفر المؤدّب عن البرقي عن صالح بن أبي حماد عن ابن أبي الخطّاب، عن محمد بن سنان عن أبي الجارود عن الأصبغ بن نباتة، قال: قلت للأصبغ: ما كان منزلة هذا الرجل فيكم؟ فقال: ما أدري ما تقول إلاّ أنّ سيوفنا [كانت] على عواتقنا، ومن أومأ إليه ضربناه.

١٠٢٤ـ ختـص : محمد بن الحسن الشحاذ عن سعد عن محمد بن أحمد عن محمد بن إسماعيل عن جعفر بن محمد بن الهيثم، عن عليّ بن الحسين الفزاري عن آدم التّمار الحضرمي عن ابن طريف عن ابن نباتة، قال: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام لأسلّم عليه فجلست أنتظره، فخرج إليّ فقمت إليه فسلمت عليه، فضرب على كفّي ثمّ شبّك أصابعه في أصابعي ثم قال: يا أصبغ

١٠٢٣ـ رواه الشيخ المفيد مع الحديث التالي ـ وحديث آخر في الموضوع لم يذكره المصنّف هاهنا ـ في الحديث: (١١١) وما بعده من كتاب الاختصاص ص ٦٠ ط النجف.

بن نباتة! قلت: لبيّك وسعديك يا أمير المؤمنين. فقال: إنّ وليّنا وليّ اللّه. فإذا مات وليّ اللّه كان من اللّه بالرفيق الأعلى، وسقاه من نهر أبرد من الثلج وأحلى من الشهد وألين من الزّبد. فقلت: بأبي أنت وأمّي وإن كان مذنباً فقال: نعم وإن كان مذنباً، أما تقرأ القرآن ﴿فأولئك يبدّل اللّه سيئاتهم حسنات وكان اللّه غفوراً رحيماً﴾ [٧٠/ الفرقان: ٢٥].

يا أصبغ إنّ وليّنا لو لقى اللّه وعليه من الذنوب مثل زبد البحر ومثل عدد الرمل لغفرها اللّه له إن شاء اللّه تعالى.

١٠٢٥ـ كـش : محمد بن قولويه والحسين بن حسن بن بندار القميان، عن سعد عن الخشاب عن اليقطيني عن ابن أسباط عن عبداللّه بن سنان قال: سمعت أبا عبداللّه يقول: كان مع أمير المؤمنين خمسة نفر من قريش، وكانت ثلاثة عشر قبيلة مع معاوية.

فأمّا الخمسة فمحمد بن أبي بكر رحمة اللّه عليه، أتته النجابة من قبل أمّه أسماء بنت عميس، وكان معه هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص المرقال، وكان معه جعدة بن هبيرة المخزومي، وكان أمير المؤمنين عليه السلام خاله وهو الذي قال له عتبة بن أبي سفيان: إنّما لك هذه الشدّة في الحرب من قبل خالك. فقال له جعدة: لو كان لك خال مثل خالي لنسيت أباك ومحمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة والخامس سلف أمير المؤمنين ابن أبي العاص بن ربيعة، وهو صهر النبي صلّى اللّه عليه وآله [وهو] أبو الربيع.

١٠٢٦ـ ختـص : ابن قولويه عن أبيه عن سعد مثله.

١٠٢٤ـ رواه الكشي رحمه اللّه في الحديث الأوّل من ترجمة محمّد بن أبي بكر تحت الرقم: (١٦) من رجاله ص ٦٠ ط النجف.

١٠٢٥ـ رواه الشيخ المفيد رحمه اللّه ـ مع أحاديث أخرى غير مذكور هنا ـ في عنوان: «محمد بن أبي بكر» في الحديث: (١٢٥) من كتاب الاختصاص ص ٦٥.

بيــان :

[قـال الفيروزآبادي] في القاموس: السلف ككبد، وكبد من الرجال: زوج أخت ٱمرأته، وبينهما أسلوفة صهر، وقد تسالفا وهما سلفان: أي متزاوجا الأختين. انتهى.

والظاهر أنّ ضمير «هو» راجع إلى أبي العاص، فإنّه كان زوج زينب وٱسمه: القاسم بن ربيع وأبو الربيع كنية لابن أبي أبي العاص.

والمـراد بسلف إمّا مطلق المصاهرة فإنّ أمامة بنت أبي العاص أخته كانت عند أمير المؤمنين عليه السلام، أو كان عنده أيضاً أخت إحدى زوجاته عليه السلام، أو كان ٱبن سلف فسقط ٱلابن من النّسّاخ.

١٠٢٧ـ كـش : حمدويه وإبراهيم ٱبنا نصير عن أيّوب عن صفوان عن معاوية بن عمّار وغير واحد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان عمّار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر لا يرضيان أن يُعصى الله عزّ وجلّ.

١٠٢٨ـ كـش : نصر بن الصباح عن إسحاق بن محمد البصري عن أمير بن علي، عن أبي الحسن الرّضا عليه السّلام قال: كان أمير المؤمنين يقول: إنّ المحـامدة تأبى أن يُعصى عزّ وجلّ. قلت: ومن المحامدة؟ قال: محمد بن جعفر، ومحمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، ومحمد بن أمير المؤمنين ٱبن الحنفيّة رحمهم الله.

أمّا محمد بن أبي حذيفة [فـ]هو ٱبن عتبة بن ربيعة، وهو ٱبن خال معاوية.

١٠٢٧ـ رواه الكشي رحمه الله في الحديث الثاني من ترجمة محمّد بن أبي بكر تحت الرقم:(١٦) من رجاله ص ٦٠.

١٠٢٨ـ رواه الكشّي رحمه الله في الحديث الأوّل من ترجمة محمّد بن أبي حذيفة تحت الرقم:(٢٠) من رجاله ص ٦٦ ط النجف.

١٠٢٩ـ كش : محمد بن مسعود عن علي بن الحسن بن عباس بن عامر عن أبان بن عثمان عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام: أنّ المهدي مولى عثمان أتى فبايع أمير المؤمنين عليّاً ومحمد بن أبي بكر جالس، [فـ] قال: أبايعك على أنّ الأمر كان لك أوّلاً وأبرأ من فلان وفلان، فبايعه.

١٠٣٠ـ أقول: وجدت في كتاب سليم بن قيس الهلالي أنّه قال أبان بن أبي عيّاش: أبو الطفيل عامر بن واثلة كان صاحب رسول الله صلّى الله عليه وآله وكان من خيار أصحاب علي عليه السلام.

١٠٣١ـ نهج: [و] قال عليه السلام لعبد الله بن العباس ـ وقد أشار عليه في شيء لم يوافق رأيه ـ: لك أن تشير عليّ وأرى فإذا عصيتك فأطعني.

بيان :

قال ابن ميثم: روي أنّه أشار عليه عند انصرافه من مكة حاجّاً، وقد بايعه الناس فقال: يا أمير المؤمنين! إنّ هذا أمر عظيم يخاف غوائل الناس فيه، فاكتب لطلحة بولاية البصرة وللزبير بولاية الكوفة، واكتب إلى معاوية وذكّره القرابة والصلة وأقرّه على ولاية الشام حتى يبايعك، فإن بايعك وجرى على سنّتك وطاعة الله فاتركه على حاله، وإن خالفك فادعه إلى المدينة وأبدله بغيره ولا تموج بحار الفتنة. فقال عليه السلام:

معاذ الله أن أفسد ديني بدنيا غيري! ولك يا ابن عباس أن تشير إلى آخر الكلام.

١٠٢٩ـ رواه الكشي رحمه الله في ترجمة المهدي مولى عثمان تحت الرقم:(٤٣) من رجاله ص٩٦ طبع النجف.

١٠٣٠ـ الحديث مذكور في كتاب سليم بن قيس رحمه الله.

١٠٣١ـ رواه السيّد الرضيّ في المختار: (٣٢١) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

١٠٣٢ـ نهج: [و] قال عليه السلام وقد تُوُفي سهل بن حنيف الأنصاري بالكوفة مرجعه من صفين ـ وكان من أحبّ الناس إليه ـ: لو أحبّني جبل لتهافت.

[قال السيد الرضّي:] ومعنى ذلك أنّ المحنة تغلظ عليه فتسرع المصائب إليه، ولا يفعل ذلك إلّا بالأتقياء الأبرار والمصطفين الأخيار. وهذا مثل قوله [عليه السلام]: «من أحبّنا أهل البيت فليستعدّ للفقر جلباباً». وقد تؤول ذلك على معنى آخر ليس هذا موضع ذكره.

بيـــان :

التهافت: التساقط قطعة قطعة. والتأويل الآخر الذي ذكره السيد رحمه الله، لعلّه هو ما ذكره ابن ميثم قال: أبو عبيد: إنّه [عليه السلام] لم يرد الفقر في الدنيا وإنّما أراد الفقر يوم القيامة: أي فليعدّ لذلك ما يجده من الثواب والتقرّب إلى الله تعالى والزّلفة لديه.

١٠٣٣ـ نهج: [و] من خبر ضرار بن ضمرة الضبّابي عند دخوله على معاوية ومسألته له عن أمير المؤمنين قال:

فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وهو قائم في محرابه، قابض على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين ويقول: يا دنيا يا دنيا إليك عني، أبي تعرّضت!؟ أم إليّ تشوّقت!؟ لا حان حينك هيهات غرّي غيري، لا حاجة لي فيك وقد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة فيها فعيشك قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير.

١٠٣٢ـ رواه السيّد الرضيّ في المختار: (١١١) من قصار كلام أمير المؤمنين من نهج البلاغة.

١٠٣٣ـ رواه السيّد الرضيّ رفع الله مقامه في المختار:(٧٧)من الباب الثالث من كتاب نهج البلاغة.

آه من قلّة الزاد، وطول الطريق، وبعد السفر، وعظيم المورد وخشونة المضجع!

بيـــان :

قد مرّ الخبر برواية أخرى.

[و] «هيهـات»: أي بعد ما تطلبين منّي. وخطر الرجل: قدره ومنزلته. «وأملك حقير» أي ما يؤمّل منك وفيك.

١٠٣٤ـ نهـــج: وقال عليه السلام في ذكر خبّاب بن الأرت.

يرحم ٱللّه خبّابا، فلقد أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً.

بيـــان :

قال ٱبن أبي الحديد: خبّاب [كان] من فقراء المسلمين وخيارهم، وكان في الجاهلية قيناً يعمل السيوف، وهو قديم اسلام. قيل: إنّه كان سادس ستّة. وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد، وهو معدود في المعذّبين في اللّه سأله، عمر في أيّام خلافته: ما لقيت من أهل مكّة! فقال: ٱنظر إلى ظهري. فنظر فقال: ما رأيت كاليوم ظهر رجل!

شهد مع عليّ عليه السلام صفّين ونهروان، وصلّى عليه السلام عليه[1].

١٠٣٤ـ رواه الشريف الرضيّ في المختار: (٤٣) من باب قصار كلام أمير المؤمنين عليه في نهج البلاغة.

(١) كذا قال ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٤٣) من باب قصار كلام أمير المؤمنين عليه السلام من نهج البلاغة، ولكن المستفاد مما رواه نصر بن مزاحم في أواسط الجزء الثامن من كتاب صفّين ص ٥٣٠ ـ ورواه أيضاً الطبري في قصّة رجوع أمير المؤمنين عن صفّين ودخوله الكوفة من تاريخ الأمم والملوك: ج٤ ص ٤٥ ط مصر ـ المستفاد من ذلك أنّه كان مريضاً في أيّام حرب صفّين، ومن أجله لم يتمكّن من حضور حرب صفّين، وأنّه توفّي بالكوفة حينما كان أمير المؤمنين في صفّين أو كان في طريق عودته منها، ولّما مرّ في عودته على ظهر الكوفة، رأى قبوراً

وكان سنّه يوم مات ثلاثاً وسبعين سنة، ودفن بظهر الكوفة وهو أوّل من دفن بظهر الكوفة.

١٠٣٥ـ نهـــج: [و] قال عليه السّلام في الذين اعتزلوا القتال معه:

خذلوا الحقّ ولم ينصروا الباطل.

بيـــان :

قال ابن أبي الحديد: هم عبداللّه بن عمر، وسعد بن أبي وقّاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأسامة بن زيد ومحمد بن مسلمة، وأنس بن مالك، وجماعة غيرهم.

[ثم قال:] وقد ذكر شيخنا أبو الحسين في [كتاب] الغرر: أنّ أمير المؤمنين لّما دعاهم إلى القتال معه واعتذروا أنّه قال لهم: أتنكرون هذه البيعة! قالوا: لا ولكنّا لا نقاتل. فقال عليه السلام: إذا بايعتم فقد قاتلتم.

١٠٣٦ ـ ١٠٦٨ ـ نهـــج: [و] قال عليه السلام:

ما كلّ مفتون يعاتب.

بيـــان :

قال ابن أبي الحديد: قالها لسعد بن أبي وقّاص وعبداللّه بن عمر، لّما امتنعا من الخروج معه لحرب أصحاب الجمل.

فسأل عنها، فقيل له: إنّ خبّاب بن أرتّ كان مريضاً ومات في غيابك، وكان أوصى أن يدفنوه بظهر الكوفة فدفن فيه، فدفن الناس موتاهم عنده. فجاء أمير المؤمنين عليه السلام حتّى وقف على قبره ومدحه ودعا له.

وراجع ما رواه المصنّف في هذا المجلد في ص ٥٠٦ و ٥٣١ ط الكمباني.

١٠٣٥ـ ١٠٣٦ـ رواهما السيّد الرضيّ رفع اللّه مقامه في المختار: (١٥ و ١٨) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

أقــول : هذا غير ثابت، ثمّ إنّ الكلام يحتمل وجهين:

الأوّل: أنّه ليس كلّ مفتون مستحقاً للعتاب، إذ يمكن أن يكون سبب فتنته ما لم يكن باختياره.

والثـاني: أن يكـون المراد [أن] بعض المفتونين لا يعاتبون لعدم نفع الخطاب فيهم.

و [أيضاً] قال [ابن أبي الحديد:] في موضع آخر من الشرح[١]: روى أبو يوسف قال: قال أبو حنيفة: الصحابة كلّهم عدول، ما عدا رجالاً، ثمّ عدّ منهم أبا هريرة وأنس بن مالك.

قال: وروي عن عليّ عليه السلام أنّه قال: أكذب الناس على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله أبو هريرة الدوسي.

قال: وروي أنّه يوم وصل إلى مروان رأس الحسين عليه السلام بالمدينة، وهو يومئذٍ أميرها، صعد المنبر وخطب: ثم رمى بالرأس نحو قبر النبي صلّى اللّه عليه وآله وقال: يا محمد يوم بيوم بدر!

قال: وذكـر جماعـة من شيوخنـا البغـداديين، أنّ عدّةً من الصحابة والتابعين كانوا منحرفين عن علي عليه السلام، كاتمين لمناقبه حباً للدنيا، منهم أنس بن مالك، ناشد عليّ عليه السلام في الرحبة، أيكم سمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فعلّي مولاه». فقام أثنا عشر رجلاً فشهدوا بها. وأنس بن مالك لم يقم، فقال له [علي]: يا أنس ما يمنعك أن تشهد فلقد حضرتها! فقال: يا أمير المؤمنين! كبرت سنّي ونسيت! فدعا عليه ببرص لا تغطّيه العمامة فابتلى [أنس] به.

---

(١) ذكره ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٥٧) من نهج البلاغة: ج٤ ص ٧٤ ط الحديث بمصر. وفي ط الحديث ببيروت: ج١، ص ٧٩٠.

[قال:] وكان ممن أنكر ذلك اليوم زيد بن أرقم، فدعا عليه بالعمى فكفّ بصره[١].

قالوا: وكان الأشعث بن قيس وجرير بن عبدالله البجلي يبغضانه، وهدم علي دار جرير.

وروى أبو بكر الهُذَلي عن الزُهْري عن عبيدالله بن عدي [الأكبر] قال: قام الأشعث إلى علي عليه السّلام فقال: إنّ الناس زعموا أنّ رسول اللّه [صلّى اللّه عليه وآله] عهد إليك عهداً لم يعهده إلى غيرك.

فقال [علي عليه السّلام]: إنّه عهد إلي ما في قراب سيفي، لم يعهد إلى غيري ذلك فقال الأشعث: هذه إن قلتها فهي عليك لا لك، دعها ترحل عنك.

فقال [علي عليه السلام]: وما علمك بها عليّ ممّا لي! منافق بن كافر، حائك بن حائك، أنّي لأجد منك بنة الغزل[٢].

وروى يحيى البرمكي عن الأعمش: أنّ جريراً والأشعث خرجا إلى الجبّان بالكوفة، فمرّ بهما ضبّ يعدو وهما في ذمّ عليّ عليه السلام، فناداياه يا أبا حسل! هلمّ يدك نبايعك بالخلافة. فبلغ عليّاً عليه السلام قولهما فقال: إنّهما يحشران يوم القيامة وإمامهما ضبّ.

---

(١) أقول: ورد في هذا المعنى أحاديث من طريق أهل السنّة، وأستند إليها وأفتى بمضمونها بعض المتأخّرين من علمائنا، ولكنّي سبرت سيرة زيد بن أرقم فرأيت المتبيّن منها أنّه كان من البداية إلى النهاية من الملازمين لأهل البيت عليهم السلام، والمتجاهرين بمزيّتهم على غيرهم، ومن أجله تحمّل الإهانات والمحروميّة في دولة بني أميّة، فمِنْ مِثْلِه يُستبعد جداً أن يكتم شهادته على حقّ ناشد أمير المؤمنين عليه السلام في أيّام شوكته واقتداره كلّ من له علم بذلك أن يقوم ويؤدّي شهادته، فَلْيُتثبّت من الأخبار الواردة في الموضوع.

(٢) هذا هو الظاهر الموجود في شرح المختار: (٥٦) من خطب نهج البلاغة وفي طبع الكمباني من أصلي «إنّي لآخذ منك نبذ الغزل».

وفي ط الحديثة بمصر من شرح ابن أبي الحديد: «تيه الغزل».

وكان أبو مسعود الأنصاري منحرفاً عنه.

وكان كعب الأحبار منحرفاً عنه، وكان [عليّ] عليه السلام: يقول: إنّه الكذّاب.

وكان النّعمان بن بشير الأنصاري من المنحرفين عنه وكان من أمراء يزيد.

وقد روي أنّ عمران بن الحصين كان من المنحرفين [عنه] وأنّ علياً عليه السلام سيّره إلى المدائن.

ومن الناس من يجعل عمران في الشيعة.

وكان سمرة بن جندب من شرطة زياد [ابن سميّة أيّام كان زياد عاملاً لمعاوية].

وروى واصل مولى ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن آبائه [عليهم السلام] قال: كان لسمرة بن جندب نخل في بستان رجل من الأنصار فيؤذيه، فشكى الأنصاري ذلك إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله، فبعث إلى سمرة ودعاه فقال له: بع نخلك هذا وخذ ثمنه. قال: لا أفعل؟ قال: فخذ نخلاً مكان نخلك. قال: لا أفعله. قال: فاشتر منه بستانه. قال: لا أفعل قال: فاترك لي هذا النخل ولك الجنّة. قال: لا أفعل [فـ] قال صلّى الله عليه وآله للأنصاري: اذهب فاقطع نخله، فإنّه لا حقّ له فيه.

قال: وكـان سمرة أيّام مسير الحسين [عليه السلام] إلى الكوفة على شرطة ابن زياد، وكان يحرّض الناس على الخروج إلى الحسين وقتاله.

ومن المبغضين له عبدالله بن الزبير، وكان عليّ عليه السلام يقول: ما زال الزبير منّا أهل البيت، حتّى نشأ ابنه عبدالله فأفسده.

وكان يبغض بني هاشم، ويلعن ويسبّ علياً!

وروى [إبراهيم] صاحب كتاب الغارات[1] عن أبي صادق عن جندب بن عبدالله قال: ذكر المغيرة بن شعبة عند عليّ عليه السلام وجدّه مع معاوية فقال: وما المغيرة!؟ إنّما كان إسلامه لفجـرة وغدرة غدرها بنفر من قومه، فهرب فأتى النبيّ صلّى الله عليه وآله كالعائذ بالاسلام، والله ما رأى عليه أحد ـ منذ ادّعى الإسلام ـ خضوعاً ولا خشوعاً! ألا وإنّه كائنة من ثقيف فراعنة قبل يوم القيامة، يجانبون الحقّ، ويوقدون نيران الحرب، ويوازرون الظالمين.

ألا إنّ ثقيفاً قوم غدر لا يوفون بالعهد، يبغضون العرب، كأنّهم ليسوا منهم، وإنّ الصالح في ثقيف لغريب.

وقال شيخنا أبو القاسم البلخي: من المعلوم أنّ الوليد بن عقبة كان يبغض علياً ويشتمه، وأنه الذي لاحاه في حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله ونابذه وقال له: أنا أثبت منك جناناً وأحدّ سناناً! فقال له عليّ عليه السلام: اُسكت يا فاسق فانزل الله تعالى فيهما: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾ [١٨/ السجدة:٣٢] فكان لا يعرف في حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلاّ بالوليد الفاسق، وسمّاه الله في آية أخرى فاسقاً وهو قوله تعـالى: ﴿إن جاءكم فاسق بنبإٍ فتبيّنوا﴾ [٦/ الحجرات: ٤٩] وكان يبغض رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأبوه عقبة بن أبي معيط، هو العدوّ الأزرق بمكة، وكان يؤذي رسول الله صلّى الله عليه وآله.

وروى إبـراهيم أنّ ممن فارق علياً عليه الســلام، يزيد بن حُجيّة التّـيميّ، وكـان عليه السـلام اَستعمله على الـرّيّ فكسر الخراج، واَحتجبه لنفسه، فحبسه علي عليه السلام وجعل معه سعداً مولاه، فقرّب يزيد ركائبه وسعد نائم، والتحق بمعاوية، وكتب إلى العراق شعراً يذمّ فيه علياً عليه السلام، ويخـبره أنّه من أعدائه، فدعا [عليه السلام] عليه [و] قال لأصحابه: عقب

(١) رواه الثقفي رحمه الله في الحديث: (١٩٠) من تلخيص كتاب الغارات ص ١٦ ط ١.

الصّلاة آرفعوا أيديكم فادعوا عليه. [فدعا عليه] وأمّن أصحابه.

قال أبو الصلت التّيميّ: [و] كان دعاؤه عليه: اللّهمّ إنّ يزيد بن حُجيّة هرب بمال المسلمين، ولحق بالقوم الفاسقين، فاكفنا مكره وكيده وآجزه جزاء الظالمين.

[قال:] ورفع القوم أيديهم يؤمّنون عليه [وكان في المسجد عِفاق بن شرحبيل بن أبي رهم التميميّ ـ شيخاً كبيراً ـ وكان يعدّ ممن شهد على حجر بن عديّ حتّى قتله معاوية. فقال عفاق: على من يدعو القوم؟ قالوا: على يزيد بن حُجَيّة. فقال: تربت أيديكم أعلى أشرافنا تدعون! فقاموا إليه فضربوه حتّى كاد [أن] يهلك، وقام زياد بن خصفة ـ وكان من شيعة علي عليه السلام ـ فقال: دعوا لي آبن عمّي. فقال علي عليه السلام: دعوا للرجل آبن عمّه. فتركه النـاس، فأخذ زياد بيده فأخرجه من المسجد وجعل يمشي معه [و] يمسح التراب عن وجهه وعفاق يقول: واللّه لا أحبّكم ما سعيت ومشيت، واللّه لا أحبّكم ما اختلفت الذرّة والحرّة. وزياد يقول [له]: ذلك أضرّ لك ذلك شرّ لك][1].

وممن فارقه عبداللّه بن عبدالرحمان بن مسعود الثقفي.

ومنهم النجاشي الشّاعر.

[وسبب مفارقة النجاشي أنّه] شرب الخمر بالكوفة في أوّل يوم من شهر رمضان، فأتي به علياً عليه السلام، فأقامه في سراويل فضربه ثمانين ثمّ زاده عشرين، فقال: يا أمير المؤمنين! أمّا الحدّ فقد عرفته فما هذه العلاوة؟. قال: لجرأتك على اللّه وإفطارك في شهر رمضان، فغضب ولحق بمعاوية وهجا علياً.

---

(١) ما بين المعقوفين مأخوذ من شرح المختار: (٥٧) من نهج البلاغة من شرح آبن أبي الحديد: ج٤ ص ٨٥ ط مصر.

وقال صاحب كتاب الغارات: إنّ علياً عليه السلام لما حدّ النجاشي غضب اليمانية، فدخل طارق بن عبدالله عليه فقال: يا أمير المؤمنين! ما كنّا نرى أنّ أهل المعصية والطاعة، وأهل الفرقة والجماعة عند ولاة العدل ومعادن الفضل سيّان في الجزاء، حتّى رأينا ما كان من صنيعك بأخي الحارث، فأوغرت صدورنا، وشتّت أمورنا، وحملتنا على الجادّة التي كنّا نرى أنّ سبيل من ركبها النار. فقال [عليّ عليه السلام]: ﴿وإنّها لكبيرة إلاّ على الخاشعين﴾[1] يا أخا نهد! وهل هو إلاّ رجل من المسلمين آنتهك حرمة من حرم الله؟! فأقمنا عليه حدّاً كان كفّارته إنّ الله تعالى يقول: ﴿ولا يجرمنّكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [٨/ المائدة: ٥] فلمّا جنّه الليل همس هو والنجاشي إلى معاوية.

قال [إبراهيم]: ومن المفارقين لعليّ عليه السلام أخوه عقيل. قدم [عقيل] على [أخيه] أمير المؤمنين [عليه السلام] بالكوفة يسترفده، فعرض عليه عطاءه فقال [عقيل]: إنّما أريد من بيت المال. فلمّا صلّى عليّ عليه السلام الجمعة قال له: [يا عقيل] ما تقول في من خان هؤلاء أجمعين؟ قال: بئس الرجل قال: فإنّك أمرتني أن أخونهم وأعطيك.

فلما خرج [عقيل] من عنده شخص إلى معاوية، فأمر له [معاوية] يوم قدومه بمائة ألف درهم، وقال له: يا أبا يزيد أنا خير لك أم علي؟ قال [عقيل]: وجدت عليّاً أنظر لنفسه منك، ووجدتك أنظر لي منك لنفسك.

وقال معاوية لعقيل: إنّ فيكم يا بني هاشم لليناً. قال: أجل إنّ فينا لليناً من غير ضعف، وعزّاً من غير عنف، وإنّ لينكم يا معاوية غدر، وسلمكم كفر. فقال معاوية: ولا كلّ هذا يا أبا يزيد. [فـ] قال عقيل:

لذي الحلم قبل اليوم مايقرع وما علّم الإنسان إلاّ ليعلما

(١) اقتباس من الآية: (٤٥) البقرة.

إنّ السفـاهـة طيش من خلاقكم   لا قدّس اللّه أخـلاق المـلاعينا

فأراد معاوية أن يقطع كلامه فقال: مامعنى(طه)؟ قال: نحن أهله وعلينا نزل، لا على أبيك ولا على أهل بيتك. (طه) بالعبرانية: يا رجل.

وقال له الوليد: غلبك أخوك على الثروة؟ قال: نعم، وسبقني وإيّاك إلى الجنّة.

وقال معاوية يوماً وعنده عمرو بن العاص ـ وقد أقبل عقيل ـ: لأضحكنّك من عقيل. فلمّا سلّم [عقيل] قال معاوية: مرحباً برجل عمّه أبو لهب. قال عقيل: وأهلاً بمن عمّته حمّالة الحطب في جيدها حبل من مسد. لأنّ امرأة أبي لهب أمّ جميل بنت حرب. [فـ] قال معاوية: يا أبا يزيد ما ظنّك بعمّك أبي لهب؟ قال [عقيل]: إذا دخلت النار فخذ على يسارك تجده مفترشاً عمّتك حمّالة الحطب، أفناكح في النار خير أم منكوح قال: كلاهما شرّ سواء واللّه.

وممّن فارقه حنظلة الكاتب، ووائل بن حجر الحضرمي.

وروي أنّ ثلاثةً من أهل البصرة كانوا يتواصلون على بغض عليّ عليه السلام، [وهم] مطرف بن عبداللّه، والعلاء بن زياد وعبداللّه بن شقيق.

وروى صاحب كتاب الغارات بإسناده عن أبي فاختة قال: كنت عند عليّ فأتاه رجل عليه زيّ السفر، فقال: يا أمير المؤمنين إنّي أتيتك من بلد ما رأيت لك بها محبّاً. قال: من أين أتيت؟ قال: من البصرة. قال: أما إنّهم لو ٱستطاعوا أن يحبّوني لأحبّوني، وإنّي وشيعتي في ميثاق اللّه لايزاد فينا رجل ولا ينقص إلى يوم القيامة.

وروى أبو غسّان البصري قال: بنى عبيداللّه بن زياد أربعة مساجد بالبصرة تقوم على بغض علي بن أبي طالب عليه السلام والوقيعة فيه، مسجد بني عدي، ومسجد بني مجاشع، ومسجد كان في العلّافين على وجه البصرة، ومسجد في الأزد.

وممن قال فيه أنّه يبغض علياً ويذمّه: الحسن بن أبي الحسن البصري [أبو سعيد] روى [عنه] حمّاد بن سلمة أنّه قال: لو كان عليّ يأكل الحشف بالمدينة، لكان خيراً له مما دخل فيه.

وروي أنّه كان من المخذلين عن نصرته.

ورووا عنه أنّ علياً عليه السلام رآه وهو يتوضأ للصلاة، وكان ذا وسوسة، فصبّ على أعضائه ماءً كثيراً، فقال له: أرقت ماءً كثيراً يا حسن. فقال له: ما أراق أمير المؤمنين من دماء المسلمين أكثر. قال: أو ساءك ذلك؟ قال: نعم. قال: فلا زلت مسوءاً قال: فما زال عابساً قاطباً مهموماً إلى أن مات.

[ثمّ قال ابن أبي الحديد:] فأمّا أصحابنا فإنّهم يدفعون ذلك عنه ويقولون: إنّه كان من محبّيه عليه السلام والمعظّمين له.

وروى له أبان بن عيّاش قال: سألت الحسن البصري عن عليّ عليه السلام، فقال: ما أقول فيه، كانت له السابقة والفضل والعلم والحكمة والفقه والرأي والصحبة والبلاء والنجدة والزهد والقضاء والقرابة، إنّ علياً كان في أمره علياً فرحم الله علياً وصلّى عليه. فقلت: يا [أ]با سعيد أتقول صلّى الله عليه لغير النبي(ص) فقال: ترحّم على المسلمين إذا ذكروا، وصلّ على النبي وآله، وعلي خير آله. فقلت: أهو خير من حمزة وجعفر؟ قال: نعم. قلت: [هو] خير من فاطمة وابنيها؟ قال: نعم والله، إنّه خير من آل محمد كلّهم، ومن يشكّ أنّه خير منهم وقد قال رسول الله صلّى الله عيه وآله «وأبوهما خير منهما» ولم يجر عليه اسم شرك ولاشرب خمراً؟ وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لفاطمة: «زوّجتك خير أمّتي». فلو كان في أمّته خير منه لاستثناه.

ولقد آخى رسول الله صلّى الله عليه وآله بين أصحابه وآخى بين علي ونفسه، فرسول الله خير الناس نفساً وخيرهم أخاً.

فقلت: يا [أ]با سعيد! فما هذا الذي يقال عنك أنّك قلته في علي!؟ فقال:

يا ابن أخي أحقن دمي من هؤلاء الجبابرة، ولولا ذلك لسال بي الخشب.

وقال شيخنا أبو جعفر الإسكافي ـ ووجدته أيضاً في كتاب الغارات[١] ـ:

وقد كان بالكوفة من فقهائها من يعادي علياً ويبغضه مع غلبة التشيّع على الكوفة.

فمنهم: مرّة الهمداني.

فروي أنّه قيل لمرّة: كيف تخلفت عن علي؟ [فـ]قال: سبقنا بحسناته وأثقلنا بسيّئاته.

ومنهم: الأسود بن يزيد، ومسروق بن الأجدع.

وروي أنّ مسروقاً رجع عن ذلك.

ومنهم: شريح [القاضي وقد روي أنّه طرد من الكوفة] وبعثه عليه السلام إلى «بانقيا» شهرين يقضي بين اليهود.

ومنهم: أبو وائل شقيق بن سلمة كان عثمانياً يقع في علّي عليه السلام. ويقال: إنّه كان يرى رأي الخوارج.

ومن المبغضين [لعلّي عليه السلام]: أبو بردة بن أبي موسى الأشعري [فإنّه ورث البغض عن كلالة].

ومن المنحرفين عنه عليه السلام: أبو عبدالرحمان السّلمي.

ومنهم: قيس بن أبي حازم، وسعيد بن المسيّب، والزهري، وعروة بن الزبير[٢].

---

(١) ذكره وما بعده في الحديث: (٢١٢) وما بعده من تلخيص كتاب الغارات ص ٥٥٨ ـ ٥٦٧.

(٢) أمّا كون عروة بن الزبير من مبغضي علي عليه السلام والمنحرفين عنه، فأمر جلّي، والآثار الواردة عنه في تظاهره ببغض علي وسبّه له متواترة معنىً. وأمّا الزّهري فالمستفاد من

وكان زيد بن ثابت عثمانياً يحرّض الناس على سبّه عليه السلام.

وكان المكحول من المبغضين له عليه السلام، وكذا حمّاد بن زيد.

أقول : قد بسط [الثقفي] الكلام في كتاب الغارات في عدّ هؤلاء الأشقياء وبيان أحوالهم، وروى عن عطاء بن السائب قال: قال رجل لأبي عبدالرحمان السّلمي: أنشدك بالله [إلّا أن] تخبرني [بما أسألك عنه، فسكت] فلمّا أكّد عليه [قال: نعم] قال: بالله [عليك] هل أبغضت علياً إلّا يوم قسم المال في أهل الكوفة فلم يصلك ولا أهل بيتك منه بشيء؟[1] قال: أمّا إذ أنشدتني بالله فكان ذلك.

وقال: بعث اسامة بن زيد إلى عليّ عليه السلام: أن ابعث إليّ بعطائي فوالله [إنّك] لتعلم أنك لو كنت في فم أسد لدخلت معك.

فكتب إليه [علي عليه السلام]: إن هذا المال لمن جاهد عليه، ولكن هذا مالي بالمدينة فأصب منه ما شئت[2].

ثمّ ذكر رواية تدلّ على أنّ عروة بن الزبير والزهري كانا ينالان من علي عليه السلام فنهاهما عنه علي بن الحسين[3].

وعن أبي داوود الهمداني قال: شهدت سعيد بن المسيّب وأقبل عمر بن عليّ بن أبي طالب فقال له سعيد: يا ابن أخي! ما أراك تكثر غشيان مسجد

الأحـاديث الواردة عنه أنّه رجع عن ذلك في أواخر عمر، فليتثبّت في ذلك. وأمّا سعيد بن المسيّب ـ صهر أبي هريرة ـ فعدّ في بعض الأخبار الواردة من طريقنا، من حواري الإمام زين العابدين عليه السلام، فليوفّق بين ما هاهنا وبين أحاديث حواري الأئمّة.

(١) الحديث موجود تحت الرقم: (٢٦٨) من تلخيص كتاب الغارات ص ٥٦٧ ط ١.

ورواه عنه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٥٧) من نهج البلاغة: ج١، ص ٨٠٨.

(٢) وهذا مذكور في الحديث: (٢٢٧) من منتخب كتاب الغارات ص ٥٧٦ ط ١.

(٣) ذكره الثقفي في الحديث: (٢٢٨) من تلخيص كتاب الغارات ص ٥٧٧ ط ١.

رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله كما يفعل إخوتك وبنو عمّك؟ فقال عمر: يا ابن المسيّب؛ أكلّما دخلت المسجد فأجيء فأشهدك. فقال سعيد: ما أحبّ أن تغضب، سمعت والدك علياً يقول: واللّه إنّ لي من اللّه مقاماً هو خير لبني عبدالمطّلب ممّا على الأرض من شيء.

قال عمر: سمعت والدي يقول: ما كلمة حكمة في قلب منافق يخرج من الدنيا حتّى يتكلّم بها. [فقال سعيد: يا ابن أخي جعلتني منافقاً!] فقال [عمر:] ذلك ما أقول لك. قال: ثم انصرف.

ثم قال ابن أبي الحديد: وقال شيخنا أبو جعفر الإسكافي: كان أهل البصرة كلّهم يبغضونه قاطبةً، وكانت قريش كلّها على خلافه، وكان جمهور الخلق مع بني أميّة.

وروى عبدالملك بن عمير عن عبدالرحمان بن أبي بكرة قال: سمعت علياً عليه السلام وهو يقول: ما لقي أحد من الناس ما لقيت! ثم بكى علي عليه السلام[1].

وروى أبو عمرو النهدي قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: ما بمكّة والمدينة عشرون رجلاً يحبّنا![2].

قال: وروى ابن هلال الثّقفي في كتاب الغارات عن زكريّا بن يحيى العطّار عن فضيل عن محمد بن عليّ قال: لّما قال عليّ عليه السلام:

«سلوني قبل أن تفقدوني فواللّه لا تسألوني عن فئة تضلّ مائة وتهدي مائةً، إلّا أنبأتكم بناعقها وسائقها».

فقام إليه رجل فقال: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر!

---

(١) منتخب كتاب الغارات ص ٥٨٣.

(٢) الحديث موجود تحت الرقم: (٢٢٥) من منتخب كتاب الغارات ص ٥٧٣ ط ١.

فقال [عليّ عليه السلام:] وآللّه لقد حدّثني خليلي، أنّ على كلّ طاقة شعر من رأسك ملكاً يلعنك، وأنّ على كلّ طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يغويك، وأنّ في بيتك سخلاً يقتل آبن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله! وكان آبنه قاتل الحسين ـ عليه السلام ـ يومئذٍ طفلاً يحبو وهو سنان بن أنس النخعي(١).

وروى الحسن بن محبوب عن ثابت الثمالي عن أبي إسحاق السبيعي عن سويد بن غفلة: أنّ علياً عليه السلام خطب ذات يوم، فقام رجل من تحت منبره فقال: يا أمير المؤمنين إنّي مررت بوادي القرى، فوجدت خالد بن عرفطة قد مات فاستغفر له. فقال عليه السلام: واللّه ما مات ولا يموت حتّى يقود جيش ضلالة، صاحب لوائه حبيب بن حمّاد [جمّار «خ»].

فقام رجل آخر من تحت المنبر فقال: يا أمير المؤمنين أنا حبيب بن حمّاد، وإنّي لك شيعة ومحبّ. فقال [عليّ عليه السلام]: أنت حبيب بن حمّاد؟ قال: نعم. قال له ثانيةً: اللّـه! إنّك لحبيب بن حمّاد [جمّار «خ»]. فقال: إي واللّه. قال: أما واللّه إنّك لحاملها ولتحملنّها، ولتدخلنّ بها من هذا الباب. وأشار إلى باب الفيل بمسجد الكوفة.

قال ثابت: فوآللّه ما مِت حتّى رأيت آبن زياد وقد بعث عمر بن سعد إلى [حرب] الحسين عليه السلام، وجعل خالد بن عرفطة [من رجال صحاح أهل السنّة] على مقدّمته، وحبيب بن حمّاد صاحب رايته، فدخل بها من باب الفيل(٢).

---

(١) وقريباً منه جدّاً رواه أيضاً الشيخ المفيد في أخبار أمير المؤمنين عليه السلام عن الغيب من كتاب الإرشاد ص ١٧٤، ط النجف.

وهذا وما بعده رواه آبن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٧) من نهج البلاغة: ج١، ص ٤٧٥ ط الحديثة ببيروت، وفي ط الحديثة بمصر: ج٢ ص ٢٨٨.

(٢) والحديث رواه الشيخ المفيد رحمه اللّه مسنداً في عنوان: «جهات علوم الأئمة» في أواسط كتاب الاختصاص ص ٢٧٣.

وروى محمد بن جبلة الخيّاط عن عكرمة عن يزيد الأحمسي: أنّ علياً عليه السلام كان جالساً في مسجد الكوفة وبين يديه قوم، منهم عمرو بن حريث، إذ أقبلت امرأة مختمرة لا تعرف، فوقفت فقالت لعلّي عليه السلام: يا من قتل الرجال وسفك الدماء وأيتم الصبيان وأرمل النساء! فقال علّي عليه السلام: وإنّها لهي هذه السلقلقة الجلعة المجعة، وإنّها لهي هذه شبيهة الرجال والنساء، التي ما رأت دماً قطّ.

فولّت [المرأة] هاربة منكّسة رأسها، فاتّبعها عمرو بن حريث، فلمّا صارت بالرحبة قال لها: واللّه لقد سررت بما كان منك اليوم إلى هذا الرجل، فادخلي منزلي حتّى أهب لك وأكسوك. فلمّا دخلت منزله أمر جواريه بتفتيشها ونزع ثيابها لينظر صدقه فيما قاله عنها، فبكت وسألته أن لا يكشفها وقالت: أنا واللّه كما قال، لي ركب الرجال، وانثيان كانثي الرجال، وما رأيت دماً قط. فتركها وأخرجها.

ثم جاء [عمرو] إلى علي عليه السلام فأخبره فقال: إنّ خليلي رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، أخبرني بالمتمرّدين علّي من الرجال، والمتمرّدات من النساء إلى أن تقوم الساعة[1].

قال ابن أبي الحديد: السّلقلق: السّليطة، وهو الذّئب. والسلقة: الذئبة. والجلعة المجعة: البذية اللّسان. والركب: منبت العانة.

وروى عثمان بن سعيد عن يحيى التّيميّ عن الأعمش عن إسماعيل ابن رجاء قال: قام أعشى باهلة وهو غلام يومئذ حدث إلى علي عليه السلام،

ورواه أيضاً في إخبار أمير المؤمنين عليه السلام عن الغيب من كتاب الإرشاد، ص ١٧٣، ط النجف.

(١) وقريباً منه رواه الشيخ المفيد رحمه اللّه بأسانيد في أواخر كتاب الاختصاص ص ٢٩٦ ـ ٣٠٠ ط النجف.

وهو يخطب ويذكر الملاحم، فقال: يا أمير المؤمنين ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة! فقال عليّ عليه السلام: إن كنت آثمًا فيما قلت يا غلام فرماك اللّه بغلام ثقيف. ثمّ سكت.

فقالوا: ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين!

قال: غلام يملك بلدتكم هذه، لا يترك للّه حرمةً إلّا انتهكها، يضرب عنق هذا الغلام بسيفه. فقالوا: كم يملك يا أمير المؤمنين! قال: عشرين إن بلغها قالوا: فيقتل قتلًا أم يموت موتاً؟ قال: بل يموت حتف أنفه بداء البطن، يثقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه.

قال إسماعيل بن رجاء: فواللّه لقد رأيت بعيني أعشى باهلة وقد أحضر في جملة الأسرى الذين أسروا من جيش عبدالرحمان بن محمد بن الأشعث بين يدي الحجّاج، فقرّعه ووبّخه واستنشد شعره الذي يحرّض فيه عبدالرحمان على الحرب، ثم ضرب عنقه في هذا المجلس.

وروى محمد بن علي الصوّاف عن الحسين بن سفيان عن أبيه عن شهير [شمير «خ»] بن سدير الأزدي قال: قال عليّ لعمرو بن الحمق الخزاعي: أين نزلت يا عمرو؟ قال: في قومي. قال: لا تنزلنّ فيهم: أفأنزل في بني كنانة جيراننا؟ قال: لا. قال: أفأنزل في ثقيف؟ قال: فما تصنع بالمعرّة والمجرّة؟ قال: وما هما؟ قال: عنقان من نار يخرجان من ظهر الكوفة، أحدهما على تميم وبكر بن وائل، فقلّما يفلت منه أحد، ويأتي العنق الآخر فيأخذ على الجانب الآخر من الكوفة، فقلّ من يصيب منهم. إنّما هو يدخل الدار فيحرق البيت والبيتين. قال: فأين أنزل؟ قال: في بني عمرو بن عامر من الأزد.

قال: فقال قوم حضروا هذا الكلام: ما نراه إلّا كاهناً يتحدّث بحديث الكهنة.

فقال: يا عمرو إنّك لمقتول بعدي، وإنّ رأسك لمنقول، وهو أوّل رأس

ينقل في الإسلام، والويل لقاتلك، أما إنّك لا تنزل بقوم إلّا أسلموك برُمتك، إلّا هذا الحيّ مـــن بني عمرو بن عامر من الأزد، فإنّهم يسلموك ولن يخذلوك.

قال: فوالله ما مضت الأيّام حتّى تنقـل عمرو بن الحمق في خلافة معـاوية في أحياء العـرب خائفاًمذعوراً، حتّى نزل في قومه من بني خزاعة، فأسلموه فقتل وحمل رأسه من العراق إلى معاوية بالشام. وهو أوّل رأس حمل في الاسلام من بلد إلى بلد!

وروى إبراهيم بن ميمون الأزدي عن حبّة العُرَني قال: كان جويرية بن مسهر العبدي صالحاً، وكان لعليّ صديقاً، وكان عليّ عليه السلام يحبّه، ونظر يوماً إليه وهو يسير، فناداه يا جُوَيرية! إلحق بي فإنّي إذا رأيتك هويتك.

قال إسماعيل بن أبان فحدّثني الصباح عن مسلم عن حبّة العرني قال: سرنا مع عليّ عليه السلام يوماً، فالتفت فإذا جويرية خلفه بعيداً، فناداه يا جويرية! إلحق بي ـ لا أبـاً لك ـ ألا تعلم أنّي أهواك وأحبّك؟ قال: فركض [جويرية] نحوه فقال له: إنّي محدّثك بأمور فاحفظها. [قال حبة:] ثمّ ٱشتركا في الحديث سرّاً، فقال له جويرية: يا أمير المؤمنين أنا رجل نسيّ. فقال: أنا أعيد عليك الحديث لتحفظه، ثمّ قال في آخر ما حدثه إيّاه: يا جويرية! أحبب حبيبنا ما أحبّنا فإذا أبغضنا فابغضه، وأبغض بغيضنا ما أبغضنا فإذا أحبّنا فأحبّه.

قال: فكان ناس ممن يشكّ في أمر علي عليه السلام يقولون: أتراه جعل جويرية وصيّه كما يدّعي هو من وصية رسول الله صلّى الله عليه وآله؟

قال [حبّة]: يقولون ذلك لشدّة ٱختصاصه به حتى دخل على عليّ عليه السلام يوماً، وهو مضطجع وعنده قوم من أصحابه، فناداه جويرية: أيّها النائم ٱستيقظ فلتضـربنّ على رأسـك ضربة تخضب منها لحيتك. قال فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ قال: وأحدّثك يا جويرية بأمرك، أما والذي نفسي بيده،

لتعتلنّ إلى العتل الزنيم فليقطعنّ يدك ورجلك، ويصلبنّك تحت جذع كافر.

قال: فواللّه مامضت الأيّام على ذلك حتّى أخذ زياد جويرية، فقطع يده ورجله وصلبه إلى جانب جذع ابن بني معكبر ـ وكان جذعاً طويلاً ـ فصلبه على جذع قصير إلى جانبه.

وروى إبراهيم في كتاب الغارات عن أحمد بن الحسن الهيثمي قال: كان ميثم التّمار مولى علي عليه السلام عبداً لامرأة من بني أسد، فاشتراه عليّ عليه السلام وأعتقه فقال له: ما اسمك؟ قال: سالم. فقال: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله أخبرني أنّ اسمك الذي سمّاك به أبوك في العجم ميثم. قال: صدق اللّه ورسوله وصدقت، هو اسمي قال: فارجع إلى اسمك ودع سالماً فنحن نكنّيك به. فكنّاه أبا سالم.

قال:

وقد كان أطلعه عليّ عليه السلام على علم كثير وأسرار خفية من أسرار الوصية، فكان ميثم يحدّث ببعض ذلك فيشكّ فيه قوم من أهل الكوفة، وينسبون علياً عليه السلام إلى المخرقة والإيهام والتدليس، حتّى قال له يوماً بمحضر من خلق كثير من أصحابه وفيهم الشّاك والمخلص: يا ميثم إنّك تؤخذ بعدي وتصلب، فإذا كان اليوم الثاني ابتدر منخراك وفمك دماً حتّى تخضب لحيتك، فإذا كان اليوم الثالث، طعنت بحربة فيقضى عليك، فانتظر ذلك، والموضع الذي تصلب فيه على دار عمرو بن حريث، إنّك لعاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة ـ يعني الأرض ـ ولأرينّك النخلة التي تصلب على جذعها، ثمّ أراها إيّاها بعد ذلك بيومين، فكان ميثم يأتيها فيصلي عندها فيقول: بوركت من نخلة، لك خلقت، ولي نبت، فلم يزل يتعاهدها بعد قتل عليّ عليه السلام حتّى قطعت، فكان يرصد جذعها ويتعاهده ويتردّد إليه ويبصره.

وكان يلقى عمرو بن حريث فيقول: إنّي مجاورك فأحسن جواري، فلا

يعلم عمرو ما يريد. فيقول له: أتريد أن تشتري دار ابن مسعود أم دار ابن حكيم.

أقـول : ثمّ ذكر قصة شهادته نحواً مما سنذكره في باب أحواله رحمه الله.

ثمّ قال: قال إبراهيم: [و] حدّثني إبراهيم بن العباس عن مبارك البجلي عن أبي بكر بن عيّاش، عن مجالد عن الشعبي عن زياد بن النضر الحارثي قال: كنت عند زياد وقد أتي برشيد الهجري، وكان من خواصّ أصحاب علي عليه السّلام، فقال له زياد: ما قال لك خليلك أنّا فاعلون بك؟ قال: تقطعون يدي ورجلي وتصلبونني. فقال زياد: أما والله لأكذبنّ حديثه، خلّوا سبيله فلمّا أراد أن يخرج قال: ردّوه، لا نجد لك شيئاً أصلح مما قال صاحبك، إنّك لن تزال تبغي لنا سوءاً إن بقيت، اقطعوا يديه ورجليه فقطعوا يديه ورجليه وهو يتكلّم، فقال: اصلبوه خنقاً في عنقه. فقال رشيد: وقد بقي لي عندكم شيء ما أراكم فعلتموه. فقال زياد اقطعوا لسانه. فلمّا أخرجوا لسانه [ليقطع] قال: نفّسوا عنّي حتّى أتكلّم كلمة واحدة. فنفّسوا عنه فقال: والله هذا تصديق خبر أمير المؤمنين عليه السلام، أخبرني بقطع لساني. فقطعوا لسانه وصلبوه.

وروى أبو داوود الطيالسي عن سليمان بن زريق عن عبدالعزيز بن صهيب قال: حدّثني أبو العالية قال حدّثني مزرع صاحب علي بن ابي طالب عليه السلام، إنّه قال: ليقبلنّ جيش حتّى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم.

قال أبو العالية: قلت: فإنّك لتحدّثني [بالغيب] فقال [مزرع]: احفظ ما أقول لك فإنّما حدثني به الثقة علي بن أبي طالب عليه السلام.

[قال:] وحدّثني أيضاً شيئاً آخر، [قال]: لتؤخذنّ فلتقتلنّ ولتصلبنّ بين شرفتين من شرف المسجد.

[قال أبو العالية:] فقلت له: إنّك لتحدّثني بالغيب! فقال: احفظ ما

أقول لك.

قال أبـو العالية: فوآللّه ما أتت علينا جمعة حتى أخذ مزرع، فقتل وصلب بين شرفتين من شرف المجسد.

وروى محمد بن موسى العنزي قال: كان مالك بن ضمرة الرواسيّ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وممن آستبطن من جهته علمًا كثيراً، وكان أيضاً قد صحب أبا ذرّ فأخذ من علمه، وكان يقول في أيّام بني أميّة: آللّهم لا تجعلني شرّ الثلاثة. فيقال: له: وما الثلاثة؟ فيقول: رجل يرمى به من فوق طمار، ورجل تقطع يداه ورجلاه ويصلب، ورجل يموت على فراشه.

فكان من الناس من يهزء به ويقول: هو من أكاذيب أبي تراب. قال: فكـان الـذي رمي به من طمار هانيء بن عروة، والـذي قطع وصلب رُشَيد الهجري، ومات مالك على فراشه.

وقال آبن أبي الحديد: وروى قيس بن الربيع عن أبي هارون العبدي عن ربيعة بن مالك السعدي قال: أتيت حذيفة بن اليمان فقلت: يا أبا عبداللّه إنّ الناس ليتحدّثون عن عليّ بن ابي طالب ومناقبه فيقول لهم أهل البصرة: إنّكم لتفرطون في تقريظ هذا الرجل. فهل أنت محدّثي بحديث عنه أذكره للناس ؟ فقال [حذيفة]: يا ربيعة وما الذي تسألني عن عليّ عليه السلام؟ وما الذي أحدّثك به عنه؟ والذي نفس حذيفة بيده،لو وضع جميع أعمال أمّة محمد صلّى اللّه عليه وآله في كفّة الميزان منذ بعث اللّه تعالى محمّداً صلى اللّه عليه وآله وسلّم إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل واحد من أعمال عليّ في الكفّة الأخرى لرجح على أعمالهم كلّها.

فقال ربيعة: هذا المدح الذي لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل، إنّي لأظنّه إسـرافـاً يا أبا عبداللّه. فقال حذيفة: يا لُكع ـ وكان لا يحمل ـ: وأين كان المسلمون يوم الخندق وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه، فملكهم الهلع والجزع،

ودعا إلى المبارزة فأحجموا عنه حتّى برز إليه عليّ عليه السلام فقتله؟

والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من أعمال أمّة محمّد صلّى اللّه عليه وآله إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم الساعة[1].

توضيـــح:

[قوله:] «إنّي لآخذ منك»: لعلّه آستفهام إنكاري: أي إنّي لا أحتاج إلى فضول علمك وثمرات رأيك، شبّهها بما ينبذ من فضول الغزل عند الحياكة لمناسبة كون الملعون حائكاً.

وقال الجوهري: الهمس: الصوت الخفيّ. وهمس الأقدام: أخفى مايكون من صوت القدم. وقال: الرمّة: قطعة من الحبل بالية ومنه قولهم: «دفع إلي الشيء برمّته». وأصله أنّ رجلاً دفع إلى رجل بعيراً بحبل في عنقه، فقيل ذلك لكلّ من دفع شيئاً بجملته. وقال: عتلت الرجل أعتِلُه وأعتُلُه إذا جذبته جذباً عنيفاً، والعُتُلّ: الجافي الغليظ. وقال: الزنيم: المستلحق في قوم ليس منهم [و] لا يحتاج إليه وقيل: هو اللئيم الذي يعرف بلؤمه.

قولـــه «تحت جذع كافـــر»: بالإضـــافـة ويحتمـل التـوصيف، قال [الفيروزآبادي] في القاموس: الكافر من الأرض: ما بعد عن الناس. والكفر: الخشبة الغليظة القصيرة. والأوّل أظهر.

وقال [الجواهري] في الصحاح: الظّهار: المكان المرتفع. وقال: التّقريض: مدح الانسان وهو حيّ. وقيل مدحه بباطل أو حقّ.

---

(١) وهذا المعنى قد رواه الحافظ الحسكاني بأسانيد في تفسير الآية: (٢٥) من سورة الأحزاب في الحديث: (٦٣٤) وما بعده من كتاب شواهد التنزيل: ج٢ ص ٥.

ورواه أيضاً عن مصادر العلاّمة الأميني رحمه اللّه في الغدير: ج٧ ص ٢٠٦، ط بيروت.

١٠٦٩ـ نهـج: [و] قال عليه السّلام لعمّار بن ياسر ـ وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً ـ: دعه يا عمّار فإنّه لم يأخذ من الدّين إلاّ ما قاربته الدّنيا [و] على عمدٍ لبّس على نفسه، ليجعل الشّبهات عاذراً لسقطاته.

بيـــان :

السقطة: العثرة والزلّة.

١٠٧٠ـ نهـج: [و] قال عليه السـلام للأشعث بن قيس معـزّياً: إن صبرت صبر الأكارم، إلاّ سلوت سُلُوّ البهائم.

بيـــان

سلاه وسـلا عنـه سلواً وسُلُواً: نسيه فتسلّى، والمعنى إن صبرت عند المصيبة ورضيت بقضاء اللّه، كنت من الأكارم والأفاضل وفزت بالثواب، وإن لم تصبر فلا محالة تنسى المصيبة وتترك الجزع بعد زمان كالبهائم، فإنّها تنسى ما يصيبها بعد ذهاب ألمها ولا ثواب لها.

١٠٧١ـ كـا: أبو عليّ الأشعري عن محمّد بن عبدالجبّار، ومحمّد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان جميعاً عن صفوان بن يحيى عن زيد الشحام عن أبي عبداللّه عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: إنّ الرجل كان في القبيلة من شيعـة عليّ عليه السـلام، فيكون زينها أدّاهم للأمانة، وأقضاهم

١٠٦٩ـ رواه الشريف الرضيّ رفع اللّه مقامه في المختار: (٤٠٥) من قصار كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

وللكلام مصادر أخر يجد الباحث بعضها في المختار: (٧٨) من كتاب نهج السعادة: ج١، ص ٢٥٦.

١٠٧٠ـ رواه السّيد الرضيّ رحمه اللّه في المختار: (٤١٤) من الباب الثالث من كتاب نهج البلاغة.

١٠٧١ـ رواه ثقة الإسلام الكليني رفع اللّه مقامه في ذيل الحديث الأخير من الباب الأوّل من كتاب العشرة من أصول الكافي: ج٢ ص ٦٣٦.

للحقوق وأصدقهم، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان! إنّه لأدّانا للأمانة وأصدقنا للحديث.

١٠٧٢ـ نهـج: [و] قال عليه السـلام: يهلك فيّ رجـلان: محبٌّ غال ومبغض قال.

بيـان

قلاه: أي كرهه وأبغضه. وهو يشمل المخالفين أيضاً لأنّ تقديم غيره عليه بغض له.

١٠٧٣ـ١٠٧٤ـ كتاب الغارات لابراهيم الثقفي عن يوسف بن كليب المسعودي عن معاوية بن هشام عن الصباح المزني عن الحارث بن حصيرة عن أصحابه عن عليّ عليه السلام أنّه قال: أدعو لي غنياً وباهلة ـ وحياً آخر قد سمّاهم ـ فليأخذوا عطاياهم، فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ما لهم في الإسلام نصيب، وإنّي لشاهد لهم في منزلي عند الحوض وعند المقام المحمود أنّهم أعدائي في الدنيا والآخرة.

ولئن ثبت قدماي لأردّنّ قبائل إلى قبائل وقبائل إلى قبائل، ولأبهرجنّ ستّين قبيلةً ما لهم في الإسلام نصيب.

وعن يوسف بن كليب عن يحيى بن سالم عن عمرو بن عمير عن أبيه

١٠٧٢ـ رواه السّيّد الرضيّ رحمه الله في المختار: (١١٧) من قصار كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

١٠٧٣ـ رواه مع التالي إبراهيم بن محمّد الثقفي رحمه الله في الحديث: (٥) من كتاب الغارات ص ٢٠.

ورواه عنه شيخ الطائفة بسنده عن الثقفي في أواخر الجزء الرابع من كتاب الأمالي ص ٧٢، و في ط بيروت ص ١١٦.

وليلاحظ ما تقدم عن المصنف في هذا المجلّد ص ٧٠٤ ط الكمباني.

عنه عليه السلام مثله.

١٠٧٥ـ نهـــج: [و] في حديثه عليه السلام:

هذا الخطيب الشّحشح.

قال السيّد [الرضّي] رحمه اللّه: يريد الماهر بالخطبة الماضي فيها، وكلّ ماض في كلام أو سير فهو شحشح، والشحشح في غير هذا الموضع: البخيل الممسك.

بيـــان

قال ابن أبي الحـديد: هذه الكلمة قالها [عليه السلام] لصعصعة بن صوحان، وكفى له فخراً أن يثني له علي عليه السلام بالمهارة وفصاحة اللسان، وكان صعصعة من أفصح الناس، ذكر ذلك شيخنا أبو عثمان.

١٠٧٦ـ نهـــج: [و] من كلام له عليه السلام كلّم به عبداللّه بن زمعة وهو من شيعته، وذلك إنّه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً فقال عليه السلام: إنّ هذا المال ليس لي ولا لك، وإنّما هو فيء المسلمين وجلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظّهم، وإلّا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم.

بيـــان :

جَلَب أسيافهم ـ بالتحريك ـ: ما اجتلبته أسيافهم وساقته إليهم.

١٠٧٧ـ نهـــج: [و] هنّأ بحضرته عليه السلام رجل رجلاً بغلام ولد له

١٠٧٥ـ رواه الشريف الرضيّ في المختار الثاني من غريب كلام أميرالمؤمنين عليه السلام المذكور بعد المختار: (٢٦٠) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

١٠٧٦ـ رواه السّيد الرضيّ رضوان اللّه عليه في المختار: (٢٣٠) من كتاب نهج البلاغة.

١٠٧٧ـ رواه السّيد الرضيّ رحمه اللّه في المختار: (٣٥٤) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

فقـال: ليهنّئك الفارس. فقال عليه السلام: لا تقل ذاك ولكن قل: شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب، وبلغ أشدّه، ورزقت برّه.

بيــــان

«شكرت الواهب»: جملة دعائية: أي رزقك اللّه شكره. والأشدّ: القوّة وفسّر بما بين ثماني عشر إلى ثلاثين.

١٠٧٨ـ نهــج: [و] بنى رجل من عماله عليه السلام بناءاً فخمًا فقال [علي] عليه السّلام:

أطلعت الوَرِقُ رؤسها. إنّ البناء ليصف لك الغِنىٰ.

بيــــان

قال الجوهري: رجل فخم: أي عظيم القدر. وقال: الوَرِق: الدراهم المضروبة.

١٠٧٩ـ نهــج: [و] قال عليه السلام: وقد عزّى الأشعث بن قيس عن ابن له:

يا أشعث! إن تحزن على ابنك فقد استحقّت ذلك منك الرحم، وإن تصبر ففي اللّه من كلّ مصيبة خلف.

يا أشعث! إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك وأنت مأزور.

١٠٧٨ـ رواه الشريف الرضيّ رضوان اللّه عليه في المختار: (٣٥٥) من قصار كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

١٠٧٩ـ رواه الشريف الرضيّ رضي اللّه تعالى عنه في المختار: (٢٩١) من قصار كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

[يا أشعث! إبنك] سرّك وهو بلاء وفتنة، وحزنك وهو ثواب ورحمة.

بيـــان

«إن تحزن»: ظاهره جواز الحزن، ولا ينافي كونه مأزوراً على الجزع، فإنّ الحزن غير الجزع.

وقال الشيخ الرضي رحمه اللّه: قولهم: «في اللّه من كلّ ما فات خلف»: أي في ألطافه.

وقال الجوهري: الوزر: الإثم والثقل قال الأخفش : تقول: منه وزر يوزر، ووزر يزر، ووزر يؤزر، فهـو موزور. وإنّما قال في الحديث «مأزورات» لمكان «مأجورات»، ولو أفرد لقال موزورات.

[وقـوله]: «سرّك»: أي الولد. وكونه فتنة لقوله تعالى ﴿إنّما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ [١٥/ التغابن: ٦٤].

١٠٨٠ـ يـــج: روي أنّ علياً عليه السلام قال يوماً: لو وجدت رجلًا ثقةً لبعثت معه بمال إلى المدائن إلى شيعتي. فقال رجل في نفسه: لآتينّه ولأقولّن أنا أذهب بالمال فهو يثق بي، فإذا أخذته أخذت طريق الشام إلى معاوية، فجاء إلى عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أنا أذهب بالمال، فرفع رأسه إليّ وقال: إليك عنّي تأخذ طريق الشام إلى معاوية.

١٠٨٠ـ نهـــج: [و] قيل: إنّ الحارث بن حوط أتاه عليه السلام فقال:

١٠٨٠ـ رواه قطب الدين الراوندي رحمه اللّه في كتاب الخرائج ١/١٩٥ الباب الثاني ح٣١ من معجزات أمير المؤمنين.

١٠٨١ـ .رواه السيد الرضيّ قدّس اللّه نفسه في المختار: (٢٦٢) من الباب الثالث من كتاب نهج البلاغة.

وقد تقدم برواية شيخ الطائفة مسنداً تحت الرقم: (١٦٠) في الباب (٤) ص ٤٤١ ط الكمباني.

أتراني [أظنّ أنّ] أصحاب الجمل كانوا على ضلالة! فقال عليه السلام: يا حار إنّك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت، إنّك لم تعرف الحقّ فتعرف أهله، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه.

فقال الحارث: فإنّي أعتزل مع سعد بن مالك وعبدالله بن عمر، فقال عليه السلام: إنّ سعداً وعبدالله لم ينصرا الحقّ ولم يخذلا الباطل.

بيـــان :

قال الراوندي: الصحيح «ابن حوط» بالحاء المهملة المفتوحة و[وجدت] بخطّ الرضي بالمعجمة المضمومة. و[قوله:] «يا حار» في بعض النسخ بضمّ الراء وفي بعضها بكسرها.

[قوله عليه السلام:] «نظرت تحتك»: أي إلى الأمر الظاهر الذي يستولي عليه فكرك ونظرك وهو خطّة قتال أهل القبلة، ولم تنظر إلى الأمر العالي الذي هو فوق نظرك من وجوب قتالهم لبغيهم على الإمام العادل.

وقيل: أي نظرت في أعمال الناكثين من أصحاب الجمل المتمسّكين بظاهر الإسلام الذين هو دونك في المرتبة لبغيهم، فاغتررت بشبهتهم ولم تنظر إلى من هو فوقك وهو إمامك الواجب الطاعة ومن تبعه من المهاجرين والأنصار.

وقيل: نظره تحته كناية عن نظره إلى باطل شبهتهم المكتسبة عن محبّة الدنيا التي هي الخيبة، ونظره فوقه كناية عن نظره إلى الحقّ وتلقّيه من الله.

وسعد بن مالك هو ابن أبي وقّاص .

[قوله عليه السلام:] «ولم يخذلا الباطل»: أي ما سعيا في محق الباطل، وليس يعني بالخذلان عدم المساعدة.

وقيل: هو من قولهم «خذلت الوحشية»: إذا قامت على ولدها: أي لم

يقيها عليه ولم ينصراه.

١٠٨٢ـ١٠٨٣ـ **كتاب الغارات** لإبراهيم بن محمد الثقفي بإسناده عن زاذان قال: انطلقت مع قنبر إلى عليّ عليه السلام فقال: قم يا أمير المؤمنين فقد خبأت لك خبيئة. قال: فما هو؟ قال: قم معي فقام فانطلق إلى بيته فإذا باسنة مملوءة جامات من ذهب وفضّة فقال: يا أمير المؤمنين إنّك لا تترك شيئاً إلّا قسمته فادّخرت هذا لك. قال عليّ عليه السلام: لقد أحببت أن تدخل بيتي ناراً كثيرةً؟ فسلّ سيفه فضربها فانتثرت من بين اناء مقطوع نصفه أو ثلثه، ثمّ قال: اقسموه بالحصص. ففعلوا وجعل [علي] يقول:

هذا جناي وخياره فيه إذ كلّ جان يده إلى فيه

[ثمّ قال:] يا بيضاء ويا صفراء غرّي غيري!

قال: وفي البيت مساك وإبر فقال: اقسموا هذا فقالوا: لا حاجة لنا فيه: قال: وكان يأخذ من كلّ عامل مما يعمل: والذي نفسي بيده لتأخذنّ شرّه مع خيره[1].

١٠٨٢ـ رواه الثقفي رفع الله مقامه في الحديث:(٢٧) و (٣٣) من كتاب تلخيص الغارات ص ٦٥ ـ ٦٦.

وقد أورده المصنّف أيضاً عن الغارات في المجلّد التاسع ص ٥٤٠ ط الكمباني.

وللحديث شواهد كثيرة يجدها الباحث في الحديث السابع وما يليه من فضائل عليّ عليه السلام من كتاب الفضائل ـ تأليف أحمد بن حنبل ـ ص ١٠، وما بعدها ط ١، وفي الحديث: (١١٨) وما حولها من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب أنساب الأشراف: ج١، ص ٣٢٢، وفي ط١: ج٢ ص ١٣٥، وما يليها.

ورواها أيضاً مع أحاديث أخر في معناه ابن أبي الحديد ـ بلا إشارة إلى مصدرها ـ في شرحه على المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: ج١ ص ٤١٤، ط الحديث ببيروت، وفي ط مصر: ج٢ ص ٩٩.

(١) كذا في الأصل المطبوع، وفي شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة من شرح ابن أبي الحديد، ط بيروت «ومسال» ومثله في الغارات ط دار الأضواء ومعناه (المخيط الكبير) وهو أنسب

وعن حبيب بن أبي ثابت أنّه قال: قال عبدالله بن جعفر بن أبي طالب لعلّي عليه السلام: يا أمير المؤمنين! لو أمرت لي بمعونة أو نفقة فوالله ما عندي [نفقة] إلاّ أن أبيع بعض علوفي. قال له: لا والله ما أجد لك شيئاً إلاّ أن تأمر عمّك أن يسرق فيعطيك.

بيـــان:

«فإذا باسنة»: كذا في نسخ [كتاب] الغارات. و [قال الفيروزآبادي] في القاموس: الباسنة: جوالق غليظ من مشاقة الكتان. انتهى.

ويحتمل أن يكون [«فإذا بأشنّة»] بالشين المعجمة جمع الشّنّ [وهي القربة].

وفي رواية ابن أبي الحديد: «فإذا بغرارة»: وهي الجوالق. والمساك: جمع مسك ـ بالتحريك ـ وهي الأسورة والخلاخل من القرون والعاج. وفي رواية ابن أبي الحديد: «[وفي البيت] مسك»[1] وهو أظهر.

والعلوفة: الناقة أو الشاة تعلفها ولا ترسلها فترعى. وفي بعض النسخ: [«علوقي»] بالقاف: وهو ما يعلق به الإنسان كناية عن الثياب، واسم لنوع من الناقة أيضاً. وفي رواية ابن أبي الحديد: «إلاّ أن أبيع دابّتي».

١٠٨٤ـ يـــج: روي أنّ الأشعث بن قيس استأذن على عليّ عليه السلام

للإبر.

(١) هذا هو الصواب فيه وما قبله، وفي أصلي في الموردين «قال».

١٠٨٤ـ رواه قطب الدين الراوندي في كتاب الخرائج ج١ ص١٩٩ ح٣٨ باب معجزات أمير المؤمنين.

ورواه أيضاً الطبراني في ترجمة الأشعث بن قيس من كتاب المعجم الكبير: ج١ الورق ٦١. وفي ط بغداد: ج١. ورواه بسنده عنه ابن عساكر في ترجمة الأشعث من تاريخ دمشق. ورويناه بسند أبي الفرج الأصبهاني في المختار: (٣٧٠) من كتاب نهج السعادة: ج٢ ص

فردّه قنبر، فأدمى أنفه فخرج علي عليه السلام وقال:

ما ذاك يا أشعث؛ أما والله لو بعبد ثقيف مررت لاقشعرّت شعيرات أستك! قال: ومن غلام ثقيف؟ قال: غلام يليهم لا يبقى بيت من العرب إلّا أدخلهم الذلّ. قال: كم يلي؟ قال: عشرين إن بلغها.

[ثم] قال الراوي: ولي الحجّاج سنة خمس وسبعين ومات سنة خمس وتسعين.

١٠٨٥ـ يـج: وروى جميع بن عمير قال:

اتّهم علّي عليه السلام رجلاً يقال له العيزار برفع أخباره إلى معاوية، فأنكر ذلك وجحد فقال: لتحلف بالله أنّك ما فعلت! قال: نعم، وبدر يحلف. فقال [له علي]: إن كنت كاذباً فأعمى الله بصرك.

[قال:] فما دارت الجمعة حتّى أخرج أعمى يقاد، قد أعمى الله بصره.

١٠٨٦ـ مـا: جماعة عن أبي المفضّل عن محمد بن القاسم بن زكريا عن عبّاد بن يعقوب، عن مطر بن أرقم عن الحسن بن عمرو الفقيمي عن صفوان بن قبيصة، عن الحارث بن سويد عن عبدالله بن مسعود قال:

قرأت على النبيّ صلّى الله عليه وآله سبعين سورة من القرآن أخذتها من فيه، وزيد [بن ثابت] ذو ذؤابتين يلعب مع الغلمان، وقرأت سائر ـ أو قال:

---

٧٠٥ ط١

١٠٨٥ـ رواه قطب الدين الراوندي رحمه الله في كتاب الخرائج ج١ص٢٠٧ح٤٨ من باب معجزات امير المؤمنين.

١٠٨٦ـ رواه الشيخ الطوسي رفع الله مقامه في أواخر الجزء (١٣) من أماليه:ج١،ص ٣٩٧ ط بيروت.

وليلاحظ الحديث: (١٠٥٧) وتواليه من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج٣ ص ٣٢ ط٢.

بقيّة ـ القرآن على خير هذه الأمّة، وأقضاهم بعد نبيّهم صلّى اللّه عليه وآله علي بن أبي طالب.

١٠٨٧ـ ما: جماعة عن أبي المفضّل عن عبداللّه بن محمد بن عبدالعزيز عن شريح بن يونس، عن هيثم بن بشير عن يعلى بن عطاء عن عبداللّه بن نافع:

أنّ أبا موسى [الأشعري] عاد الحسن بن علّي عليه السلام، فقال علّي عليه السلام:

أما إنّه لا يمنعنا ما في أنفسنا عليك أن نحدّثك بما سمعنا [سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله قال:] إنّه من عاد مريضاً شيّعه سبعون ألف ملك، كلّهم يستغفر له إن كان مصبحاً حتّى يمسي، وإن كان ممسياً حتّى يصبح، وكان له خريف في الجنّة.

١٠٨٨ـ ١٠٩٣ـ كتاب الغارات عن قدم الضبّي قال:

بعث علّي عليه السلام إلى لبيد بن عطارد التميمي لِيُجاء به، فمرّ [الذي أخذه إلى أمير المؤمنين] بمجلس من مجالس بني أسد وفيه نعيم بن

١٠٨٧ـ رواه شيخ الطائفة في الحديث (١٤) من المجلس:(١٣) من المجلد الثاني من أماليه ص ٦٤٦، ورواه بسند آخر في الحديث: (٥٠) من الجزء (١٤) من أماليه: ج١ ص ٤١٥.

ورواه أيضاً أحمد بن حنبل في مسند أمير المؤمنين عليه السلام تحت الرقم: (٦١٢ و ٧٠٢ و ٧٥٤) في أوائل مسند أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب المسند: ج١، ص ٨١ و ٩١ و ٩٧ ط١، وذكره محقّقه في ط٢ عن أبي داود، والترمذي وابن ماجة وابن حبان، والحاكم والترغيب والترهيب: ج٤ ص ١٦٢ ـ ١٦٣.

ورواه أيضاً أبو يعلى تحت الرقم ٢ و ٢٩ من مسند أمير المؤمنين من مسنده ج١، ص ٢٢٧ و٢٤٨ط بيروت.[وقد رواه باختصار جماعة، منهم السيّد.

١٠٨٨ـ رواه الثقفي رحمه اللّه مع التوالي في الحديث:(٧١ ـ ٧٥) و(١٨٠ ـ ١٨٢) من كتاب الغارات ص ١١٩ ـ ١٢٤، وص ٤٩٨ ـ ٥٠٠.

دجاجة، فقام نعيم فخلّص الرجل، فأتوا أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: أخذنا الرجل فمررنا به على نعيم بن دجاجة فخلّصه ـ وكان نعيم من شرطة الخميس ـ فقال: عليَّ بنعيم. [فأتي به] فأمر به أن يضرب ضرباً مبرّحاً، فلمّا ولّوا به [إلى السجن] قال: يا أمير المؤمنين! إن المقام معك لذلّ وإنّ فراقك كفر. قال: إنّه لكذاك؟ قال: نعم. قال: خلّوا سبيله.

وعن الفضل بن دكين عن الحسن بن حيّ عن ابن أبي ليلى قال: إنّ علياً عليه السلام رزق شريحاً القاضي خمس مائة[1].

وعن إسماعيل بن أبان عن عمرو بن شمر عن سالم الجعفي عن الشعبي قال: وجد علي عليه السلام درعاً له عند نصراني فجاء به إلى شريح يخاصمه إليه، [فلما نظر إليه] ذهب يتنحّى، فقال: مكانك. وجلس إلى جنبه وقال: يا شريح أما لو كان خصمي مسلماً ما جلست إلّا معه، ولكنّه نصراني، وقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: إذا كنتم وإيّاهم في طريق فألجؤهم إلى مضائقة، وصغّروا بهم كما صغّر اللّه بهم في غير أن تظلموا.

ثمّ قال علّي عليه السلام: إنّ هذه درعي لم أبع ولم أهب. فقال النصراني: ما الدرع إلّا درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب.

فالتفت شريح إلى علّي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين هل من بيّنة؟ قال: لا. فقضى بها [شريح] للنصراني.

[فأخذها النصراني] فمشى هُنَيئةً ثم أقبل، فقال: أمّا أنا فأشهد أنّ هذه أحكام النبيين، [أمير المؤمنين] يمشي إلى قاضيه وقاضيه يقضي عليه! أشهد أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، الدرع واللّه درعك يا أمير المؤمنين. قال: أمّا إذا أسلمت فهي لك وحمله على فرس.

---

(١) وانظر ترجمة شريح القاضي من الطبقات الكبرى لابن سعد. ج٦ ص ١٣٨، ط بيروت.

قال الشعبي: فأخبرني من رآه يقاتل مع علي عليه السلام الخوارج بالنهروان(١).

وعن أبي عمرو الكندي قال: كنّا ذات يوم عند عليّ فوافق الناس منه طيب نفس ومزاج، فقالوا: يا أمير المؤمنين حدّثنا عن أصحابك. قال: عن أيّ أصحابي تسألوني؟ قالوا: عن أصحاب محمد صلّى الله عليه وآله. قال: كلّ أصحاب محمد صلّى الله عليه وآله أصحابي، فعن أيّهم تسألوني؟ قالوا: عن الذين رأيناك تلطفهم بذكرك وبالصلاة عليهم دون القوم. قال: عن أيّهم؟ قالوا: حدّثنا عن عبدالله بن مسعود قال: قرأ القرآن وعلم السنّة ـ وكفى بذلك ـ. قالوا: فوالله ما درينا بقوله: «وكفى بذلك» كفى بقراءة القرآن وعلم السنّة؟ أم كفى بعبد الله؟.

قال: فقلنا: حدّثنا عن أبي ذرّ قال: كان يكثر السؤال فيعطي ويمنع، وكان شحيحاً حريصاً على دينه، حريصاً على العلم الجزم، قد ملئ في وعاء له حتى امتلأ وعاؤه علماً عجز فيه. قال: فوالله ما درينا بقوله: «عجز فيه» أعجز عن كشفه ما كان عنده؟ أو عجز عن مسألته؟.

قلنا: حدّثنا عن حذيفة بن اليمان قال: علم أسماء المنافقين، وسأل عن المعضلات حين غفل [غيره] عنها، ولو سألوه لوجدوه بها عالماً.

قالوا: فحدّثنا عن سلمان الفارسي قال: من لكم بمثل لقمان الحكيم!؟ وذلك امرءٌ منّا وإلينا أهل البيت، أدرك العلم الأوّل وأدرك العلم الآخر، وقرأ

---

(١) وهذا هو الحديث: (٧٥) من كتاب منتخب الغارات ص ١٢٤، وقد رواه أيضاً المصنف في ج٢٤ من البحار، ص ١٣.

ورواه أيضاً المحدّث النوري رحمه الله في «نوادر ما يتعلّق بآداب القاضي» من كتاب مستدرك الوسائل: ج٢ ص ١٩٧.

وللحديث مصادر كثيرة جدّاً يجد الطالب أكثرها في تعليق الحديث: (١٢٦٢) من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق: ج٣ ص ٢٤٤ ط٢.

الكتاب الأوّل وقرأ الكتاب الآخر بحر لا ينزف.

قلنا: فحدّثنا عن عمّار بن ياسر قال: ذلك أمرءٌ خالط اللّه الإيمان بلحمه ودمه وشعره وبشره حيث زال [الحقّ] زال معه، ولا ينبغي للنار أن تأكل منه شيئاً.

قلنا: فحدّثنا عن نفسك قال: مهلاً، نهانا ألّله عن التزكية. [فـ]قال له رجل: فإنّ اللّه يقول: ﴿وأمّا بنعمة ربّك فحدّث﴾ [١١/ الضحى:٩٣] قال: فإنّي أحدّث بنعمة ربّي.

كنت وألّله إذا سألت أعطيت، وإذا سكتّ ٱبتديت، وإنّ تحت الجوانح منّي علماً جمّاً فاسألوني.

فقام إليه ٱبن الكوّاء فسأله عن مسائل أوردناها في محالّها [من هذا الكتاب][١].

وعن النعمان بن سعد قال: رأيت علياً عليه السلام على المنبر يقول: أين الثمودي؟ فطلع الأشعث فأخذ كفّاً من الحصا وضرب وجهه فأدماه، وانجفل وانجفل الناس معه ويقول: ترحاً لهذا الوجه ترحاً لهذا الوجه.

بيـــان :

الترح: ضدّ الفرح. والهلاك والانقطاع.

---

(١) ولهذا الحديث أيضاً مصادر كثيرة وقد ذكرنا صورة منه في المختار: (٣٤٢) من كتاب نهج السعادة: ج٢ ص ٦٣٠ ط١.

وأيضاً ذكرنا وجهاً آخر منه عن مصدر آخر مسنداً في المختار: (١١١) من القسم الثّاني من الباب الأوّل من نهج السعادة: ج٣ ص ٤١٩ ط١.

وقد رواه أيضاً المصنّف العلّامة في باب فضائل سلمان من هذا الكتاب: ج٦ ص ٩٧١. وقد رواه الحافظ ٱبن عساكر في ترجمة حذيفة بن اليمان من تاريخ دمشق. ورواه أيضاً الذهبي في كتاب أعلام النبلاء: ج١، ص ٢٧٨ و ج٢ ص ٣٩٣.

وفي [كتاب] الغارات عن عبّاد بن عبدالله الأسدي، قال: كنت جالساً يوم الجمعة وعليّ عليه السلام يخطب على منبر من آجر، وابن صوحان جالس فجاء الأشعث فقال: يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على وجهك! فغضب [عليّ عليه السلام] فقال: [صعصعة] ليبيّن اليوم من أمر العرب ما كان يخفى فقال عليّ عليه السلام: من يعذرني عن هؤلاء الضياطرة، يقبل أحدهم يتقلّب على حشاياه، ويهجّر قوم لذكر الله، فيأمرني أن أطردهم فأكون من الظالمين.

والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، لقد سمعت محمّداً صلّى الله عليه وآله يقول: ليضربنكم والله على الدّين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً.

قال مغيرة: كان علي عليه السلام أميل إلى الموالي وألطف بهم، [و] كان عمر أشدّ تباعداً منهم.

بيـــان :

قال الجزري في [مادة «حمر» من كتاب النهاية]: حـديـث علـيّ عـليه السلام[1]: «غلبتنا عليك هذه الحمراء». يعنون العجم والروم. والعرب تسمّي الموالي الحمراء.

و [أيضاً] قال [الجزري] في [مادة «حشى» و «ضيطرة»]: وفي حديث عليّ: «من يعذرني من هؤلاء الضياطرة يتخلّف أحدهم يتقلّب على حشاياه» الضياطرة: هم الضخام الذين لا غناء عندهم. الواحد: ضيطار، والياء زائدة. والحشايا: الفرش واحدها حشيّة بالتشديد. انتهى.

أقـول : «يهجّـر» على التفعيل: بمعنى السير في الهاجرة، قال [ابن الأثير] في النهاية: [و] منه حديث زيد بن عروة «هل مهجّر كمن قال؟» أي

---

(١) هكذا في الأصل والأظهر أن يكون: في حديث الأشعث لعليّ ـ عليه السلام ـ لأنّ القائل: «غلبتنا هذه الحمراء على وجهك» هو الأشعث.

هل من سار في الهاجرة كمن نام في القائلة؟

١٠٩٤ـ نهـج: [و] قال عليه السلام لكاتبه عبيدالله بن أبي رافع: ألق دواتك، وأطل جلفة قلمك، وفرّج بين السطور، وقرمط بين الحروف، فإنّ ذلك أجدر بصباحة الخطّ.

بيــان :

قال الجوهري: لاقت الدواة تليق: أي لصقت. ولقتها أنا يتعدّى ولا يتعدّى فهي مليقة إذا أصلحت مدادها، وألقتها إلاقـةً لغة فيه. وقال: الجلف: القشر يقال: جلفت الطين عن رأس الدّن أجلفه بالضمّ. وجلفت الشيء قطعته واستأصلته.

وقال ابن أبي الحديد: الجلفة: هيئة فتحة القلم، وأصله: القشر.

١٠٩٥ـ نهـج: [و] قال أمير المؤمنين عليه السلام:

يأتي على النّاس زمان، لا يبقى فيهم من القرآن إلّا رسمه، ومن الإسلام إلّا اسمه، مساجدهم يومئذٍ عامرة من البناء، خراب من الهدى، سكانها وعمّارها شرّ أهل الأرض، منهم تخرج الفتنة، وإليهم تأوي الخطيئة. يردّون من شذّ عنها فيها، ويسوقون من تأخّر عنها إليها، يقول الله سبحانه: «فبي حلفت لأبعثنّ على أولئك فتنة أترك الحكيم فيها حيران». وقد فعل، ونحن نستقيل الله عثرة الغفلة.

١٠٩٤ـ رواه السيّد الرضيّ رفع الله مقامه في المختار (٣١٥) من الباب الثالث من كتاب نهج البلاغة.

١٠٩٥ـ رواه الشريف الرضيّ رحمه الله في المختار: (٣٦٩) من قصار كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

بيـــان :

[قوله عليه السلام:] «إلّا رسمه»: أي كتابته دون العمل به وتلاوته كما ينبغي. وقيل: رسم القرآن: تلاوته وهو أثره.

[قوله عليه السلام:] «وإليهم تأوي»: كناية عن شدّة ملازمتهم لها، أو عن رجوع آثامها إليهم، لكونهم سبب شيوعها في النّاس والضمائر المؤنّثة إمّا راجعة إلى الفتنة أو الخطيئة.

وقيل: ينبغي أن يكـون [عليه السـلام] قد قال هذا الكـلام في أيّام خلافته؛ لأنّها كانت أيّام السيف المسلّط على أهل الضلال من المسلمين، وكذلك ما بعثه اللّه عزّ وجلّ على بني أميّة وأتباعهم من سيوف بني هاشم، بعد انتقاله عليه السلام [إلى اللّه]، وعلى هذا ينبغي أن يحمل قوله عليه السلام: «وقد فعل» على دنوّ وقوع الفعل، أو أنّه قضي في علم اللّه وقدّر حتماً.

أو يكون قوله عليه السلام: «يأتي على الناس زمان»: بمعنى أنّ مثل ذلك من الأمور الممكنة التي تجري على الخلق، وإن كان قد وقع.

ويمكن أن يكون إخباراً عن وقوع الأمور في آخر الزمان، ويحمل قوله: «وقد فعل» على أحد الوجهين، ويكون الحكم بدنوه مثل قوله تعالى: «اقتربت السّاعة» [١/ القمر: ٥٤].

١٠٩٦ـ [نهـــج:] وقال عليه السّلام لغالب بن صعصعة أبي الفرزدق ـ في كلام دار بينهما ـ:

ما فعلت إبلك الكثيرة؟ فقال: ذعذعتها الحقوق يا أمير المؤمنين. فقال عليه السّلام: ذاك أحمد سبلها.

١٠٩٦ـ رواه السّيّد الرضيّ رضوان اللّه عليه في المختار:(٤٤٦) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

بيــــان:

«ما فعلت إبلك؟»: أي كيف تلفت؟ [أو ما شأنها هل هي على حالها، أم طرأت عليها الزيادة والنقيصة؟]. [و] «ذعذعتها الحقوق»: أي فرّقتها المصارف الضرورية من الزكاة والجهاد ونوائب القبيلة وأمثالها. و [قوله عليه السلام:] «أحمد [سبلها]»: من المبنيّ للمفعول.

١٠٩٧ـ ١١١٧ـ كتاب الغارات بإسناده عن عليّ بن النعمان قال: قال عليّ عليه السلام:

لئن ملكت لأرمينّه بالحجارة. يعني المغيرة [بن شعبة] وكان ينتقص علياً عليه السلام.

وعن جندب بن عبدالله قال: ذُكر المغيرة بن شعبة عند عليّ عليه السلام فقال: وما المغيرة؟ إنّما كان سبب إسلامه لفجرة وغدرة لمطمئنّين إليها ركبها منهم فهرب، فأتى النبي صلّى الله عليه وآله كالعائذ بالإسلام والله ما رأى [أحد] عليه من ادّعاء الإسلام خضوع ولا خشوع.

ألّا وإنّه كان من ثقيف فراعنة يجانبون الحقّ ويسعرون نيران الحرب ويوازرون الظّالمين.

ألا لأنّ ثقيفاً قوم غدر لا يوفون بعهد، يبغضون العرب، كأنّهم ليسوا منهم ولربّ صالح قد كان فيهم منهم عروة بن مسعود وأبو عبيد بن مسعود. وأمّا الوليد[1] بن عقبة فهو الذي سمّاه الله في كتابه فاسقاً، وهو أحد الصبية الذين بشرّهم النبيّ صلّى الله عليه وآله بالنار و [قد] قال شعراً يردّ على النبيّ

١٠٩٧ـ رواه وما بعده الثقفي رحمه الله في الحديث: (١٨٩) وما يليه من كتاب الغارات ص٥١٨ ـ ٥٨١ ط١. وقد تقدّم الثاني تحت الرقم ٨٨٢.

(١) وهذا من كلام الثقفي صاحب الغارات.

صلى اللّه عليه وآله قوله حيث قال في عليّ عليه السلام: «إن تولّوه تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم» فقال [الوليد في ردّ هذا القول]:

فإن يك قد ضل البعير بحمله فلم يك مهدياً ولا كان هادياً

فهو من مبغضي عليّ عليه السلام وأعدائه وأعداء النبي صلّى اللّه عليه وآله؛ لأنّ أباه قتله النبيّ صلّى اللّه وآله بيد عليّ صبراً يوم بدر بالصفراء.

وعن مغيرة الضبيّ قال: مرّ ناس بالحسن بن عليّ عليه السلام وهم يريدون عيادة الوليد بن عقبة، وهو في علةّ شديدة، فأتاه الحسن عليه السلام معهم عائداً، فقال للحسن عليه السلام: «أتوب إلى اللّه مما كان بيني وبين جميع الناس، إلّا ما كان بيني وبين أبيك!» يقول: أي لا أتوب منه[1].

قال إبراهيم: ولحق بمعاوية يزيد بن حُجيّة، ووائل بن حجر الحضرمي، ومصقلة بن هبيرة الشيباني، والقعقاع بن شور، وطارق بن عبداللّه، والنجاشي الشاعر.

وكان أصحابه لّما نزل بقلوبهم من الفتنة والبلاء والركون إلى الدنيا، يغدرون ويختانون مال الخراج ويهربون إلى معاوية.

وعن الأعمش قال: كان عليّ عليه السلام يولّيهم الولاية والأعمال فيأخذون [ما يقدرون عليه من الأموال] ويهربون إلى معاوية، منهم المنذر بن الجارود العبدي.

قال: كان علي عليه السّلام ولّى المنذر بن الجارود فارساً فاحتاز مالاً من الخراج. قال: [و] كان المال أربع مائة ألف درهم، فحبسه عليّ عليه السّلام فشفّع فيه صعصعة بن صوحان إليه عليه السلام، وقام بأمره وخلّصه، وكان صعصعة من مناصحيه عليه السلام.

---

(١) ولتراجع ترجمة الإمام الحسن من تاريخ اليعقوبي.

قال الأسود بن قيس: جاء عليّ بن أبي طالب عليه السلام عائداً صعصعة فدخل عليه فقال له: يا صعصعة لا تجعلنّ عيادتي إليك ابّهةً على قومك. فقال: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكن نعمة وشكراً. فقال له علي عليه السلام: إن كنت ما علمت لخفيف المؤنة عظيم المعونة. فقال صعصعة: وأنت والله يا أمير المؤمنين ما علمت بكتاب الله لعليم، وإنّ الله في صدرك لعظيم، وإنّك بالمؤمنين لرؤف رحيم[1].

ومنهم يزيد بن حجيّة.

أقول: وذكر أحواله وأحوال جماعة من الفارّين الخاذلين، أوردنا [سابقاً] أحوالهم برواية ابن أبي الحديد عنه وعن غيره[2].

ثمّ قال [صاحب الغارات] ومنهم الهجنّع عبدالله بن عبدالرحمان بن مسعود الثقفي شهد مع علي عليه السلام صفّين، وكان في أوّل أمره مع معاوية ثمّ صار إلى علي ثم رجع بعد إلى معاوية سمّاه علي عليه السلام الهجنّع. والهجنّع: الطويل.

ومنهم القعقاع بن شور، حدّثنا جرير بن عبدالحميد عن [أبي] إسحاق الشيباني قال: قال علي عليه السلام: تسألوني المال وقد استعملت القعقاع بن شور على كسكر، فأصدق امرأته بمائة ألف؟! وأيم الله لو كان كفواً [لها] ما أصدقها ذلك!

وعن ميسرة قال: قال عليّ عليه السلام: قاتلوا أهل الشام مع كلّ إمام بعدي.

---

(١) ورواه أيضاً البلاذري في الحديث: (١٨٣) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب أنساب الأشراف: ج١، ص ٣٢٩، وفي ط١: ج٢ ص ١٦٣.

(٢) فانظر الحديث ٨٨٢ وما حوله.

وعن الواقدي قال: إنّ عمرو بن ثابت الذي روى عن أبي أيّوب حديث «ستة أيّام من شوّال» كان يركب بالشام في القرى، فإذا دخل قرية جمع أهلها ثمّ يقول: أيّها الناس إنّ عليّ بن أبي طالب كان رجلاً منافقاً، أراد أن ينفّر برسول اللّه صلّى اللّه عليه ليلة العقبة فالعنوه. قال فيلعنه أهل تلك القرى ثم يسير إلى الأخرى، فيأمرهم بمثل ذلك.

وعن الحسن بن الحرّ قال: لقيت مكحولاً فإذا هو مملوء بغضاً لعلي عليه السلام، فلم أزل به حتّى لان أو سكن.

وعن محمد بن عبداللّه بن قارب قال: إنّي عند معاوية لجالس إذ جاء أبو موسى فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. قال [معاوية]: وعليك السلام. فلمّا تولّى قال: واللّه لا يلي على اثنين حتّى يموت.

وكان أبو بكرة [نُفَيع بن الحارث] لّما قدم علي عليه السلام البصرة لقي الحسن بن أبي الحسن، وهو متوجّه نحو علي عليه السلام فقال [له]: إلى أين؟ قال: إلى عليّ عليه السلام. قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله يقول: ستكون بعدي فتنة النائم فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم.

[قال الحسن:] فلزمت بيتي، فلمّا كان بعد لقيت جابر بن عبداللّه وأبا سعيد[1] فقالوا: أين كنت. فحدّثتهم بما قال أبو بكرة فقالوا: لعن اللّه أبا بكرة إنّما قال النبي صلّى اللّه عليه وآله [ذلك] لأبي موسى: «تكون بعدي فتنة أنت فيها نائم خير منك قاعد، وأنت فيها قاعد خير منك ساع».

وقال: لّما دخل معاوية الكوفة دخل أبو هريرة المسجد، فكان يحدّث

---

(١) هذا هو الظاهر، وفي أصلي من طبع الكمباني: «جارية بن عبداللّه». ومثله في الغارات.
ثمّ إنّه لو صحّ الحديث دلّ على حسن نيّة الحسن البصري وذمّ أبي بكرة، وقد تقدّم عن مصدر آخر أنّ الحسن خرج من منزله عازماً على اللحوق بأمّ المؤمنين عائشة فسمع هاتفاً يقول: «إلى أين تذهب يا حسن؟ إنّ القاتل والمقتول في النار...».

ويقول: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وقال أبو القاسم وقال خليلي.

فجـاءه شابّ من الأنصار يتخطّا الناس حتّى دنا منه، فقال: يا أبا هريرة حديث أسـألك عنه فإن كنت سمعته من النّبي صلّى اللّه عليه وآله حدّثنيه، أنشدك باللّه [أ] سمعت النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله يقول لعلّي: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه». قال ابو هريرة: نعم والذي لا إلهٰ إلّا هو لسمعته من النبي صلّى اللّه عليه يقول لعلي: «من كنت مولاه فعلّي مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه». فقال له الفتى: لقد واللّه واليت عدوّه وعاديت وليّه!

[قال:] فتناول بعض الناس الشّابّ بالحصى، وخرج أبو هريرة فلم يعد إلى المسجد حتّى خرج من الكوفة

[الباب الخامس والثّلاثون]

باب
النّـوادر



١١١٨ـ كنـز الفوائد للكراجكي [قال:] حدّثني الشريف أبو الحسن طاهـر بن موسى الحسيني عن ميمـون بن حمزة الحسيني قال: رأيت المعمّر المغربي، وقد أتي به إلى الشرّيف أبي عبداللّه محمد بن إسماعيل سنة عشر وثـلاثـمائـة وأدخل إلى داره ومعه خمسة رجال أغلقت الدار وازدحم الناس، وحرصت في الوصول إلى الباب فما قدرت لكثرة الزحام فرأيت بعض غلمان الشريف أبي عبداللّه محمد بن إسماعيل وهما قنبر وفرّخ وعرّفتهما أنّي أشتهي أن أنظره فقالا لي: در إلى باب الحمام بحيث لا يدرى بك. فصرت إليه ففتحا لي سرّاً ودخلت وأغلقت البـاب، وحصلت في مسلخ الحمام فإذا قد فرش له ليدخل الحمام فجلست يسيراً فإذا به قد دخل، وهو رجل نحيف الجسم، ربع من الرجال، خفيف العارضين، آدم اللون، إلى القصر [أقرب] ما هو، أسود الشعر يقدّر الإنسان أنّ له نحواً من الأربعين سنة، وفي صُدغيه أثر كأنّه [أثر]

١١٠٨ـ رواه ما بعده العلّامة الكراجكي في كتاب كنز الفوائد ٢٦٢.

ضربـة، فلمّا تمكّن من الجلوس والنفر معه وأراد خلع ثيابه قلت له: ما هذه الضربة؟ فقال: أردت أن أناول مولاي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السـلام السـوط يوم النهروان فقص الفرس رأسه فضربني باللّجام ـ وكان حديداً فشجّني.

فقلت له: أدخلت هذه البلدة قديماً؟ فقال: نعم وكان موضع جامعكم السفـلاني مبصلةً وفيه بئـر. فقلت هؤلاء أصحابك؟ فقال: [هم] ولدي وولد ولـدي. ثمّ دخل الحمّام فجلست حتّى خرج ولبس ثيابه، فرأيت عنفقته قد ٱبيضّت، فقلت له: [أ] كان بها صباغ؟ قال: لا ولكن إذا جعت ٱبيضّت وإذا شبعت اسودّت! فقلت: قم [و] ٱدخل الدار حتّى تأكل. فدخل الباب.

١١١٩ـ وروى الحسن بن محمـد بن يحيى بن الحسن بن جعفـر بن عبيداللّه بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام: أنّه حجّ في تلك السنة وفيها حجّ نصر القشوري صاحب المقتدر قال: فدخلت مدينة الرسول صلّى اللّه عليه وآله وأصبت فيها قافلة البصريين وفيها أبو بكر محمد بن علي البادراني، ومعه رجل من أهل المغرب يذكر أنّه رأى أصحاب رسـول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، وٱزدحم عليه الناس وجعلوا يتمسّحون به وكادوا يقتلونه. قال: فأمر عمّي أبو القاسم طاهر بن يحيى فتيانه وغلمانه أن يفرّجوا عنه ففعلوا، ودخلوا به إلى دار ابن سهل اللطفي، وكان طاهر يسكنها، وأذن للناس فدخلوا، وكان معه خمسة رجال ذكر أنّهم أولاده وأولاده، فيهم شيخ له نيّف وثـمانـون سنة، فسألناه عنه؟ فقال: هذا ٱبني. و [كان فيهم] ٱثنان [آخران] لكلّ واحد منهما ستّون سنة أو خمسون سنة، وآخر له سبعون سنة فقال: هذا ٱبن ٱبني. و [فيهم] آخر له ستّة عشر سنة فقال: هذا ٱبن ٱبن ٱبني، ولم يكن له أصغر منه، وكان إذا رأيته قلت هذا ٱبن ثلاثين أو أربعين سنة، أسود الرأس واللحية، شابّ نحيف الجسم، آدم، ربع القامة وخفيف العارضين، هو إلى القصر أقرب، وٱسمه علي بن عثمان بن الخطاب.

فممّا سمعت من حديثه الذي حدّث الناس به أنّه قال: خرجت من بلدي أنا وأبي وعمّي نريد الوفود على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، وكنّا مشاةً في قافلة، فانقطعنا عن الناس، وآشتدّ بنا العطش وعدمنا الماء، وزاد بأبي وعمّي الضعف فاقعدتهما إلى جانب شجرة ومضيت ألتمس لهما ماءً فوجدت عيناً حسنة وفيها ماء صاف في غاية البرد والطيبة، فشربت حتّى آرتويت، ثمّ نهضت لآتي بأبي وعمي إلى العين فوجدت أحدهما قد مات فتركته بحاله، وأخذت الآخر ومضيت في طلب العين، فاجتهدت إلى أن أراها فلم أرها ولا عرفت موضعها، وزاد العطش به حتّى مات، فحرصت في أمره حتّى واريته، وعدت إلى الآخر فواريته أيضاً. وسرت وحدي إلى أن آنتهيت إلى الطريق ولحقت بالناس ودخلت المدينة، وكان دخولي إليها في اليوم الذي قبض فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله. فرأيت الناس منصرفين من دفنه فكانت أعظم الحسرات دخلت بقلبي، ووافى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فحدّثته حديثي فأخذني وأقمت معه مدّة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، وفي أيّام خلافته حتّى قتله عبدالرحمان بن ملجم بالكوفة.

قال: ولّما حوصر عثمان بن عفّان في داره، دعاني ودفع إليّ كتاباً ونجيباً وأمرني بالخروج إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان عليّ عليه السلام غائباً بـ«ينبع» في ضياعه وأمواله. فأخذت الكتاب وركبت النجيب وسرت حتّى إذا كنت بموضع يقال له: جنان أبي عباية، سمعت قرآناً فإذا أمير المؤمنين [عليه السلام] يقرأ: ﴿أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً وأنّكم إلينا لا ترجعون﴾ [١١٥/ المؤمنون:٢٣] قال: فلمّا نظر إليّ قال: يا أبا الدنيا ما وراءك؟ قلت: هذا كتاب عثمان فقرأه فإذا فيه:

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلّا فأدركني ولّما أمزّق

فلمّا قرأه قال: سرسر. فدخلنا المدينة ساعة قتل عثمان، فمال أمير المؤمنين عليه السلام إلى حديقة بني النّجار، وعلم الناس بمكانه فجاؤا إليه

ركضاً وقد كانوا عازمين على أن يبايعوا طلحة، فلمّا نظروا إليه أرفضوا من طلحة أرفضاض الغنم يشدّ عليها السبع. فبايعه طلحة والزبير فتابع المهاجرون والأنصار يبايعونه، فأقمت معه أخدمه.

وحضرت معه صفّين ـ أو قال: النّهروان ـ فكنت عن يمينه إذ سقط السّوط من يده، فانكببت لآخذه وأرفعه إليه، وكان لجام دابّته حديداً مدمجاً فشجّني هذه الشّجّة فدعاني أمير المؤمنين عليه السلام فتفل فيها وأخذ حفنةً من تراب فتركها عليها، فواللّه ما وجدت ألماً ولا وجعاً، ثمّ أقمت معه حتّى قتل عليه السلام.

وصحبت الحسن [بن عليّ عليه السلام] حتّى ضرب بالساباط وحمل إلى المدائن، ولم أزل معه بالمدينة حتّى مات مسموماً، سمّته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي (لعنة اللّه عليها).

ثمّ خرجت مع الحسين عليه السلام بكربلاء، وقتل عليه السلام فهربت بديني، وأنا مقيم بالمغرب أنتظر خروج المهدي، وظهور عيسى بن مريم عليهما السلام.

قال الشريف أبو محمد حسن بن محمد الحسيني: وممّا رأيت من هذا الشيخ علي بن عثمان، وهو إذ ذاك في دار عمّي طاهر بن يحيى ويحدّث أحاديثه، وبدء خروجه إذ نظرت إلى عنفقته فرأيتها قد احمرت ثمّ ابيضّت، فجعلت أنظر إلى ذلك لأنّه لم يكن في لحيته ولا رأسه ولا عنفقته بياض، فنظر إليّ [وأنا] أنظر إليه فقال: ما ترون؟ إنّ هذا يصيبني إذا جعت فإذا شبعت رجعت إلى سوادها، فدعا عمّي بطعام فأخرج من داره ثلاث موائد فوضعت بين يديه، وكنت أنا ممن جلس معه عليها وجلس عمي معه، فكان يأكل ويلقمه فأكل أكل شابّ وعمّي يحلف عليه، وأنا أنظر إلى عنفقته تسودّ حتّى عادت إلى سوادها وشبع.

١١٢٠ـ ١١٣٤ـ ثم قال [الكراجكي]: وحدّثني القاضي أسد بن إبراهيم السلمي والحسين بن محمد الصيرفي، جميعاً عن محمد بن محمد المعروف بالمفيد عن علي بن عثمان المعروف بأبي الدنيا الأشجّ المعمّر قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله يقول: كلمة الحقّ ضالّة المؤمن، حيث وجدها فهو أحقّ بها.

وبهذا الإسناد قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله يقول: أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما.

وبالإسناد قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: طوبى لمن رآني أو رأى من رآني أو رأى من رأى من رآني.

وبالإسناد إلى أمير المؤمنين قال: عهد إليّ النّبي الأميّ أنّه لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق.

وبالإسناد قال: قال علي [عليه السلام]: في الزّنا ستّ خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الاخرة.

فأمّا اللواتي في الدنيا فيذهب بنور الوجه، ويقطع الرزق، ويسرع الفناء.

وأمّا اللّواتي في الآخرة فغضب الربّ عزّ وجلّ، وسوء الحساب، والدخول في النار.

وبالإسناد قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: من كذب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار.

وبالإسناد قال: قال عليه السلام: لّمانزلت ﴿وتعيها أذن واعية﴾ [١٢/ الحاقة: ٦٩] قال النّبي صلّى اللّه عليه وآله: سألت اللّه عزّ وجلّ أن يجعلها أذنك

يا عليّ[1].

وبالإسناد قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: لا تتّخذوا قبري عيداً، ولا تتّخذوا قبوركم مساجد، ولا بيوتكم قبوراً، وصلّوا عليّ حيث كنتم فإنّ صلاتكم تبلغني وتسليمكم يبلغني.

وبالإسناد عن عليّ عليه السلام قال ما رمدت ولا صدعت منذ يوم دفع إلي رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله الراية يوم خيبر.

وبالإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: من جلس في مجلسه ينتظر الصّلاة فهو في صلاة، وصلّت عليه الملائكة، وصلاتهم عليه: اللّهمّ اغفر له اللهمّ ارحمه.

وبالإسناد قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله لا يحجبه ولا يحجزه عن قراءة القرآن إلّا الجنابة.

وبالإسناد قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: الحرب خدعة.

وبالإسناد قال: قضى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله في الدين قبل الوصيّة، وأنتم تقرؤن ﴿من بعد وصيّة توصون بها أو دين﴾ [١٢/ النساء: ٤].

وإنّ أعيان بني الأمّ يتوارثون دون بني العلّات، يرث الرجل أخاه لأبيه وأمّه دون أخيه لأبيه.

قال أبو بكر المعروف بالمفيد: رأيت أثر الشجّة في وجهه [حينما لقيته] وقال: أخبرت أمير المؤمنين عليه السلام بحديثي وقصتي في سفري وموت أبي

---

(١) وللحديث أسانيد ومصادر كثيرة جداً وقد رواه بهذا السند أبو نعيم الإصبهاني كما في الباب: (٤٠) من السمط الأوّل من كتاب فرائد السمطين: ج١، ص ١٩٨.

ورواه أيضاً الحافظ الحسكاني بما يشترك مع هذا السند وبأسانيد أخر كثيرة في تفسير الآية: (١٢) من سورة الحاقة من كتاب شواهد التنزيل: ج٢ ص ٢٧١ ط١.

وعمي والعين التي شربتها منها وحدي فقال: هذه عين لم يشرب منها أحد إلّا عمّر عمراً طويلاً، فأبشر، ما كنت لتجدها بعد شربك منها.

قال أبو بكر: وسألت عن الأشجّ أقواماً من أهل بلده فقالوا: هو مشهور عندنا بطول العمر، يحدّثنا بذلك عن آبائهم عن أجدادهم.

فأمّا الأحاديث التي رواها عن الأشجّ أبو محمد الحسن بن محمد الحسيني مما لم يروه أبو بكر محمد بن أحمد الجرجرائيّ فهي:

قال الشريف أبو محمد: حدّثني علي بن عثمان المعروف بالأشجّ [قال:] حدّثني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: من أحبّ أهل اليمن فقد أحبّني ومن أبغضهم فقد أبغضني.

قال: وحدّثني أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قال لي رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: أنا وأنت يا علّي أبوا هذا الخلق، فمن عقّنا فعليه لعنة اللّه، آمّن يا علّي: فقلت: آمين يا رسول اللّه.

وقال: يا علي أنا وأنت أجيرا هذا الخلق، فمن منعنا أجرنا فعليه لعنة اللّه، أمّن يا علي. [فقلت: آمين يا رسول اللّه].

[وقال: يا علي] أنا وأنت موليا هذا الخلق، فمن جحدنا ولاءنا وأنكرنا حقّنا فعليه لعنة اللّه، امّن يا علّي. فقلت: آمين يا رسول اللّه.

بيــان :

قوله: «مدمّجاً»: أي دخل بعضه في بعض. وفي بعض النسخ: «مزجّجاً». يقال: أزججت الرمح: أي جعلت له زجّاً. وزجّجت المرأة حاجبيها: دقّقته وطوّلته.

قوله [صلّى اللّه عليه وآله]: «لا تتّخذوا قبري عيداً»: أي عادةً بكثرة الزيارة أو مجمعاً للأمور. وفي سائر الروايات: «مسجداً» وهو الظّاهر.

١١٣٥ـ ١١٥٦ ـ وقال آبن أبي الحديد: ففي شرح النهج: روى جعفر بن سليمان عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال: ذكر رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله يوماً لعلي عليه السلام ما يلقى بعده من آلعنت فأطال، فقال له علي عليه السلام: أنشدك آللّه والرّحم يا رسول اللّه لّما دعوت آللّه أن يقبضني إليه قبلك! فقال: كيف أسأله في أجل مؤجّل. قال: يا رسول اللّه! فعلام أقاتل من أمرتني بقتاله؟ قال: على الحدث في الدّين.

وروى الأعمش عن عمّار الدّهني عن أبي صالح الحنفي عن علي عليه السلام قال: قال لنا يوماً: لقد رأيت اللّيلة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله في المنام فشكوت إليه ما لقيت حتّى بكيت، فقال لي: أنظر. [فنظرت] فإذا جلاميد، وإذا رجلان مصفّدان ـ قال الأعمش: هما معاوية وعمرو بن العاص ـ قال: فجعلت أرضخ رؤسهما ثمّ تعود، ثم أرضخ رؤسهما ثم تعود حتّى انتبهت[1].

وروى قيس بن الربيع عن يحيى بن هانئ المراديّ عن رجل من قومه يقال له: زياد بن فلان قال: كنّا في بيت مع علي عليه السلام ونحن شيعته وخواصّه، فالتفت [علي] فلم ينكر منّا أحداً فقال:

إنّ هؤلاء سيظهرون عليكم فيقطعون أيديكم، ويسملون أعينكم. فقال رجل منّا: وأنت حيّ يا أمير المؤمنين! قال: أعاذني اللّه من ذلك. فالتفت فإذا واحد يبكي فقال له: يا آبن الحمقاء أتريد باللّذات في الدنيا الدّرجات في الآخرة؟ إنّما وعد اللّه الصّابرين.

١١٣٥ـ رواه وما بعده ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٥٦) من نهج البلاغة: ج١، ص٨١٤ ط الحديث ببيروت.

(١) ثم قال آبن أبي الحديد: وروى نحو هذا الحديث عمرو بن مرّة، عن أبي عبداللّه بن سلمة عن علي عليه السلام قال: رأيت الليلة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله فشكوت إليه فقال: هذه جهنّم فانظر فيها [قال: فنظرت] فإذا معاوية وعمرو بن العاص معلّقين بأرجلهما منكّسين ترضخ رؤوسهما بالحجارة ـ أو قال: تشدخ ـ.

وروى زرارة بن أعين عن أبيه عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: كان علي عليه السلام إذا صلّى الفجر لم يزل معقّباً إلى أن تطلع الشمس، فإذا طلعت آجتمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس، فيعلّمهم الفقه والقرآن. وكان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك، فقام يوماً فمرّ برجل فرماه بكلمة هجر ـ قال ولم يسمّه محمد بن علي ـ فرجع عوده على بدئه حتّى صعد المنبر، وأمر فنودي الصلاة جامعةً، فحمد اللّه وأثنى عليه ثمّ قال:

أيّها الناس إنّه ليس شيء أحبّ إلى اللّه ولا أعمّ نفعاً من حلم إمام وفقهه، ولا شيء أبغض إلى اللّه ولا أعمّ ضرراً من جهل إمام وخرقه.

ألا وإنّه من لم يكن له من نفسه واعظ، لم يكن له من اللّه حافظ.

ألا وإنّه من أنصف من نفسه، لم يزده اللّه إلاّ عزّاً.

ألا وإنّ الذلّ في طاعة اللّه أقرب إلى اللّه من التعزّز في معصيته.

ثمّ قال: أين المتكلّم آنفاً. فلم يستطع الإنكار فقال: هاأنا ذا يا أمير المؤمنين. فقال: أما إنّي لو أشاء لقلت. فقال: أوتعفو وتصفح فأنت أهل ذلك. فقال: عفوت وصفحت.

فقيل لمحمد بن علي عليه السلام: ما أراد أن يقول؟. قال: أراد أن ينسبه.

وروى زرارة أيضاً قال: قيل لجعفر بن محمد عليه السلام: إنّ قوماً هاهنا ينتقصون علياً عليه السلام. فقال: بم ينتقصونه لا أباً لهم؟! وهل فيه موضع نقيصة؟ واللّه ما عرض لعلي عليه السلام أمران قطّ كلاهما للّه طاعة إلاّ عمل بأشدّهما وأشقّها عليه!

ولقد كان يعمل العمل كأنّه قائم بين الجنّة والنار، ينظر إلى ثواب هؤلاء فيعمل له، وينظر إلى عقاب هؤلاء فينتهي له، وإن كان ليقوم إلى الصلاة فإذا

قال ﴿وجّهت وجهي﴾ تغيّر لونه حتّى [كان] يعرف ذلك في لونه.

ولقد أعتق ألف عبد من كدّ يده، يعرق فيه جبينه ويحفى فيه كفّه. ولقد بشّر بعين نبعت في ماله مثل عنق الجزور فقال: بشّر الوارث، ثمّ جعلها صدقة على الفقـراء والمساكين وابن السبيل إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها، ليصرف اللّه النار عن وجهه.

وروى القنّاد عن أبي مريم الأنصاري عن علّي عليه السلام قال: لا يحبّني كافر ولا ولد زنا.

قال: وروى أبو غسّان النهدي قال: دخل قوم من الشيعة على علي في الرّحبة وهو على حصير خلق فقال [لهم]: ما جاء بكم؟ قالوا: حبّك يا أمير المؤمنين. قال: أما إنّه من أحبّني رآني حيث يحبّ أن يراني، ومن أبغضني رآني حيث يكره أن يراني.

ثمّ قال: ما عبداللّه أحد قبلي إلاّ نبيّه، ولقد هجم أبو طالب علينا وأنا وهو ساجدان فقال: أو فعلتموها؟ ثمّ قال لي: وأنا غلام: ويحك، انصر ابن عمّك، ويحك لا تخذله. وجعل يحثّني على موآزرته ومكانفته.

وروى جابر الجعفي عن علي عليه السلام قال: من أحبّنا أهل البيت فليستعدّ عدّةً للبلاء.

وروى أبو الأحوص عن أبي حيّان عن علّي عليه السلام [أنّه] قال: يهلك فيّ رجلان: محبّ غال، ومبغض قال.

وروى حمّاد بن صالح، عن أيّوب عن أبي كهمس عن علي عليه السلام قال:

يهلك فيّ ثلاثة: اللاّعن، والمستمع المقرّ، وحامل الوزر، وهو الملك المترف الذي يتقرّب إليه بلعني، ويبرأ عنده من ديني، وينتقص عنده حسبي، وإنّما

حسبي حسب رسول الله صلّى الله عليه وآله وديني دينه.

وينجو فيّ ثلاثة: من أحبّني، ومن أحبّ محبّي، ومن عادى عدويّ.

فمن أشرب قلبه بغضي، أو ألّب عليّ، أو تنقّصني، فليعلم أنّ الله عدوه وجبرئيل، وأنّ الله عدوّ للكافرين.

وروى أبو صادق عن ربيعة بن ناجد عن عليّ عليه السلام قال:

قال لي رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّ فيك لشبهاً من عيسى بن مريم، أحبّته النصارى حتّى أنزلته بالمنزلة التي ليست له، وأبغضته اليهود حتّى بهتت أمّه[1].

قال [ابن أبي الحديد]: وروى شيخنا أبو القاسم البلخي عن سلمة بن كهيل عن المسيّب بن نجبة قال بينا عليّ عليه السلام يخطب إذ قام أعرابي فصاح: وامظلمتاه! فاستدناه علي عليه السلام فلمّا دنا [منه] قال [له]: إنّما لك مظلمة واحدة، وأنا قد ظلمت عدد المدر والوبر!

قال: وفي رواية عبّـاد بن يعقوب أنّه دعاه فقال له: ويحك وأنا والله مظلوم، هات فلندع على من ظلمنا.

وروى سدير الصيرفي عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: اشتكى علي شكايةً فعاده أبو بكر وعمر، وخرجا من عنده فأتيا النبيّ صلّى

---

(١) وللحـديث أسانيد ومصادر كثيرة جداً، فقد رواه النسائي في الحديث: (١٠٣) من كتاب خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ص١٩٦، ط بيروت.

ورواه الحاكم الحسكاني بأسانيد في الحديث: (٨٦٠) وما بعده من كتاب شواهد التنزيل: ج٢ ص ١٥٩، ط ١.

ورواه أيضاً بطرق كثيرة الحافظ ابن عساكر في الحديث: (٧٤٧) وما بعده من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق: ج٢ ص ٢٣٤ ط ٢.

وقد أوردت الحديث عن مصادر كثيرة في تعليق المصادر المتقدمة فراجعها.

اللّه عليه وآله فسألهما من أين جئتما؟ قالا: عدنا علياً. قال: كيف رأيتماه؟ قالا: رأيناه لما به. فقال: كلّا إنّه لن يموت حتّى يوسّع غدراً وبغياً، وليكوننّ في هذه الأمّة عبرةً يعتبر به الناس من بعدي.

وروى عثمان بن سعيد عن عبداللّه الغنوي، أنّ علياً عليه السلام خطب بالرحبة فقال:

أيّها الناس إنّكم قد أبيتم إلّا أن أقولها: فوربّ السماء والأرض إنّ من عهد النبيّ الأميّ [إليّ] «أنّ الأمّة ستغدر بك بعدي».

وروى هشيم بن بشير عن إبراهيم بن سالم مثله.

وروى أهل الحديث هذا الخبر بهذا اللفظ أو بقريب منه[1].

وروى أبو جعفر الإسكافي أيضاً أنّ النبي صلّى اللّه عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام فوجد عليّاً نائمًا فذهبت تتنبّهه فقال: دعيه فربّ سهر له بعدي طويل، وربّ جفوة لأهل بيتي من أجله شديدة. فبكت [فاطمة] فقال لا تبكي فإنكما معي وفي موقف الكرامة عندي.

وروى الناس كافةً أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله قال له: هذا وليّي وأنا وليّه، عاديت من عاداه وسالمت من سالمه، أو نحو هذا اللفظ.

وروى محمد بن عبداللّه بن أبي رافع عن زيد بن علي قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: لعلّي عليه السلام: عدوّك عدوّي، وعدوّي عدوّ اللّه عزّ وجلّ.

وروى يونس بن خبّاب عن أنس بن مالك قال: كنا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وعلّي بن أبي طالب معنا، فمررنا بحديقة فقال علي: يا

---

(١) ولذيل هذا الحديث أيضاً أسانيد ومصادر، وقد رواه الشيخ الطوسي في الحديث: (٨ و ٩) من الجزء (١٧) من أماليه ص ٤٨٨.

رسول اللّه ألا ترى ما أحسن هذه الحديقة! فقال: إنّ حديقتك في الجنة أحسن منها. حتّى مررنا بسبع حدائق يقول عليّ عليه السلام ما قاله، ويجيبه رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله بما أجابه.

ثمّ إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وقف فوقفنا [حوله]، ووضع رأسه على رأس عليّ عليه السلام وبكى. فقال: ما يبكيك يا رسول اللّه قال: ضغائن في صدور قوم لا يبدونها لك حتّى يفقدوني فقال: يا رسول اللّه أفلا أضع سيفي على عاتقي فأبيد خضراءهم؟ قال: بل تصبر. قال: فإن صبرت؟ قال: تلاقي جهداً. قال أفي سلامة من ديني؟ قال: نعم قال: فإذاً لا أبالي[1].

وروى جابر الجعفي عن محمد بن علي عليه السلام قال: قال علي عليه السلام:

ما رأيت مذ بعث اللّه محمّداً رخاءً، لقد أخافتني قريش صغيراً، وأنصبتني كبيراً، حتّى قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، فكانت الطّامة الكبرى، واللّه المستعان على ما تصفون.

١١٥٧ـ ١١٥٨ـ ومن كتاب الغارات قال:

روى محمّد بن إسماعيل البجليّ عن عمرو بن موسى عن المنهال بن عمرو عن عبداللّه بن الحارث قال: قال عليّ عليه السلام على المنبر:

ما أحد جرت عليه المواسي إلّا وقد أنزل اللّه فيه قرآناً. فقام إليه رجل

---

(١) ولهذا الحديث أيضاً أسانيد ومصادر كثيرة وقد رواه الحافظ ابن عساكر بأسانيد تحت الرقم: (٨٣٤) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج٢ ص ٣٢١ ط٢.
ورواه أيضاً الحمّوئي في الباب: (٣٠) من السمط الأول من كتاب فرائد السمطين: ج١، ص ١٥٢.
وقد رواه البحراني في الباب: (٦٥) من المقصد من كتاب غاية المرام ص ٥٧٣، وقد رواه أيضاً آية اللّه المرعشي عن مصادر في إحقاق الحق: ج٦ ص١٨١.

من مبغضيه فقال له: فما أنزل اللّه تعالى فيك؟ فقام الناس إليه يضربونه فقال: دعوه، أتقرأ سورة هود؟ قال: نعم. فقرأ علي عليه السلام: ﴿أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه﴾ [١٧/ هود:١١] ثمّ قال: «الذي كان على بيّنة من ربّه» محمّد صلّى اللّه عليه وآله، الشاهد الذي يتلوه أنا[١].

وروى عثمان بن سعيد عن عبداللّه بن بكير عن حكيم بن جبير قال: خطب علي عليه السلام فقال في أثناء خطبته:

أنا عبداللّه وأخو رسوله، لا يقولها أحد قبلي ولا بعدي إلّا كذّاب. ورثت نبيّ الرحمة، ونكحت سيّدة نساء هذه الأمّة، وأنا خاتم الوصيّين.

فقال رجل من عبس: من لا يحسن أن يقول مثل هذا!!؟ فلم يرجع إلى أهله حتّى جنّ وصرع. فسألوهم هل رأيتم به عرضاً قبل هذا؟ قالوا: وما رأينا به قبل هذا عرضاً[٢].

وروى عثمان بن سعيد عن شريك بن عبداللّه قال: لّما بلغ علياً عليه السلام النّاس يتّهمونه فيما يذكره من تقديم النبيّ صلّى اللّه عليه وآله [إيّاه] وتفضيله على الناس قال:

---

(١) وهذا رواه أيضاً عن الغارات ابن أبي الحديد في آخر شرحه على المختار: (٧٠) من نهج البلاغة: ج٢ ص ٣٥٤ الطبعة الحديثة ببيروت.

وللحديث ـ عدا بعض خصوصياته ـ أسانيد ومصادر يجد الباحث أكثرها في تفسير الآية الكريمة في الحديث: (٣٧٢) وما بعده من كتاب شواهد التنزيل: ج١ ص ٢٧٥ ط١.

(٢) ورواه أيضاً ابن أبي الحديد في أوائل شرحه على المختار: (٣٦) من نهج البلاغة ج١، ص ٤٧٣ ط الحديثة ببيروت.

وقريباً منه رواه النسائي في الحديث (٦٧) من كتاب خصائص أمير المؤمنين ص ١٣٥، وقد رواه أيضاً الشيخ المفيد في آخر مناقب أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب الإرشاد، ص ١٨٥، ط النجف. وليلاحظ عنوان: «من غيّر اللّه ما لهم» من مناقب آل أبي طالب: ج٢ ص ١٦٦، ط النجف.

أنشد آللّه من بقي ممن لقي رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، وسمع مقالته في يوم غدير خمّ إلّا قام فشهد بما سمع.

فقام ستّة ممن عن يمينه من أصحاب رسول الله صلّى اللّه عليه وآله [وشهدوا] أنّهم سمعوه يقول ذلك اليوم ـ وهو رافع بيد علي ـ: من كنت مولاه فهذا مولاه اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وآنصر من نصره، وآخذل من خذله، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه.

١١٥٩ـ نهــج: [و] قال أمير المؤمنين عليه السلام:

نحن النمرقة الوسطى، بها يلحق التالي، وإليها يرجع الغالي.

بيـــان :

النمرقة: وسادة صغيرة، وربّما سمّوا الطّنفسة التي فوق الرحل نمرقة.

قال آبن أبي الحديد: والمعنى إنّ آل محمد صلّى اللّه عليه وآله هم الأمر الأوسط بين الطرفين المذمومين، فكلّ من جاوزهم فالواجب أن [يرجع إليهم، وكلّ من قصّر عنهم فالواجب أن] يلحق بهم.

واستعار لفظ النمرقة لهذا المعنى من قولهم: ركب فلان من الأمر منكراً، وقد آرتكب الرأي الفلاني، فكأنّ ما يراه الإنسان مذهباً يرجع إليه، يكون كالرّاكب والجالس عليه.

ويجوز أن يكون لفظ «الوسطى» يراد به الفضلى، يقال: هذه هي الطريقة الوسطى، والخليفة الوسطى: أي الفضلى، ومنه قوله تعالى: ﴿قال أوسطهم﴾ [٢٨/ القلم:] ومنه: ﴿جعلناكم أمّةً وسطاً﴾ [١٤٣/ البقرة: ٢].

١١٥٩ـ رواه الشريف الرضي قدّس اللّه روحه في المختار:(١٠٩) من الباب الثالث من كتاب نهج البلاغة.

وقال ابن ميثم: وجه الاستعارة، أنّ أئمّة الحقّ مستند للخلق في تدبير معاشهم ومعادهم. انتهى.

ويمكن أن يقال: لّما كان الصدر في النمارق المصفوفة هي الوسطى، فلذا وصفها بها.

١١٦٠ـ ١١٦١ـ نهـج: [و] قال عليّ عليه السلام:

ما شككت في الحقّ مذ أريته.

وقال عليه السلام: ما كَذِبت ولا كُذِبت، ولا ضللت ولا ضُلّ بي.

١١٦٢ـ نهـج: [و] قال علي عليه السلام:

لا يعاب المرء بتأخير حقّه، إنّما يعاب من أخذ ما ليس له.

بيـــان :

قال ابن أبي الحديد: لعلّ هذه الكلمة قالها في جواب سائل سأله: لم أخّرت المطالبة لحقّك من الإمامة؟ فقال عليه السلام: لا يعاب المرء بتأخير آستيفاء حقّه. ولّما كان حقّ الإمامة غير مختصّ به؛ لأنّ مصالح المسلمين كانت منوطة بها فلابدّ من إضمارفي الكلام: أي إذا كان هناك مانع من طلبه، انتهى.

ويمكن حمله على الحقوق الخالصة كالإنتقام ونحوه واسترداد فدك ومثله.

١١٦٣ ـ نهـج: [و] سئل عليه السلام عن قريش فقال:

١١٦٠ـ ١١٦١ـ رواه مع التالي السيّد الرّضيّ في المختار: (١٨٤ ـ ١٨٥) من باب قصار كلام أمير المؤمنين في نهج البلاغة.

١١٦٢ـرواه الشّريف الرضي في المختار: (١٦٦) من قصار كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

١١٦٣ـرواه السيّد الرضيّ رحمه الله في المختار: (١٢٠) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

أمّا بنو مخزوم فريحانة قريش، تحبّ حديث رجالهم والنكاح في نسائهم، وأمّا بنو عبد شمس فأبعدها رأياً وأمنعها لما وراء ظهورها، وأمّا نحن فأبذل لما في أيدينا، وأسمح عند الموت بنفوسنا، وهم أكثر وأمكر وأنكر، ونحن أفصح وأنصح وأصبح.

بيـــان :

قال ابن ميثم: فلان بعيد الرأي، إذا كان يرى المصلحة من بعيد لقوّة رأيه. و [قوله عليه السلام:] و «أمنعها لما وراء ظهورها» كناية عن حميّتهم.

و [قال ابن الأثير] في النهاية: النكر ـ بالضمّ ـ: الدهاء والأمر المنكر.

[قوله عليه السلام:] «وأصبح»: أي أحسن وجوهاً وأجمل، وألقى للناس بالطلاقة والبشر.

١١٦٤ـ نهـــج: [و] قال عليه السلام ـ وقد رُئي عليه إزار خلق مرقوع فقيل له في ذلك فقال:

يخشع له القلب، وتذلّ به النّفس، وتذلّ به النّفس ويقتدي به المؤمنون.

١١٦٥ـ [نهـــج:] ومدحه قوم في وجهه فقال:

اللّهمّ إنّك أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللّهمّ اجعلنا خيراً مما يظنّون، واغفر لنا ما لا يعلمون.

١١٦٦ـ وقال [عليه السلام] لرجل أفرط في الثّناء عليه ـ وكان له

١١٦٤ـ رواه مع التاليين ـ الشريف الرضي رحمه الله في المختار: (٨٣ و ١٠٠ و ١٠٣) من باب قصار كلام أمير المؤمنين ونهج البلاغة.

١١٦٥ـ رواه ـ مع ذيله ـ السيّد الرضيّ رحمه الله في المختار: (٤٦٩) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

١١٦٦ـ رواه الشريف الرضيّ رفع الله مقامه في المختار: (٤٥) من قصار كلام أمير المؤمنين عليه

متّهمًا ـ:

أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك.

١١٦٧ـ وقال عليه السلام: يهلك فيّ رجلان: محبّ مطر، وباهت مفتر.

[قال السيّد الرضي رحمه اللّه:] وهذا مثل قوله عليه السلام: يهلك فيّ آثنان: محبّ غالٍ، ومبغض قالٍ.

١١٦٨ـ نهـــج: وقال عليه السلام:

لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الـدنيا بجمّاتها على المنافق على أن يحبّني ما أحبّني، وذلك إنّه قضى فانقضى على لسان النّبيّ الأمّيّ صلّى اللّه عليه وآله إنّه قال: لا يبغضك مؤمن ولا يحبّك منافق.

بيـــان :

الخيشوم: أقصى الأنف. والجمّة: المكان الذي يجتمع فيه الماء.

١١٦٩ـ دعوات الرّاوندي: عن ربيعة بن كعب قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله يقول: ستكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك فالتزموا عليّ آبن أبي طالب عليه السلام.

ومنه في كلام أبي جعفر عليه السلام وقد سأله حمران عمّا أصيب به أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام من قتل الطّواغيت إيّاهم والظّفر بهم

السلام في نهج البلاغة.

وقريباًمنه رواه الشيخ الطوسي مسنداً في الحديث: (٣) من الجزء (٨) من أماليه ص ٢٩.

١١٦٩ـ غير موجودة في النسخة المطبوعة من الدعوات، وقد جعلها المحقّق من المستدركات على النسخة أخذاً من البحار.

حتّى قتلوا وغُلِبوا؟ وقال عليه السلام: ولو أنّهم يا حمران حيث نزل بهم ما نزل من أمر اللّه وإظهار الطواغيت عليهم سألوا اللّه دفع ذلك عنهم لدفع [اللّه ذلك عنهم] ثم كان انقضاء مدّة الطواغيت وذهاب ملكهم أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدّد وما كان الذي أصابهم يا حمران لذنب اقترفوه ولا لعقوبة من معصية خالفوا اللّه فيها ولكن لمنازل وكرامة أراد [اللّه] أن يبلغهم إيّاها فلا يذهبنّ بك المذاهب فيهم.

ومنه قال: لّما نزل أمير المؤمنين النّهروان سأل عن جميل بن بصيهري كاتب [أ] نوشيروان فقيل: إنّه بعد حيّ يرزق فأمر بإحضاره فلمّا حضر وجد حواسه كلّها سالمة إلاّ البصر، و [وجد] ذهنه صافياً وقريحته تامّة فسأله كيف ينبغي للإنسان يا جميل أن يكون؟ قال: يجب أن يكون قليل الصديق كثير العدوّ. قال: أبدعت يا جميل فقد أجمع الناس على أنّ كثرة الأصدقاء أولى. فقال ليس الأمر على ما ظنّوا فإنّ الأصدقاء إذا كلّفوا السعي في حاجة الإنسان لم ينهضوا بها كما يجب وينبغي والمثل فيه [هو قولهم] «من كثرة الملاّحين غرقت السفّينة» فقال أمير المؤمنين: قد امتحنت هذا فوجدته صواباً فما منفعة كثرة الأعداء؟ فقال: إنّ الأعداء إذا كثروا يكون الإنسان أبداً متحرّزاً متحفّظاً أن ينطق بما يؤخذ عليه أو تبدر منه زلّة يؤخذ عليها فيكون أبداً على هذه الحالة سليمًا من الخطايا والزلل. فاستحسن ذلك [منه] أمير المؤمنين عليه السلام.

١١٧٠ـ نهج: [و] سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن أشعر الشّعراء؟ فقال: إنّ القوم لم يجروا في حلبة تعرف الغاية عن قصبتها؟ فإن كان ولابدّ فالملك الضِلّيل.

قال السيّد [الرّضيّ]: رحمه اللّه: يريد [عليه السلام من قوله: «الملك

١١٧٠ـ رواه السّيّد الرضيّ رضوان اللّه عليه في المختار: (٤٦١) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

الضليل»] امرء القيس.

١١٧١ـ **أقــول**: قال ابن أبي الحديد: [قرأت] في أمالي ابن دريد قال: أخبرني الجرموزي عن ابن المهلّبي عن ابن الكلبي عن شدّاد بن إبراهيم عن عبيدالله بن الحسن العنبري[1] عن ابن عرادة قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام يعشّي الناس في شهر رمضان اللحم ولا يتعشّى معهم فإذا فرغوا خطبهم ووعظهم فأفاضوا ليلة في الشعراء وهم على عشائهم فلمّا فرغوا خطبهم عليه السلام وقال في خطبته: اعلموا أنّ مِلاك أمركم الدين وعصمتكم التقوى وزينتكم الأدب وحصون أعراضكم الحلم.

ثم قال: قل يا أبا الأسود فيما كنتم تفيضون فيه أيّ الشعراء أشعر! فقال: يا أمير المؤمنين [أشعر الشعراء] الذي يقول:

ولقد أغتدي يدافع ركني أعوجيّ ذو ميعة إضريج
مخلطٌ مِزيَلٌ مِعَنٌّ مِفَنٌّ مِنفح مِطرح سَبوح خَروج

يعني أبا دُواد الأيادي. فقال عليه السلام: ليس به. قالوا: فمن يا أمير المؤمنين! فقال: لو رفعت للقوم غاية فجروا إليها معاً علمنا من السّابق منهم ولكن إن يكن فالذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة. قيل: من هو يا أمير المؤمنين! قال: هو الملك الضلّيل ذو القروح. قيل: امرء القيس يا أمير المؤمنين! قال: هو.

قيل: فأخبرنا عن ليلة القدر! قال: ما أخلو من أن أكون أعلمها فأستر علمها ولست أشكّ أنّ الله إنّما يسترها عنكم نظراً لكم لأنّه لو أعلمكموها عملتم فيها وتركتم غيرها وأرجو أن لا تخطئكم إن شاء الله انهضوا رحمكم الله.

[ثم قال:] وقال ابن دريد لّما فرغ من الخبر: إضريج: ينبثق في عَدْوه.

١١٧١ـ رواه ابن أبي في شرح المختار: (٤٦١) من نهج البلاغة من شرحه: ج٥ ص ٨٣٨ ط الحديث ببيروت، وفي ط مصر، ج٢٠ ص ١٥٣.

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد، وفي أصلي من ط الكمباني: «الضهري».

وقيل: واسع الصدر. ومنفح: يُخرج الصيد من مواضعه. ومطرح: يطرح ببصره. وخروج سابق. [والغاية: ـ بالغين المعجمة ـ: الراية] والميعة: أوّل جري الفرس. [وقيل: الجري بعد الجري] انتهى.

أقول : الحلبة ـ بالفتح ـ: الخيل تجمع للسباق من كلّ أوب ولا تخرج من وجه واحد. وقصبة السبق هي التي تنصب ليحرزها السابق من القوم في الرهان. والضلّيل ـ كقنديل ـ: مبالغة في الضلال. ولعلّ المعنى أنّهم لم ينشدوا في أمر واحد وزمان واحد حتّى يعرف أيّهما أسبق وأكمل.

أو أنّ الشعر ليس مقصوراً على فنّ واحد ولا لطائفة [ولا] منحصرة في نوع حتّى يكون للتفضيل حدّ معيّن.

١١٧٢ـ نهج: وقال عليه السلام: أنا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجّار.

قال السيّد رحمه اللّه: ومعنى ذلك أنّ المؤمنين يتبعونني والفجار يتبعون المال كما يتبع النحل يعسوبها وهو رئيسها.

١١٧٣ـ نهج: [و] قيل له عليه السلام: بأيّ شيء غلبت الأقران؟ فقال: ما لقيت أحداً إلّا أعانني على نفسه.

قال السيّد [الرضي]: رحمه اللّه: يومئ عليه السلام إلى تمكّن هيبته في القلوب.

١١٧٢ـ رواه السيّد الرضيّ في المختار: (٣١٦) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

ورواه السيوطي ـ مع حديثين آخرين في معناه ـ في الحديث: من مسند علي من جمع الجوامع ص ٣١.

وقريباً منه رواه شيخ الطائفة مسنداً في الحديث: (٧٣) من الجزء (١٢) من أماليه ج١، ص ٣٦٣ ط بيروت.

١١٧٣ـ رواه السيّد الرضيّ رحمه اللّه في المختار: (٣١٨) من الباب الثالث من كتاب نهج البلاغة.

١١٧٤ـ [نهج:] وقال عليه السلام لابنه محمد: يا بنيّ إنّي أخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه فإنّ الفقر منقصة للّدين مدهشة للعقل داعية للمقت.

١١٧٥ـ كتاب الغارات لابراهيم الثقفي: بإسناده عن الضحّاك بن مزاحم عن عليّ عليه السلام قال:

كان خليلي رسول الله صلّى الله عليه وآله لا يحبس شيئاً لغد، وكان أبو بكر يفعل [كذلك]، وقد رأى عمر في ذلك أن دوّن الدواوين، وأخّر المال إلى السنة.

وأمّا أنا، فأصنع كما صنع خليلي رسول الله صلّى الله عليه وآله.

قال: وكان عليّ عليه السلام يعطيهم من الجمعة إلى الجمعة، وكان [عندما يعطيهم] يقول:

هذا جناي وخياره فيه إذ كلّ جان يده إلى فيه

وبأسانيد عن مجمع التّيميّ: أنّ علياً عليه السلام كان ينزح بيت المال

١١٧٤ـ رواه الشريف الرضيّ في المختار: (٣١٩) من قصار كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

١١٧٥ـ رواه مع ما بعده الثقفي رحمه الله في الحديث: (٢٠) وما بعده من كتاب الغارات.

وأكثر هذه الأحاديث رواها أحمد بن حنبل في الحديث الأوّل وما يليه من باب فضائل عليّ عليه السلام من كتاب الفضائل ص ٥ ـ ٣٣.

ورواها أيضاً البلاذري في الحديث: (١٠٠) وما يليه من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب أنساب الأشراف: ج٢ ص١٢٨ ـ ١٤٢، ط١.

ورواها أيضاً ابن عساكر في الحديث: (١٢٣٠) ومابعده من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق: ج٣ ص٢٢٧ ط٢.

وقد ذكر في تعليق كلّ واحد من الكتب الثلاثة مصادر أخر للأحاديث المذكورة فراجع.

ورواها أيضاً ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: ج١، ص٤١٤ ط الحديثة ببيروت.

ثمّ يتنفّل فيه، ويقول: آشهد لي يوم القيامة أنّي لم أحبس فيك المال على المسلمين.

وعن عاصم بن كليب عن أبيه قال: أتى علياً عليه السلام مال من إصبهان فقسّمه، فوجد فيه رغيفاً، فكسره سبع كسر، ثمّ جعل على كلّ جزء منه كسرةً ثمّ دعا أمراء الأسباع فأقرع بينهم أيّهم يعطيه أوّلاً. وكانت [قبائل] الكوفة يومئذٍ أسباعاً[1].

وعن عبدالرحمان بن عجلان، عمن حدّثه قال: كان عليّ عليه السلام يقسم فينا الأبزار، يصرّه صرراً: الحرف والكمون وكذا وكذا[2].

وعن جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه: أنّ دهقاناً بعث إلى عليّ عليه السلام بثوب ديباج منسوج بالذهب، فابتاعه منه عمرو بن حريث بأربعة آلاف درهم إلى العطاء.

وعن يزيد بن محجن التـيميّ[3] قال: أخرج عليّ عليه السلام سيفاً له

---

(١) وهذا رواه ابن عساكر في الحديث: (١٢٣٠) من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق: ج٣ ص ٢٢٧ ط٢.

وقريباً منه رواه أحمد بن حنبل في الحديث: (٣٦) من باب فضائل أمير المؤمنين من كتاب الفضائل ص ٢٦ ط١.

ورواه أيضاً أبو عمر بن عبدالبر في ترجمة أمير المؤمنين من كتاب الاستيعاب ص ١١١٣.

(٢) وهذا رواه أيضاً ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: ج١، ص ٤١٤ ط الحديث ببيروت.

(٣) ترجم له ابن سعد في الطبقات ج٦ ص ١٦٥، وروى بسنده عنه الحديث التالي. وهذا الحديث مع التالي رواه عبدالله بن أحمد بسنده عن يزيد بن محجن في كتاب الزهد، ص ١٣١، ورواه أيضاً في الحديث: (٢٠ و ٤٨) من فضائل عليّ عليه السلام من كتاب الفضائل ص ١٧ و ٣١ ط ١.

ورواهما أيضاً بسنده عن أبي رجاء يزيد بن محجن أبو نعيم في عنوان: «زهده وتعبّده [أي عليّ عليه السلام»] من ترجمته من حلية الأولياء: ج١، ص ٨٣.

فقال:

من يشتري سيفي هذا منّي؟ فوالذي نفسي بيده لو أنّ معي ثمن إزار لما بعته.

وعن أبي رجاء: أنّ علياً عليه السلام أخرج سيفاً له إلى السوق فقال:

من يشتري منّي هذا؟ فلو كان معي ثمن إزار لما بعته.

قال أبو رجاء: فقلت له: يا أمير المؤمنين أنا أبيعك إزاراً وأنسئك ثمنه إلى عطائك، فبعته إزاراً إلى عطائه. فلمّا قبض عطاءه أعطاني حقّي.

وعن أبي إسحاق الهمداني: أنّ امرأتين أتتا علياً عليه السلام عند القسمة، إحداهما من العرب، والأخرى من الموالي، فأعطى كلّ واحدة خمسة وعشرين درهماً وكراً من الطعام، فقالت العربية: يا أمير المؤمنين إنّي امرأة من العرب وهذه امرأة من العجم!

فقال عليه السلام: واللّه لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً عن بني إسحاق[1].

وعن يوسف بن كليب عن أبي عبيدة عن عبداللّه بن مسعود، عن معاوية بن عمّار عن جعفر بن محمد قال: ما اعتلج على عليّ عليه السلام أمران

ورواها أيضاً ابن عساكر في الحديث: (١٢٥٠) وتاليه من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق: ج٣ ص ٢٣٧ ط٢.

والحديث الثاني رواه أيضاً ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: ج١، ص ٤١٥ ط الحديث ببيروت.

(١) ورواه أيضاً ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: ج١، ص ٤١٥ ط الحديث ببيروت.

ورواه البلاذري بسياق أحسن في الحديث: (١٣٦) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من أنساب الأشراف: ج٢ ص ١٤١، ط١.

قطّ إلّا أخذ بأشدّهما، وما زال عندكم يأكل مما عملت يده، يؤتى به [إليه] من المدينة، وإن كان ليأخذ السويق فيجعله في الجراب ثم يختم عليه، مخافة أن يزاد فيه من غيره.

ومن كان في الدنيا أزهد من علي عليه السلام[1]؟!

وعن أبي سويد بن الحارث قال: أمر علّي عليه السلام عمّالاً من عمّاله فصنعوا للناس طعاماً في شهر رمضان، فذكروا أنّهم صنعوا خمساً وعشرين جفنة.

وعن هارون بن مسلم البجلي عن أبيه قال: أعطى علّي ٱلناس في عام واحد ثلاثة أعطية، ثم قدم عليه خراج إصفهان فقال:

أيّها الناس! ٱغدوا فخذوا، فوٱللّه ما أنا لكم بخازن.

ثمّ أمر ببيت المال فكنس ونضح، فصلّى فيه ركعتين ثمّ قال: يا دنيا غرّي غيري.

ثمّ خرج فإذا هو بحبال على باب المسجد فقال: ما هذه الحبال؟ فقيل: جيء بها من أرض كسرى. فقال: ٱقسموها بين المسلمين. فكأنّهم ٱزدروها فنقضها بعضهم فإذا هي كتّان يعمل، فتأسفّوا [فتنافسوا «خ ل»] فيها فبلغ الحبل من آخر النهار دراهم[2].

---

(١) ورواه أيضاً ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: ج١، ص ٤١٦ ط بيروت.

(٢) وهذا رواه أيضاً عبدالله بن أحمد في الحديث: (٥) من باب فضائل أمير المؤمنين من كتاب الفضائل ص ٨ ط١.

وقريباً منه رواه ابن عساكر في الحديث: (١٢٣٣) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج٣ ص ٢٢٨ ط٢.

وليلاحظ ما رواه أحمد في مسند أمير المؤمنين تحت الرقم: (٦٨٧ و ١١٣٥) من كتاب المسند:

وعن سفيان بن عُيَينة عن عمّار الدهني عن سالم بن أبي الجعد قال: فرض عليّ عليه السلام لمن قرأ القرآن ألفين ألفين قال: وكان أبي ممّن قرأ القرآن.

وعن إبراهيم بن يحيى الثوري عن أبي إسحاق بن مهران عن سابق البربري قال: رأيت علياً عليه السلام أسّس مسجد الكوفة إلى قريب من طاق الزياتين قدر شبر شبر.

قال: ورأيت المخيّس وهو [من] خصّ [(١)] وكان الناس يفرجونه ويخرجون منه فبناه عليّ عليه السلام بالجصّ والآجر قال: فسمعته وهو يقول:

ألا تراني كَيِّساً مكيّساً بنيت بعد نافع مخلّساً

وعن الحسين بن هاشم عن أبي عثمان الدوري عن أبي إسحاق السبيعي قال: كنت على عنق أبي يوم الجمعة وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يخطب وهو يتروّح بكمّه فقلت: يا أبة أمير المؤمنين يجد الحرّ؟ فقال: لايجد حراً ولا برداً، ولكنّه غسلِ قميصه وهو رطب ولا له غيره فهو يتروّح به[(٢)].

وعن إبراهيم بن ميمون عن عليّ بن عابس عن أبي إسحاق قال: رفعني أبي فرأيت علياً عليه السلام، أبيض الرأس واللحية، عريض ما بين المنكبين[(٣)].

ج١.

وليراجع أيضاً الحديث: (٣٤٧) من فضائل عليّ عليه السلام من كتاب الفضائل.

(١) كذا في الحديث: (٦٣) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب أنساب الأشراف: ج٢ ص ١١٦، ط١. وفي أصلي: المخلس، ومثله في البيت التالي.

(٢) وقريباً منه رواه أبو الفرج في ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب مقاتل الطالبيين ص٢٧.

(٣) وهذا هو الحديث: (٥٧) من باب فضائل أمير المؤمنين من كتاب الفضائل ص ٣٥ ط١.

وقد رواه المحقّق عن عبدالرزاق بسند آخر في كتاب المصنّف: ج٣ ص ١٧٩.

وبإسناده عن عبّاد بن عبدالله قال: كان عليّ يخطب على منبر من آجر.

وعن عدي بن ثابت قال: أتي علي عليه السلام بفالوذج فأبى أن يأكله[1]

وعن صالح: أنّ جدّته أتت علياً عليه السلام ومعه تمر يحمله، فسلّمت [عليه] وقالت: أعطني هذا التمر أحمله. قال: أبو العيال أحقّ بحمله. قالت: وقال لي: ألا تأكلين منه؟ قلت: لا أريده. قالت: فانطلق به إلى منزله، ثمّ رجع وهو مرتد بتلك الملحفة وفيها قشور التمر، فصلّى بالناس فيها الجمعة[2].

وعن جعفر بن محمد عليه السلام قال: أتي أمير المؤمنين عليه السلام بخبيص فأبى أن يأكله، قالوا: [أ] تحرّمه؟ قال: لا، ولكني أخشى أن تتوق إليه نفسي، ثمّ تلا ﴿أذهبتم طيّباتكم في حياتكم الدنيا﴾ [٢٠/ الأحقاف: ٤٦][3].

وعن بعض أصحاب عليّ عليه السلام: أنّه قيل له: كم تصدّق، ألاتمسك؟ قال:

وقريباً منه رواه البلاذري بأسانيد في الحديث: (٦٤) وما بعده من ترجمة أمير المؤمنين من أنساب الأشراف: ج٢ ص ١١٦، ط١.

(١) رواه عبدالله بن أحمد في كتاب الزهد ص ١٣١، وفي الحديث (١٧) من باب فضائل علي من كتاب الفضائل ص ١٥، ط١.

ورواه أيضاً أبو نعيم في ترجمة أميرالمؤمنين عليه السلام من كتاب حلية الأولياء: ج١، ص ٨١.

(٢) وقريباً منه رواه عبدالله بن أحمد في الحديث: (٣٩) من فضائل علي عليه السلام من كتاب الفضائل ص ٢٧ ط١.

(٣) وانظر الحديث (١٨) و(٣٣) من فضائل عليّ عليه السلام من كتاب الفضائل ص ١٦، و ٢٤ وترجمته عليه السلام من حلية الأولياء: ج١، ص ٨١.

ورواه المفيد في الأمالي، المجلس السادس عشر عن صاحب الغارات عن احمد بن شمر عن عبدالله بن ميمون المكي عن جعفر...

إي واللّه، لو أعلم أنّ اللّه قبل منّي فرضاً واحداً لأمسكت، ولكنّي واللّه ما أدري أقبل اللّه منّي شيئاً أم لا[١].

وعن عبداللّه بن الحسن قال: أعتق عليّ عليه السلام ألف أهل بيت بما مجلت فيه يداه وعرقت [فيه] جبينه[٢].

وعن جعفر بن محمد عليه السلام قال: أعتق عليّ عليه السلام ألف مملوك مما عملت يداه، وإن كان عندكم إنّما حلواه التمر واللّبن وثيابه الكرابيس.

وتزوّج عليه السلام ليلى، فجعل له حجلةً فهتكها وقال: أحبّ أهلي إليّ ما هم فيه[٣].

وعن قدامة بن عتاب قال: كان علي عليه السلام ضخم البطن، ضخم مشاشة المنكبين، ضخم عضلة الذراع، دقيق مستدقّها، ضخم عضلة الساق، دقيق مستدقّها.

ورأيته يخطبنا في يوم من أيّام الشتاء، عليه قميص قهز، وإزار، فأتاه آت فقال له: يا أمير المؤمنين! أدرك بني تميم قد ضربتها بكر بن وائل بالكناسة. فقال: ها! ثمّ أقبل في خطبته، ثمّ أقبل آخر فقال مثل ذلك. فقال: ها! ثمّ أتاه الثالث والرابع،ثم قال: أدرك بكر بن وائل قد ضربتها بنو تميم بالكناسة. فقال:

---

(١) لا ريب أنّ عليّاً عليه السلام كان قائد المخلصين للّه في أعمالهم، وكان أوّل عالم باللّه بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، وكان هو المدار في الحقائق الدينية وقوانين الشريعة، وكان لا يعزب عن علمه قوله تعالى: ﴿إنّما يتقبل اللّه من المتّقين﴾ ومنه تعلّم الناس الإخلاص والتقوى، فعليه لا يمكن تصديق هذا النمط من الأحاديث.

(٢) ورواه مع التالي ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: ج١ ص ٤١٦ ط الحديث ببيروت.

(٣) وفي الغارات: حسب أهل علي ما هم فيه. وفي البحار: أحب أهلي على ما هم فيه.

الآن صدقتني عن بكرك، ياشداد! أدرك بكر بن وائل وبني تميم [فذهب] فأفرع بينهم[١].

بيـــان :

قال [الفيروزآبادي] في القاموس: الجرف: يبيس الحماط [وهو الشجر والعشب]. وقـال: الكمّـون ـ كتنّـور ـ: حبّ معروف. وقال: القهز ـ [بفتح القاف] ويكسر ـ: ثياب من صوف أحمر كالمِرْعزي وربّما يخالطه الحرير. وقال: فرع بين القوم: حجز وكفّ وأصلح.

ثمّ قال الثقفي: [و] روى جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: ٱبتاع عليّ عليه السلام قميصاً سنبلانياً بأربعة دراهم، ثمّ دعا الخيّاط فمدّكمّ القميص فقطع ما جاوز الأصابع[٢].

وعن عبدالله بن أبي الهذيل قال: رأيت عليّاً وعليه قميص له إذا مدّه بلغ أطراف أصابعه، وإذا تقبض، تقبض حتى تكون إلى نصف ساعده[٣].

وعن أبي الأشعث العنـزي عن أبيه قال: رأيت علياً وقد ٱغتسل في الفرات يوم الجمعة، ثمّ ٱبتاع قميص كرابيس بثلاثة دراهم، فصلّى بالناس فيه الجمعة وما حنط جرّبانه بعد[٤].

---

(١) وقريباً منه رواه البلاذري في الحديث: (١٩٥) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب أنساب الأشراف: ج٢ ص ١٦٨، ط١.

(٢) وهذا هو الحديث: (٥٦) من منتخب الغارات ص ٩٥ ط١.

وليلاحظ عنوان: «لباس عليّ» من ترجمته عليه السلام من كتاب الطبقات الكبرى: ج٣ ص ٢٩.

(٣) وهذا هو الحديث: (٥٧) من تلخيص كتاب الغارات ص ٩٦ ط١.

وليراجع عنوان: «لباس علي» من الطبقات الكبرى: ج٣...

ورواه أيضاً ٱبن أبي الدنيا القرشيّ كما رواه بسنده عنه الخوارزمي في الفصل العاشر من مناقبه ص ٦٦.

(٤) وهذا هو الحديث: (٥٨) من كتاب تلخيص الغارات ص ٩٧.

وعن بكر بن عيسى قال: كان علي عليه السلام يقول:

يا أهل الكوفة! إذا أنا خرجت من عندكم بغير رحلي وراحلتي وغلامي فأنا خائن.

وكانت نفقته تأتيه من غلّته بالمدينة من «ينبع»، وكان يطعم الناس الخبز واللّحم ويأكل من الثريد بالزيت[1] ويكلّلها بالتمر من العجوة، وكان ذلك طعامه.

وزعموا أنّه كان يقسم ما في بيت المال، فلا يأتي الجمعة وفي بيت المال شيء، و [كان] يأمر ببيت المال في كلّ عشيّة خميس فينضح بالماء ثمّ يصلّي فيه ركعتين.

وزعموا أنّه كان يقول ويضع يده على بطنه: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، لا تنطوي ثميلتي على قلة من خيانة، ولأخرجنّ منها خميصاً.

بيـــان

قال [الفيروزآبادي] في القاموس: الثميلة ـ كسفينة ـ: البقية من الطعام والشراب في البطن. والثميلة: ما يكون فيه الطعام والشراب في الجوف.

و [قال ابن الأثير] في النهاية: في حديث الحجّاج: «فسر إليها منطوي الثميلة» المعنى سر إليها مخفّفاً.

١١٧٦ ـ ١١٩٥ ـ **كتاب الغارات** بإسناده عن سعيد بن المسيّب أنّ رجلاً بالشام يقال له ابن الخيبري، وجد مع امرأته رجلاً فقتله، فرُفع ذلك إلى معاوية،

---

(١) إلى هنا رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: ج١، ص ٤١٥ ط الحديث ببيروت.

وهذا هو الحديث: (٣٥) من كتاب الغارات ـ أو تلخيصه ـ ص ٦٨، وليلاحظ الحديث: (٤٥) منه ص ٨٥.

فكتب إلى بعض أصحاب عليّ عليه السلام يسأله [فسأله] فقال عليّ عليه السلام:

إنّ هذا شيء ما كان قبلنا. فأخبره أنّ معاوية كتب إليه. فقال عليه السلام: إن لم يجئ بأربعة شهداء يشهدون به أقيد به[١].

وعن أبي حمزة قال: بينما عليّ ذات يوم إذ أقبل [إليه] رجل فقال: من أين أقبل الرجل؟ قال: من أهل العراق. قال: من أيّ العراق؟ قال: من البصرة. قال: أما إنّها أوّل القرى خراباً، إما غرقاً وإمّا حرقاً، حتّى يبقى بيت مالها ومسجدها كجؤجؤ سفينة، فأين منزلك منها؟ فقال الرجل: مكان كذا. قال: عليك بصواحبها عليك بصواحبها[٢].

وعن شرحبيل عن علي عليه السلام قال:

كيف بكم وإمارة الصبيان من قريش ؟ قوم يكونون في آخر الزمان، يتّخذون المال دولة، ويقتلون الرجال. فقال الأوس بن حجر الثمالي: إذاً نقاتلهم وكتاب اللّه. قال: كذبت وكتاب اللّه[٣].

وعن الحسن بن بكر البجلي عن أبيه قال: كنّا عند علي عليه السلام في الرحبة، فأقبل رهط فسلّموا فلمّا رآهم عليّ عليه السلام أنكرهم فقال: أمن أهل الشام أنتم، أم من أهل الجزيرة؟ قالوا: بل من أهل الشام، مات أبوناوترك مالاً كثيراً وترك أولاداً رجالاً ونساءً، وترك فينا خنثى له حياء كحياء المرأة،

---

(١) وهذا هو الحديث: (٩٤) من كتاب الغارات ص ١٩٠، ط١، وقد أورده المصنف أيضاً نقلاً عن الغارات في هذا الكتاب في ج٢٤ ص ٤٣.

ورواه أيضاً النوري رحمه اللّه في باب القصاص من كتاب مستدرك الوسائل: ج٣ ص ٢٥٩.

(٢) وهذا هو الحديث: (٩٥) من كتاب الغارات ص ١٩٠. وفيه: بضواحيها.

(٣) وهذا هو الحديث: (٩٦) من كتاب الغارات ص ١٩٠.

وذكر كذكر الرجل، فأراد الميراث كرجل فأبينا عليه.

فقال عليه السلام: فأين كنتم عن معاوية؟ فقالوا: قد أتيناه فلم يدر ما يقضي بيننا

فنظر علي عليه السلام يميناً وشمالاً وقال: لعن الله قوماً يرضون بقضائنا ويطعنون علينا في ديننا، أنطلقوا بصاحبه فانظروا إلى مسبل البول، فإن خرج من ذكره فله ميراث الرجل، وإن خرج من غير ذلك فورثوه مع النساء.

[قال:] فبال من ذكره، فورثه كميراث الرجل منهم[١].

وعن ابن عبّاس [عن علّي عليه السلام] قال: أوّل هلاك أهل الأرض قريش وربيعة.

قالوا وكيف؟

قال: أمّا قريش فيهلكها الملك، وأمّا ربيعة فتهلكها الحميّة[٢].

وبحذف الإسناد قال: قال علّي عليه السلام: أما والله ما قاتلت إلّا مخافة أن ينزو فيها تيس من بني أميّة فيتلاعب بدين الله[٣].

وعن زِرّ بن حبيش قال: سمعت علياً عليه السلام يقول:

والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّه لعهد إليّ النبيّ صلّى الله عليه وآله، أنّه لا يحبّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق[٤].

(١) وهذا هو الحديث: (٩٧) من كتاب الغارات ص ١٩٢.

(٢) وهذا هو الحديث: (٩٨) من كتاب الغارات ص ١٩٤.

(٣) وهذا هو الحديث: (٩٩) من كتاب الغارات ص ١٩٤.

ورواه البلاذري مسنداً في الحديث:(٣٧) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب أنساب الأشراف: ج٢ ص ١٠٣، ط١.

(٤) وهذا مع تاليه هما الحديثان: (١٩٣ ـ ١٩٤) من كتاب الغارات ص ٥٢٠ ط١.

وعن حبّة العرني عن عليّ عليه السلام قال:

إنّ اللّه أخذ ميثاق كلّ مؤمن على حبّي، وأخذ ميثاق كلّ منافق على بغضي، فلو ضربت وجه المؤمن بالسيف ما أبغضني، ولو صببت الدنيا على المنافق ما أحبّني!

وعن فرات بن أحنف قال: إنّ علياً عليه السلام خطب فقال:

يا معشرالناس، أنا أنف الهدى وعيناه ـ وأشار إلى وجهه ـ.

يا معشر النّاس ! لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله، فإنّ الناس [قد] أجتمعوا على مائدة، شبعها قصير، وجوعها طويل، واللّه المستعان.

يا معشر الناس! إنّما يجمع النّاس الرضا والسخط، ألا وإنّما عقر ناقة ثمود رجل واحد فأصابهم العذاب برضاهم بعقرها قال اللّه تعالى: ﴿فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر﴾ [٢٩/ القمر: ٥٤] فقال لهم نبيّ اللّه عن قول اللّه: ﴿ناقة اللّه وسقياها فكذّبوه فعقروها﴾ [١٤/ الشمس].

يا معشر الناس ! ألا فمن سئل عن قاتلي فزعم أنّه مؤمن فقد قتلني.

يا معشر الناس! من سلك الطريق ورد الماء.

والحديث الأوّل متواتر عنه عليه السلام وله أسانيد ومصادر كثيرة جدّاً، ويكفي للباحث الوقوف على الحديث: (١٠٠ ـ ١٠٤) وما علقنا عليه من كتاب خصائص أمير المؤمنين عليه السلام تأليف النسائي ص ١٨٧ ـ ١٩٦.

أو مراجعة الحديث: (٦٨٢ ـ ٧١٣) وما علقنا عليها من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج٢ ص١٩٠ ـ ٢١١ ط٢.

وللحديث الثاني أيضاً أسانيد ومصادر وتقدم بعضها في الحديث: (١٠٠٤) ص ٧٣٨ ط الكمباني.

وصدره رواه الشيخ الطوسي بسند آخر في الحديث: (٦٨) من الجزء: (١١) من أماليه ص ٣١٥.

يا معشر الناس! ألا أخبركم بحاجبي الضلالة، تبدو مخازيها في آخر الزمان[(١)]

وعن أبي عقيل عن علي عليه السلام قال: اختلفت النصارى على كذا وكذا، واختلفت اليهود على كذا وكذا، ولا أراكم أيّتها الأمّة إلّا ستختلفون كما اختلفوا، وتزيدون عليهم فرقة، ألا وإنّ الفرق كلّها ضالة إلّا أنا ومن تبعني[(٢)].

وعن الحسن بن علي عن أبيه عليهما السلام قال: سمعت النبيّ صلّى اللّه عليه وآله يقول: يرد عليّ أهل بيتي ومن أحبّهم من أمّتي هكذا ـ وقرن بين السبابتين ـ ليس بينهما فضل[(٣)].

وعن أبي الجحّاف عن رجل ـ قد سمّاه ـ قال: دخلوا على عليّ عليه السلام وهو في الرحبة وهو على سرير قصير [فـ] قال: ما جاء بكم؟ قالوا: حبّك وحديثك يا أمير المؤمنين. قال: واللّه؟ قالوا: واللّه. قال: أما إنّه من أحبّني يراني حيث يحبّ أن يراني، ومن أبغضني رآني حيث يبغض أن يراني.

ثمّ قال: ما عبداللّه أحد قبلي مع نبيّه، إنّ أبا طالب هجم عليّ وعلى النبي صلّى اللّه عليه وآله وأنا وهو ساجدان ثم قال: أفعملتموها؟ فأخذ بِحَثْني

---

(١) وهذا هو الحديث: (٢٣٥) من تلخيص كتاب الغارات ص ٥٨٤ ط١.

وقريباً منه رويناه مسنداً عن مصدر آخر في المختار: (٣٦٢) من كتاب نهج السعادة: ج٢ ص ٦٨٨ ط١.

ورواه أيضاً السيّد الرضيّ في المختار: (١٩٨) من الباب الأوّل من كتاب نهج البلاغة.

(٢) وهذا هو الحديث: (٢٣٨) من كتاب الغارات أو منتخبه ص ٥٨٦ ط١

وللحديث شواهد كثيرة يجد الباحث بعضها في المختار: (١١٣) وتاليه وتعليقهما من القسم الثاني من باب الخطب من كتاب نهج السعادة: ج٣ ص ٤٢٧ ط١.

(٣) وهذا هو الحديث: (٢٣٩) من تلخيص كتاب الغارات ص ٥٨٧ ط١.

وقد ذكرناه عن مصدر آخر أو مصادر أخر ـ في ما اخترناه من كلام الإمام الحسن عليه السلام.

على نصرته وعلى معونته[١].

وعن حبّة عن عليّ عليه السلام قال: لو صمت الدهر كلّه وقمت اللّيل كلّه، وقتلت بين الركن والمقام، بعثك اللّه مع هواك بالغاً ما بلغ، إن في جنّة ففي جنّة، وإن في نار ففي نار[٢].

وقال [عليه السلام]: من أحبّ أهل البيت فليستعدّ عدّةً للبلاء.

وقال [عليه السلام]: يهلك في محبّ مفرط، ومبغض مفتر.

وقال [عليه السلام]: يهلك في ثلاثة وينجو في ثلاثة: يهلك اللاعن، والمستمع المقرّ، والحامل للوزر، و[هو] الملك المترف [الذي] يتقرّب إليه بلعني، ويبرء عنده من ديني، وينتقص عنده حسبي، وإنّما حسبي حسب النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وديني دينه.

وينجو في ثلاثة: المحبّ الموالي، والمعادي من عاداني، والمحبّ من أحبّني، فإذا أحبّني عبد أحبّ محبّي وأبغض مبغضي وشايعني، فليمتحن الرجل قلبه، إنّ اللّه لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه فيحبّ بهذا ويبغض بهذا، فمن أشرب قلبه حبّ غيرنا فألب علينا فليعلم أنّ اللّه عدوّه وجبريل وميكال، فإنّ اللّه عدوّ للكافرين[٣].

وعن ربيعة بن ناجد عن عليّ عليه السلام قال: دعاني النبيّ صلّى اللّه

---

(١) وهذا هو الحديث: (٢٤٠) من كتاب الغارات ـ أو منتخبه ـ ص ٥٨٨ ط ١.
وقريباً من صدر الحديث ذكره مع ذيل آخر الشيخ الطوسي في أواسط الجزء الثاني من أماليه ص ٤٧. وأيضاً روى صدر الحديث في الحديث الثالث من الجزء: (٧) من أماليه ص ١٨٣.

(٢) هذا الحديث مع التوالي رواها الثقفي رحمه اللّه في الحديث: (٢٤١ ـ ٢٤٥) من كتاب الغارات ص ٥٨٨ ـ ٥٩٠. وللأحاديث مصادر أخر.

(٣) اقتباس من الآية: (٩٨) من سورة البقرة: ﴿من كان عدوّاً للّه وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإنّ اللّه عدوّ للكافرين﴾.

عليه وآله فقال لي: يا علي إنّ فيك من عيسى مثلاً، أبغضته اليهود حتّى بهتوا أمّه، وأحبّته النصارى حتّى أنزلوه بالمنزلة التي ليست له[1].

وقال علي عليه السلام: إنّه يهلك في محبّ مطرٍ يقرّظني بما ليس في، ومبغض مفترٍ يحمله شنآني على أن يبهتني.

ألا وإنّي لست نبياً ولا يوحى إلي، ولكن أعمل بكتاب اللّه ما استطعت، فما أمرتكم به من طاعة فحقّ عليكم طاعتي فيما أحببتم وفيما كرهتم، وما أمرتكم به أو غيري من معصية اللّه فلا طاعة في المعصية، الطّاعة في المعروف الطاعة في المعروف [قالها] ثلاثاً[2].

١١٩٦ـ ١١٩٨ـ مـا: المفيد عن إبراهيم بن الحسن بن الجمهور عن أبي بكر المفيد الجرجرائي عن أبي الدنيا المعمّر المغربي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: عهد إلي مولانا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله أنّه لا يحبّني إلّا

---

(١) وهذا هو الحديث (٢٤٤) من كتاب الغارات ص ٥٨٩ ط١.

وللحديث أسانيد ومصادر كثيرة من طريق أهل السنّة، وقد رواه النسائي في الحديث: (١٠٣) من كتاب خصائص أمير المؤمنين ص ١٩٦، ط بيروت.

ورواه الحافظ الحسكاني بأسانيد تحت الرقم: (٨٦٠ ـ ٨٧١) من كتاب شواهد التنزيل: ج٢ ص ١٥٩ ـ ١٦٧، ط١.

وقد رواه أيضاً بطرق الحافظ ابن عساكر في الحديث: (٧٤٧) وما بعده من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق: ج٢ ص ٢٣٤ ط٢.

وقد أوردناه أيضاً عن مصادر في تعليقات الكتب الثلاثة فراجع.

(٢) وهذا هو الحديث: (٢٤٥) من كتاب الغارات ص ٥٩٠ ط١.

وهذا الحديث أيضاً له مصادر وأسانيد، والأكثر رووه بسند الحديث المتقدم وفي ذيله فراجع شواهد التنزيل وترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق وما علقنا عليهما.

١٠٦١ـ ١٠٦٣ـ ما وجدت الأحاديث الثلاثة فيما عندي من أمالي الشيخ، ولكن لها أسانيد ومصادر أخر كثيرة.

مؤمن، ولا يبغضني إلّا منافق زنديق[١].

وبالإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لّما نزلت ﴿وتعيها أذن واعية﴾ [١٢/ الحاقّة] قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: سألت ربّي أن يجعلها أذنك يا علي[٢].

وبالإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ما رمدت عيني ولا صدعت منذ سلّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله إلي راية خيبر[٣].

فائدة مهمّة شافية وافية في دفع شبه الفرقة الطاغية الغاوية

إعلم [أنّه] قد آختلف المسلمون في أنّه هل كان يسوغ للنبيّ صلّى اللّه عليه وآله الإجتهاد فيما لا نص فيه أم لا؟

ثمّ على تقدير الجواز، هل كان مقصوراً على أمور الدنيا وما لا تعلّق لها بالدين؟ أم يتعدّى إلى غيرها؟ وعلى تقدير التعدّي، هل يخصّ الحروب أم يتجاوزها؟

ثمّ القائلون بالجواز آختلفوا في الوقوع، فأثبته طائفة ومنعه آخرون وتوقّف قوم.

ثمّ القائلون بالوقوع، اختلفوا في أنّه هل كان يجوز عليه الخطأ في

---

(١) هذا الحديث ـ ما عدا لفظة «زنديق» ـ متواتر عن أمير المؤمنين عليه السلام.

وأيضاً رواه الشيخ الطوسي بسند آخر في الحديث: (٣) من الجزء العاشر من أماليه ص ٢٦٤.

(٢) وللحديث مصادر وأسانيد كثيرة جدّاً يجد الباحث أكثرها في تفسير الآية الكريمة من كتاب شواهد التنزيل.

(٣) ورواه أيضاً ابن عساكر بأسانيد في الحديث: (٢٦٦) وما حوله من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج١، ص ٢٢٢ ط٢.

الإجتهاد أم لا؟ وعلى الجواز، هل يقرّ على خطئه أم يردّ عنه؟

فذهب إلى كلّ فريق إلاّ إقراره على الخطأ، فإنّ الظاهر من كلامهم أنّه لم يقل به أحد وجعلوا ردّه عن الخطأ وجه الفرق بينه وبين سائر المجتهدين.

وقد ٱدّعى العلاّمة في شرحه لمختصر ٱبن الحاجب الإجماع على أنّه لا يقرّ على الخطأ، ويظهر من كلام الآمدي وبعض شرّاح صحيح مسلم أيضاً ذلك.

فاختار الجبّائي وأبو هاشم أنّه [صلّى اللّه عليه وآله] لم يتعبّد في الشّرعيّات بالإجتهاد، ولم يقع منه فيها، وكان متعبّداً به في الحروب.

وحكي عن الشافعي وأحمد بن حنبل وأبي يوسف تعبّده به مطلقاً.

وذهبت طائفة ـ ومنهم القاضي عبدالجبّار وأبو الحسين البصري ـ إلى أنّه يجوز ذلك من غير قطع به.

ونفاه أصحابنا قاطبةً رضوان اللّه عليهم رأساً، ولم يجوّزوه في أمور الدين والدّنيا أصلاً.

ثمّ لا يخفي أنّ جواز الاجتهاد ووقوعه منه صلّى اللّه عليه وآله لا يستلزم جواز مخالفته، إذ يجوز أن يكون في أحكامه ما أدّى إليه ٱجتهاده، ومع ذلك لا يجوز لأحد خلافه لإيجاب ٱللّه تعالى طاعته مطلقاً.

ونظير ذلك أنّ الأمّة يجوز أن تجتمع على حكم بالإجتهاد، ومع ذلك لا يسع أحد مخالفتها أصلاً عندهم، والمجتهد في فروع الأحكام يحكم باجتهاده ولا يسوغ لمقلّده مخالفته، وإن جاز عليه الخطأ في حكمه.

ولّما كان المعقل الحصين للمخالفين في دفع المطاعن عن أئمّتهم المضلين ٱلتّمسّك بجواز مخالفة الرسول الأمين عليه السلام، كما فعلوا ذلك في مخالفتهم له في تجهيز جيش أسامة وغيرها، أردنا أن نختم هذا المجلّد المشتمل على

مطاعنهم بما يدلّ على فساد أحد الأمرين: أعني جواز الاجتهاد عليه صلّى اللّه عليه وآله، أو وقوعه منه، وجواز مخالفته في شيء من أحكامه وإن كان عن اجتهاد، لاستلزام كلّ منهما ما هو المقصود، والتوكّل في جميع الأمور على الربّ الودود.

فنقول: يدلّ على ذلك وجوه:

الأوّل قوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى﴾ [٣/ النجم: ٥٣] نفى سبحانه كون نطقه صلّى اللّه عليه وآله عن الهوى، وحصره في كونه وحياً، ولو كان بعض أقواله عن اجتهاد لما صحّ الحصر.

ولو قلنا بكون الهوى متناولاً للإجتهاد بقرينة المقابلة، لاقتضائها كون المراد بالهوى ما ليس بوحي والاجتهاد ليس بوحي لدلّ الجزء الأوّل على المدّعى أيضاً.

وأورد عليه بأنّ المراد بالآية نفي ما كانوا يقولونه في القرآن أنّه افتراه، فانتفى العموم، ولئن سلّمنا فلا نسلّم أنّه ينفي الاجتهاد؛ لأنّه إذا كان متعبّداً بالاجتهاد بالوحي، لم يكن نطقه عن الهوى، بل كان قولاً عن الوحي.

والجواب عن الأوّل: إنّ الآية غير معلوم نزولها في ردّ قولهم المذكور، فلا يجوز تخصيص القرآن به، وإنّما يجوز [التخصيص] بالمعلوم وما في حكمه، ولو سلّم فخصوص السّبب لا يخصّص العموم كما هو المشهور، ولا دليل من الخارج على التخصيص.

وعن الثاني من وجوه.

منها: أنّهم يقابلون الوحي بالإجتهاد في كثير من كلامهم.

ومنها: أنّ الوحي هو الكلام الذي يسمع بسرعة، وليس الاجتهاد كذلك، وإنّما يُستند حُجّيته إلى الوحي، والمستند إلى الوحي في أمر غير الوحي،

والدليل عليه صحة التقسيم بأن يقال: أهو وحي أم مستنبط من الوحي ومستند إليه؟ وقد قال سبحانه: ﴿إن هو إلّا وحي يوحى﴾ [٤/ النجم: ٥٣] وقد ٱعترف البيضاوي بما ذكرنا حيث قال بعد نقل الجواب: وفيه نظر؛ لأنّ ذلك حينئذ يكون بالوحي لا الوحي.

ومنها: أنّا نخصّص الكلام باجتهاد يجوز فيه الخطأ، ولا ننازع الآن في ٱجتهاد يؤمن معه الخطأ ولا يجوز مخالفته، ويكون من قبيل القاطع، ولا يتعلّق غرضنا في هذا المقام بأنّ النبي صلّى اللّه عليه وآله هل يقول ما يقوله عن الوحي النازل بخصوص كلّ قول؟ أو يقول من طريق عامّ ويأخذه عن ضابطة كليّة لا يأتيها الباطل من بين يديها ومن خلفها؟

فنقول: قال ٱللّه تبارك وتعالى: ﴿والنّجم إذا هوى ما ضلّ صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى﴾ وقد ٱتفّق المفسرّون على أنّ الآية مسوقة لنفي الضلال وإثبات الوحي، إنّما هو لنفي الضلال المذكور في الآية، والضلال لا يختص بالأصول، بل يكون في الفروع في جميع أقسام الأحكام، وإلّا لم يكن لاستدلال القوم على حجّية الإجماع في الفروع حتّى الحروب والولايات بما روي عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله من قوله: «لا تجتمع أمّتي على الضلالة». وما يحذو حذوه معنىً.

فقد ثبت إذن أنّ الوحي لا يتناول ٱجتهاداً يجوز الخطأ فيه، وإلّا لم يلزم من كونه وحياً نفي الضلال عنه كما هو المقصود، وهذا القدر يكفينا، ويدلّ عليه ما روي أنّه صلّى اللّه عليه وآله نزل منزلاً فقيل [له]: إن كان ذلك عن وحي فالسّمع والطاعة، وإن كان عن رأي فليس ذلك بمنزل مكيدة، والمشهور أنّ المنزل كان بـ «بدر»، والقائل [هو] حباب بن المنذر. فدلّ ذلك على أنّ الوحي لا يجوز فيه الخطأ، وقد قرّره النّبيّ صلى اللّه عليه وآله، ولم يُسمع بأحد يطعن على قائل هذا القول ويقول: تقسيمه هذا باطل.

وأيّ ملازمة بين كونه وحياً، ووجوب السمع والطاعة، لا في زمن

الصحابة ولا في زمن التابعين إلى عصرنا هذا، مع تكرّر ذلك النقل في كتب السير والتواريخ، وفي كتب الأصول في مقام الاستدلال على مسائل من الاجتهاد المتعلّقة بالنبي صلّى اللّه عليه وآله؟

ولولا أنّ الوحي لا يجوز فيه الخطأ ولا يطلق شرعاً على ما لا يؤمن معه الغلط، ويجوز مخالفته، لاستحال عادةً أن لا ينكر أحد على هذا القول، ولا يقدح فيه، مع توفّر الدواعي على القدح والردّ عليه، حيث آستدلّ به على محلّ النـزاع في مسائل كثيرة قد طال الخصام فيها، وذلك مما يقطع به في عادات النـاس، خصـوصـاً الممارسين لمباحث الحجاج والنظر ومسائل الخلاف، وقد رأيناهم يرتكبون تأويلات بعيدة وتكلّفات باردة. فأين كانوا عن القدح المذكور؟

وبـالجملة، ما ذكرناه دليل على أنّهم علموا صحّة ذلك التقسيم، إمّا بتقرير النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله، أو بدليل آخر، فلا يتوهّم أنّ ما ذكرناه ثانياً راجع إلى الأول.

[الوجه] الثاني: قوله تعالى: ﴿وماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى اللّه ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص اللّه ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾ [٦٣/ الأحزاب: ٣٣].

والمراد، قضاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، ونسبته إليه تعالى للتنبيه على أنّ قضاءه صلّى اللّه عليه وآله قضاء آللّه كما ذكره المفسّرون، وكلّ ما قاله النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله ولو بالاجتهاد، فمّما قضى به، فلا يجوز العدول عنه ومخـالفتـه، وتخصيص الخيرة بما يكون بمجرّد التشهّي لا عن آجتهاد، وكذا المعصية لا وجـه له، وإنّما هو مجرّد تشهّي التأويل، والانصراف عن الظاهر، ومعصية لسنّة الأخذ بظواهر الكتاب والسنّة بلا قرينة تقتضيه وشاهد يشهد له.

[الوجه] الثّالث: قوله تعالى: ﴿فلا وربّك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما

شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً﴾ [٦٥/ النساء: ٤] تقريره أنّ المسألة الخلافية بين الأمّة يصدق عليها أنّها مما شجر بينهم فيجب في كلّ مسألة خلافية أن يحكّموه صلّى اللّه عليه وآله، ويرجع إلى قوله ويسلموا ويركنوا إليه، ومخالفته صلّى اللّه عليه وآله بالاجتهاد ضدّ ذلك.

نظهر أنّ المسألة الخلافية، لا يجوز مخالفة ما يظهر من قوله صلّى اللّه عليه وآله فيها، سواء كان بالاجتهاد أو غيره، والمسائل الاجماعية وما لم يسبق إليه أحد بنفي أو إثبات أولى من ذلك.

أمّا الاجماعية فظاهر، وأمّا مالم يسبق إليه أحد؛ فلأنّ اتّباعه إذا وجب فيما تحقّق قوله طائفة من المسلمين وشبهة شرعية بخلافه، ولم يمنع ذلك من وجوب اتباعه، ففيما لايتحقّق فيه ذلك الذي يتوهّم مانعاً أولى.

وأيضاً لا قائل بالفصل، فإنّ الأمّة بين قائل بجواز مخالفته في الخلافيّات وغيرها، وبين ناف له فيها جميعاً.

وبهذا يندفع توهّم أنّ قوله صلّى اللّه عليه وآله، ربّما كان مّما أجمع على خلافه على أنّه قبل الاجماع على خلافه، كان مما لم يسبق إليه قول بنفي ولا إثبات، أو كان مما وقع فيه الخلاف.

فإن قلت: هاهنا احتمال آخر ذهب إليه جماعة، وهو أن يُخطىء صلّى اللّه عليه وآله وينبّه بالوحي على خطئه وما ذكرت لا ينفيه.

قلنا: هذا لا ينفع فيما نحن فيه، فإنّ الغرض أنّه صلّى اللّه عليه وآله لا يجوز مخالفته والعدول عن قوله بالاجتهاد، وأمّا أن ينبه بالوحي عليه، فكلام لا يسمن ولا يغني من جوع في جواز إبطال قوله صلّى اللّه عليه وآله، وتخطئة رأيه وتصحيح ما صنعه جماعة من أصحابه خلافاً لأمره، وردّاً عليه حكمه فيما لا وحي يدلّ على خطئه، بل قرره اللّه تعالى وأمضاه على رأيه.

[الوجه] الرابع: قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبّون اللّه فاتبعوني يحببكم

ٱللّه ويغفر لكم ذنوبكم﴾ [٣١/ آل عمران: ٣] مفهوم الشرط إن لا تتّبعوني لا يحببكم اللّه ولا يغفر لكم ذنوبكم، وما كان موجباً لعدم محبّة ٱللّه وعدم مغفرة الذنوب، كان حراماً.

فإن قلت: كلّ ما هو مستحبّ كان موجباً لمحبّة ٱللّه، وربّما كان سبباً للمغفرة أيضاً، ويصحّ ٱستعمال الشرط فيه ويكون مفهومه حينئذٍ: إن لا تفعلوه تفوت المحبة المترتّبة عليه، والمغفرة المسبّبه منه، فلا يدل على الوجوب.

قلنا: أوّلاً: إنّ رجحان الاتّباع كاف لنا، فإنّ من لا يجوز الاجتهاد عليه صلّى اللّه عليه وآله، يجعل أمره واجباً ما دام لم يدلّ دليل آخر على خلافه أقوى منه، ومن يجوّزه يجعل تركه ومخالفته واجباً أو مندوباً أو مباحاً حسب ما أدّى إليه ٱجتهاده، ولا يجعل ٱتّباع أمره مندوباً أيضاً في أكثر الأمر.

فالقول بأنّ ٱتّباع أمره مندوب لا محالة، خلاف الإجماع المركّب.

وثانياً: إنّ مفهوم الشرط يقتضي ٱنتفاء الجزاء مطلقاً، لا الجزاء المقيّد بالشرط المقارن له، وإلّا لم يصحّ الاستدلال بمفهوم الشرط في شيء من المواضع.

ولا يتوهّم أنّ الأمر بالاتّباع مطلق لا عام، فيصير حينئذٍ حاصل المفهوم: إن لا تتّبعوني في شيء لا يحبّكم اللّه أصلاً، لا [أنّ المفهوم] إن لا تتّبعوني ولو في أمر واحد لا يحبّكم ٱللّه؛ لأنّ الاتّفاق منّا ومن الخصم حاصل على أنّ المراد به الأمر بالاتّباع في جميع الأوامر، ولهذا ٱستدلّوا به في مسألة التّأسي. فتدبّر.

[الوجه] الخامس: قوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وٱتقوا ٱللّه إنّ ٱللّه شديد العقاب﴾ [٧/ الحشر:] وجه الدلالة أمور:

أحدها: أمره تعالى بالأخذ بما أمر به الرسول صلّى اللّه عليه وآله.

وثانيها: أمره [تعالى] بالإنتهاء عمّا نهى عنه، فإن كان نهى عن خلاف ما أمر به فذاك، وإلاّ فالأمر بالشيء، نهي عن ضدّه عند أكثر علماء الأصول، وفي النهي بعكس الأمر.

وثالثها: تعقيبه الكلام بالوعيد الشديد والعقاب العظيم.

وأيضاً: [في] أمره بالتقوى بعد ذلك، إشعار بأنّ الأخذ والانتهاء المذكورين هما التقوى، وأنّ تاركه مسلوب عنه آسم التقوى مع [أنّ] النصوص الدّالة على الأمر به وحرمة تركه أدلّة على الوجوب.

السادس : قوله تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي اللّه ورسوله﴾ [١/ الحجرات: ٤٩] وجه الدلالة أنّه متى كان قول الرسول صلّى اللّه عليه وآله موجوداً، ثمّ قدّمنا آجتهادنا عليه لزم التقدّم بين يدي اللّه ورسوله.

وقد دلّت صحاح أخبارهم على أنّ الآية نزلت في ممـاراة أبي بكر وعمر، في تأمير الأقرع بن حابس والقعقاع بن معبد، وقد كان ما تنازعا فيه من الأمور المتعلّقة بالحروف، ولم يكن سبق من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله فيه أمر، وإنّما أشار كلّ واحد من الرجلين لما رأى في تأميره من المصلحة بزعمه، وإذا كان مثل ذلك من التقديم المنهي عنه الموجب للتوبيخ الظّاهر من سياق الآية، فالأمر في الاجتهاد فيما سبق فيه أمر منه صلّى اللّه عليه وآله، وكان أشدّ تعلّقاً بالدين أولى وأظهر.

[الوجه] السابع: قوله تعالى: ﴿أطيعوا اللّه وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى اللّه والرسول﴾ [٥٩/ المائدة: ٤] والـردّ إلى اللّه ورسوله معناه إمّا التوقّف إلى أن يعلم حكمه بنصّ الكتاب والسّنّـة على ما هو الحقّ، أو المراد به القياس على الحكم الذي في الكتاب والسنّة. وعلى التقدير الأوّل يدلّ على بطلان القياس مطلقاً، وعلى الثاني يدلّ

على بطلان القياس فيما وجد فيه نصّ من الكتاب والسنّة على ما شرح في التفاسير. وعلى التقديرين يبطل القياس في مقابلة النصّ وإذا بطل القياس في مقابلة النصّ ولم يجز العمل به فيما وجد فيه نصّ من الرسول صلّى اللّه عليه وآله، لم يجز الاجتهاد والعمل به مخالفة لقول الرسول صلّى اللّه عليه وآله؛ لأنّ كلّ من قال بعدم جوازه بالقياس ، قال بعدم جوازه مطلقاً.

على أنّ الآية عامّة في كلّ متنازع فيه، سواء كان مما يؤخذ حكم طرفي النزاع، أو أحدهما من الكتاب والسنّة، أولا. وقد حكم [فيها] بأنه يجب أن يرجع فيه إلى قول اللّه ورسوله ولا يحكم بأحد الطرفين. فعند مخالفة النبيّ صلّى اللّه عليه وآله بالاجتهاد ولو بالاستنباط الظنّي من النصّ، يصدّق أنّه مما يجب الرجوع فيه إلى النصّ، فلا يجوز الاجتهاد على خلافه.

بقي الكلام في أنّه ربّما كانت المسألة إجماعيّة فلا يصدق أنّها متنازع فيها، أو كانت مما لم يسبق إليه قول.

والجواب عنها قد سبق في تقرير الإستدلال بقوله تعالى: ﴿فلا وربّك لا يؤمنون﴾ الآية.

الثامن: قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل اللّه وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدّون عنك صدوداً﴾ [٦١/ النساء] ذمّهم على صدّهم عن الرسول صلّى اللّه عليه وآله مطلقاً، فدلّ على أنّ هذا الفعل ممن كان وبأيّ طريق كان مذموماً غير سائغ، فلا يجوز مخالفته في شيء؛ لأنّه نوع من الصدّ.

التاسع: قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلّا ليطاع بإذن اللّه﴾ قالوا: تقريره أنّ إرسال الرسول لّما لم يكن إلّا ليطاع، كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته، ومن كان كذلك كان كافراً مستوجباً للقتل.

وهذا الكلام منهم يدلّ على أنّهم فهموا منه عموم الإطاعة في جميع الأوامر، بمعنى أنّ الإرسال للإطاعة في جميع الأوامر والنواهي لا يجوز أن يخالف في

شيء منها؛ لأنّ المقصود من إعلام أنّ الغرض من الإرسال هو الإطاعة، إيجاب الإطاعة على المرسل إليهم، لا مجرّد أنّ الغرض هو الإطاعة.

وقال الفخر الرّازي: إنّ ظاهر اللفظ يوهم العموم، ولعلّهم إنّما فهموا ذلك؛ لأنّ المضارعة تفيد الاستمرار الزماني، ولا قائل بأنّ إطاعة النّبيّ في كلّ زمان واجب وإن لم يجب في جميع الأوامر، لكن ذلك لا يوجب أن يكون ظاهر اللفظ ذلك، وإنّما يستلزم وجوب الإطاعة على وجه العموم في الواقع.

أو يقال: نزّل الأوامر الجزئية منزله في أجزاء الزمان. فأريد بما يدلّ على عموم الثاني عموم الأوّل، كما أنّه يراد بالدوام والأبدية عموم الأفراد وبما يدلّ على تبعيض الأوقات تبعيض الأفراد.

وفيه أنّ ذلك مجاز غير ظاهر، ودعوى ظهوره بعيد. والتحقيق أنّ الطاعة ضدّ المعصية، والمعصية المضافة إلى الأمر تصدق بمخالفته ولو من وجه، والمضافة إلى الشخص الآمر تصدق بمخالفة أمر واحد من أوامره. فالطاعة للأمر هو عدم مخالفته بوجه من الوجوه، وللشخص الآمر هو عدم مخالفته في شيء من أوامره، ولهذا كانوا يكتفون في إعطاء القيادة للأمراء والتسليم لهم بأنّا سامعون لك مطيعون من غير تعميم لمطلق الطاعة. وقولهم: أطعناه في الأمر الفلاني دون غيره، مجاز خلاف الظاهر.

ويؤيّده أنّهم استدلّوا بقوله تعالى: ﴿قل أطيعوا اللّه واطيعوا الرسول﴾ [٥٩/ المائدة: ٥]. وبقوله تعالى: ﴿فاتّبعوني يحببكم اللّه﴾ [٣١/ آل عمران: ٣] على مسألة التأسّي، ولولا العموم لم يصحّ هذا الاستدلال.

العاشر: قوله تعالى: ﴿قل ما يكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي إن أتّبع إلّا ما يوحىٰ إلّي﴾ [١٥/ يونس: ١٠] وتقرير الاستدلال به على نمط الإستدلال بقوله تعالى: ﴿إن هو إلّا وحي يوحى﴾ [٣/النجم: ٥٣]. كما سبق [في الوجه الأول].

الحادي عشر: قوله عزّ وجلّ: ﴿قل ما كنت بدعاً من الرّسل وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم إن أتبع إلاّ ما يوحىٰ إلي﴾ [٩/ الأحقاف:٤٦] وتقريره ما علم سابقاً.

الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿ومن يطع اللّه والرسول فأولئك مع الذين أنعم اللّه عليهم من النبيّين والصّدّيقين﴾ [٦٩/ النساء:٤] دلّ على أنّ طاعة الرسول في أيّ أمر كان سبب للكون مع النبيّين والصّدّيقين، ولو كان النّبي صلّى اللّه عليه وآله مخطئاً في آجتهاده وعُلم ذلك، لم يكن طاعته في ذلك الأمر سبباً لما ذكر، فدلّ على عدم الخطأ في الإجتهاد.

الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين﴾ [٤/ الأحقاف: ٤٦] دلّ على أنّ المأثور عن الأنبياء الأوّلين لا يحتمل الخطأ، وإلاّ لم يكن بين إتيانهم بالاثارة وعدمه فرق.

ويمكن المناقشة [فيه] بوجهين:

الأوّل: أنّا لا نسلم أنّه يدلّ على عدم الخطأ في الاثارة، وإنّما يدلّ على عدم الصـدق بدونها: يعنى أنّهم لا يقدرون على الإتيان بالاثارة الدالّة على الشرك، وما لم يأتوا بها لا يكونون صادقين في دعواهم؛ لأنّ ذلك ليس مما يعلم بالعقل المحض، فإن علم، فإنّما يعلم بالنقل، ولا نقل هاهنا، ولا ينافي هذا أن لا يكفي النقل المذكور في الشرك.

والثاني: إنّ ذلك من الأصول، ونحن لا نخالف في عدم جواز مخالفة النبيّ صلّى اللّه عليه وآله فيما قاله في أصول الدين، وأنّما نجوّز مخالفته في الفروع.

وكلتاهما خلاف الظاهر فلا ينافي التمسّك بظاهره.

الرابع عشر: الآيات الدّالة على النهي عن اتّباع الظنّ والاقتصار على

العلم، وقول النبي صلّى اللّه عليه وآله معلوم أنّه حكم اللّه ولو ظاهراً، ويجوز اتباعه بل يجب، واجتهاد الأمّة إذا كان مخالفاً له، ليس بمعلوم أنّه يجوز اتّباعه لتحقّق الخلاف في ذلك، فمخالفته ترك للمعلوم الواجب المأمور، باتّباعه بالمظنون المنهي عن اتّباعه.

الخامس عشر: قوله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع اللّه ومن تولّى فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾[٨٠/ النساء: ٤] وجه الاستدلال أنّ من عرف اللسان لا يرتاب في أنّ مفاد الآية هو أنّ طاعة الرسول صلّى اللّه عليه وآله ليس إلّا طاعة اللّه عزّ وجلّ، فكما أنّ من خالف نصّ اللّه سبحانه بالاجتهاد ضالّ غاوٍ، فكذلك من خالفه صلّى اللّه عليه وآله بالإجتهاد، ومن جوّز مخالفته؛ لأنّه يقول عن اجتهاد لزمه القول باجتهاده تعالى وجواز مخالفته.

وقد فسرّ اللّه تعالى ضدّ الطاعة في الآية التالية لهذه الآية بإضمار غير ما يقوله صلّى اللّه عليه وآله، قال سبحانه: ﴿ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيّت طائفة منهم غير الذي تقول واللّه يكتب ما يبيّتون فأعرض عنهم وتوكّل على اللّه وكفى باللّه وكيلاً﴾ [٨١/ النساء:٤] وقد استدلّ الفخر الرازي في التفسير بهذه الآية على عصمته صلّى اللّه عليه وآله في جميع أقواله وأفعاله ثم قال:

[و] قال الشافعي: في باب فرض طاعة الرسول صلّى اللّه عليه وآله: إنّ قوله تعالى: ﴿من يطع الرّسول فقد أطاع اللّه﴾ [٨٠/النساء: ٤] يدلّ على أنّ كلّ تكليف كلّف اللّه عباده في باب الوضوء والصلاة والزكاة والصوم والحجّ وسائر الأبواب في القرآن، ولم يكن ذلك التكليف مبيناً في القرآن، فحينئذٍ لا سبيل إلى القيام بتلك التكاليف إلّا ببيان الرسول صلّى اللّه عليه وآله، وإذا كان الأمر كذلك لزم القول بأنّ طاعة الرسول عين طاعة اللّه، هذا كلام الشافعي. انتهى.

ولا يخفى أنّ في هذه الكلمات اعترافاً بأنّ الاجتهاد بخلاف أمره صلّى اللّه عليه وآله قطعي البطلان، وآجتهاد بخلاف أمر اللّه عزّ وجلّ، فلو فرضنا تعبّده صلّى اللّه عليه وآله بالاجتهاد، لم يجز مخالفته على حال من الأحوال.

السادس عشر: قوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم آللّه الّذين يتسلّلون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ [٦٣/ النور: ٢٤].

جعل عامّة المفسّرين الضمير راجعاً إلى الرسول صلّى اللّه عليه وآله.

وقول أبي بكر الرّازي إنّـه راجع إلى اللّه سبحانه، لا عبرة به، على أنّه لو صحّ لكـان بناء الكلام على آدّعاء أنّ مخالفة أمره مخالفته سبحانه، حتّى تتلاءم أجزاء الآية، وحينئذٍ يتمّ المقصود بوجه أتمّ.

وإذا كان مخالفـة أمره صلّى اللّه عليه وآله موضعاً للحذر عن الفتنة والعذاب الأليم، ظهر فساد الإجتهاد في خلافه. أمّا إذا جعل موافقة الأمر عبـارةً عن الاعـتراف بكـون ذلك الأمر حقّاً واجب القبول على ما زعمه البعض، فظاهر.

وأمّا إذا جعل بمعنى الاتيان بما أمر به على وجهه، فلأنّه إذا كان مخالفة أمره بهذا المعنى مظنّةً للعذاب والفتنة، كان الاجتهاد بخلاف ما أمر به باطلاً، وهو المدّعى.

[الوجه] السابع عشر: الأوامر المطلقة في إيجاب طاعة الرسول صلّى اللّه عليه وآله مفردةً ومقرونةً بإيجاب طاعة آللّه سبحانه كقوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتو الزّكاة وأطيعوا الرسول لعلّكم ترحمون﴾ [١٣٢/آل عمران: ٣] وقوله تعالى: ﴿قل أطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول فإن تولّوا فإنّما عليه ما حمّل وعليكم ما حمّلتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلّا البلاغ المبين﴾ [٥٤/ النـور: ٢٤] وهي في الكتـاب الكـريم أكثر من عشرين موضعاً، والاجتهاد

بخلاف أمره صلّى اللّه عليه وآله تصويب لمخالفة أمر اللّه عزّ وجلّ في إيجاب طاعة رسوله صلّى اللّه عليه وآله، وبطلانه واضح، وإفادة أمثال تلك الأوامر للعموم قد تبيّن في الأدلّة السابقة.

الثامن عشر: مما يدل على بطلان الاجتهاد على الوجه الذي يجوز مخالفته، أنّ أبا بكر وعمر كانا يقولان بأنّ حكمهما ربّما كان خطأ، وربّما كان صواباً، ويلتمسان من الصحابة وسائر من حضرهما أن ينبّهوهما على الخطأ، ولا يقرّروا ولا يداهنوا، ولقد كانت المداهنة من القوم في شأنهما والإغضاء على خطئهما أقلّ بالنسبة إليه صلّى اللّه عليه وآله، والاحتشام منهم لهما دون الإحتشام له صلّى اللّه عليه وآله، وتوهم تحتّم الصواب ووجوب الصحّة في قوله تعالى وفعله صلّى اللّه عليه وآله أكثر، لاسيما بعد ما تقرّر وتكرّر أنّه صلّى اللّه عليه وآله لا يفعل عن شهوة، ولا يقول عن هوى، وإنّما كلامه صلّى اللّه عليه وآله حكم، ونطقه فصل، وقوله عدل، وشهدت له بذلك الآيات المنزلة والسور المتلوّة، ولم يكن التوهّم في شأنهما بهذه المثابة ولا لهما هذه الأسباب والدواعي، كيف وفي حقّه صلّى اللّه عليه وآله نزل ﴿وما آتاكم الرّسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٥٩/ ٧] ونهى عن معصيته وأوعد على مشاقّته ومحاقّته، ولا شيء من ذلك فيهما ولا لهما، فكان النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أحقّ وأحرى بأن ينبّه على أنّ قوله ربّما يباين الصواب، ويخطيء من إصابة الحقّ، وكيف أهمل صلّى اللّه عليه وآله طول هذه المدّة المديدة وأضاع في تلك الأزمنة المتطاولة أن يجنّب أمّته اتّباع الباطل، ويحذرهم الاقتداء بغير الحقّ، ويصونهم عن الإصرار على ما لا ينبّغي ويخالف حكم اللّه، وقد وفقّ له أبو بكر وعمر واهتديا إليه السبيل.

ولو قال قائل: إنّ هذا التنبيه والإيماء كان أولى ولم يكن واجباً، كان الدليل قائمًا والحجّة مستقيمة أيضاً، لأنّ ترك النبيّ صلّى اللّه عليه وآله هذا الأولى والأليق والشفقة على الأمّة والنظر لها، واختصاصها بهذه المنزلة

وٱنفـرادهما بهذه الفضيلة وإصرارهما على هذا القول الذي يرويه الناس في معرض مدحهما ويعدّونه من فضائلهما، مما تأبـاه القريحة السليمة، أفلا قال صلّى اللّه عليه وآله: إنّما أنا مثلكم أخطىء وأصيب، كما آكل وأشرب وأمشي في الأسواق!؟

ومن علم عادته وتتبّع سيرته صلّى اللّه عليه وآله لم يثنه ريب ولم يختلجه شكّ في أنّه لو كان ما قالوا مما له مساغ في طريق الصدق، لم يهمل النبي صلّى اللّه عليه وآله أمره، ولا أغفل عن أن يهدي الناس إليه، لكنّ الإنصاف ٱرتحل من البين، والعصبية أرخت سدول الغشاوة على العين.

[الوجه] التاسع عشر: مما يدلّ على ذلك ٱحتجاج أبي بكر على الأنصار يوم السقّيفة كما رووه بقوله: «الأئمّة من قريش». وتسليم الأنصار الأمر إليه، وٱنكسارهم بذلك عن سورتهم، فما بالهم لم يقابلوا حجّته بأن يقولوا: أيّ دليل في هذا لك وقد علمت أنّه صلّى اللّه عليه وآله ربّما يقول القول عن رأي وٱجتهاد وطالما أخطأ ورجع فلا حجّة في ذلك ولا يصلح؟! خصوصاً فيما يتعلّق بالولاية والزعامة، فإنّه قلّما يكون عن وحي سماوي وتنزيل إلهي، مع شدّتهم في أمرهم ووصيّتهم فيما بينهم بأن شدّوا على أيديكم ولا تملّكوا أمركم أحداً. حتّى أنّ حبّاباً كان قد قبض على قبيعة سيفه، وكان سعد طول حياته يعترض ويصرّح ببـطلان أمرهما ويلمح بالتّغلّب والعدوان إليهما ويتلظّى كبده عليهما، وجميع الأنصار كان شأنهم ذلك وحالهم هذا إلاّ قليلاً منهم، وما قالوا في هذا الباب وحفظ عنهم من النـظم والنثر مشهور، وفي السير والتواريخ مذكور. وكيف غفلوا عن هذا التوهين القويّ لحجّتهم؟ هب أنّهم عن آخرهم أخذتهم الغرّة، وغشيتهم الغفلة في أوّل الوهلة وبادي الأمر، فهلاّ ٱستدركوا ثانياً واحتجّوا مرّةً أخرى؟

العشرون: قول أبي بكر: «أقول في الكلالة برأيي، فإن يكن صواباً فمن اللّه، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، واللّه ورسوله منه بريئان». فإن

كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله أسوة أبي بكر في جواز الخطأ عليه، لم يكن هذه التبرئة والتنزيه وجه.

الحادي والعشرون: ما روي عن ابن مسعود أنّه قال: في المفوّضة: «أقول فيها برأيي، فإن كان صواباً فمن اللّه، وإن كان خطأ فمنّي ومن الشيطان».

وهذا التفصيل قاطع للشركة، وهاتان الروايتان مشهورتان، أوردهما العلماء في كتب الأصول واستدلوا بهما على مسائل من أحكام الاجتهاد، ومن جملتها كتاب الأحكام للآمدي.

الثاني والعشرون: قول عمر بن الخطّاب: «أيكم يرضى أن يتقدّم قدمين قدّمهما رسول اللّه» أو ما في معناه كما سبق. وقوله [الآخر]: «رضيك لأمر ديننا أفلا نرضاك لأمر دنيانا».

ولا يخفى أنّ الصلاة إمّا من الأحكام والأمور التي يجوز فيها الاجتهاد ويحتمل الخطأ، أو ممّا يكون بوحي إلهيّ لابدّ منه.

فعلى الأوّل لا وجه للاستدلال به؛ لأنّ لهم حينئذٍ أن يقولوا: نحن قد اجتهدنا ورأينا أنّ الصواب في ضدّ ما فعله صلّى اللّه عليه وآله، وأنّ الأوفق بالمصلحة خلاف ما رآه، ولايمتنع ذلك عليه ولا نرضى بذلك، وأيّ استعباد في هذا الرضا؟ وإنّما يصحّ هذا الاستبعاد فيما لا يجوز فيه الخطأ ولا يتطرّق إليه البطلان.

ولئن قيل: إنّ الغالب عليه الصواب وإن جاز الخطأ أحياناً، وما يغلب عليه الصواب ينبغي أن يحترز ويجتنب تركه، والمركوز في العقول التباعد عن مخالفة مثله؛ لأنّ الخطأ مظنون فيها.

قلنا: إمّا أن يكون الأنصار نازعت أبا بكر وادّعت الإمامة لنفسها بدون متمسّك واجتهاد، أو رأته كذلك وقالت ما قالت عن شبهة تعتقدها دليلاً

أو تظنّها حجّةً. والأوّل مما لا يقدم عليه مثل الأنصار الذين آووا ونصروا، وهم كبار الصحابة وأعلام المسلمين وخيار الناس وأعيان أهل الدين، [و] كيف يقدم مثلهم على هذا الفسق الواضح!؟ أفلا كان في الأمّة من يطعن عليهم بالفسق والعصيان؟ ولو كان، لنقل إلينا وهذا النوع من الاستدلال قد شاع بين القوم التمسّك به.

وأيضاً أجمعت الأمّة إجماعاً مركّباً على أنّ كل من قال في الإمامة بالرأي، ودان فيها بالإجتهاد فاسق، أو أنّهم أتوا بأفضل عبادة وأثيبوا وإن لم يصيبوا.

وإما أنّ بعضهم أصاب الحقّ واليقين وآخرون فسقوا عن الدين، فمنفيّ إجماعاً. فتعيّن أن يكون الأنصار ومن يحذو حذوها قالت ما قالت عن شبهة، فكان الواجب على عمر أن يتمسك برجحان اجتهاده صلّى اللّه عليه وآله على اجتهادهم بواحد من الوجوه التي تصلح للترجيح من الأمور المقرّرة في الأصول.

وعلى الثاني، كان عليه أن يثبت بدليل أنّه صادر عن الوحي لا عن الإجتهاد، ويأتي بحجّة تعيّن كونه من أحد القسمين دون الآخر.

وأيضاً لامعنى لقياس ما يجوز فيه الإجتهاد ويسوغ عليه الخطأ، كأمر الإمامة والرّئاسة على ما يجب استناده إلى الوحي والتوقيف، وكيف شبّه أحدهما بالآخر مع هذا الفارق الجلي الواضح!؟.

الثالث والعشرون: قول عمر حين قال بعض المرتابين في جيش أسامة لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: «أتؤمّر علينا هذا الشابّ الحدث ونحن جلّة مشيخة قريش!؟»: دعني يارسول اللّه أضرب عنقه فقد نافق.

وهذا يدلّ على أنّه يلزم بمجرّد مخالفة النبيّ صلّى اللّه عليه وآله النفاق والكفر، ولا يجوز مخالفته صلّى اللّه عليه وآله، سواء كان قوله عن اجتهاد أو لا.

وسواء كان في الولايات والحروب أو غيرهما، وإلاّ فمن أين يلزم نفاقه وكفره ويحلّ ضرب عنقه!؟

وكيف قرّره صلّى اللّه عليه وآله على هذا الرأي الفاسد والزعم الباطل!؟ ولم ينكر هو عليه ولا أحد من الصحابة والتابعين؟ وأين كان أعداؤه المتتبّعون لعثراته وزلّاته، الطالبون لخطاياه وأغلاطه عن هذا الخطأ الظاهر!؟

وكيف لم يطعن الفقهاء عليه طول هذه المدّة ولم يعترض عليه؟ حتّى أنّ الذين كانوا على رأي الروافض في الصدر الأوّل عطشى الأكباد لأدنى هفوة من هفواته، كهشام بن الحكم، ومحمد بن النعمان الأحول، وغيرهم ممن عُرفوا بهذه الخصلة وعدّوا من أصحاب المقالات والنحل، لم يطعنوا عليه هذا الطَعن مع حرصهم على الإزراء به، وولوعهم على تشهير مساويه ومثالبه!؟ ولولا أنّ هذا كان في الزمن السالف إجماعياً غير مختلف فيه ما أغمضوا عليه و [لا] تغافلوا عنه.

وإنّ ما ذكرناه أقوى في باب العادات، والمعلوم من أحوال الناس من جميع ما يذكرونه في هذا النمط ويستدلّون عليه بها، وإنّما هذا القول البديع والإفك المفترى، شهادة زور وأماني غرور اختلقها جماعة من المتأخّرين، ترويجاً لبعض ما ينتحلونه، وترميماً لأفعال شيوخهم وأئمّتهم، وهيهات هيهات! وأنّى لهم بذلك وقد حيل بينهم وبين ما يشتهون؟

الرابع والعشرون: قول عمر أيضاً يوم بدر ـ حين قال أبو حذيفة في بعض ما كلّم به النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، وقد كان صلّى اللّه عليه وآله يوصي أن لا يقتل أحد من بني هاشم؛ لأنّهم استكرهوا ولم يخرجوا طائعين [فقال أبو حذيفة:] «أنقتل آباءنا وإخواننا ونترك بني هاشم؟ فلو أنّي لقيت عمّ النبي صلّى اللّه عليه وآله لأضربنّ خياشمه بالسيف ـ حيث قال [عمر]: «إنّ أبا حذيفة قد نافق». واستثاره النبيّ صلّى اللّه عليه وآله بقوله: «دعني أضرب عنق هذا المنافق». ولم ينكر النبيّ صلّى اللّه عليه وآله على عمر قوله، ولو كان الأمر على

ما زعموه لكان الحري بالهادي المهدي الراشد المرشد المبعوث للدلالة والهداية أن يقول له: أيّ رابطة زعمت بين إنكار قولي وبين النفاق. بل هو طاعة للّه، فإنّ كان صواباً فله أجران، وإلّا فأجر واحد، خصوصاً في الحروب وتدبير أمر الجيوش والمغازي، سيّما يوم بدر الذي كان المسلمون فيه في غاية القلّة ونهاية الضعف، ولم يشتدّ ساعد الإسلام بعد، وكانت إثارة الإحن مجلبة للمحن، فلولا أنّ عمر كان مصيباً في ذلك لما تغافل عنه النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله ولم يعتذر بانّـه يحبّ اللّه ورسوله، ولم يذهب في إصلاح ما بدا منه في الظاهر إلى أمر البـاطن، ومن المعلوم أنّ الظاهر إذا لم يفسد، لم يجز العدول في جواب قدح القادح فيه إلى أنّ باطنه على خلاف ما يوهمه ظاهره، فإنّ ذلك كلام من يسلّم من خصمه صحة مقدّماته الّتي ادّعاها، ولكنّ ذلك القدر لا يكفي في المطلوب، بل العمدة أمر الباطن وهو ملاك الأمر.

ولو كان الأمر كما زعمه القوم لكان النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله يقول صادعاً بالحقّ: أن لا غائلة في قول أبي حذيفة ولا قدح، وإنّما ذلك أسوة سائر الكلمات التي يسوغ لكلّ أحد أن يكلّمني، ولو لم يكن عبادةً فلا أقلّ من أن يكون مباحاً، ولم يكن يعرض بأمر باطنه وصحة عقيدته، ولا يحيل على أمر غير ظاهر للناس خفيّ عن الأبصار.

الخـامس والعشـرون: أنّ النـاس اجتمعوا على عثمان زارين عليه طاعنين فيه بمخالفته رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله والعدول عن سنّته، وعدّدوا عليه أموراً، فلو جاز لأحد أن يخالفه بالإجتهاد لكان لعثمان أن يجيب خصمه بذلك ويناظرهم عليه، أو يرشدهم إليه، وما رأيناه فعل ذلك مع كثرة المواقف التي واقفـوه فيهـا كما مرّ بعضهـا، ولو فعل لنقل إلينا، ولقد كان كثير من الصحابة الذين طعنوا عليه واجهوه بما يسوءه، وعابوه حين غابوا، وزجروه إذ حضروا عنده، ولم يعتل هو بأنّي اجتهدت ورأيت أنّ الصواب في خلاف ما قاله وفعله، وقد علمتم أنّه كثيراً ما كان يقول شيئاً ويخالفه الناس لخطأ في رأيه،

و[ما قال] أنا اليوم إمام القوم أولى منهم بذلك، ولو ساغ ما قلتم، استحال أن يتغافل عنه عثمان أو غفل هو وأتباعه والمصحّحون لما فعله في عصره، ولو احتجّ واعتلّ بذلك، استحال في العادة أن لا ينقل إلينا ولم ينقل.

[الوجه] السادس والعشرون: أنّه لما كلّم عثمان أبا بكر وعمر في ردّ الحكم، أغلظا له القول وزبراه وقال له عمر: يخرجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه وتأمرني أن أدخله!؟ واللّه لو أدخلته لم آمن أن يقول قائل: غيّر عهد رسول اللّه صلّى عليه، واللّه لئن أشقّ باثنتين كما تشقّ الابلة ـ وهو خوص المقل ـ أحبّ إليّ من أن أخالف لرسول اللّه صلّى اللّه عليه أمراً، وإيّاك يا ابن عفّان أن تعاودني فيه بعد اليوم.

ولو جاز مخالفته صلّى اللّه عليه وآله بالاجتهاد، لم يكن لعمر أن يردّ قول عثمان ويدفعه بأنّه مخالفة الرسول صلّى اللّه عليه وآله، وأنّ شقّه باثنتين أحبّ إليه منها، بل كان ينبغي أن يناظره ويحجّه بطريق الاجتهاد وسنّة النظر ومراعاة المصالح والمفاسد، ويرى عثمان وجه خطئه، وأنّه في أيّ موضع من مقدّمات الاجتهاد وقعت له الغفلة وحصل منه الإهمال، وما نراه فعل هو ذلك ولا أبو بكر.

السابع والعشرون: قول عمر بعدما سمع الخبر في دية الجنين: «لو لم نسمع لقضينا فيه بغير هذا».

وروي أنّه قال: «نقضي فيه برأينا». فدلّ على أنّه كان يترك الرأي بخبر الواحد، ولم ينكر على عمر أحد قوله وكان يرى التفاوت في دية الأصابع، فرجع عن رأيه بخبر عمرو بن حزم، أنّ في كلّ إصبع عشرة.

الثّامن والعشرون: حديث أبي الدّرداء حيث روى نهي رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله عن بيع أواني الذهب والفضّة بأكثر من وزنها. فقال معاوية: لا أرى بذلك بأساً.

فقال أبو الدرداء: من يعذرني من معاوية! أخبره عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله ويخبرني عن رأيه؟ لا أساكنك بأرض أبداً.

دلّ كلام [أبي الدرداء هذا] على أنّ مقابلة النص بالرأي غير مشروع، ولم يخصّص في إنكاره بالأحكام، بل أطلقه بحيث يتناول الحروب وغيرها، ولو كان هناك فرق بين خبر وخبر ورأي ورأي، لما صحّ له الاطلاق.

التاسع والعشرون: أنّ عمر كان يرى أنّ الدّية للورثة ولم يملكها الزوج فلا ترث الزوجة منها، فأخبر أنّ الرسول صلّى اللّه عليه وآله أمر بتوريثه منها، وهو خبر الضحّاك بن سفيان بأنّه كتب النّبيّ بتوريثها من الدية.

قال الآمدي: ترك [عمر] اجتهاده في منع ميراث المرأة من دية زوجها بخبر الواحد وقال: أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلّوا وأضلّوا كثيراً.

وهذا، وإن كان مورده الميراث إلّا أنّ فحوى الكلام هجر الرأي بخبر الواحد مطلقاً، وهذه الأخبار مما استدلّ به العلماء في كتب الأصول على أحكام خبر الواحد.

الثلاثون: ما روي أنّ عمر جاء رسولاً إلى أبي بكر من قبل أعيان الجيش، فاستأذنه في رجوع أسامة متعلّلاً بأنّ معه من وجوه الناس، ولا تأمن على خليفة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وحرمه وحرم المسلمين أن يتخطّفهم المشركون حول المدينة.فقال أبو بكر: لو تخطفني الكلاب والذئاب لم أردّ قضاءاً قضى به رسول اللّه صلّى اللّه عليه.

ولّما أدّى إليه [عمر] رسالة الأنصار وسؤالهم أن يولّي عليهم أحداً أقدم سناً من أسامة وثب من مكانه ـ وكان جالساً ـ وأخذ بلحية عمر بن الخطاب فجرّها وقال: ثكلتك أمّك يا ابن الخطّاب! استعمله رسول اللّه وتأمرني أن أنزعه!؟

وقد كان وجه المصلحة فيما رأوه باجتهادهم ظاهراً، فلولا أنّ مخالفة النّبيّ بالاجتهاد غير سائغ لما ساغ لأبي بكر أن يجيبه بالردّ من عرض الخلافة عليه أوّلاً، وأفضى بها إليه أخيراً وأن يزري بقدره ويستخفّ به ويستهزء ذلك الاستهزاء الذي لا يفعله الجلف الجافي بسوقي ساقط المحلّ.

وكيف ساغ له أن يأخذ بلحيته الكثيفة ويخاطبه بالثكل والويل وهو غير مستحقّ لذلك، سوى أنّه تحمّل رسالة كلّها أجر وثواب، وجلّها صدق وصواب بزعمهم، وقد صدرت عن اجتهاد جماعة من المسلمين هم ذروة الأمر وسنامه وأساس الاسلام وقوامه؟

وهل يغضب ذو الدين على الحاكي طاعة جماعة من المسلمين وعبادتهم، ويفعل فعل من لا صبر له، واستشاط غيظاً وتلهّب غضباً، فلولا أنّ الأمر بمخالفة النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله ـ ولو كان عن اجتهاد ـ كان فظيعاً شنيعاً لما ظهر منه ذلك الصنيع مع اتّفاق كان بينهما في النفاز وإتّحادهما في الإلحام واجتماعهما على ترويج الباطن؟

وهذا آخر ما أردنا إيراده من الأدلّة في هذا الباب وفيها كفاية لأولي الألباب.

ولنشر إلى بعض شبه المخالفين:

الأولى: قوله سبحانه: ﴿عفا اللّه عنك لم أذنت لهم حتّى يتبيّن لك الّذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ [٣/ التوبة:٩] قالوا: عاتبه على الإذن [لمن أراد أن يتخلّف عنه] والعتاب لا يكون إلّا عن خطأ والخطأ لا يكون في الوحي بل في الاجتهاد؟ وقال: ﴿عفا اللّه عنك﴾ والعفو لا يكون إلّا عن ذنب.

والجواب عنه: أمّا أوّلاً فبأنّا قد روينا عن أهل بيت العصمة عليهم السلام ـ كما مرّ مراراً ـ أنّ القرآن نزل بـ [طريقة قولهم:] «إيّاك أعني وأسمعي يا

جارة»، وهي مروية في كتبهم أيضاً عن ابن عبّاس، [و] في معناه عن طرقنا أخبار كثيرة. فلعلّ ذلك كان بإشارة الأصحاب الذين تقول فيهم ما تقول، ونزلت الآية عتاباً لهم وردّاً عليهم لقلّة نصحهم وسوء صنيعهم.

وقد مرّ في هذا الكتاب أشباهها من قوله تعالى لنبيّه صلّى الله عليه وآله: ﴿لئن أشركت ليحبطنّ عملك﴾ [٦٥/ الزمر:٣٩] وقوله سبحانه مخاطباً لعيسى عليه السلام: ﴿أأنت قلت للناس اتّخذوني وأمّي إلهين من دون الله﴾ [١١٦/ المائدة: ٥] وللتعريض باب عريض، فلا يستبعد كون المراد بالآية المذكورة تعريضاً وتوبيخاً لمن حمله عليه السلام على الإذن وألجأه إليه وصنع ما انقلبت معه المصلحة عن وجهها وانعكس أمرها وانحصرت في الإذن إلى غير ذلك.

ثمّ نقول لهؤلاء القوم: لا يخلو النبيّ صلّى الله عليه وآله في إذنه لهم من جهة الخطأ في الاجتهاد من أن يكون آثماً أو تاركاً للأولى، أو لا هذا ولا هذا، بل إمّا مثاباً مأجوراً أو فاعلاً مباحاً والأوّل خلاف الإجماع، ولم يظهر قائل بالثاني أيضاً بل المشهور هو الثالث.

فإن كان استعمل لفظ العفو والمعاتبة معه صلّى الله عليه وآله، من جهة أنّه ترك الأولى، فقد خرجنا وهؤلاء الخصوم رأساً برأس، فإنّ المشهور عند أصحابنا الإمامية حمل هذه الآية وأمثالها على ترك الأولى بدون أن يكون خطأ في الإجتهاد، بل يكون تعمّداً لترك الأولى عندهم، كما يحملون خطيئة آدم عليه السلام مع ما وقع عليها من المعاتبات وغيرها على ترك الأولى، فلا ترجيح معهم.

وإن كان من جهة الخطأ في الإجتهاد بدون أن يكون هناك ترك للأولى، بل إمّا أن يكون فعل فعلاً مباحاً أو أتى بنافلة وعمل بمندوب واطاع الله فيما أمره به وأقام وظيفة عبادته، فلينصفوا حينئذٍ من أنفسهم، ولينظر اللبيب في أنّه هل يكون استعمال لفظ العفو وإيقاع المعاتبة في صورة ترك الأولى عمداً أحسن موقعاً أم استعماله في خطأ وقع أثناء الإجتهاد؟ مع أنّه لم يفعل فعلاً

مرجوحاً بل إمّا مباحاً، ولعلّ من له أدنى حظّ من الإدراك لا يرتاب في أنّ تأويل الإمامة أقرب بمراتب وأولى بدرجات كثرة.

ومما ينبغي أن يعلم أنّ قوله صلّى اللّه عليه وآله وإذنه لهم من حيث إنّه قول وحكم لا يوصف بأنّه ترك الأولى؛ لأنّ الحكم من حيث أنّه حكم كان أمراً مطابقاً للواقع من جملة أحكامه عليه السلام، فكان القعود لهم جائزاً بحسب الواقع، وإنّما كان ترك الأولى في إظهاره لهم وعدم منعهم من القعود.

ويحتمل أن يقال: لم يكن قعودهم جائزاً في الواقع، بل كان الواجب عليهم أن يخرجوا إلى الجهاد، لكن كان الأولى له أن يمنعهم ولا يأذن لهم.

ولا استبعاد في أنّ يكون قعودهم محرّماً وإذنه عليه السلام بحسب ما يظهرونه من الأعذار ويتعلّلون بالعلل جائزاً، فربّ أمر كان في الواقع حراماً والإذن فيه من حيث الظاهر جائزاً، كما سيأتي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام، سلّم من شهد عليه شاهدان بالسرقة إليهما ليقطعاه فأرسلاه وفرّا، مع أنّ قطعه كان محرّماً عليهما، وأنّ النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله أذن لأهل الذمّة أن يقرّوا على مذهبهم ويستمرّوا على دينهم مع أنّه محرّم عليهم.

وأذن لعثمان في عبداللّه بن سعد بن أبي سرح، مع أنّه كان على عثمان أن لا يستأذنه صلّى اللّه عليه وآله وأن لا يؤمّنه.

وأذن أمير المؤمنين عليه السلام [لـ]طلحة والزبير في الخروج إلى العمرة، مع أنّه كان يعلم أنّه محرّم عليهما وكان يتظاهر بذلك.

غايةً ما في الباب، أن يكون عدم الإذن فيما نحن فيه أولى، وإذنه تركاً للأولى، فإذا جاز أن يكون الإذن في المحرّم جائزاً مباحاً فأولى أن يكون تركاً للأولى.

[الشبّهة] الثانية: قوله تعالى: ﴿ما كان للنّبيّ أن يكون له أسرى حتّى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا واللّه يريد الآخرة واللّه عزيز

حكيم﴾ لولا كتاب من اللّه سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ [٦٧ ـ ٦٨/ الأنفال:٨].

قالوا: لولا أنّه أخطأ في أخذ الفدية لما عوتب على ذلك.

وقد يقال إنّ مدلول هذه الآية نهي عن الأسر وقد وقع الأسر بلا شبهة. وأيضاً قد أمر بالقتل والأسر ضدّه، وقد روي أنّ عمر بن الخطّاب دخل على رسول اللّه فإذا هو وأبو بكر يبكيان فقال: يا رسول اللّه أخبرني فإن أجد بكاءً بكيت. فقال: أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء، ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة [وأشار] بشجرة قريبة منه. والبكاء ونزول العذاب قريباً دليلان على الخطأ.

وهذا أقصى ما قالوه في تقرير هذه الشبهة فنقول [في جواب هذه الشبهة]:

أمّا الأسر فلعلّه كان منهيّاً عنه ولم يأسر رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله أحداً، وإنّما أمر بالقتل فخالفوه على ما ذكره السيّد [المرتضى] رضي اللّه عنه في كتاب تنزيه الأنبياء.

ويرد على ذلك أنّ أمير المؤمنين أسر عمرو بن أبي سفيان أخا معاوية على ما جاءت به الرواية، وأشار عليه السلام إليه في كتابه إلى معاوية، فلو كان الأسر منهيّاً عنه لم يفعله علي عليه السلام.

ويمكن أن يكون الأسر [في الواقع كان] منهيّاً عنه بالنسبة إلى كلّ أحد مقيّداً بالغاية المذكورة في الآية، وإذا انتهى الرجل إلى الغاية صحّ منه الأسر، وقد كان علّي عليه السلام أثخن في الأرض حتّى أنّه قتل ما يقرب من نصف عدد القتلى، وغيره ما كان بلغ معشار ما بلـغ صلوات اللّه عليه.

أو يقال: لعلّ الإثخان كان حاصلاً حين أسر علي عليه السلام من أسر ولم يكن حاصلاً حين أسر غيره.

وقد قال السيّد [المرتضى]: قدّس سرّه: إنّهم لّما تباعدوا عن العريش وعن مرائه صلّى اللّه عليه وآله، أسروا من أسروا من المشركين بغير علمه صلّى اللّه عليه وآلـه ولا يبعد أن يكون هو عليه السلام لم يأسر حتّى في الكفّار وانهزموا وتباعدوا وانتهى الأمر إلى آخره ووضعت الحرب أوزارها، فحينئذٍ أسر من اسر.

ويمكن أن يكون هذا الأسر مستثنى من العام لحكمة تعلّقت بـه، وقد افتكـوا به رجلًا من الأنصار، وكان حبسه أبو سفيان بابنه وكان الغرض من الأسر هو هذا، والقرينة على أنّ مثله مخصوص من العام أنّ التوبيخ في الآية تعلّق بإرادة الدنيا وحطامها وأعراضها، ولو لم يكن المقصود من الأسر العرض الأدنى والنصيب الأخسّ والمطلب الأركس لم يكن داخلًا في النهي.

واعلم أنّ حديث الأسر وكونه منهيّاً عنه ساقط فيما نحن فيه من الإجتهاد وكونه واقعاً على وجه الخطأ، وإنّما يتّجه التمسّك به في نفي العصمة، فإنّ القائل بأنّ الإجتهاد وقع خطأً، لا يقول بأنّه وقع مخالفة للنصّ وعلى وجه المعصية حتّى يكـون مما يستحق عليه العذاب العظيم والذي يتمسّك به في معصية النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله لا يقول بأنّه وقع على سبيل الخطأ في الاجتهاد.

ويمكن أن يوجّه بأنّ النهي إنّما حصل بهذه الآية ولم يكن نهي صريح سابقاً كيف والإتّفاق حاصل على أنّه لم يكن هناك نهي ونصّ.

وأمّا الأمر بالقتل في قوله تعالى: ﴿فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كلّ بنان﴾ [١٢/ الأنفال: ٨] فالمراد به الكثرة لا محالة، لا عموم [ضرب] أعناق الكفّار بلا خلاف. فالقتل المدول عليه بالآية لا ينافي الأسر.

وممـا يدلّ على أنّ المراد به الكثرة، هذه الآية، فإنّها كالمفسّرة لتلك، وكـذلـك قولـه تعـالى: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتّى إذا

أثخنتموهم فشدّوا الوثاق﴾ [٤/ محمد: ٤٧].

فلعلّه عليه السلام علم المراد قبل نزول هاتين الآيتين أو بواحدة منهما أو بغيرهما، فقد ظهر أنّ القتل المأمور به هو الإثخان فيه والإكثار منه وهذا غير صريح في النهي عن الأسر.

ولّما دلّ الدليل على عدم صدور المعصية منه عليه السلام، تعيّن الحمل على ذلك. وقد حصل التوبيخ له صلّى اللّه عليه وآله والعتاب في هذه الآية ولا وجه له حينئذٍ سوى أنّه آجتهد وأخطأ في الإجتهاد.

وهذا تقريره على وجه ينطبق على ما نحن فيه.

وأنت خبير بأنّ الخطأ في الاجتهاد إمّا أن يكون ناشئاً عن تفريط وتقصير يعدّ ذنباً ومعصيةً، أولا، بل يقع موجباً للثواب ومقتضياً للأجر الجميل، وعلى الأوّل فقد بطل آستدلاله، إذ لو كان ذنب لا محالة لازماً فأيّ دلالة في الآية على الإجتهاد والخطأ فيه.

وعلى الثاني، لم يصحّ ترتّب العقاب على الفعل المندوب لا محالة، الموجب للأجر والثواب، ولا قائل بأنّ المخطئ في الاجتهاد تارك للأولى غير مستحقّ للثواب، ولا بأنّه مع عدم تفريطه مستحقّ للعقاب إلّا شرذمة قليلة لا يعبؤ بهم، ولم يبق أحد منهم على أنّ الكلام معهم هو الكلام على الاحتمال الأوّل.

وقول الفخر الرازي: إنّ الخطأ في الاجتهاد وإن كان حسنة، إلّا أنّ حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين، فلذلك حسن ترتّب العقاب عليه، فيه نظر لأنّه بعد تسليم صحّة ترتّب العقاب على الحسنة بناءً على أنّ هاهنا ما هو أحسن منها، فلم لا يجوز أن لا يكون هاهنا خطأ في الاجتهاد؟ بل أصاب في آجتهاد وعلم الحسن والأحسن، واختار الحسن على علم منه. أفترى أنّه يمتنع من النبيّ صلّى اللّه عليه وآله ترك الأحسن والعمل بالحسن، إذا كان علمهما

وميّز بينهما؟ وإنّما لا يمتنع إذا لم يعلمهما وحسبهما متساويين، فلا توجب الأصلح والأحسن على ٱللّٰه سبحانه وتوجبه على النّبيّ صلّى اللّٰه عليه وآله.

وقد زعمت أنّ ترك الأحسن. والعمل بالحسن مما تكرّر منه صلّى اللّٰه عليه وآله، فقد رويتم أنّه صلّى اللّٰه عليه وآله عبس في وجه ٱبن أمّ مكتوم فعاتبه ٱللّٰه على ذلك، كما مرّ، وعندكم أنّه محمول على ترك الأفضل أو الصغيرة.

و [رويتم أيضاً أنّه صلّى اللّٰه عليه وآله] حرّم مارية [القبطيّة] على نفسه، وعند أصحاب هذا القائل أنّه صلّى اللّٰه عليه وآله أذنب وأنّ قوله تعالى: ﴿واللّٰه غفور رحيم﴾ إيماء على العفو عن هذه الزّلّة، وأنّ قوله تعالى: ﴿لقد تاب اللّٰه على النّبي﴾ [١١٧/ التوبة:]٩] وأمره بالاستغفار في قوله: ﴿واستغفر لذنبك﴾[1] وما رُوي أنّه صلّى اللّٰه عليه وآله كان يستغفر في اليوم والليلة سبعين مرّة، محمول على الذّنب. أو على ترك الأفضل والأولى.

ونظائر ذلك كثيراً، فما الذي كان باعثاً على أنّ اللّٰه تعالى خالف عادته في ترك النكير عليه، وبهذا يعلم أنّ هذا العتاب والإنكار ليس مبنيّاً على ترك الأحسن، سواء أنشئ عن ٱجتهاد أو غيره.

وبما ذكرنا، يعلم جواب عن قولهم إنّه صلّى اللّٰه عليه وآله كان مأموراً بالقتل والأسر ضدّه وليس لأحد أن يقول: إنّ الأمر تناول حال الحرب وما بعده، ولو كان بغير ٱختيار النّبيّ صلّى اللّٰه عليه وآله، فلا ريب في أنّ إبقاءهم بعد الحرب كان باختياره، وهو مناف للأمر بالقتل لأنّا نقول: الأمر بالقتل كان مقيّداً بحال المحاربة كما هو المتبادر من قوله [تعالى]: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا

---

(١) في الآية: (٥٥) من سورة غافر: (٤٠) ﴿فاصبر إنّ وعد اللّٰه حقّ وٱستغفر لذنبك وسبّح بحمد ربك﴾.

وفي الآية: (١٩) من سورة محمّد: (٤٧): ﴿فاعلم أنّه لا إله إلّا هو وٱستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾.

فضرب الرقاب﴾ [٤/ محمد: ٤٧] فإنّ الظاهر من الأمر بضرب الرقاب وقت اللقاء وهو حال الحرب، ولا يسمّى ما بعد الحرب وحصول الأسرى مكتوفين بأيدي الخصوم وتبدّد شملهم وزوال فئتهم عن مراكزهم، لقاء.

وأيضاً المتبادر من مثل هذه العبارة حدثان ذلك الفعل وفواتحه، لا أواخره، وإن دام على أنّ ضربَ الأطراف الذي فسّر به ضرب البنان غير معهود من صاحب الشرع في الأسير، فإنّه يجري مجرى المثلة، وإنّما يجوز وقت آلتحام الحرب وحين المسايفة.

وربّما قيل: إنّ الأسر أضيف إلى النبيّ صلّى اللّه عليه وآله حيث قال عزّ من قائل: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتّى يثخن في الأرض﴾ [٦٧/ الأنفال: ٨] ولولا أنّ الأسر وقع بأمره وإذنه، ما كان يضاف إليه صلّى اللّه عليه وآله.

وأجاب عنه السيّد [المرتضى] رضي اللّه عنه بأنّ الأصحاب إنّما أسروهم ليكونوا في يده صلّى اللّه عليه وآله، فهم أسراؤه صلّى اللّه عليه وآله ومضافون إليه وإن كان لم يأمرهم بأسرهم. انتهى.

ونظيره قوله تعالى: ﴿يا أيّها النبي إذا طلّقتم النّساء فطلّقوهنّ لعدّتهن﴾ [١/الطلاق: ٦٥] مع أنّ المطلّق لغير العدّة كان عبداللّه بن عمر، ولم يأمره صلّى اللّه عليه وآله بذلك الطلاق، وقد أضيف إليه الطلاق وخصّ بالخطاب.

وممّا يدلّ على أنّ إبقاء الأسرى لم يكن إثماً، ما روى الواقدي عن عليّ عليه السلام أنّه كان يحدّث ويقول: أتى جبرئيل النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله يوم بدر فخيّره في الأسرى بين أن يضرب أعناقهم، أو يأخذ منهم الفداء ويستشهد من المسلمين في قابل عدّتهم، فدعا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله أصحابه وقال: هذا جبرئيل يخيّركم في الأسرى بين أن يضرب أعناقهم، أو تؤخذ منهم الفدية ويستشهد منكم قابلاً عدّتهم بأحد.

قالوا: بل نأخذ الفدية ونستعين بها ويستشهد منّا من يدخل الجنة، فقبل منهم الفداء، وقتل من المسلمين قابلاً عدتهم.

وطعن من طعن في هذا الحديث بأنّه ينافي العتاب على أخذ الفداء من باب الطّعن بالمجهول على المعلوم.

مع أنّ أبن حجر ذكر في شرحه لصحيح البخاري أنّ الترمذي والنسائي وأبن حبّان والحاكم رووه عن عليّ عليه السلام بإسناد صحيح.

ويدلّ عليه أيضاً، أنّ إبقاء الأسرى قد كان بإذنه وما كان يسع المرؤوس، إذا أذن الرئيس وأمر أن يخالف ويختار [لا] سيّما في مثل هذا الخطب الجليل والشأن العظيم، خصوصاً بعد ما أبرم مرائر أمر أتباعه وطاعته، وأوعد على معصيته في الكتاب الكريم، فكانت التّبعة على الآذن المطاع والآمر الواجب الإتباع، ولكان هو المستحقّ لتوجّه العتاب والتقريع ولم يقع الأمر كذلك، بل خصّوا بالعتاب والتهديد دونه صلّى اللّه عليه وآله، وغاية الأمر أن يعمّه صلّى اللّه عليه وآله معهم، وكذلك أستشارة النبيّ صلّى اللّه عليه وآله أصحابه في أمر الأسارى وأخذ الفداء منهم، دليل على أنّه لم يكن النصّ تناوله، ولو كان خاصّاً أو عامّاً تناوله، فكيف غفل النبيّ صلّى اللّه عليه وآله عنه مع طول مدّة المشورة والبحث عن أمرهم؟ حتّى روي أنّ أبا بكر وعمر كلّماه متناوبين متعاقبين مراراً عديدة، وأنّ النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله دخل خيمته ثمّ بعد أمّة خرج واستأنف أمر المشورة، وكان الناس يخوضون في كلامهما ويقول قائل: القول ما قال أبو بكر. وقائل: القول ما قال عمر.

ورووا أنّه تمثّل لهما بالملائكة وحالهم وحال عدة من الأنبياء عليه السلام، وتلا عدّةً من الآيات أفلم يخطر بباله تلك الآية النازلة في الواقعة التي هو بصددها. وتذكر الآيات النازلة في شأن الأنبياء عليهم السلام ووقائعهم، حتّى تمثّل بها لأبي بكر وعمر.

وكيف لم يذكر أبو بكر هذه الآية حتّى يتوقّف مما كان فيه ويرتدع من آستبقاء الأسارى؟ وما الذي دهم الخائضين في كلامهما، حتّى ضربوا صفحاً عن ذكر الآية التي أهمهم أمر ما نزلت فيه؟

ثمّ هلم إلى عمر وذهوله عن الآية، مع أنّ له فيها غرضاً عظيماً وحظّاً جسيماً لشدّة ولوعه بقتل الأسرى، خصوصاً بني هاشم، لا سيّما عبّاساً وعقيلاً حتّى صرّح باسمهما وعيّن القاتل لهما.

وبعد اللتيّا والتي، لو كان آستبقاؤهم باجتهاد غفلةً عن النصّ، وذهولاً عن أمر اللّه تعالى، كان المجتهد فيه مثاباً ومأجوراً، ولم يتوجه العتاب، إلى آخر ما علمت.

وأمّا أخذ الفداء، فلا يتمّ الكلام فيه إلّا بأن يثبت أنّ العتاب والتهديد وقع عليه وهو ممنوع، بل إنّما وقع على الأسر الذي فعله المحاربون بدون إذن النبي صلّى اللّه عليه وآله، وكان غرضهم من الأسر عرض الدنيا وكسب المال على ما دلّ عليه القرآن.

وأيضاً أخذ الفداء، كان للتقوّي على الجهاد. على ما دلّت عليه الرواية وهو ممّا يتعلّق بأمر الآخرة والذّم والعتاب، إنّما توجه بالآية إلى من كان يريد عرض الدنيا، فظهر أنّه على غير هذا الأخذ وقع، وبما سواه تعلّق كما قلنا أنّ الذمّ وقع على فعل الأصحاب المحاربين، ولعلّ غرضهم كان متعلّقاً بالحطام الدنيوي.

وممّا يدلّ على أنّ هذا الوعيد والعتاب لم يكن على أخذ الفداء ثانياً، الرواية التي ذكرنا في دخول عمر على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، فإنّ العذاب أضيف فيها إلى الأصحاب، والبكاء كان عليهم، ولم يذكر رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله نفسه في البكاء والعذاب، مع أنّه هو الآذن الآمر لهم، ولا خيرة لهم مع أمره فما للعذاب ولهم!؟

نعم لو كان ينزل على أبي بكر خاصّة لكان له وجه؛ لأنّه هو المشير على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله بهذا الرأي والمزيّن له.

ومفهوم الاستثناء المذكور في روايتهم الأخرى، حيث قال: «لو نزل العذاب لما نجا منه إلّا عمر». يدلّ على أنّه كان يتناوله صلّى اللّه عليه وآله، فبين الروايتين نوع من التنافي.

ومن ذلك ظهر أنّ الرواية بأن تكون دليلاً على نقيض مدّعاهم، أولى منها بأن تكون دليلاً لهم، ولو صحّ البكاء، لكان رحمةً عليهم لما ذكرنا من الأسر الواقع منهم.

ومنه هاهنا ظهر أنّ بين ما تضمنته الرواية من تخصيص البكاء في العذاب بهم وجعله بازاء أخذ الفداء تنافياً.

وقول الفخر الرّازي: «أنّ بكاءه صلّى اللّه عليه وآله كان لخطأ في الاجتهاد، وحسنات الأبرار سيّئات المقرّبين» فيه نظر من وجهين.

الأوّل: إنّه لا معنى للبكاء على فعل الطاعة وما يوجب الثواب.

والثّاني: إنّه لا وجه لبكائه صلّى اللّه عليه وآله على الأصحاب لخطأ نفسه، وهل رأيت أحداً يبكي على غيره لذنب نفسه!؟ فهذا في غاية الظرافة.

ولا يتوهّم أنّ العذاب علّق في الآية على الأخذ لا على الأسر؛ لأنّ الأخذ يستعمل في كلّ فعل ولا يختصّ بمال يؤخذ، إلّا إذا وصل بكلمة «من» الجارّة، ولا صلة في الآية [الكريمة].

ولنكتف من ردّ شبههم بما تعلّق بهاتين الآيتين الشريفتين، فإنّهما عمدة تمسّكوا به.

وأمّا ما تمسّكوا به من الأخبار، فجوابها أظهر من أن يتعرّض له، مع أن أكثرها مما لم يثبت عندنا، ونحن في فسحة من ردها ومنع صحّتها.

[الباب السّادس والثلاثون]

باب آخر نادر

في ذكر ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام من الأشعار

المناسبة لهذا المجلد[1] وقد مر بعضها في الأبواب السابقة:

١ـ منها في الشكاية [من أهل الزمان ومعاصريه]:

تغـيّرت المـودّة والإخـاء ... وقـلّ الصّـدق وآنقطع الرّجـاء
وأسـلمـني الـزّمـان إلى صديق ... كثـير الغدر ليس لـه رعـاء
سيغـنـيه الـذي أغـنـاه عني ... فلا فقـر يدوم ولا ثراء
ولـيس بدائـم أبـداً نعـيم ... كذاك البـؤس ليس له بقـاء
وكـلّ مودّة لله تصـفـو ... ولا يصفـو من الفسق الاخـاء[2]
إذا أنـكـرت عهـداً من حميم ... وفي الـنّـفس الـتّـكـرّم والحـياء
وكـلّ جراحـة فلهـا دواء ... وسـوء الخـلق ليس له دواء
وربّ أخ وفـيت له وفيّ ... ولـكـن لا يدوم له الـوفـاء

(١) ولتحقيق صدور تلك الأبيات عن أمير المؤمنين عليه السلام أو عدم ثبوت الصدور، وأنّ أيّاً منها من إنشائه عليه السلام، وأيّاً منها مما تمثّل به عليه السلام يراجع الباب السادس من كتاب نهج السعادة، وسيمثل للطبع إن شاء الله تعالى.

(٢) كذا في طبع الكمباني من البحار، وفي الديوان: «سَيُغنيني الذي أغناه عنّي».

يديمـون المـودّة ما رأوني ... ويبقى الودّ ما يبقى اللقاء
أخلاء إذا استغنيت عنهم ... وأعداء إذا نزل البلاء
وإن غيّبت عن أحد قلاني ... وعاقبني بما فيه اكتفاء
إذا ما رأس أهل البيت ولّى ... بدا لهمُ من النّاس الجفاء

بيـان :

الرعاء: الحفظ والرّعاية. والثّراء: كثرة المال والولد وغيرهما. وإنكار العهد: عدم معرفته أي تغيّره. والحميم: القريب نسباً. وقوله: «وفي» بالجرّ صفة لأخ. والقلا: البغض. [و] قوله: «بما فيه اكتفاء»: أي في العقوبة.

والمراد بـ «رأس أهل البيت»: نفسه عليه السلام، أو النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله.

٢ـ ومنها في بيان شجاعته عليه السلام في غزاة بدر:

ضربنا غواة النّاس عنه تكرّماً ... ولّما رأوا قصد السبيل ولا الهدى
ولّما أتانا بالهدى كان كلّنا ... على طاعة الرحمان والحقّ والتّقى
نصرنا رسول اللّه لّما تدابروا ... وثاب إليه المسلمون ذوو الحجى

بيـان :

[لفظة:] «ولّما» في الأوّل حرف نفي وفيما بعده للشرط. وإضافة «القصد» إلى «السبيل» من قبيل إضافة الصّفة إلى الموصوف، يقال: طريق قصد وقاصد: إذا أدّاك إلى المطلوب. وثاب الرّجل: رجع وثاب الناس: اجتمعوا وجاؤا .

أقول: [ذكر] في الدّيوان أنّها لغزوة بدر، ولعلّها بغزوة أحد وحُنين أنسب كما لايخفى.

٣ـ ومنها يومئ إلى الشّكوى:

فلو كانت الـدنيا تنـال بفـطنـة وفضـل وعقـل نلت أعـلى المراتب
ولـكنّـها الأرزاق حظّ وقـسمـة بفـضـل مليك لا بحـيلة طالـب

٤ـ ومنها في مثله:

ليس الـبليّة في أيّامنـا عجبـاً بل السّلامـة فيها أعجب العجب

٥ـ ومنها في نحوه:

ذهب الـوفـاء ذهاب أمس الذاهب والـنـاس إبـن مخاتـل ومـوارب
يفـشـون بينهم المـودّة والصفـا وقـلوبهـم محشـوّة بعقـارب

بيـان:

ختله وخاتله: أي خدعه. والمواربة ـ وقد يهمز ـ: المخادعة.

٦ـ ومنها في شبهه:

علمي غزير وأخـلاقي مهـذّبـة ومـن تهذّب يشـقـى في تهذّبـه
لو رمت ألف عدوّ كنت واجـدهم ولـو طلبت صديقـاً ما ظفـرت به

بيـان:

الغزارة: الكثرة. وتهذيب الأخلاق: تصفيتها وتخليصها عمّا يـضيّعـها.
و[معنى] قوله عليه السلام: «يشقى»: أي يتعب. والرّوم: الطلب.

٧ـ ومنها في تعيير الوليد بن المغيرة:

يهدّدني بالـعـظيم الـولـيد فقـلت: أنـا ابـن أبي طالـب
أنـا ابن المبجّـل بالأبـطحـين وبـالـبـيت من سلفـي غالـب

فلا تحسبنّي أخاف الوليد ولا أنّني منه بالهائب
فيابن المغيرة إنّي آمرؤٌ سموح الأنامل بالقاضب
طويل اللّسان على الشّانئين قصير اللّسان على الصّاحب
خسرتم بتكذيبكم للرسول تعيبون ما ليس بالعائب
وكذبتموه بوحي السّماء فلعنة اللّه على الكاذب

بيان :

الأبطح: مسيل واسع فيه حصىً صغار.

وقيل: أريد بالأبطحين أبطح مكّة وأبطح المدينة الذي يقال له: وادي العقيق. ووجه تبجيل أبي طالب بالمدينة، أنّ سلمى أمّ عبدالمطّلب كانت منها.

وإنّما خصّ من أسلافه وأجداده غالباً تفؤّلاً بالغلبة. والقاضب: السيف القاطع: أي تجود أنامله بأعمال السيوف القاطعة. والشّانئون: المبغضون. [وقوله] «ما ليس بالعائب»: أي خلقاً لا يصير سبباً لعيب صاحبه.

٨ ـ ومنها خطاباً لأبي لهب:

أبا لهب تبّت يداك أبا لهب وصخرة بنت الحرب حمالة الحطب
خذلت نبيّ اللّه قاطع رحمه فكنت كمن باع السلامة بالعطب
لخوف أبي جهل فأصبحت تابعاً له وكذاك الرأس يتبعه الذّنب
فأصبح ذاك الأمر عاراً يهيله عليك حجيج البيت في موسم العرب
ولو لان بعض الأعادي محمد لحانى ذووه بالرماح وبالقضب
ولن تشملوه أو يصرّع حوله رجال ملاء بالحروب ذوو حسب

بيان :

التباب: خسران يؤدّي إلى الهلاك. واليدان إمّا بمعناهما أو كناية عن

النفس كقوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [١٩٥/ البقرة: ٢]. أو عن النفس والبدن أو عن الدّنيا والآخرة. و«صخرة»، عطف على «يداك»، ويحتمل العطف على محلّ الضمير أيضاً. و «قاطع» حال عن ضمير الخطاب. والعطب ـ بالتحريك ـ: الهلاك. و «ذاك» إشارة إلى تبعة لأبي جهل. ويقال: هلت الدقيق في الجراب: أي صببته من غير كيل، وكلّ شيء أرسلته إرسالاً من رمل أو تراب أو طعام أو نحوه. قلت: هلته أهيله هيلاً فانهال: أي جرى وانصبّ. ولعلّه إشارة إلى رمي الحاجّ إليه بالأحجار عند مرورهم عليه، أو قراءتهم هذه السورة في المواسم. و«عن بعض» متعلّق بـ «لان» بتضمين معنى الإعراض، أو «عن» للتعليل. ولحوت العصا ألحوها لحواً: قشرتها. وكذلك لحيت العصا ألحيها لحياً ولحيت الرجل ألحاه لحياً: لمته.

وقال الجوهري: سيف قاضب وقضيب: أي قطّاع والجمع قواضب وقضب، وكأنّ الضمير في «ذووه» راجع إلى البعض ويحتمل إرجاعه إلى محمد صلّى اللّه عليه وآله. أو «يصرع» أو بمعنى إلاّ أنّ أو إلى أن. والصرع: السقوط على الأرض. والملاء: جمع المليء وهو الثقة المعتمد عليه في الأمر.

٩ـ ومنها خطاباً لمعاوية:

سيكفيني المليك وحدّ سيفي	لدى الهيجاء تحسبه شهابا
وأسمر من رماح الخطّ لدن	شددت غرابه أن لا يعابا
أذود به الكتيبة كلّ يوم	إذا ما الحرب أضرمت التهابا
وحولي معشر كرموا وطابوا	يرجون الغنيمة والنّهابا
ولا ينحون من حذر المنايا	سؤال المال فيها والإيابا
فدع عنك التّهدّد واصل ناراً	إذا خمدت صليت لها شهابا

بيـــان :

الأسمر: الرمح. والخطّ: موضع باليمامة تنسب إليه الرماح؛ لأنّها تحمل من بلاد الهند. فتقوّم به. واللدن: اللّين من كلّ شيء، وغراب الفأس ـ بالكسر ـ: حدّها.

قوله عليه السلام: «أن لا يعابا»: أي لئلّا: يعاب. والنهاب: جمع النهب. «ولا ينحون» بالحاء المهملة: أي لا يقصدون. والتهدّد: التخويف. وصلى الكافر النار: قاسى حرّها. وصلى النار: دخل فيها. وصليت الرجل ناراً: إذا أدخلته النار.

١٠ـ ومنها: مخاطباً له أيضاً:

أنـا علي وأعـلى النـاس في النسب	بعد النبيّ الهاشميّ المصطفى العربي
قل للذي غرّه منّي ملاطـفـة	من ذا يخلّص أوراقـاً من الـذهب
هبّت عليك رياح المـوت سافـية	فاستبقني بعـدهـا للويل والحـرب

بيـــان :

روي أنّه عليه السلام أنشد تلك الأبيات بعد انقضاء المحرّم [من العام: ٣٧] وإرادة الشروع ثانياً في القتال.

قوله عليه السلام: «قل للذي»: أي قل للذي يحبّني للطفي: لا تتوقّع من أهل الزمان أن يعرفوا فضلي، فإنّ النّاس لا يميّزون بين أوراق الفضّة ودنانير الذهب.

أو المعنى قل لمعاوية الذي غرّه منّي ملاطفة بتأخير الحرب في المحرّم، إنّي لا أترك الحرب حتّى أميّز بين المؤمن والمنافق.

وسفت الريح التراب: ذرّته. وحربه حرباً ـ كطلبه طلباً ـ سلب ماله.

١١ـ فيما أجاب به بعض الأعادي في صفّين:

إيّاي تدعو في الوغا يابن الإرب وفي يميني صارم يبدي اللهب
من يحطه منه الحمام ينسرب لقد علمت والعليم ذو أدب
أن لست في الحرب العوان بالأدب وعن قليل غير شكّ أنقلب

بيـان :

الوغا: الحرب. والأرب ـ بالتحريك وبالكسر ـ: الحاجة ويستعمل في الإحتيال. والحطوّ ـ بوزن العلو ـ: تحريك الشيء من الأول.

والحمام ـ بالكسر ـ: الموت. والإنسراب: الجريان. والعوان من الحروب: ما قوتل فيها مرّة بعد أخرى.

«وعن قليل»: أي بعد زمان قليل. و [قوله:] «غير شكّ»: صفة لمقدّر وهو يقيناً.

١٢ـ ومنها تهديداً لمعاوية وجنوده:

أبى اللّه إلّا أنّ صفّين دارنا وداركم ما لاح في الأفق كوكب
إلى أن تموتوا أو نموت وما لنا وما لكم عن حومة الحرب مهرب

بيـان :

بالضمّ والسكون أيضاً: طرف السماء. و [قال الجوهري] في الصحاح: حومة القتال: معظمه.

١٣ـ ومنها في مدح أصحابه في تلك المحاربة:

يا أيّها السّائل عن أصحابي إن كنت تبغي خبر الصواب

أنبئك عنهم غير ما تكذاب بأنّهم اوعية الكتاب
صبر لدى الهيجاء والضراب فسل بذاك معشر الأحزاب

بيان:

«غير ما تكذاب» [لفظة] «ما» زائدة والتكذاب ـ بالفتح ـ: الكذب.

١٤ـ ومنها في مثله:

ألم تر قومي إذ دعاهم أخوهم أجابوا وإن أغضب على القوم يغضبوا
هم حفظوا غيبي كما كنت حافظاً لقومي أجْزي مثلها إن تغيّبوا
بنو الحرب لم تقعد بهم أمهاتهم وآباؤهم آباء صدق فأنجبوا

بيان:

حِفظ الغيب للشخص: أن لا تفعل في غيبته ما يكرهه. وضمير «مثلها» راجع إلى المحافظة.

قوله عليه السلام: «لم تقعد» قال الشارح: [هذا] دعاء [لهم]: أي لا تقعد أمهاتهم بآبائهم.

أقول: ويحتمل أن يكون من المقاعد من النّساء، وهي التي قعدت عن الولد والحيض. ذكره الجوهري.

والأظهر أنّه خبر وليس بدعاء والباء للتعدية، والمعنى لم تصر أمّهاتهم سبباً لقعودهم عن الحرب لدناءتهن، فيناسب المصرع الثاني.

و [أيضاً] قال [الجوهري:] أنجب: ولد نجيباً. وأمرأة منجبة ومنجاب: تلد النّجباء.

١٥ـ ومنها في مدح قبائل من عسكره:

الأزد سيفي على الأعـداء كلّهم — وسيف أحمد من دانت له العرب
قوم إذا فاجأوا أوفوا وإن غلبوا — لا يجمحون ولا يدرون ما الهرب
قوم لبؤسهم في كلّ معترك — بيض رقاق وداوودية سلبوا
البيض فوق رؤوس تحتها اليلب — وفي الأنامل سمر الخطّ والقضب
البيض تضحك والآجال تنتحب — والسمر ترعف والأرواح تنتهب
وأي يوم من الأيّام ليس لهم — فيه من الفعل ما من دونه العجب
الأزد أزيد من يمشي على قدم — فضلًا وأعلاهم قدراً إذا ركبوا

والأوس والخزرج القوم الذين هم — آووا فأعطوا فوق ما وهبوا
يا معشر الأزد أنتم معشر أنف — لا تضعفون إذاما اشتدّت الحقب
وفيتم ووفاء العهد شيمتكم — ولم يخال قديماً صدقكم كذب
إذا غضبتم يهاب الخلق سطوتكم — وقد يهون عليكم منكم الغضب
يا معشر الأزد إنّي من جميعكم راض — وأنتم رؤوس الأمر لا الذنب
لن تيأس الأزد من روح ومغفرة — واللّه يكلؤكم من حيث ما ذهبوا
طبتم حديثاً كما قد طاب أوّلكم — والشوك لا يجتنى من فرعه العنب

والأزد جرثومة إن سوبقوا سبقوا — أو فوخروا فخروا أو غولبوا غلبوا
أو كوثروا كثروا أو صوبروا صبروا — أو سوهموا سهموا أو سولبوا سلبوا
صَفَوا فأصفاهم المولى ولايته — فلم يشب صفوهم لهو ولا لعب
هينون لينون خُلقاً في مجالسهم — لا الجهل يعروهم فيها ولا الصخب
الغيث إمّا رضوا من دون نائلهم — والأسد يرهبهم يوماً إذا غضبوا
أندى الأنام أكفاً حين تسألهم — وأربط الناس جأشاً إن هم ندبوا
وأيّ جمع كثير لا تفرقه — إذا تدانت لهم غسّان والندب
واللّه يجزيهم عمّا أتوا وحبوا — به الرسول وما من صالح كسبوا

بيـــان :

الأزد: أبـو حيّ من اليمن. والإيفاء: الوفاء بالعهد، والإشراف على الشيء، وإعطاء الحقّ وافياً.

وقال الجوهري: جمح الفرس: اعتزّ فارسه وغلبه. وجمحت المرأة زوجها: وهو خروجها من بيته إلى أهلها قبل أن يطلّقها. وجمح: أسرع. والمعترك: معركة الحرب. والبيض الرقاق: السيوف الرقيقة. والداوودية: الدروع المنسوبة إليه عليه السلام.

قولـه: «سلبوا» أي أخذوها في الحرب من الأعادي. وقال الجوهري: اليلب: الدروع اليمانية كانت تتخذ من الجلود بعضها إلى بعض. ويقال: اليلب: كلّ ما كان من جنن الجلود ولم يكن من الحديد. وقال: يقال: رماح رواعف لما يقطر منها الدم أو لتقدّمها في الطعن.

[وقوله:] «ما وهبوا» على المجهول كما صحّحه الشارح أو على المعلوم: أي أعطوا أزيد مما عهدوا ووعدوا من الإيثار والإفضال.

و [قال الزمخشري:] في الأساس: هو أنف قومه وهم أنف الناس [أي سادتهم] قال الحطيئة:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم

و[قال الجوهري]: في الصحاح: روضة أنف ـ بالضم ـ: أي لم يرعها أحد، وكأس أنف: إذا لم يشرب بها قبل ذلك. وأنف من الشيء يأنف أنفاً وأنفة: استنكف. يقال: ما رأيت أحمى أنفاً ولا آنف من فلان.

والحقب: جمع الحقبة بالكسر وهي السنون. و«قديماً» مفعول فيه: أي زماناً قديماً. [و] «طبتم حديثاً»: أي جديداً. والجرثومة ـ بالضم ـ: الأصل. ذكره الجوهري وقال: ساهمته: قارعته فسهمت أسهمه بالفتح صفواً: أي من الغشّ والباطل.

[قوله]: «فأصفاهم المولى ولايته»: أي أعطاهم اللّه محبّته أو أخلص لهم كلّ محبّ محبّته، أو أخلص اللّه لهم محبّته إيّاهم أو محبّتهم له. قال الجوهري: أصفيته الودّ: أخلصته له وأصفيته بالشيء: آثرته به. وقال: شيء هيّن ـ على فيعل ـ: أي سهل. و «هين» مخفّف، وقوم هينون لينون. وقال: عراني هذا الأمر واعتراني إذا غشيك. وقال: الصخب: الصياح والجلبة.

و [لفظة] «ما» في [قوله]: «إن ما [رضوا]» زائدة كما في قوله تعالى: ﴿فإمّا نذهبنّ بك﴾ [٤١/ الزخرف:٤٣].

والنائل: العطاء، والمعنى أنّهم إن رضوا فجودهم بحيث يعدّ الغيث أدون وأقلّ من عطائهم. و «يوماً» مفعول فيه لقوله: «غضبوا». والنّدى: الجود وفلان أندى من فلان إذا كان أكثر خيراً منه. ويقال: فلان رابط الجأش: أي يربط نفسه عن الفرار لشجاعته.

وندبوا على بناء المفعول من قولهم: ندبه لأمر فانتدب له: أي دعاه له فأجاب. ذكره الجوهري وقال [أيضاً]: الندب ـ بالتحريك ـ: الخطر. وتقول: رمينا ندباً: أي رشقاً. والندب، أيضاً الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد.

وقال الفيروزآبادي: الندب ـ بالتحريك ـ الرشق والخطر، وقبيلة منها بشر بن حرب ومحمد بن عبدالرحمان. وقال: غسّان أبو قبيلة باليمن منهم ملوك غسّان، وماء بين رمع وزبيدة من نزل من الأزد فشرب منه سمّي غسّان ومن لم يشرب فلا انتهى اليه.

وقال الشّارح: الواو في «والندب» بمعنى مع. وفيه نظر. وقوله: «من صالح» بيان لـ «ما»: أي وما كسبوا من صالح وما عطف على ما.

١٦ـ ومنها مخاطباً لعثمان[1]:

---

(١) الأبيات لا تنطبق على قصّة عثمان، بل هي تمام الإنطباق على قصّة أبي بكر، حيث كان يزعم

وإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشيرون غُيّب
وإن كنت بالقربىٰ حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنّبيّ وأقرب

بيــان :

قال الشارح: قوله عليه السلام: «والمشيرون غيّب»: إشارة إلى ما قاله الحافظ إسماعيل من أنّ طلحة كان غائباً، ولمّا دفن عمر قعد عثمان وعليّ والزبير وعبدالرحمان وسعد يتشاورون، فأشار عثمان على عبدالرحمان بالدخول في الأمر فأبى وقال: لست بالذي أنافسكم على هذا الأمر، فإن شئتم ٱخترت لكم منكم واحداً. فجعلوا ذلك إلى عبدالرحمان، فأقبل الناس كلّهم إليه فأخذ يتشاور حتّى جاء في الليلة الثّالثة إلى باب المسور بن مخرمة بعد هوى من اللّيل، فضرب الباب وقال: ٱدع لي الزبير وسعداً. فجاءا وشاورهما، ثمّ أرسل إلى عثمان فدعاه فناجاه حتّى فرّق بينهما المؤذن، فلمّا صلّوا الصبح ٱجتمعوا وأرسل عبدالرحمان إلى من حضر من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد فبايع عثمان وبايعوه.

هو ومن على نزعته وخطواته أن تصدّيه للخلافة كان بمشورة من المهاجرين والأنصار وتصويبهما، ومن أجل أنّه من شجرة النبي وأقربائه.

وأمير المؤمنين عليه السلام في هذه الأبيات يردّ عليه ويفنّد كلتي حجّتيه ويقول له: كيف تدّعي أنّ خلافتك كانت بمشورة والحال أنّ كافّة بني هاشم والأنصار كانوا غائبين عن أمرك ومعارضين لك، وأنّه لم يكن معك في بداية بيعتك إلّا عمر بن الخطّاب وأبو عبيدة بن الجراح؟!

ويردّ على ثاني حجّيته بأنّه إن كان القرب إلى النبيّ صلّى ٱللّه عليه وآله من جهات الأولوية بالخلافة، فلازم هذا أن يكون الأقرب إلى النبيّ وألصق به أولى بالخلافة من غيره فما بالك تقمّصت قميص الخلافة مع حضور الأقرب، واحتججت على خصيمك بحجّة غيرك؟!

ومما يدلّ على أن الكلام في هذه الأبيات مع أبي بكر دون عثمان، ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في منثور الكلام، ورواه عنه جماعة منهم السيّد الرضيّ في المختار: (١٨٥) أو ما حوله من الباب الثالث من كتاب نهج البلاغة.

وأقول : هذا إن ثبت أنّ الخطاب كان لعثمان كما ذكره الشارح، وإلّا فيمكن أن يكون الخطاب لأبي بكر، فالمراد بالمشيرين بنو هاشم وأتباعهم.

وقوله: «وإن كنت بالقربى» الخ بهذا أنسب، لما عرفت أنّهم آحتجوا على الأنصار بالقرابة وقد مرّ مثل هذا الكلام منه عليه السلام في النثر.

١٧ـ ومنها في تهديد من آجترأ عليه في الوغا:

يا جامعاً لشمله ساعاته ودنت منيّته وحان وفاته
ارجع فإنّي عند مختلف القنا ليث يكرّ على العدى جرّاته

بيان :

«ودنت» معطوف على «جامعاً» كقوله تعالى: ﴿فالق الاصباح وجعل اللّيل سكناً﴾ [٩٦/ الأنعام:٦].

١٨ـ ومنها في آستئذان القتال من النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله:

هل يدفع الدرع الحصين منيّةً يوماً إذا حضرت لوقت مماتي
إنّي لأعلم أنّ كلّ مجمّع يوماً يؤول لفرقة وشتات
يا أيّها الداعي النّذير ومن به كشف الإله رواكد الظلمات
أطلق فديتك لابن عمك أمره وآرم عداتك عنه بالجمرات
فالموت حقّ والمنيّة شربة تأتي إليه فبادر الزّكوات

بيان :

«الرواكد»: الثوابت «فبادر الزّكوات»: أي بادر آبن عمّك ما يوجب زكاة النفوس وطهارتها من الذنوب وذمائم الأخلاق.

١٩ـ ومنها خطاباً لفاطمة عند توجّهه إلى قتال المشركين:

قرّبي ذا الفقار فاطم منّي فأخي السيف كلّ يوم هياج
قرّبي الصّارم الحسام فإنّي راكب في الرجال نحو الهياج
ورد اليوم ناصحاً ينذر الناس جيوش كالبحر ذي الأمواج
وردوا مسرعين يبغون قتلي وأبيك المحبوّ بالمعراج
وخراب الأوطان وقتل الناس وكلّ إذا أصبح لاجي
سوف أرضي المليك بالضرب ماعشت إلى أن أنال ما أنا راج
من ظهور الإسلام أو يأتي الموت شهيداً من شاخب الأوداج

بيان :

يوم الهياج ـ بالكسر ـ: يوم القتال. والصارم بكسر الراء والحسام ـ بالضم ـ: السيف القاطع.

وقال الشارح: الهياج: جمع الهائج، وهو الفحل يشتهي الضراب. و[قوله:] «ناصحاً» مفعول [لقوله:] «ورد» والواو في قوله: «وأبيك» للقسم أو عطف على ضمير المتكلّم في [قوله:] «قتلي» على مذهب من جوّزه. و «خراب» معطوف على «قتلي» [قوله]: «أصبح لاج»: أي ملتجئاً إلَيّ. والشخب: السيّلان. والودجان: عِرقان في العنق. و «من» بيانيّة أو ابتدائية ولا يخفى توجيهها على اللبيب.

٢٠ـ ومنها في الشكوى [ممن يتظاهر بالخلة ويبطن الخلاف:]

كلّ خليل لي خالته لا ترك اللّه له واضحة
فكلّهم أروغ من ثعلب ما أشبه اللّيلة بالبارحة

بيان :

الواضحة: الأسنان التي تبدو عن الضّحك.

٢١ـ ومنها [ما أنشده] عند بناء مسجد المدينة:

لا يستـوي من يعمر المساجدا ومن يبيت راكعاً وساجداً
يدأب فيها قائماً وقاعداً ومن يكرّ هكذا معانداً
ومن يرى عن الغبار حائداً

٢٢ـ ومنها في عرض الإيمان على سيّد الأنام:

يا شاهد [اللّه] عليّ فاشهد إنّي على دين النّبي أحمد
من شكّ في الدين فإنّي مهتدي يا ربّ فاجعل في الجنان موردي

٢٣ـ ومنها في الاعتذار من قتل من قَتَلهم من قريش:

قريش بدتنا بالعداوة أوّلاً وجاءت لتطفئ نور ربّ محمد
بأفواههم والبيض بالبيض تلتقي بأيديهم من كلّ عضب مهنّد
وخطّية قد سقّفت سمهرية أسنّتها قد حودثت بمحدّد
فقلنا لهم: لا تبعثوا الحرب وأسلموا وفيئوا إلى دين المبارك أحمد
فقالوا: كفرنا بالذي قال إنّه يوعّدنا بالحكم والحشر في غد
فقتلتهم واللّه أفضل قربة إلى ربّنا البرّ العظيم الممجد

بيان:

«بدت»: من البدو، أو من المهموز. والعضب: السيف القاطع. والمهنّد: السيف المطبوع من حديد الهند. وتثقيف الرماح: تسويتها. ذكره الجوهري وقال: الإسمهرار: الصلابة والشدّة. والسمهرية: القناة الصلبة. ويقال: [هي] منسوبة إلى سمهر إسم رجل كان يقوم الرماح يقال: رمح سمهري ورماح سمهرية. ومحادثة السيف: جلاؤه. والسلم ـ بالتحريك ـ: الخلوص. والأظهر أنّه من السلامة أو السلام بمعنى الصلح. والفيء: الرجوع. والقتلة

ـ بالكسر ـ: القتل.

٢٤ـ ومنها خطاباً لسعيد بن سلمة المخزومي:

إنّ الـذي سمـك السـماء بقـدرة حتّى علا في عرشـه فتـوحّـدا
بعث الـذي لا مثله فيما مضى يدعى برأفتـه النّبيّ محمـدا
فاعـلم بأنّـك ميّت ومحـاسب فإلى متى تبغي الضلالة والـردى
أقبل إلى الإسلام إنّك جاهل وتجنّب العُزّى وربّـك فاعبـدا
والـلّات والهجـرات فاهجر إنّني أخشى عليك عذاب يوم سرمـدا

بيـان:

الهجرات: الهذيانات.

٢٥ـ ومنها في المفاخرة:

أنا أخو المصطفى لا شكّ في نسبي مَعْـهُ رُبيتُ وسبطاه هما ولـدي
جدّي وجدّ رسـول اللّه متّحـد وفـاطم زوجتي لا قول ذي فنـد
صدّقتـه وجميع النـاس في ظلم من الضّـلالة والإشراك والنكـد
فالحمـد للّه فرداً لا شريك له البـرّ بالعبـد والبـاقي بلا أمـد

بيـان:

الفند: ضعف الرأي من هرم. والنكد ـ بالتحريك ـ: أيضاً الشدّة.

٢٦ـ ومنها [ما] قاله عليه السلام عند قربه من البصرة:

وإنّي قد حللت بدار قوم هم الأعداء والأكباد سود
هُمُ إن يظفروا بي يقتلوني وإن قتلوا فليس هم خلود

٢٧ـ ومنها مخاطباً لابنه محمد [ابن الحنفية] في حرب الجمل:

اطـعـن بها طعن أبـيك تحمـد لا خير في حرب إذا لم توقـد
بـالمشرفـيّ والـقـنـا المسدّد

بيـان :

الضمير في [قوله:] «توقد» راجع إلى الحرب قال تعالى: ﴿كلّما أوقدوا ناراً للحرب﴾ [٦٤/ المائدة: ٤] والمشرفيّ ـ بالفتح ـ: السيف المنسوب إلى مشارف الشام.

٢٨ـ ومنها مخاطباً للأشعث [بن قيس الكندي] في صفّين:

اصبر على تعب الإدلاج والسهر وبالـرّواح على الحـاجـات والبكر
لا تضجـرن ولا يعجـزك مطلبهـا فالنجـح يتلف بين العجـز والضجر
إنّي وجـدت وفي الأيّام تجربـة للصـبر عاقبـة محمـودة الأثـر
وقـلّ من جدّ في أمـر يطالـبـه فاستصحب الصّبر إلّا فاز بالظفر

بيـان :

روي أنّ الأشعث بن قيس دخل عليه بصفّين وهو قائم يصلّي ظهيرة فقال: قلت: يا أمير المؤمنين أدؤب بالليل [و] دؤب بالنهار؟ [قال:] فانسلّ من صلاته وهو يقول هذه الأبيات. والإدلاج: السيرّ بالليل. والبكر: جمع البكرة.

٢٩ـ ومنها في الشّكاية عن أهل الزّمان:

ذهب الـرجـال المقتدى بفعالهم والمنكـرون لكـلّ أمـر منكـر
وبقـيت في خلف يزيّن بعضـهـم بعضـاً ليدفـع معـور عن معور
سلكـوا بُنيّات الـطريق فأصبحـوا متـنكّبـين عن الـطّريق الأكـبر

بيـــان :

الإعوار: الريبة. ومكان معور: [أي] يخاف فيه القطع. والعورة: كلّما يُستحى منه. وبنيّات الطريق: الطرق الصغيرة المنشعبة من الجادّة.

٣٠ـ ومنها في [بيان] حسن خلقه عليه السلام:

أريد بذاكـم أن يهشّـوا لطلعـتي وأن يكثروا بعدي الدّعاء على قبري
وأن يمنحـوني في المجـالس ودّهم وإن كنت عنهم غائباً أحسنوا ذكري

بيـــان :

بذاكم: أي بالمزاح. والهشاشة: الإرتياح والخفّة للمعروف. والطّلعة: الرؤية.

٣١ـ ومنها في ذمّ بعض أهل زمانه عليه السلام:

ما فيك خير ولا مير يعـدّلـه قضيت منـك لبـانـاتي وأوطـاري
فإن بقـيت فلا ترجـى لمكـرمـة وإن هلكت فمـذمـومـاً إلى النـار

بيـــان :

قال الجـوهري: الميرة: الطعام يمتاره الإنسان. وقد مار أهله يميرهم ميراً. ومنه قولهم: ما عندهم خير ولا مير. واللبانة والوطر: الحاجة.

٣٢ـ ومنها مخاطباً لبعض أزواجه عليه السلام:

إلى كم يكون العذل في كلّ ليلة لما لا تملّين القـطيعـة والهـجـرا
رُوَيدك إنّ الـدهـر فيه كفـاية لتفريق ذات البيت فانتظري الدهرا

بيــــان :

العذل: الملامة. وقال شارح [الديوان]: التملية: إيقاد النار بلا حطب. ولم أره فيها عندنا من كتب اللغة، ويمكن أن يكون من الإملاء بمعنى الإمهال والتأخير، أو من الملال والأخير أظهر. ورُوَيدك آسم فعل بمعنى أمهل.

٣٣ـ ومنهـا في ذكر هجرة النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ومبيته عليه السّلام على فراشه، رواه أبو جعفر الطوسي وغيره[1]:

وقيت بنفسي خير من وطـأ الحصـا ومن طاف بالبيت العتيق وبـالحجر
رسـول إلـه الخلق إذ مكـروا بـه فنجّـاه ذو الطول الكريم من المكر
وبـتُّ أراعـيهـم متـى ينشــرونني وقد وطّنت نفسي على القتل والأسر
وبـات رسـول اللّه في الغـار آمنـاً مُوقّـى وفي حفظ الإلـه وفي ستر
أقـام ثلاثـاً ثمّ ذمّـت قلائص قلائص يفـرين الحصـا أينما تفري
أردت به نصـر الإلـه تبـتـلاً وأضمـرتـه حتّى أوسّـد في قبري

بيــــان :

نشرت الخشبة أنشرها إذا قطعتها بالمنشار. والنشر: البسط والتفريق. والقلوص: الناقة الشّابة، وجمعه قلص [على زنة عنق] وجمعه قلائص. والفري: القطع. و«تفري» يحتمل الخطاب، والشارح حمله على الغيبة وأرجع الضمير إلى «القلائص». والتبتّل: الإنقطاع عن الدنيا إلى اللّه تعالى.

وروى [الميبذي] في [شرح] الديوان عن عبداللّه بن شريك عن أبيه

---

(١) رواه الشيخ الطوسي في أوّل الجزء (١٦) من أماليه: ج١، ص ٤٥٨ ط بيروت.
ورواه أيضاً الحاكم النيسابوري في كتاب الهجرة من كتاب المستدرك: ج٣ ص ٤.
ورواه أيضـاً الحاكم الحسكاني في الحديث: (١٤١) من كتاب شواهد التنزيل: ج١، ص ١٠٢، ط١.

أنّه قال لأمير المؤمنين عليه السلام: إنّ على باب المسجد قوماً يزعمون أنّك ربّهم! فدعاهم فقال: ويلكم إنّما أنا عبداللّه مثلكم آكل الطعام وأشرب الشراب، فاتّقوا اللّه وارجعوا.

فأتوه في اليوم الثاني والثالث فقالوا مثل ذلك، فقال لهم: واللّه إن تبتم وإلّا قتلتكم أخبث قتلة. فدعا قنبر وأتى بقدوم فحفر لهم أخدوداً بين باب المسجد والقصر، فدعا بالحطب فطرحه والنار فيه وقال: إنّي طارحكم فيها أو ترجعوا. فأبوا فقذف بهم فيها حتّى احترقوا.

وقال بعض أصحابنا: لم يحرقهم وإنّما ادّخن عليهم ثم قال عليه السلام:

لمّا رأيت الأمر أمراً منكرا أوقدت ناري ودعوت قنبرا
ثمّ احتفرت حُفَراً وحفرا وقنبر يحطم حطماً منكرا

٣٤ـ ومنها في مدح أهل البيت عليهم السلام:

قد يعلم الناس أنّا خيرهم نسباً ونحن أفخرهم بيتاً إذا فخروا
رهط النبيّ وهم مأوى كرامته وناصروا الدين والمنصور من نصروا
والأرض تعلم أنّا خير ساكنها كما به تشهد البطحاء والمدر
والبيت ذو الستر لو شاؤا يحدّثهم نادى بذلك ركن البيت والحجر

بيان:

لعلّ [المراد من] علم الأرض: علمها على تقدير الحياة، أو المراد أهل الأرض. وشهادة البطحاء وأمثالها أيضاً بلسان الحال أو أهلها.

٣٥ـ ومنها في الفخر وإظهار المكارم:

إذا اجتمعت عليا معدّ ومذحج بمعركة يوماً فإنّي أميرها
مسلّمة أكفال خيلي في الوغا ومكلومة لباتها ونحورها

حرام على أرماحنا طعن مدبر وتندقّ منها في الصدور صدورها

بيان :

معد ـ بالفتح ـ: أبو العرب. ومذحج ـ بفتح الميم والذال المعجمة وتقديم الحاء على الجيم ـ: أبو قبيلة. والأكفال: جمع الكفل. والغرض أنّا لا نفرّ في الحرب ولا نتبع المدبر.

٣٦ـ ومنه في مثله، وروي أنّه قالها لّما بويع من قبله بالخلافة:

أغمّض عيني عن أمور كثيرة وإنّي على ترك الغموض قدير

وما من عمىً أغضي ولكنّ ربّما تعامى وأغضى المرء وهو بصير

وأمسكت عن أشياء لو شئت قلته وليس علينا في المقال أمير

أصبّر نفسي في اجتهادي وطاقتي وإنّي بأخلاق الجميع خبير

٣٧ـ ومنه في الشكاية ممّن خانه وخالفه من قريش وغيرهم:

تلكم قريش تمنّاني لتقتلني فلا وربّك ما برّوا ولا ظفروا

فإن بقيت فرهن ذمّتي لهمُ بذات ودقين لا يعفو لها أثر

وإن هلكت فإنّي سوف أورثهم ذُلّ الحياة فقد خانوا وقد غدروا

إمّا بقيت فإنّي لست متّخذاً أهلاً ولا شيعة في الدين إذ فجروا

قد بايعوني ولم يوفوا ببيعتهم وما كروني في الأعداء إذ مكروا

وناصبوني في حربٍ مضرّمة ما لم يلاق أبو بكر ولا عمر

بيان :

في بعض النسخ: رواه أبو عمرو بن العلاء، وابن درستويه، وقال بعد البيتين الأوّلين: «قال أبو عثمان المازني لم يصحّ عندنا [أنّه] تكلّم بشيء من

الشّعر إلّا هذين البيتين».

قلت: هذا القول منه لا يدلّ على أنّه لم يصحّ أصلًا [حتّى عند غيره]، وقد يصحّ عند غيره أشياء لا تحصى.

[ثمّ قال:] وزاد غيرهما. ثمّ ذكر باقي الأبيات.

و «تمنّى»: أصله تتمنّى. [وقوله:] «ما بزّوا»: ما غلبوا. وفي بعض النسخ [ذكرت اللفظة] بالراء المهملة. والرهن بمعنى المفعول [: أي المرهون]. والذمّة: ما يذمّ الرجل على إضاعته من عهد. والودق: المطر.

وفي [كتاب] الأساس: «حرب ذات ودقين»: شبّهت بسحابة ذات مطرتين شديدتين.

وقال الجوهري: ذات ودقين: الداهية: أي [الداهية] ذات وجهتين كأنّها جاءت من وجهين. وأصل «إمّا» إن ما.

٣٨ـ ومنه بعد قتل طلحة والزبير:

أشكوا إليك عَجري وبَجري ومعشراً أعشوا علي بصري
إني قتلت مضري بمضري جدعت أنفي وقتلت معشري

بيان:

قال [ابن الأثير ـ نقلًا عن الهروي ـ] في [مادّة «بجر» من كتاب] النهاية: في حديث عليّ عليه السلام: «أشكوا إلى الله عُجَري وَبُجَري»: أي همومي وأحزاني. وأصل العجرة: نفخة في الظهر، فإذا كانت في السرّة فهي بجرة.

وقيل: العجر: العروق المتعقّدة في الظهر، والبجر: العروق المتعقّدة في البطن، ثمّ نقلا إلى الهموم والأحزان، أراد أنّه يشكو إلى الله أموره كلّها ما ظهر

منها وما بطن.

والإغشاء: الستر. ومُضَر: قبيلة أبوهم مضر بن نزار بن معد بن عدنان. والجدع ـ بالدال المهملة ـ: قطع الأنف.

٣٩ـ ومنه خطاباً لابن العاص في [معركة] صِفّين:

يا عجباً لقد رأيت منكراً   كذباً على اللّه يشيب الشعرا
يسترق السمع ويغشي البصرى
ما كان يرضى أحمد لو خبّرا   أن تعدلوا وصيّه والأبترا
شاني النبيّ واللعين الأخزرا   كلاهما بجنده قد عسكرا
قد باع هذا دينه إذ فجّرا   بملك مصر إن أصابا ظفرا
من ذا بدنيا بيعه قد خسرا
يا ذا الذي يطلب منّي الوترا   إن كنت تبغي أن تزور القبرا
حقّاً وتُصلى بعد ذاك الجمرا   أسعطك اليوم ذعافاً صبرا
لا تحسبني يا ابن عاص عسرا   سل بي بدراً ثم سل بي خيبرا
كانت قريش يوم بدر جزراً
إنّي إذا ما الحرب يوماً حضرا   أضرمت ناري ودعوت قنبرا
قدّم لوائي لا تؤخّر حذرا   لن ينفع الحاذر ما قد حذرا
ولا أخا الحيلة عمّا قدّرا   إنّ الحذار لا يردّ القدرا
لّما رأيت الموت موتاً أحمرا   دعوت همْدان وادعوا حميرا[1]
لو أنّ عندي يوم حربي جعفرا   أو حمزة الليث الهمام الأزهرا[2]
رأت قريش نجم ليل ظهرا[3]

---

(١) كذا في أصلي من طبع الكمباني من البحار، وفي كتاب صفّين: «عبّأت همدان وعبّوا حميرا».

(٢) كذا في طبع الكمباني من البحار، وفي كتاب صفّين:

لو أنّ عندي يا ابن هند جعفرا   أو حَمْزَة القَرْمَ الهُمامَ الأزهرا

أقول: روى الأبيات نصر بن مزاحم في كتاب صفّين وزاد بعد قوله: «وادعوا حميرا»:

حيّ يمان يعظمون الخطرا قرن إذا ناطح قرناً كسرا
قل لابن حرب لا تدبّ الخمرا أرود قليلًا أبد منك الضجرا
لا تحسبنّي يا ابن حرب غمرا وسل بنا بدراً معاً وخيبرا
كانت قريش يوم بدر جزرا إذ وردوا الأمر فذمّوا الصدرا

بيان:

«الأبتر الشاني»: هو عمرو بن العاص. «واللعين الأخزر» معاوية. والأخزر: الضيّق العين. أو الذي ينظر بمؤخّر العين.

وقال الشارح: الأبتر معاوية، والأخزر [هو] عمرو.

وهو ينافي ما ذكره الخاص والعام أنّ قوله [تعالى]: ﴿إنّ شانئك هوالأبتر﴾ [١/ الكوثر: ١٠٨،]. نزل في عمرو. والوتر: الجناية. والاسعاط: صبّ الدواء في الأنف. والذعاف: السمّ. وموت ذعاف: أي سريع. والصبر: المرّ.

وقال الجوهري: جزر السّباع: اللحم الذي تأكله يقال: تركوهم جزراً ـ بالتحريك ـ إذا قتلوهم. [قوله عليه السلام:] «أضرمت ناري»: أي نار الغضب. و [قال الجوهري] في الصحاح: موت أحمر يوصف بالشدّة.

قوله عليه السلام:«رأت قريش»: أي يصير عليهم اليوم ليلًا لشدّة الأمر.

٤٠ـ ومنه في الشكوى:

(٣)الأبيات مذكورة في وسط الجزء الأوّل من كتاب صفّين ص ٤٣ ط مصر. بمغايرة في بعض الألفاظ.

صبرت على مرّ الأمـور كراهـةً وأبقيت في ذاك الصّبـاب من الأمر

الصبابة ـ بالضمّ ـ: البقية من الماء والجمع صباب [أو صُبابات] وهو كناية عن الخلافة وما أصابه منها.

وفي بعض النسـخ: [الضبـاب] بالضّـاد المعجمة وهي سحابة تغشي الأرض كالدّخان، فتكون كناية عمّا لحقه وبقي عليه من الشدائد والمحن.

٤١ـ ومنه خطاباً لأصحابه في صفّين:

دبّـوا دبيب النمـل قد آن الـظفـر لا تنكـروا فالحـرب ترمي بالشـرر

إنـا جميعـاً أهـل صبر لا خور

بيـان :

الخور ـ بالتحريك ـ: الضعف.

٤٢ـ ومنه شكاية عن حيلة [عمرو] بن العاص في التحكيم:

لقـد عجـزت عجـز من لا يقتـدر سوف أكيس بعـدهـا وأستمـرّ

أرفـع من ذيلي ماكـان يجرّ قد يجمـع الأمـر الشّتيت المنتشر

٤٣ـ ومنه في الشكاية عن قلّة الأنيس الموافق:

الحـمـد لله حمداً لا شريك له دأبي في صبحـه وفي غلسـه

لم يبـق لي مونس فيؤنسـني إلاّ أنـيس أخـاف من أُنـسـه

فاعتـزل النـاس ما آستطعت ولا تركـن إلى من تخاف من دنسـه

فالـعبـد يرجـو ما ليس يدركـه والمـوت أدنـى إلـيه من نفسـه

بيـان :

الغلس: ظلمة آخر الليل.

٤٤ـ ومنه في المفاخرة:

أتحسب أولاد الجهالة أنّنا على الخيل لسنا مثلهم في الفوارس
فسائل بني بدر إذا ما لقيتهم بقتلي ذوي الأقران يوم التمارس
وإنّا أناس لا نرى الحرب سبّةً ولا ننثني عند الرماح المداعس
وهذا رسول اللّه كالبدر بيننا به كشف اللّه العدا بالتّناكس
فما قيل فينا بعدها من مقالة فما غادرت منّا جديداً للابس

بيان:

«بنو البدر»: من حضرها. وتمارسوا في الحرب: تضاربوا. والسُبة ـ بالضمّ ـ: عار يسبّ به. والمدعاس: الرمح الذي لا ينثني. والمدعس: الرمح يدعس به. «بالتناكس»: أي بانقلاب رايتهم أو بانهزام.

قوله عليه السلام: «فما غادرت»: يحتمل أن يكون المراد عدم رضاه بما ذكره فيه الغالون: أي ما ذكروه أبلى ثيابنا وأذهب عزّنا.

أويكون إشارةً إلى ما ذكره القالون المبغضون ولعلّه أظهر.

ويحتمل أن يكون خبر الموصول محذوفاً: أي لا حاجة لنا فيها و[يكون] ضمير «غادرت» راجعاً إلى ما ذكره عليه السلام من المناقب: أي لم تترك جديداً لم تأت به إلينا.

أو المعنى أنّ بعد تحقّق تلك المناقب لا ينفع غاصبينا وأعداءنا ما قالوا فينا من المثالب؛ لأن يلبسوا بسبّنا ثوباً جديداً من الخلافة.

٤٥ـ ومنه في المفاخرة وإظهار الشجاعة:

السيف والخنجر ريحاننا أفٍّ على النرجس والآس
شرابنا من دم أعدائنا وكأسنا جمجمة الراس

٤٦ـ ومنه في مثله:

إنّي أنـا الليث الهزبر الأشوش والأسد المستأسد المعرّس
إذ الحروب أقبلت تضرّس وٱختلفت عند النزال الأنفس
ماهاب من وقع الرماح الأشرس

بيــان :

قال الأصمعي: الليث: دابّة مثل الحرباء يتعرّض للراكب وينسب إلى بلدة «عفـرّين» بكسر العين وتشديد الراء، وفي المثل: هو أشجع من ليث عفرّين. ويحتمل أن يكون هو المراد هنا فإنّ التأسيس أولى. والهزبر: الأسد. والشـوش ـ بالتحريك ـ: النظر بمؤخر العين تكبّراً وتغيّظاً. ذكره الجوهري وقال: ٱستأسد: ٱجترأ عليه. وقال: التعريس: نزول القوم في السفر من آخر الليل يقفـون فيه وقفة للإستراحة ثمّ يرتحلون. والعريس والعريسة: مأوى الأسد. وضرّسته الحرب تضريساً: أي جرّبته وأحكمته. ووقع الحديد: صوته. ورجل أشرس: أي عسر شديد الخلاف أو جريء على القتال. والأشرس: الأسد.

٤٧ـ ومنه في بناء سجن بالقصب:

ألا تراني كيّساً مكيّساً بنيت بعد نافع مخيّساً
حِصناً حصيناً وأميناً كيّساً

بيــان :

المكيس [بكسر الياء]: من يجعل غيره كيّساً. و [قال الفيروزآبادي] في القاموس المخيّس ـ كمعظم ومحدّث ـ: السّجن، وسجن بناه عليّ عليه السلام، وكان أوّلاً جعله من قصب وسمّاه نافعاً فنقبه اللصوص. ثم ذكر الأبيات وفيه:

«باباً حصيناً»[١].

و [قال الجوهري] في الصحاح: خيّسه تخييساً: أي ذلّله. ومنه المخيّس وهو آسم سجن كان بالعراق: أي موضع التذليل.

٤٨ـ ومنه رسالة إلى [عمرو] بن العاص:

لأصبحنّ العاصي آبن العاصي سبعين ألفاً عاقدي النواصي
مستحقبين حلق الدلاص قد جنّبوا الخيل مع القلاص
آساد غيل حين لا مناص

بيان:

قال نصر بن مزاحم في كتاب صفّين[٢]: لمّا بلغ عمرو بن العاص مسيره عليه السلام إلى الشام قال:

لا تحسبني يا عليّ غافلا لأوردنّ الكوفة القبائلا[٣]
بجمعي العام وجمعي قابلا

فأجابه [عليّ عليه السلام] بهذه الأبيات.

ويقال صبّحتهم: أي أتيتهم به صباحاً.وعقد النواصي كناية عن الإهتمام في الحرب. وآستحقبه: أي آحتمله. والحلق ـ بالفتح ـ: جمع الحلقة. وقال الجوهري: الدليص والدلاص: اللين البراق يقال: درع دلاص وأدرع دلاص. وقال: الغيل ـ بالكسر ـ: الأجمة وموضع الأسد قيل: [هو] مثل «خيس». وقال:

(١) هذا هو الصواب الموافق للقاموس، وفي طبع الكمباني من البحار: «باب حصينة».
(٢) رواه نصر بن مزاحم في أوائل الجزء الثالث من كتاب صفّين ص ١٣٠، ط مصر.
(٣) كذا في أصلي، وفي طبع مصر من كتاب صفّين: «القنابلا». وهي جمع «قنبل و قنبلة»: جماعة الناس أو الخيل.

المناص: الملجأ والمفرّ.

٤٩ـ ومنه في الاحتجاج على الخصوم:

لنـــا ما تدّعــون بغـير حقّ   إذا ميز الـصّحــاح من المــراض
عرفــتم حقّنــا فجحــدتمــوه   كما عُرِف الســواد من البـياض
كتــاب اللّه شاهــدنـا عليكم   وقــاضـينــا الإلــه فنعـم قاض

٥٠ـ وفيه [ومنه خ ل] أنّـه كتب معاوية إليه عليه السلام:

لا تفســدنّ سابق إحســان مضى   والــلّه لا تغــلب فيما قد قضـى

فأجابه [عليّ] عليه السلام:

إن كنــت ذا علم بما اللّــه قضى   فاثبت اصــادفــك وسيفي منتضى
والــلّه لايرجع شيء قد مضــى   والــلّه لا يبرم شيئــاً نقــضا

٥١ـ ومنه في المفاخرة:

نحــن نوّمّ الــنـمط الأوســطا   لســنــا كمن قصــر أو أفــرطــا

٥٢ـ ومنه في الشكوى:

مات الوفــاء فلا رفــد ولا طمع   في الناس لم يبــق إلّا اليأس والجزع
فاصبــر على ثقــة بالله وارض به   فالله أكرم من يرجــى ويتّبع

٥٣ ـ ومنه في التذلّل [إلى اللّه تعالى]:

ذنــوبي إن فكّــرت فيهــا كثيرة   ورحمــة ربّي من ذنــوبي أوســع
فما طمــعي في صالــح قد عملتــه   ولـكـنّـني في رحمــة اللّه أطمــع
فإن يك غفــران فذاك برحمــة   وإن تكن الأخــرى فما كنت أصنع

مليكي ومعبودي وربّي وحافظي وإني له عبد أقرّ وأخضع

٥٤ ـ ومنه في وصف قتل الأغشم:

أودى بأغشم دهر كان يأمله فخرّ منجدلاً في الأرض مصروعاً
قد كان يكثر في الكلام تسميعاً حتّى سما بحسامه ترويعاً
فعلوته مني بضربة فاتك ما كان يوماً في الحروب جزوعاً
من كان ينكر فضلنا وسناءنا فأنا عليّ للإلٰه مطيعاً

بيان :

أودى: هلك. والباء للتعدية. والتسميع: التشنيع. والترويع: التخويف. والفاتك: الجريُ الشجاع. والسّناء: الرفعة.

٥٥ ـ ومنه في إظهار الشوكة والقوّة:

هل يقرع الصخر من ماء ومن مطر هل يلحق الريح بالآمال والطمع
أنا عليّ أبو السبطين مقتدر على العداة غداة الروع والزمع

بيان :

«هل يقرع الصخر»: أي لايؤثّر الماء والمطر في الحجر الصلب. والغرض النهي عن الطمع فيما لايتيسرّ ولاتقدر عليه. والريح: الغلبة والقوةّ. ويحتمل معناه المعروف. والزمع ـ بالتحريك ـ: الدهش.

٥٦ـ ومنه في التلهّف عن قتل أنصاره:

يا لهف نفسي قتلت ربيعة ربيعة السامعة المطيعة
سمعتها كانت بها الوقيعة بين محاني سوقها المبيعة

فما بها نقص ولا وضيعة ولا الأمور الرثة الشنيعة
كانت قديمًا عصبة منيعة ترجو ثواب اللّه بالصنيعة
ومُرّة أنسابها وليعة قالعة أصواتها رفيعة
ليست كأصوات بني الخضيعة
دعا حكيم دعوةً سميعة من غير ما بطل ولا خديعة
نال بها المنزلة الرفيعة في الشرف العالي من الدّسيعة

بيان :

ربيعة أبو قبيلة. والمحاني: المعاطف. وسوق الحرب: حومة القتال. والمبيعة: موضع البيع. والرِّثة ـ بالكسر ـ: السقط من متاع البيت. ومرّة: أبو قبيلة من قيس. وهو مفعول «دعا».

والولع: الكذب. والقلع ـ بالفتح ـ: كون القدم غير ثابت عند المصارعة. ورقعه: أي هجاه. والخضيعة: صوت بطن لذاته. وحكيم هو ابن جبلة الذي [قتل في محاربته طلحة والزبير] قتل بـ «المربد»[1].

قوله [عليه السلام]: «سميعة»: أي مستمعة. والبطل ـ بالضمّ ـ: البطلان. والدسيعة: العطيّة.

٥٧ـ ومنه في الرضا:

ما لي على فوت فائت أسف ولا تراني عليه ألتهف
ما قدّر اللّه لي فليس له عنّي إلى من سواي منصرف
فالحمد للّه لا شريك له ما لي قوت وهمتي الشرف
أنا راض بالعسر واليسار فما تدخلني ذلة ولا صلف

---

(١) هذا هو الصواب وفي أصلي: «الربذة» والمربد هو موضع بالبصرة قتل فيه حكيم بن جبلة في محاربته مع جند طلحة والزبير.

بيـــان:

الصلف: مجاوزة قدر الظرف و الإدّعاء فوق ذلك تكبّراً.

٥٨ـ ومنه في [قصة] قتل كعب بن الأشرف وإجلاء بني النضير:

عرفت ومن يعتدل يعرف	وأيقنت حقّاً ولم أصدف
عن الكلم الصدق يأتي بها	من اللّه ذي الرأفة الأرأف
رسائل يدرسن في المؤمنين	بهنّ اصطفى أحمد المصطفي
فأصبح أحمد فينا عزيزاً	عزيز المقامة والموقف
فيا أيّها الموعدوه سفاهاً	ولم يأت جوراً ولم يعنف
ألستم تخافون أدنى العذاب	وما آمن اللّه كالأخوف
فإن تصرعوا تحت أسيافنا	كمصرع كعب أبي الأشرف
غداة رأى اللّه طغيانه	وأعرض كالجمل الأخيف
فأنزل جبريل في قتله	بوحي إلى عبده الملطف
فدسّ الرسول رسولاً له	بأبيض ذي ظُبة مرهف
فباتت عيون له معولات	متى ينع كعب لها تذرف
فقالوا لأحمد ذرنا قليلاً	فإنّا من النوح لم نشتف
فخلّاهم ثم قال: اظعنوا	دحوراً على رغمة الانف
وأجلى النضير إلى غربة	وكانوا بدارة ذي زخرف
إلى أذرعات رادفاً همُ	على كلّ ذي دبر أعجف

بيـــان:

«يأتي بها»: أي النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله. و «سفاهاً»: تميز أو حال. والجنف: الميل: أي الجمل الكثير الميل عن القصد.

قوله: «فإن تصرعوا»: جزاء الشرط محذوف: أي لانتقمنا منكم ولم يكن

بعيداً. و «غداة» بفتح التاء مضاف إلى الجملة. وقيل: [المراد من] الوحي [هو] قوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنّم وبئس المهاد﴾ [١٢/ آل عمران].

والـدسّ: الإرسال خفية. والرسول [هو] محمد بن مسلمة الذي بعثه النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلم لقتل كعب غيلةً، وقد مرّت القصة في المجلد السادس.

«متى ينع» على بناء المجهول من النعي: وهو خبر الموت. وضمير «لها» راجع إلى العيون والإسناد فيه وفي «المعولات» على المجاز. وذرفت عينه: سال منها الدمع. و «الأنف»: جمع الأنف. و «الأذرعات» ـ بفتح الهمزة وكسر الراء ـ موضع بالشام. والرداف: جمع الرديف. والدبر: جراحة تحدث في ظهر البعير وجنبه. والأعجف: المهزول.

٥٩ـ ومنه في هرب غطريف بن جشم:

يا لهف نفسي على الغطريف ... المدّعي البأس وبذل الريف
أفلت من ضرب له خفيف ... غير كريم الجدّ أو طريف

بيـــان :

البأس: الشدّة في الحرب. والريف ـ بالكسر ـ: أرض فيها زرع وخصب: أي كان مدّعياً لغاية الشجاعة والكرم. والطريف في النسب: الكثير الآباء إلى الجدّ الأكبر.

وقال الشارح: أي ما جدّه غير كريم أو بينه وبين جدّه الكريم آباء كثيرة.

٦٠ـ ومنه في إظهار الشوق إلى الكوفة:

يا حبّذا سيف بأرض الكوفة[1] أرض لنا مألوفة معروفة
يطلقها جمالنا المعلوفة عمي صباحاً واسلمي مألوفة

بيان:

السيف - بالكسر -: ساحل البحر.

و [قال ابن الأثير] في [مادّة «عرف» من كتاب] النهاية: العَرْف: الريح الطيّبة ومنه حديث علي عليه السلام: «حبّذا أرض الكوفة أرض سواء سهلة معروفة» أي طيّبة العرف. وقولهم: «عم صباحاً»: كلمة تحية كأنّه محذوف [منه حرف]، من «نعم ينعم» بالكسر كما يقال: كل من «أكل يأكل» فحذف النون والألف تخفيفاً.

٦١- ومنه في الرضى [بما قسم الله وقدّره له]:

رضيت بما قسم الله لي وفوّضت أمري إلى خالقي
لقد أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي

٦٢- ومنه في الفخر بالعلم:

علمي معي أينما قد كنت يتبعني قلبي وعاء له لا جوف صندوق
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي أو كنت في السوق كان العلم في السوق

٦٣- ومنه في الشكاية عن الرفقاء:

تغرّبت أسأل من عنّ لي من الناس هل من صديق صدوق

---

(١) كذا في أصلي، والأبيات ذكرناها عن مصدر آخر في حرف القاء مما جمعنا من أبيات أمير المؤمنين عليه السلام في الباب السادس من نهج السعادة وفيه:

يا حبّذا السير بأرض الكوفة تعرفها جمالنا المعلوفة

فقالوا: عزيزان لا يوجدان   صديق صدوق وبيض الأنوق

بيان:

الأنوق [كصبور]: الرخمة وفي المثل: «أعزّ من بيض الأنوق»؛ لأنّه يحرزها فلا يكاد يظفر بها لأنّ أوكارها في رؤس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة.

٦٤ـ ومنه في مثله:

تراب على رأس الزمان فإنّه   زمان عقوق لا زمان حقوق
فكلّ رفيق فيه غير موافق   وكلّ صديق فيه غير صدوق

٦٥ـ ومنه في سبب بغض الأعادي:

ما تركت بدر لنا صديقاً   ولا لنا من خلفنا طريقاً

٦٦ـ ومنه خطاباً لموسى بن حازم العكّي في الحرب:

دونكها مترعة دهاقاً   كأساً زعافاً مزجت زعاقاً
إنّا لقوم ما ترى ما لاقا   أقدّ هاماً وأقط ساقا

بيان:

دونكها أي خذها والضمير راجع إلى الكأس لأنّه مؤنّث سماعي. وأترعه: ملأه. والدهاق: الممتلئة. وزعفه زعفاً: قتله مكانه وسمّ زعاف بالضم [أي مهلك من ساعته]. الزعاف ـ بالضم ـ الماء الممزوج بالملح الشديد الملوحة. والقدّ: القطع طولاً. والقطّ: القطع عرضاً.

٦٧ـ ومنه في إخباره [عليه السلام] بالأمر الخفيّ:

أرى حرباً مغيّبة وسلماً وعهداً ليس بالعهد الوثيق

بيان :

قال الشارح: أمّر أمير المؤمنين عليه السلام حريث بن راشد قبل [وقعة] صفّين على الأهواز[1] ولّما رجع عليه السلام [من صفّين] بغى وتمرّد، فبعث عليه السلام إليه معقل بن قيس، فقتله وأسر جماعة من بني ناجية خرجوا معه، ففدّاهم مصقلة بن هُبَيرة بخمس مائة ألف درهم فلمّا عجز [من أدائه] هرب إلى معاوية، فأمر [أمير المؤمنين] عليه السلام بتخريب بيته فظهرت فيه أسلحة فأنشد عليه السلام هذا البيت.

٦٨ـ ومنه في مثله:

أرى أمراً تنقّص عروتاه وحبلاً ليس بالحبل الوثيق

٦٩ـ ومنه [في] تعيير معاوية في بناء مسجد بناه بدمشق:

سمعتك تبني مسجداً من خيانة[2] وأنت بحمد الله غير موفّق

(١) كذا في أصلي من طبع الكمباني من البحار، والصواب «خرّيت بن راشد» وقصّته مذكورة بالتفصيل في الحديث: (٤٧٢) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب أنساب الأشراف: ج٢ ص ٤١١ ط١. وفي حوادث سنة (٣٨) من تاريخ الطبري: ج٤ ص ٨٦ وفي ج٥ ص ١١٣ ورواها أيضاً الثقفي في الحديث: (١٣٩) من كتاب الغارات ص ٣٣٨ ط١، ورواها عنه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٤٤) من نهج البلاغة: ج١، ص ٥٩٠ ط الحديث ببيروت، وفي ط الحديث بمصر: ج٣ ص ١٢٨، ورواها أيضاً عنها المصنّف في أوّل الباب: (٢٤) في الحديث: (٦٢٨) من هذا الكتاب ص ٦١٥ ط الكمباني.

وجميع هذه المصادر خال عن تأمير أمير المؤمنين خرّيتاً على مدينة الأهواز، فما ذكره شارح الديوان لم يعلم من أين أخذه .

(٢) وربما يقرء (جباية).

كمطعمة الرمّان مما زنت به | جرت مثلاً للخائن المتصدّق
فقال لها أهل البصيرة والتُقى: | لك الويل لا تزني ولا تتصدّقي

٧٠ـ ومنه في مدح أصحابه:

قومي إذا اشتبك القنا | جعلوا الصدور لها مسالك
اللّابسون دروعهم | فوق القلوب لأجل ذلك

٧١ـ ومنه [في الرضا بما رزقه اللّه من العلم]:

رضينا قسمة الجبّار فينا | لنا علم وللأعداء مال
فإنّ المال يفنى عن قريب | وإنّ العلم باقٍ لا يزال

٧٢ـ ومنه في إظهار الكرم:

وداري مناخ لمن قد نزل | وزادي مباح لمن قد أكل
أقدّم ما عندنا حاضر | وإن لم يكن غير خبز وخلّ
فأمّا الكريم فراض به | وأمّا اللّئيم فذاك الوبل

بيان :

الوبل ـ بالتحريك ـ: الوبال وهو أمر يخاف ضرره.

٧٣ـ ومنه في إظهار المكارم:

إنّي امرؤ باللّه عزّي كلّه | ورث المكارم آخري من أوّلي
فإذا اصطنعت صنيعةً أتبعتها | بصنيعة أخرى وإن لم أسأل
وإذا يصاحبني رفيق مرمل | آثرته بالزاد حتّى يمتلي
وإذا دُعيت لكربة فرّجتها | وإذا دعيت لغدرة لم أفعل

وإذا يصيح بي الصريخ لحادث وافيته مثل الشهاب المشعل
وأعدّ جاري من عيالي إنّه اختار من بين المنازل منزلي
وحفظته في أهله وعياله بتعاهد منّي ولّما أسعل

بيان :

أرمل القوم: نفد زادهم. والصريخ: المستغيث والمغيث، وأريد به هنا الأوّل. والسّعال هنا: كناية عن الكراهة يقال: أغصّك السّعال فأخذك السعال.

٧٤ـ ومنه في [بيان] فضائله عليه السلام مخاطباً للحارث الهمداني:(١)

يا حار هَمْدان من يَمُت يرني من مؤمن أو منافق قُبُلا
يعرفني طرفه وأعرفه بنعته وأسمه وما فعلا
وأنت عند الصراط معترضي فلا تخف عثرةً ولا زللا
أقول للنّار حين توقف للـ ـعرض: ذريه لا تقربي الرجلا
ذريه لا تقربيه إنّ له حبلًا بحبل الوصّي متّصلا
أسقيك من بارد على ظمإٍ تخاله في الحلاوة العسلا
قول علي لحارث عجب كم ثمّ أعجوبة له جملا

بيان :

«حار»: مرخّم حارث. ورأيته قبلاً ـ بالفتح أو الضمّ ـ: أي مقابلةً وعياناً.
«جملًا»: أي مجملات أو جملةً جملةً.

---

(١) والصواب أنّ معنى ومضمون هذه الأبيات لأمير المؤمنين عليه السلام قاله للحارث الهَمْداني رفع اللّه مقامه، وأمّا النظم فهو للسيّد اسماعيل الحميري رحمه اللّه، نظم ما قاله أمير المؤمنين نثراً للحارث الأعور تغمّده اللّه برحمته.

٧٥ـ ومنه في ردّ منجّم أراد إرشاده عليه السلام:

خوّفني منجّم أخو خبل تراجع المرّيخ في بيت حمل
فقلت: دعني من أكاذيب الحيل المشتري عندي سواء وزحل
أرفع عن نفسي أفانين الدول بخالقي ورازقي عزّ وجلّ

بيان:

الخبل: فساد العقل.

٧٦ـ ومنه في إظهار أنّ الخلافة حقّه مخاطباً لأبي بكر:

روى أبو الجيش المظفّر البلخي بإسناده قال: جاء علي عليه السلام وأبو بكر في المسجد فقال عليه السلام:

تعلّم أبا بكر ولا تك جاهلاً بأنّ علياً خير حاف وناعل
وأنّ رسول اللّه أوصى بحقّه وأكّد فيه قوله بالفضائل
ولا تبخسنّه حقّه وأردد الورى إليه فإنّ اللّه أصدق قائل

٧٧ـ ومنه في إظهار الشجاعة:

أنا الصّقر الذي حدّثت عنه عِتاق الطير تنجدل انجدالا
وقاسيت الحروب أنا ابن سبع فلمّا شبت أفنيت الرجالا
فلم تدع السيوف لنا عدوّاً ولم يدع السخاء لديّ مالا

بيان:

قال الجوهري: عِتاق الطير [بكسر العين]: الجوارح منها. والإنجذال: السقوط من طعنة أو ضربة.

وقوله [عليه السلام]: «عنه» متعلّق بـ [قوله:] «حدّثت» و«الإنجذال»

معاً أو بأحدهما ويقدّر للآخر. [وفي قوله]: «أنا آبن سبع» الواو مقدّر للحال.

وآحتمل الشارح أن يكون السبع مصدر [قولهم] «سبع الذئب الغنم» [من باب «منع» و «نصر»] ـ: أي افترسها.

ولعلّه لقراءته «شثت» بالهمزة كما صرّح به، والأظهر أنّه [«شبت»] بالباء كما في بعض النسخ من الشيب.

٧٨ـ ومنه في مثله:

صيد الملوك أرانب وثعالب وإذا ركبت فصيدي الأبطال
صيدي الفوارس في اللقاء وإنّني عند الوغا لغضنفر قتّال

بيان:
الغضنفر: الأسد.

٧٩ـ ومنه في إظهار حبّ النبيّ ونصره وذمّ أعاديه:

إنّ عبداً أطاع ربّاً جليلا وقفى الداعي النبيّ الرسولا
فصلاة الإله تترى عليه في دُجى الليل بكرةً وأصيلًا
إنّ ضرب العداة بالسيف يرضي سيّداً قادراً ويشفي غليلًا
ليس من كان قاصداً مستقيماً مثل من كان هاوياً وذليلًا
حسبي اللّه عصمةً لأموري وحبيبي محمد لي خليلًا

بيان:

قوله [عليه السلام]: «هاوياً»: أي ساقطاً في الآخرة في النار. وفي بعض النسخ: «هادياً ودليلًا» بالمهملة: أي ليس الهادي والمكمّل كالمهتدي والمسترشد.

٨٠ـ ومنه في مثله:

روي أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله اخا بين أصحابه وترك علياً عليه السلام [لم يؤاخ بينه وبين أحد] فقال له في ذلك فقال: أنا آخترتك لنفسي، أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة. فبكى علي عليه السلام وقال:

أقيك بنفسي أيّها المصطفى الذي ... هدانا به الرحمان من غمّةِ الجهل
وتفديك حوبائي وما قدر مهجتي ... لمن أنتمي معه إلى الفرع والأصل
ومن كان لي مذ كنت طفلاً ويافعاً ... وأنعشني بالعلّ منه وبالنهل
ومن جدّه جدّي ومن عمّه أبي ... ومن نجله نجلي ومن بنته أهلي
ومن حين آخا بين من كان حاضراً ... دعاني وآخاني وبيّن من فضلي
لك الفضل إنّي ما حييت لشاكر ... لأحسان ما أوليت يا خاتم الرسل

بيـــان :

الحوباء ـ بالفتح ـ: النفس. والفرع: الأولاد والأحفاد. والأصل: الآباء والأجداد: أي أولادي أولاده وآبائي آباؤه. وأيفع [الغلام]: آرتفع فهو يافع والعلّ: الشرب الثّاني. والنهل: الشرب الأوّل فإنّ الإبل تسقى في أوّل الورد فتردّ إلى العطن ثمّ تُسقى الثانية فترُدّ إلى المرعى. والنجل: النسل.

٨١ ـ ومنه عند قرب حرب الجمل:

قد طال ليلي والحزين موكّل ... لحذار يوم عاجل ومؤجّل
والناس تعروهم أمور جّمة ... مرّ مذاقتها كطعم الحنظل
فتن تحلّ بهم وهنّ سوارع ... تسقي أواخرها بكأس الأوّل
فتن إذا نزلت بساحة أمّة ... حيقت بعدل بينهم متبهّل

بيـــان :

حاق به الأمر: نزل. ولم أره متعدّياً. والتّبهّل: الإخلاص في الدعاء.

٨٢ ـ ومنه في الشكاية عن طلحة والزبير:

إنّ يومي من الزبير ومن طلحة فيما يسوءني لطويل
ظلماني ولم يكن علم اللّه إلى الظلم لي لخلق سبيل

بيـان :

قال الشارح: [قوله عليه السلام:] «علم اللّه» قسم والتقدير: لم يكن لي سبيل إلى الظلم لخلق.

أقول: ويحتمل أن يكون المعنى أنّه لم يكن حينئذٍ لأحد [من الخلق] سبيل إلى ظلمي [و] هما أسّسا للناس ذلك.

٨٣ ـ ومنه مخاطباً لمعاوية:

ألا من ذا يبّلغ ما أقول فإنّ القول يبلغه الرسول
ألا أبلغ معاوية بن صخر لقد حاولت لو نفع الحويل
وناطحت الأكارم من رجال هم الهام الذين لهم أصول
همُ نصروا النبي وهم أجابوا رسول اللّه إذ خذل الرسول
نبياً جالد الأصحاب عنه وناب الحرب ليس له فلول
فدنت له ودان أبوك كرهاً سبيل الغيّ عندكما سبيل
مضى فنكصتما لّما توارى على الأعقاب غيّكما طويل
إذا ما الحرب أهدب عارضاها وأبرق عارض منها مخيل
فيوشك أن يجول الخيل يوماً عليك وأنت منجدل قتيل

بيـان :

قال الجوهري: حاولت الشيء: أي أردته. والأسم: الحويل. وهامة القوم: رئيسهم. والأصل: الحسب. والفلول: الكسور.

وقال الفيروزآبادي: الهيدبِ: السحاب المتدلّي، أو ذيله. وهدب الشجر

ـ كفرح ـ: طال أغصانه وتدلّت كأهدبت. وقال العارض: السحاب المعترض في الأفق. وأبرق السّحاب: ظهر منه البرق. والسّحابة المخيلة ـ بفتح الميم وكسر الخاء ـ: التي تحسبها ماطرة. والمنجدل: الصريع.

[ثم] قال [شارح الديوان]: فأجاب معاوية:

لا تحسبنّي يا علي غافلا لأوردنّ الكوفة القنابلا
والمشمخرّ والقنا الذوابلا في عامنا هذا وعاماً قابلا

فأجابه: [علي عليه السلام]:

أصبحت ذا حمق تمنّي الباطلا لأوردنّ شامك الصواهلا
أصبحت أنت يا ابن هند جاهلا لأرمينّ منكم الكواهلا
تسعين ألفاً رامحاً ونابلا يزدحمون الحزن والسواهلا
بالحقّ والحقّ يزيح الباطلا هذا لك العام وذرني قابلا

بيـان:

القنبلة: طائفة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين. واشمخرّ [الشيء]: طال، والمشمخرّ: الجبل العالي. و «تمنّي» ماض أو مضارع بحذف التاء. والصاهل: الفرس الذي له صهيل.

و [قال الزمخشري] في [كتاب] الأساس: هو كافل أهله وكاهلهم: [أي] هو الذي يعتمدونه، شُبّه بالكاهل واحد الكواهل. والنابل من النبل وهو السهم.

٨٤ ـ ومنه في وصف أصحابه صلوات اللّه عليه:

كآساد غيل وأشبال خيس غداة الخميس ببيض صقال
تحيد الضراب وحزّ الرقاب أمام العقاب غداة النزال
تكيد الكذوب وتخزي الهيوب وتروي كعوب دماء القذال

بيـــان :

الغيل والخيس ـ بكسرهما ـ: موضع الأسد. والشّبل ـ بالكسر ـ: ولده. والحزّ: القطع. والعقاب العلم الضخم. واسم راية رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله. والقذال: جماع مؤخّر الرأس.

٨٥ ـ ومنه في مدح عبدالعزيز بن الحارث:

شريت بامـــر لا يطاق حفـــيظةً حبـــاءاً وإخـــوان الحـــفيظ قليل
جزاك إلـه النـاس خيراً فقد وفت يداك بفـــضـــل ما هنـــاك جزيل

بيـــان :

رُوي أنّـه قالها حين أحاط عسكر الشام بطائفة من أصحابه فنادى [عليه السلام:] ألا هل من رجل يشري نفسه للّه ويبيع دنياه بآخرته!

فأجابه عبدالعزيز ودخل في غمار الناس وحارب حتّى وصل إلى أصحابه عليه السلام وقال لهم: يقول لكم أمير المؤمنين عليه السلام: كبّروا وهلّلوا فها نحن قد وافيناكم إن شاء اللّه. وصار ذلك سبب الفتح والظفر كما مرّ[1].

والحفيظة: الغضب والحميّة وهي مفعول «شريت» أو المفعول مقدر أي نفسك.

٨٦ ـ ومنه في الضّجر والشكوى [من تحامل الطّغاة على أهل التقوى]: وروي أنّه أنشدهما يوم استشهد عمّار [بن ياسر] رضي اللّه عنه:

ألا أيّهـا المـوت الذي ليس تاركي أرحـــني فقـــد أفـــنيت كلّ خليل

---

(١) وانظر تفصيل القضية في أواسط الجزء الخامس من كتاب صفّين ص ٣٠٨ ط مصر، وتقدم في هذا الكتاب في ص ٣٩٠ ط الكمباني.

أراك مصــرّاً بالــذين أحــبــهــم　　كأنّــك تنــحــو نحــوهــم بدليل

٨٧ ـ ومنه في كثرة قتلى أهل الشام:

كأين تركــنــا في دمـشق وأهلهــا　　من اشمط موتــور وشمـطاء ثاكـل

وغـانية صاد الــرمــاح خليلهــا　　وأضحت بعيد اليوم إحدى الأرامل

تبــكّي على بعــل لها راح غازياً　　وليس إلى يوم الحســاب بقــافـل

ونحن أنـــاس لا تصيد رمــاحنــا　　إذا ما طعنّــا القــوم غير المقـاتـل

أقول: روى نصر بن مزاحم في كتاب صفّين[1] عن عمرو بن شمر قال: لّما صدر [عليّ] عليه السلام من صفّين أنشأ يقول: [...] وذكر الأبيات.

بيــان:

الشمط: بياض لشعر الرأس يخالط سواده، والرجل أشمط والمرأة شمطاء. والموتور: الذي قُتل له قتيل ولم يدرك بدمه. والغانية: الجارية التي غنيت بزوجها أو التي غنيت بحسنها وجمالها عن الزينة. والقفول: الرجوع عن السفر.

٨٨ ـ وقال في الديوان ومنه في الشكوى عن اندراس معالم الإسلام:

ليبـك على الإسـلام من كان باكياً　　فقــد تركت أركــانــه ومعــالمــه

لقــد ذهــب الإســلام إلاّ بقــيّة　　قليل من النـاس الـذي هو لازمـه

٨٩ ـ ومنـه قال: جاءت إليه عليه السلام امرأة تشكو زوجها فقالت:

زوجـي كريم يبـغض المحــارمــا　　يقــطع ليلاً قاعــداً وقــائــما

ويصبــح الــدهــر لدينــا صائما　　وقــد خشــيت أن يكــون آثــمًا

---

(١) رواه نصر في أواسط الجزء الثامن ـ وهو الجزء الأخير ـ من كتاب صفّين ص ٥٣٢.

لأنّه يصبح لي مراغما

أجابها زوجها:

لا أصبح الدهر بهنّ هائما ولا أكون بالنساء ناعما
لا بل أصلّي قاعداً وقائما فقد أكون للذنوب لازما
يا ليتني نجوت منها سالما

فأجابها عليه السلام حاكمًا بينهما:

مهلاً فقد أصبحت فيها آثما لك الصلاة قاعداً وقائما
ثلاثة تصبح فيها صائما ورابع تصبح فيه طاعما
وليلة تخلو لديها ناعما مالك أن تمسكها مراغما

توضيح:

المراغمة: المغاضبة. والهيام كالجنون من العشق. ومهلاً أي أمهل.

٩٠ـ ومنه في الشكوى:

أصبحت بين الهموم والهمم عموم عجز وهمّه الكرم
طوبى لمن نال قدر همّته أو نال عزّ القنوع بالقسم

٩١ـ ومنه في المفاخرة وإظهار الفضائل:

قال [شارح الديوان]: ذكر الإمام علي بن أحمد الواحدي[1] عن أبي

(١) رواه الميبذيّ الشافعيّ عنه في شرح الديوان ص ٤٠٥ ـ ٤٠٧ ورواه أيضاً القندوزي الحنفيّ في كتاب ينابيع المودّة ص ٦٨.

هريرة قال: اُجتمع عدّة من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، والفضل بن العبّاس، وعمّار، وعبدالرحمان بن عوف، وأبو ذرّ، والمقداد، وسلمان، وعبداللّه بن مسعود، فجلسوا وأخذوا في مناقبهم، فدخل عليهم عليّ عليه السلام فسألهم فيم أنتم؟ قالوا: نتذاكر مناقبنا ممّا سمعنا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله. فقال: عليّ عليه السّلام: اُسمعوا منّي ثمّ أنشا يقول هذه الأبيات:

لقد علم الأناس بأنّ سهمي من الاسلام يفضل كلّ سهم
وأحمد النبي أخي وصهري عليه اللّهُ صلّى وابن عمّي
وإنّي قائد للناس طرّاً إلى الاسلام من عرب وعجم
وقاتل كلّ صنديد رئيس وجبّار من الكفّار ضخم
وفي القرآن ألزمهم ولائي وأوجب طاعتي فرضاً بعزم
كما هارون من موسى أخوه كذاك أنا أخوه وذاك اسمي

ورواه عنها العلّامة الأميني في غديرية أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب الغدير: ج٢ ص ٣٢ ط بيروت.

فإنّه عليه السلام كان أحاط خبراً بعظمة موهبة اللّه ومنّه على البشر بإيجاد اللّه تعالى إيّاه من العدم إلى الوجود، وتسخير الموجودات له كي يتمتّع بها ويستفيدمنها معجّلاً ومؤجلاً، وتمكينه إيّاه من الرقيّ إلى سعادة الدنيا والآخرة والتقرّب إلى اللّه من شتّى النواحي.

وكان عليه السلام أوّل عامل للّه تعالى مخلصاً له في أعماله وحركاته وسكناته، وكان قائد الموحدّين ورئيس المتّقين، ولم يك يغيب آناً ما عن علمه وخواطره قوله تعالى: ﴿إنّما يتقبّل اللّه من المتّقين﴾ فمن كان شأنه هكذا فالملائم لشخصيّته أن يتمنّى دوام وجوده كي يتقرّب إلى اللّه تعالى أكثر فأكثر.

والأبيات معارضة أيضاً لمحكمات ما ورد عنه عليه السّلام من كونه قسيم الجنّة والنّار، وأنّه يشفع لمن ارتضى اللّه تعالى الشفاعة له، إلى غير ذلك من خصائصه عليه السلام الدالة على عظمته عنداللّه تعالى وعلوّ مقامه وشموخ منزلته عنده في الدنيا والآخرة.

ثم إنّ الأبيات مرسلة ولم نجدها بسند موثوق يدلّ على صدورها منه عليه السلام، فأصل صدورها منه مشكوك فيه فهي غير واجدة لشرائط الحجّية، فلا مورد لتطويل الكلام حولها.

لـذاك أقـامـني لهم إمـامـاً وأخـبرهـم بـه بغـديـر خـمّ
فمـن منكـم يعـادلـني بسـهـمي واسـلامـي وسـابـقـتي ورحمـي
فويل ثمّ ويل ثم ويل لمن يلقـى الإلـه غداً بظلمـي
وويل ثمّ ويل ثم ويل لجاحـد طاعـتي ومـريد هضـمي
وويل للذي يشـقـى سفـاهـاً يريد عداوتي من غير جرمـي

٩٢ـ ومنه في الشكاية:

أطلب العـذر من قومي وإن جهلوا فرض الكتاب ونـالـوا كلّ ما حرمـا
حبـل الإمـامـة لي من بعد أحمدنا كـالـدلـو علقت التكـريب والوذما
لافي نبـوّتـه كانـوا ذوي ورع ولا رعـوا بعـده إلّا ولا ذممـا
لو كان لي جائـزاً سرحـان أمـرهم خلّفت قومي وكـانـوا أمّـة أممـا

بيـان :

قال الفيـروزآبـادي [في «مـادّة «كـرب» من القـامـوس]: الكـرب ـ بالتحريك ـ: الحبل يشدّ في وسط العراقي ليلي الماء فلا يعفن الحبل الكبير، وقد كرب الدلو وأكربها وكرّبها.

وقـال [أيضـاً]: الـوذم ـ محرّكـةً ـ: السيور بين آذان الـدلـو. والإلّ ـ بالكسـر ـ: العهـد. و «سـرحان»: مصدر من [قولهم:] سرّح الماشية. وهو إرسالها للرعي. وتسريح المرأة: تطليقها. والأمم ـ بالتحريك ـ: الشيء اليسير. وأخذت ذلك من أمم: أي من قربٍ وداره أمم داري: أي مقابلتها. وقُرء [أُمماً] بضمّ الهمزة أيضاً: أي فرقاً مختلفة.

٩٣ ـ وروي أنّه قال غطريف بن جشم: «إنّي غطريف نعم وابن جشم» إلى آخر الأبيات فأجابه عليه السلام:

أنـا علّى المـرتجـى دون العـلم مرتهـن للحـين موفٍ بالـذمـم

أنصر خير الناس مجداً وكرم   نبي صدق راحماً وقد علم
إنّي سأشفي صدره وأنتقم   فهو بدين اللّه والحقّ معتصم
فاثبت لحاك اللّه يا شرّ قدم   فسوف تلقى حرّ نار تضطرم
تحلّ فيها ثم توهي كالحُمَم

بيان:

العلم: الأثر الذي يعلم به الشيء كعلم الطريق وعلم الجيش. والحين ـ بالفتح ـ: الهلاك.

وقال الجوهري: قولهم: لحاه اللّه: أي قبّحه ولعنه. ورجل قدم ـ بكسر الدال ـ: أي يتقدّم. وقدم ـ بالتحريك ـ: أي شجاع. وكعنب: الرجل له مرتبة في الخير. والحمم ـ بالضم ـ: الفحم وكلّ مااحترق من النار.

٩٤ـ ومنه مخاطباً للزبير في [حرب] الجمل:

لا تعجلنّ واسمعن كلامي   إنّي وربّ الرُّكّع الصيام
إذ المنايا أقبلت خيامي   حملت حمل الأسد الضرغام
بباتل مؤلّل حُسام   عوّد قطع اللحم والعظام

بيان:

[قال الجوهري] في الصحاح: ألّلت الشيء تأليلاً: حدّدت طرفه.

٩٥ـ ومنه خطاباً لمعاوية:

أما واللّه إنّ الظلم شوم   ولا زال المسيء هو الظلوم
إلى ديّان يوم الدين نمضي   وعند اللّه تجتمع الخصوم
ستعلم في الحساب إذا التقينا   غداً عند المليك من الغشوم
ستنقطع اللذاذة عن أناس   من الدنيا وتنقطع الهموم
لأمر ما تصرّفت الليالي   لأمر ما تحرّكت النجوم

سل الأيّام عن أمم تقضّت ... ستخبرك المعالم والرسوم
تروم الخلد في دار المنايا ... فكم قد رام مثلك ماتروم
تنام ولم تنم عنك المنايا ... تنبّه للمنيّة يا نؤم
لهوت عن الفناء وأنت تفنى ... فما شيء من الدنيا يدوم
تموت غداً وأنت قرير عين ... من العضلات في لجج تعوم

بيان:

العضلة - بالضمّ -: الداهية. والعوم: السباحة.

٩٦- ومنه حاكياً قتله بعض المنافقين:

ضربته بالسيف وسط الهامة ... بشفرة ضاربة هدّامة
فبتّكت من جسمه عظامه ... وبيّنت من أنفه أرغامه
أنا علي صاحب الصمصامة ... وصاحب الحوض لدى القيامة
أخو نبيّ اللّه ذو العلامة ... قد قال إذ عمّمني العمامة
أنت أخي ومعدن الكرامة ... ومن له من بعدي الإمامة

بيان:

قال الجوهري: الشفرة - بالفتح -: السكّين العظيم. وشفرة السيف أيضاً حدّه. والهضم: القطع. والتبتيك: التقطيع. والصمصامة: السيف القاطع الذي لا ينثني. و [المراد من] العلامة [هنا] خاتم النبوّة.

٩٧- ومنه في مرثية أكارم أصحابه:

جزى اللّه خيراً عُصبة أيّ عصبة ... حسان الوجوه صرّعوا حول هاشم
شقيق وعبداللّه منهم ومعبد ... ونبهان وابنا هاشم ذي المكارم
وعروة لا ينأى فقد كان فارساً ... إذا الحرب هاجت بالقنا والصوارم

إذا اختلف الأبطال واشتبك القنا وكان حديث القوم ضرب الجماجم

بيـــان :

هاشم هو ابن عتبة [الزهري الصحابي] المرقال. وشقيق [هو] ابن ثور العبدي. وعبداللّه [هو] ابن بديل بن ورقاء [الصحابي] الخزاعي.

٩٨ـ ومنه مرتجزاً في صفّين:

ما علّتي وأنـا جلد حازم وفي يمـيني ذو غرار صارم
وعـن يمـيني مذحـج الـقـماقـم وعن يسـاري وائـل الخـضـارم
الـقـلب حولي مضـر الجـماجـم وأقـبـلـت هَمْـدان والأكـارم
والأزد من بعـد لنـا دعـائـم والحـقّ في الـنـاس قديم دائـم

بيـــان :

قال الجوهري: العلّة: حدث يشغل صاحبه عن وجهه. وقال [أيضاً]: الغراران: شفتا السيف وكلّ شيء له حدّ فحدّه غراره. والقمقام: السيّد. والعدد الكثير. ووائـل اسم قبيلة. وخضرم: الكثير العطاء. والقلب: وسط الجيش. وجماجم العرب: القبائل التي تجمع البطون فينسب إليها دونهم.

٩٩ـ ومنه في ذمّ بعض القبائل:

وأبعـد من حلم وأقـرب من خنـا وأخمـد نيرانـاً وأخمـل أنـجـما
مَوالي أيادٍ شرّ من وطـأ الحـصـا موالي قيس لا أنـوف ولا فما
فما سبـقـوا قومـاً بوتـر ولا دم ولا نقضـوا وتـراً ولا أدركـوا دمـا
ولا قام منهـم قائـم في جماعـة ليحمـل ضيماً أو ليدفـع مغرمـا

بيـــان :

الخنا: الفحش. وقوله عليه السلام: «لا أنوف ولا فما»: أي ليس فيهم

الرياسة والفصاحة. والمغرم: ما يلزم أداؤه.

١٠٠ـ ومنه تحسراً على قتل أعيان قبيلة شِبام:

وصحت على شبام فلم تجبني يعزّ عليّ ما لقيت شِبام

١٠١ـ ومنه في الشّكاية والتّصبّر:

تنكّر لي دهري ولم يدر أنّني أعزّ وروعات الخطوب تهون
فظلّ يريني الخطب كيف اعتداؤه وبِتّ أريه الصبر كيف يكون

بيان:

التنكّر: التغيّر.

١٠٢ـ ومنه في التأدّب عن أحوال الزمان وتحصيل التجارب:

الدهر أدّبني واليأس أغناني والقوت أقنعني والصبر ربّاني
وأحكمتني من الأيّام تجربة حتّى نهيت الذي قد كان ينهاني

١٠٣ـ ومنه في الشكاية عن أهل النفاق:

هذا زمان ليس إخوانه يا أيّها المرء بإخوان
إخوانه كلّهم ظالم لهم لسانان ووجهان
يلقاك بالبشر وفي قلبه داء يواريه بكتمان
حتّى إذا ما غبت عن عينه رماك بالزور و بهتان
هذا زمان هكذا أهله بالودّ لا يصدقك اثنان
يا أيّها المرء كن منفرداً دهرك لا تأنس بإنسان

١٠٤ـ ومنه [ما] روي أنّه عزّى [به] عمر بن الخطاب بابن له تُوُفّي فقال:

إنّـا نعـزّيك لا أنّـا على ثقة من الحياة ولكن سنّـة الـدين
فلا المـعـزّى بباق بعـد ميّتـه ولا المعزّي ولـو عاشـا إلى حين

بيـان :

[قوله:] «لا أنّا» ـ بالفتح ـ أي لا نعزّيك لكوننا على ثقة من حياتنا بعده.

١٠٥ـ ومنه في الشكاية عن منافقي زمانه صلوات اللّه عليه:

لولا الـذين لهم ورد يقومونـا وآخـرين لهم سـرد يصـومـونـا
تدكـدكت أرضكم من تحتكم سحـرا لأنّـكـم قـوم سـوء لا تطيعـونـا

بيـان :

قال الجوهري: سردت الصوم: تابعته. وقال: تدكدكت الجبال أي صارت دكّاوات وهي رواب من طين.

١٠٦ـ ومنه في نفي تأثير النجوم:

أتـاني يهـدّدني بالـنجوم وما هـو من شرّه كائن
ذنـوبي أخـاف فأمّا النجوم فإنّـي من شرّهـا آمن

١٠٧ـ ومنه في المفاخرة:

نحـن الـكـرام بنو الـكرام وطـفـلنـا في المـهـد يكـنى
إنـا إذا قـعـد الـلئام على بساط الـعـزّ قمـنـا

بيــان :

التكنية في المهد علامة الشرف أو بيان لاستحبابها. والمراد بالقيام التهيّؤ للجهاد وسائر العبادات.

١٠٨ـ وقال عبدالله بن وهب الراسبي [رئيس الخوارج] في النهروان:

أضـربكـم ولا أرى أبــا الحسن ذاك الــذي ضلّ إلى الــدنيا ركن

فأجابه [عليّ] صلوات الله عليه:

يا أيّهــا المــشــرك يامن افــتــتــن والمــتـمـنّي أن يرى أبــا الحــســن

إلَيّ فانــظر أيّنـا يلقــى الـغـبـن

بيــان :

الغبن ـ بالفتح [فسكون الباء ـ: المخدوعية] في البيع [أو الشراء]. وبالتحريك: [الضعف] في الرأي.

١٠٩ـ ومنه خطاباً للنبي صلّى الله عليه وآله وإظهاراً للإخلاص له:

يا أكـرم الخـلق على الـلّـه والمـصـطفى بالشرف البـاهـي
محمّـد المـخـتـار مهـما أتـى من محدث مسـتـفـظـع ناهـي
فانـدب لـه حيـدر لا غيره فليس بالـغـمـر ولا الـلاهـي
ترى عماد الـكـفـر من سيفـه منـكّـسـاً باطـلـه واهــي
هل الـعـدا إلّا ذئـاب عـوت مع كـلّ ناس نفـســه ساهــي
سيهـزم الجـمـع على عقـبـه بحـيـدر والـنـصـر لله

بيــان :

الباهي [مأخوذ] من البهاء وهو الحسن. واستفظع الأمر: وجده فظيعاً.

والغمر ـ بالضمّ وبضمّتين ـ: الذي لم يجرّب الأمور. والعقب ـ بالتسكين ـ لغة في العقب [بالتحريك].

١١١٠ـ ومنه ٱفتخاراً بالمناقب والفضائل:

أنـا للفخـر أليهـا وبنفسي أتّقيهـا نعمةً من سامك السبع بها قد خصّنيها
لن ترى في حومة الهيجاء لي فيها شبيها ولي السبقة في الاسلام طفلاً ووجيها
ولي القـربـة إن قام شريف ينتميها زقّني بالعلم زقّـاً فيه قد صرت فقيهـا
ولي الفخر على الناس بعرسي وبنيها ثم فخـري برسـول الله إذ زوّجنيهـا
لي مقامات ببدر حين حارالناس فيها وبـأحـد وحنـين لي صولات تليهـا
وأنـا الحـامـل للرايـة حقّاً أحتويـها وأنـا القاتل عمراً حين حار الناس تيها
وإذا ضرّم حربـاً أحـد قدّمنيهـا وإذا نادا رسـول الله نحـوي قلت ايها
وأنا المسقي كأساً لذّة الأنفس فيها هبـة الله فمن مثلي في الـدنيا شبيهـا

بيـــان :

ضمير «أليها» مبهم يفسرّه «نعمة» وهي النبي صلّى الله عليه وآله.

[قوله:] «وبنفسي أتّقيها» أي أجعل نفسي وقايةً لتلك النعمة. و«سامك السبع» [أي] رافع سبع سماوات. وزقّ الطائر الفرخ يزقّه [على زنة «مدّ» وبابه] أي أطعمه بفيه. و«إيها» كلمة استزادة .

١١١ـ ومنه إظهاراً للشجاعة:

أنا مذ كنت صبياً ثابت القلب جريّاً أبطل الأبطال قهراً ثمّ لا أفزع شيئاً
يا سبـاع البرّ ريفي وكلي ذا اللحم نيّاً

بيـــان :

[قال الجوهري] في الصحاح: رافت الماشية: رعت الريف وهي أرض

فيها زرع وخصب.

١١٢ـ وقال بعض الأعادي خطاباً لعسكره عليه السلام:

أضربكم ولو أرى عليا ألبسه أبيض مشرفيا

فأجابه صلوات اللّه عليه:

يا أيّهذا المبتغي عليا إنّي أراك جاهلاً غبيا
قد كنت عن لقائه غنيا هلمّ فادن هاهنا اليا

١١٣ـ ومنه في تخويف بعض الكفّار:

سيف رسول اللّه في يميني وفي يساري قاطع الوتين
وكلّ من بارزني يجيني أضربه بالسيف عن قريني
محمد وعن سبيل الديني هذا قليل عن طلاب عين

بيان:

الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه.

و [قوله:] «يجيني» أمر غائب، قال [الشيخ] الرّضيّ رحمه اللّه جاز في النظم حذف لام الأمر في فعل غير الفاعل نحو «محمّد تفد نفسك كلّ نفس».

وأجاز الفرّاء حذفها في النّثر نحو قل له يفعل قال تعالى: ﴿قل لعبادي الذّين آمنوا يقيموا الصلاة﴾ [٣١/ إبراهيم: ١٤] والقرين: المصاحب. وطلاب ـ بالكسر ـ: جمع طالب مثل جياع وجائع. كذا قال الشارح، والمعروف في جمعه [أي جمع طالب] طُلّاب بالضمّ والتشديد فيمكن أن يكون التخفيف [هاهنا] للضرورة أو يكون [طلاب] بالكسر مصدر «طالبه مطالبةً وطِلاباً» إذا طالبه بحقّ. والعين ـ بالكسر ـ جمع الأعين أي الواسع العين.

١١٤ـ ومنه في تهديد بعض الأشرار:

اليوم أبلو حسبي وديني بصارم تحمله يميني
عند اللقا أحمي به عريني

بيـــان :

العرين مأوى الأسد.

١١٥ـ وكان نقش سيفه عليه السلام:

أسد على أسد يطول بصارم عضب يمان في يمين يمان

بيـــان :

قال الشارح: [قوله:] «في يمين يمان»: يدلّ على أنّ البيت من غيره عليه السلام، ولعلّ السّيف أنتقل إليه عليه السلام من رجل من أهل اليمن وكان هذا البيت مكتوباً عليه.

ويحتمل أن يكون عليه السلام نقش هذا البيت على سيفه في عاشر الهجرة، حين بعثه النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله إلى اليمن فعل ذلك تودّداً إليهم.

أو يقرأ «يمان» بضمّ الياء: أي صاحب اليمن كعظام وعقام بمعنى عظيم وعقيم انتهى.

وأقـــول: يمكن أن يكون النسبة إلى اليمن بإعتبار كمال الإيمان كما ورد في الخبر أنّ الإيمان يمان والحكمة يمانية.

وقال الجزري [في مادّة «يمن»] في شرح هذا الخبر [في كتاب النهاية]: إنّما قال ذلك لأنّ الإيمان بدء من مكة وهي من تهامة من أرض اليمن ولهذا يقال: الكعبة اليمانية انتهى.

[قال المصنّف:] ويظهر منه [أي من كلام الجزري] توجيه آخر أيضاً كما لا يخفى.

١١٦ـ ومنه [ما أنشده] في [وقعة] الجمل مخاطباً لابن الحنفيّة [محمد ابنه] رضي اللّه عنه:

اقحم فلن تنالك الأسنّة وإنّ للموت عليك جُنّة

١١٧ـ ومنه تمنّياً للعدم خوفاً من عذاب اللّه تعالى وتذلّلاً له:

ليت أمّي لم تلدني ليتني متّ صبياً
ليتني كنت حشيا أكلتني البهم نياً(١)

بيان:

البهم: جمع بهمة وهي أولاد الضأن.

١١٨ـ ومنه في الشكوى عن [أهل] الزمان:

عجباً للزمان في حالتيه وبلاء دفعت منه إليه
ربّ يوم بكيت منه فلمّا صرت في غيره بكيت عليه

١١٩ـ ومنه ترغيباً في التهجّد:

يانفس قومي فقد قام الورى إن ينم الناس فذو العرش يرى
وأنت يا عين دعي عنّي الكرى عند الصباح يحمد القوم السرى

---

(١) النّيّ ـ بكسر النون ـ من الطعام: الذي لم ينضج أو لم تمسّه النار.
ثمّ إنّ هذه الأبيات غير ملائمة لمقام امير المؤمنين عليه السلام ومن على منهاجه علماً وعملاً.

بيـــان :

الكرى: النعاس. والسرى ـ بالضمّ ـ: السير باللّيل، والمثل معروف.

قد وفّق اللّه تعـالى للفـراغ من هذا المجلد من كتاب بحار الأنوار، الموسوم بكتاب الفتن، على يدي مؤلّفه الفقير الخاسر القاصر ابن محمد تقيّ محمّد باقر ختم اللّه له بالحسنى، في سلخ شهر ذي الحجّة الحرام من شهور سنة إحدى وتسعين بعد الألف الهجرية.

والحمـد للّه أوّلاً وآخـراً وصـلّى اللّه على سيّد المرسلين محمد وعترته الأكرمين، ولعنة اللّه على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين[1].

---

(١) قال الشيخ محمد باقر المحمودي: وحيث إنّ مقدّمتنا لهذا الكتاب قد أجّل نشرها، فلا بدّ لنا ها هنا من الإشارة إلى بعض ما قاسينا عندما تصدّينا لتحقيق هذا القسم منه فنقول:

قد أنهينا تمام القسم الثاني من هذه الترجمة، ومجلّد من القسم الأوّل منها، في يوم الجمعة المطابق للثاني عشر من شهر ربيع الأوّل من العام: (١٤٠٥) الهجري، ولكن كنّا في أيّام التحقيق في مدينة بيروت، والحرب قائمة بين اللبنانيين على قدم وساق، وفي أكثر تلك الأيّام كنّا نترقّب وداع الدنيا والرحيل إلى دار الآخرة لهطول الصواريخ والقذائف علينا من جميع الجـوانب، ولم يك بمتناولي جميع مصادر البحار، والموجود منها عندي أيضاً لم يكن ميسور التناول دائمًا للأسباب التي ذكرتها، ولهذا بقي منها من مبهمات الكتاب مواضع على حالها بلا تصحيح، وعسى اللّه أن يمنّ علينا بالتّصحيح الكامل في الطبعة الثانية.